

المجلد الأول

تاريخ غـزة منذ العصور القديمة حتى بداية العهد المملوكي

للشـيخ / عثمان مصطفى الطباع

الغــزي

(١٣٠٠ ـ ١٣٧٠ هـ) (١٨٨٢ ـ ١٩٥٠ م)

تحقيق ودراسة

عبد اللطيف زكي أبو هاشم


إتحاف الأعزة
في تاريخ غزة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ٩٠٠٩ / ٩٩

بدار الكتب المصرية

الناشر

مكتبة اليازجي

غزة - ش الوحدة - ت ٢٨٦٧٠٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من كان لها الفضل الأكبر فى تعليمى وبناء اللبنات الأولى فى تكوينى الثقافى.

إلى أختى سهام «أم ميسرة». حفظها الله ورعاها.

وإلى زهرتى التى تحملت ما لم يتحمله أشداء الرجال، إلى ابنتى «عُرَيِّب» عافاها الله وشفاها.

وإلى زوجتى «أم هاشم» وأولادى جميعًا هاشم وعبير وعلا ومحمد ومجد بارك الله فيهم جميعًا وجعلهم وجعل منهم ذرية صالحة ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

* * *

«شكر وعرفان»

أتقدم بخالص شكرى وعظيم تقديرى إلى الإخوة الذين كان لهم أثرٌ كبيرٌ وواضحٌ فى خروج هذا الكتاب إلى النور، وهم الذين رافقونى وحبونى بجميل عطفهم وتشجيعهم إلى أن انتهيت من طباعته بصورته الأخيرة. وهم:

الأخ **فيصل عمر الطباع (أبو هشام)**. حفيد الشيخ عثمان الطباع ـ الذى كان له الفضل الكبير فى إعطائى مخطوطة الكتاب، ثم زودنى مشكوراً بجميع كتب الشيخ عثمان وأوراقه الشخصية. وكان ذلك إيمانًا منه برسالة هذا الكتاب وإدراكًا لأهمية طباعته ونشره. فله منى جزيل الشكر هو وجميع أفراد **عائلة الطباع** وعلى رأسهم السيد **على الطباع** ولد المؤلف، أمد الله فى عمره.

الأخ المهندس: **غسان الوحيدى** ـ حفظه الله، حيث إنه كان حلقة الوصل وواسطة الخير بينى وبين الإخوة آل الطباع.

الأخ المهندس: **أحمد شاكر** (الذى كان له الفضل الكبير فى تنضيد وجمع النسخة المحققة من الكتاب).

الأخ الأديب الشاعر **«ناهض منير الريس» «أبو منير»** لما بذله من جهود كبيرة وكبير التشجيع والرعاية منذ بداية العمل فى الكتاب ولا أنسى كلماته حينما أخبرته بأننى أحقق فيه. فقال: **«إنك قد حققت حلمى عن هذه المدينة بنشرك لهذا الكتاب»**. وذلك حينما عاد لأرض الوطن ـ حفظه الله وأبقاه.

الأستاذ الفاضل/ **جرار نعمان القدوة (أبو مريد)** حفظه الله. لما بذل من جهد كبير يشكر عليه لإتمام طباعة ونشر الكتاب حيث إنه لولا جهوده لتأخر هذا الكتاب عدة سنوات ولما رأى النور.

سماحة الشيخ **يوسف جمعة سلامة** وكيل وزارة الأوقاف والشئون الدينية فى فلسطين، لتكرمه **بالموافقة** على منحى جميع أجازاتى السنوية حتى أتمم إنجار طباعة الكتاب، وأكرر شكرى له أيضًا **لتشجيعه ورعايته** للإصدار الأول الذى كان سباقًا فيه لكل من وزارتى السياحة والآثار ووزارة الثقافة ألا وهو كتاب: «المساجد الأثرية فى مدينة غزة» الذى احتل مكانة لدى جميع الطلاب والباحثين المتعطشين لمعرفة آثار الأجداد، ولا أنسى تشجيعه لى وللأخوة فى دائرة التوثيق والمخطوطات والآثار فى الوزارة للقيام بعمل دليل شامل غطى معظم الآثار الإسلامية فى مدينة غزة، ودليل آخر للقدس الشريف،

فله منى جزيل الشكر، ووفقه الله لإصدار المزيد من الكتب والدراسات.

الأستاذ الدكتور/ **عصام سيسالم** ـ رئيس قسم التاريخ فى الجامعة الإسلامية لاهتمامه وتشجيعه وإمدادى ببعض الوثائق والمخطوطات النادرة.

الأخ الأستاذ/ **سليمان عوض شيخ العيد**. أشكره شكرًا جزيلاً على تدقيقاته اللغوية والإملائية.

الأخ الأديب/ «**عمر حرب**» لنباهته فى قراءة الشعر ونقده وإشاراته اللغوية والأدبية فله منى وافر الشكر.

الأخ الفنان/ **محمد ماهر المجذوب ـ حفظه الله** ـ الذى تفضل مشكورًا بتصميم الغلاف فى صورته الأخيرة. فله منى الشكر الجزيل.

الأخ الحبيب صديق الطفولة/ «**زياد عواجة**» «أبو صبحى» الذى بذل جهودًا يشكر عليها فى تسهيل مهمات السفر مرات ومرات. فله منى الشكر الجزيل.

الحاج إبراهيم **اليازجى** الذى كان له الفضل فى المساهمة فى تحمل جزءًا من تكاليف الطباعة والنشر كما لا يفوتنى أن أشكر ولده النبيل الأخ حاتم الذى رافقنى فى رحلتى الطويلة فى هذا الكتاب.

كما أشكر جميع الإخوة الذين آزرونى فى جمهورية مصر الشقيقة. وعلى رأسهم الأخ الدكتور «**على عبد الباسط مزيد**» ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، والأخ الدكتور «**عرفة حلمى عباس**» ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

وكما أشكر الأخت الفاضلة «**إكرام مهران**» التى كان لها فضل كبير فى التشجيع على صدور الكتاب. وكما أشكر زهرتها الأخت الآنسة «**عندليب مهران**» التى تجشمت طباعة بعض الملازم التى كتبتها فى القاهرة، فلهما منى الشكر الجزيل.

كما لا يفوتنى أن أشكر الإخوة فى معهد المخطوطات العربية فى القاهرة الذين تشاورت معهم فى قضايا هامة تخص الكتاب. وعلى رأسهم الأستاذ القدير/ عصام الشنطى.

وفى الختام أتقدم بخالص شكرى إلى كل الذين يتعطشون لمعرفة جذورهم فى هذه البلاد.

وأخيرًا أرجو من الله العلى القدير أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وخدمة لأرض الإسراء «**تلك الأرض المباركة**» عساى أن أكون قد ساهمت بجزء بسيط من الإيفاء بحقها.

«المحقق»

" مقدمة آل الطباع "

بقلم/ فيصل عمر الطباع

عائلة الطباع من العائلات الصغيرة التى سكنت قطاع غزة بفلسطين، وتتصل جذورها بثلاثة من الجدود الذين استوطن أحدهم سوريا ، والثانى الأردن ،والثالث وهو جدنا المرحوم : الشيخ **عثمان الطباع** ،صاحب كتاب " إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة " بأجزاءه التاريخ والأنساب والتراجم، وقد عمل بالتجارة بين الشام وغزة لفترة طويلة كمعظم أفراد العائلة ، ودعاه الناس بالشاميّ .

بعد ذلك كرس حياته كلها لأعماله الأدبية والدينية الكثيرة حول الأحكام والفتاوى ، وتقلد عدة مناصب . وتمكن من تأسيس مكتبة الجامع العمرى الكبير فى غزة ،والتى لا زالت حتى يومنا هذا تزخر بالكتب التى جمعها وألفها ،فتظل خير شاهد على عظم الثروة التى أورثنا إياها جدنا الفاضل ـ رحمه الله ـ وكان من أهمها كتاب : " إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة " بأجزاءه والذى بقى أمانة غالية لدى والدنا الحاج/ **عمر الطباع**، وسلمها لأبنائه وأحفاده كاملة قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، إلى أن تم اللقاء بين: **فيصل عمر الطباع** (حفيد المرحوم الشيخ عثمان الطباع)، والأستاذ القدير الباحث / **عبد اللطيف أبو هاشم** الذى أبدى اهتمامًا كبيرًا بهذه المخطوطة، وتبرع مشكوراً بإعدادها وتنقيحها وطباعتها وإظهارها إلى حيز الوجود، انطلاقًا من إيمانه الشديد بالعلم والعلماء ،واقتناعه المطلق بأهمية هذه المخطوطة، للشعب الفلسطينى، وحرصه على انتفاع أفراد المجتمع الفلسطينى، وكل من له علاقة بتاريخ غزة وأنسابها، بما احتوته من حقائق لم ترد فى أى كتاب آخر .

إن عائلة الطباع لتفخر بهذا العمل الصادق ، والإنجاز الرائع لتحقيق المخطوطة وإظهارها فى هذه الصورة المشرقة ، **على يد الباحث القدير لما يتمتع به من أمانة علميّة، وصدق فى التعامل مع التأريخ** ، وما لاحظناه فيه من ثقته الغالية بعلمه وبنفسه وتفانيه فى خدمة المجتمع الفلسطينى ، والحفاظ على تراثه العلميّ والأدبيّ

لقد حاولنا مراراً وتكراراً إنجاز هذا العمل ،ولكنه ومع الأسف الشديد لم نجد آذانا صاغية ، أو أناسا لهم القدرة الثقافية والأمانة العلميّة ، أو من يمتلكون الحماس اللازم نحو عمل وطنى كهذا ،وضاعت كل محاولاتنا أدراج الرياح ، وباءت بالفشل ، إلى

أن تحقق حلمنا الكبير بلقاء الأستاذ /عبد اللطيف أبو هاشم الذى تمكن بما تنطوى عليه نفسه من حماسه للعلم والعلماء ،وسهر الليالى الطوال وبذل كل الجهود الممكنة من إصدار هذا الكتاب ورؤيته للنور بصورة مشرفة تبعث على الفخر والاعتزاز بعد أن طال انتظار الكثيرين لصدوره .

للأمانة العلمية والتاريخية نكون غير أوفياء لآل الطباع ولأعمال شيخنا الجليل الذى أفنى عمره فى كتابة هذه المخطوطة إذا نُسبت ظلمًا وإجحافًا إلى غير كاتبها ، وأخص بالتنويه من استغلوا فرصة وجود المخطوطة فى أيديهم ، واستقوا منها الحقائق والمعلومات ونسبوها إلى أنفسهم دون وجه حق ،وقد تسربت بعض نسخ المخطوطة ومنها نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة تسربت إلى جامعة حيفا ،وبالذات ليد الدكتور بطرس أبو منة ، وهى من الجزء الأول من المخطوطة .

إن هذا المرجع الفريد فى تأريخه لمدينة غزة وعائلاتها العريقة يُعَدُّ المرجع الملم والوحيد فى هذا الموضوع ،وكل الكتب التى صدرت وعالجت هذا المبحث تعد عالة عليه ،حيث إنه لا يوجد مرجع آخر يؤرخ لمدينة غزة غيره .

ولا يسعنى فى الختام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم فى إظهار هذا الكتاب إلى حيز الوجود من أهالى غزة الكرام الذين أظهروا رغبة صادقة وشوقاً أكيداً لاستكمال صدوره وأخص بالشكر إدارة جامعة بير زيت لما أبدته من اهتمام بالغ بالمخطوطة حين وجهت طلابها لعمل البحوث العلمية عن غزة والاستفادة من هذا المرجع وعلى رأسهم الدكتور معين صادق والذى قدم رسالة الدكتوراه فى ألمانيا عن تاريخ غزة مُعتمداً على ما ورد فى مخطوط " إتحاف الأعزة " مما يؤكد الفخر والاعتزاز بالمرحوم العلامة الشيخ عثمان الطباع ويخلد ذكراه .

وأخيرا أتقدم باسم عائلة الطباع بأسمى آيات الشكر والعرفان للأستاذ القدير الباحث/ عبد اللطيف أبو هاشم على إسهاماته الفعّالة، وجهوده المخلصة، ونواياه الصادقة، وأمانته العلمية، ووطنيّته الأكيدة فى تحقيق هذه المخطوطة، وإعدادها ونشرها حتى كانت خير هدية لخير وصية، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وأكثر من أمثاله لخدمة أبناء هذا الشعب المعطاء.

والله من وراء القصد،،

عن آل الطباع

فيصل عمر الطباع

عن المؤلف والكتاب والمدينة

بقلم الأستاذ/ ناهض منير الريس
عضو المجلس التشريعي فى السلطة الوطنية الفلسطينية

هذا كتاب يعد بمثابة الأم فى التأريخ لمدينة غزة وأهلها وأحوالها منذ أقدم العصور حتى منتصف القرن العشرين. وقد ظل محفوظًا كالجوهرة الدفينة خمسين سنة، يتحدث عنه الناس، وتأخذ عنه المؤلفات الأخرى وهو بعد مخطوط فى عهدة آل الطباع. وترد سيرة مؤلفه العالم الغزى المغفور له الشيخ عثمان الطباع فى منتديات الثقافة وندوات المؤرخين، حتى قيض الله له باحثًا غيورًا متمكنًا هو الأستاذ عبد اللطيف زكى أبو هاشم، فعكف على المخطوطة خمس سنوات ضبطًا وتحقيقًا وتعليقًا، وقام بنشرها أخيرًا على النحو الذى يجدر بعمل من هذا الوزن وبمؤلف من هذا الطراز وبمدينة لها هذه المكانة. ونحن ـ فى مناسبة صدور الطبعة الأولى من الكتاب ـ نشعر أن العروس التى طال انتظار الناس لرؤيتها تغادر بيت أبيها وتأخذ طريقها إلى جلوتها، قد استكملت زينتها وبرزت ناضرة معتزة بحراقتها، مدركة أن عرسها عرس للعلم وللتاريخ وللمدينة الشامخة الباقية على مر العصور.

فغزة هى إحدى أقدم عشر مدن فى العالم وقد كان لها حضورها الملحوظ والمستمر فى كل قرن من القرون، مقترنًا بالحيوية والنشاط والريادة العلمية والصمود النضالى، حتى حق لأديب غزة وشاعرها المعاصر عبد الكريم السبعاوى أن يطلق عليها لقب (العنقاء) فى روايته التى اختار لها هذا العنوان، وهى اليوم ـ شأنها بالأمس ـ قلعة متينة شامخة، معمورة بأهل الرباط الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام فى حديثه المشهور ونبوءته الصادقة المصدوقة.

وكان مولانا الشيخ عثمان الطباع ـ رحمه الله ـ واحدًا من أبناء غزة الذين شهدوا نقلة الزمان، ما بين دولة الخلافة العثمانية وعهد الانتداب الاستعمارى البريطانى على فلسطين، واصطلوا بنار الحرب العالمية الأولى التى كانت غزة ساحة من ساحاتها الخلفية كما عاصر فى مدينته الحرب العالمية الثانية وما جرته على البلاد من مصائب وشهد حرب النكبة عام ١٩٤٨م، وآثارها على حياة المدينة وسكانها المقيمين والوافدين.

لا شك أن ذلك كله قد عزز لدى الشيخ إيمانه الأصيل بنبوءة الرباط فى البقعة

المقدسة من ديار الإسلام، هكذا وقف على الثغر الذى قدر له، شاهراً قلمه للذب عنه، منافحاً عن شخصيته العربية وحضارته الإسلامية.

ما أشبه موقف الشيخ الطباع فى هذه الناحية بموقف مؤلف عظيم آخر من أعلام فلسطين، هو العلامة المغفور له مصطفى مراد الدباغ صاحب الكتاب ـ الموسوعة «بلادنا فلسطين». فكلاهما استشعر ـ على اختلاف الموقع والمناسبة ـ الخطر المحيط بالبلاد منذ أوائل القرن العشرين، فما كان منه إلا أن انخرط فى جبهة المقاومة التى بذل فيها كل فلسطينى ما هو مؤهل لبذله دفاعاً عن عقيدته وكيانه ووطنه.

من هنا يفهم المرء حديث الشيخ الطباع حين قال: إن إقدامه على تأليف الكتاب كان «خدمة للوطن» بالإضافة إلى الدواعى الأخرى. وذلك ما يستدعى إلى الذاكرة ما قاله لى الأستاذ الدباغ فى عام ١٩٨١م عندما سألته عن السبب الذى دعاه إلى تأليف كتابه المذكور، فأجاب: «كنت فى أوائل الثلاثينات مفتشاً للمعارف بجنوب فلسطين وحدث ذات يوم فى ذلك العهد أننى كنت فى مدينة خان يونس برفقة مدير معارف بريطانى هو (الميجر بومان) فقال لى فى سياق حديث له حول وعد بلفور ـ: ما لكم يا فلسطينيون؟ إن شرق الأردن مليحة لترحلوا إليها... فرددت عليه متنفضاً وأخرسته وقد صممت بعدها على كتابة كتابى بغرض تثبيت الناس فوق أرض بلادهم».

وكل من الشيخ الطباع والأستاذ الدباغ كان يملك قوة الإرادة والعزيمة مع النفس الطويل والشغف العميق بالبحث والتطلع إلى الإتقان. وهكذا جاءت ثمرتا جهودهما ناضجتين مذاقاً، وافيتين مادة وحجماً، وجديرتين بكون كل منهما مرجعاً فى بابها.

ومن أوجه الشبه بينهما أن كلا منهما انطلق من عقيدة قوية بسيطة لا تفصل بين الالتزام الدينى والقومى والوطنى، بل ونضيف أيضاً التزام الأمانة العلمية، بحسبان الأمانة كلاً لا يتجزأ، وحسبان العلم عدة للإنسان المؤمن وسلاحاً بيد صاحب القضية الحقة. إن هذه الأرضية العقيدية هى الأنسب لإبداع ثقافة وطنية يمكن ائتمانها على الأجيال، لأنها تربط الإنسان بالأرض والتاريخ والعقيدة ربطاً عضوياً لا فكاك عنه. وقد صدر كل من الشيخ الطباع والأستاذ الدباغ عن المنهج ذاته الذى يثبت بالعلم والتوثيق الصلة الموغلة فى القدم بين القوم (العرب) وبين المكان (فلسطين وربوعها) كما يثبت بالعلم والتوثيق الصلة الواضحة بين الشواهد القائمة فى الأثر والحجر وهوية البشر وبين الإسلام وحضارته ومنظومة عقائده وتقاليده.

ثمة أوجه شبه أخرى تتصل بلغة هذين العملاقين كما تتصل بأسلوب التأليف،

وذلك على الرغم من أنهما لم ينسقا بين مشروعيهما، ولم يلتقيا لقاء مشاركة، ولم تكن لهما مرجعية إدارية واحدة. فكل منهما مؤلف فرد يعتمد على مجهوده الخاص، ويعمل بوحى من ضميره وغيرته على القضية الوطنية. غير أن التشابه الذى نتحدث عنه يرجع حتمًا إلى وحدة الخيار الفكرى الذى اعتنقاه، وإلى وحدة المراجع التى رجعا إليها، وإلى تشبع كل منهما بلغة النصوص فى هذه المراجع. لذلك يصعب على القارئ الذى يعثر على ورقة بمفردها من كتاب أى منهما أن يجزم هل هى لهذا أو لذلك.

ويتشابه أسلوب التأليف لدى الكاتبين أيضًا. فهو اسلوب قريب من أساليب المؤلفين التراثيين القدامى. وفيه تتوالى الفصول حسب التسلسل الأصلى الذى حدده المؤلف لمباحثه، وإن كان يتوقف بين الحين والحين ليعرج على نقطة بعينها تستأثر باهتمامه، فيفرد لها مبحثًا خاصًا يبدو خارجًا عن السياق الترتيبى.

ولا بد من الإشارة بالمناسبة إلى كاتبين آخرين من أعلام الجيل ذاته تقريبًا، كان لكل منهما فضل التأليف فى هذا الباب من أبواب المعرفة. وأولهما هو العلامة المعروف الشيخ/ **عبد الله مخلص** صاحب كتب **«تاريخ الخليل»** و **«تاريخ صفد»** و **«تاريخ بيت لحم»**. وثانيهما هو العلامة الأستاذ **إحسان النمر** صاحب الكتاب ـ الموسوعة **«تاريخ جبل نابلس والبلقاء»**، فى أربعة مجلدات. ولا شك أن هناك مؤلفات أخرى أقل أهمية أو أحدث صدورًا، تناولت تاريخ غزة وغيرها من المدن الفلسطينية.

ومن الملاحظ أن الاهتمام بالبحث والتأليف اتسع مؤخرًا ليمتد إلى تواريخ القرى فى فلسطين وبينها قرى مدمرة مما يؤكد موقف الصمود الفلسطينى المعروف وينشط وعى الكبار البالغين ويجدد إصرارهم على العودة إلى بلادهم ويؤسس فى الوقت نفسه لثقافة وطنية لصالح الأجيال الناشئة والقادمة تتحدى الطمس والمؤامرة والنسيان.

يروى بنيامين نتنياهو الذى يشغل فى زمن كتابة هذه السطور منصب «رئيس وزراء إسرائيل «القصة التالية فى كتابه» مكان بين الأمم» بعد مضى حوالى سنة على اندلاع الانتفاضة: (قمت بزيارة إلى مخيم جباليا للاجئين فى غزة. وهناك عرفت من المصدر الأول، منطق استراتيجية منظمة التحرير فى إبقاء اللاجئين فى مخيماتهم. فى تلك الأيام كان هدوء نسبى يسود المنطقة. لذا انفردت عن معظم الجنود الذين رافقونى، وتجولت بصحبة مترجم فى أزقة المخيم. وبالقرب من أحد المبانى الأسمنتية، التقيت عربيًا طاعنًا فى السن وأجريت معه الحديث التالى:

س: من أين أنت؟

ج: من المجدل (مجدل هو الاسم العربى لمستوطنة أشكلون).

س: ومن أين أولادك؟

ج: من المجدل. (فتوقعت أن يكون أولاده من أبناء جيلى، لذلك يحتمل أن يكونوا من مواليد المجدل حقًا. لكن شيئًا ما دفعنى إلى السؤال ثانية).

س: ومن أين أحفادك؟

ج: من المجدل.

س: هل ستعود إلى المجدل؟

ج: إن شاء الله يحل السلام ونعود إلى المجدل.

وقلت أنا أيضًا:

ـ إن شاء الله يحل السلام وأنت تزور المجدل ونحن نزور جباليا.

لكن ابتسامته تلاشت دفعة واحدة وقال:

ـ نحن نعود إلى المجدل وأنتم تعودون إلى بولندا).

وهذه القصة التى أوردها نتنياهو فى معرض التحذير والتخويف من الخطر الفلسطينى، والتى ربما صاغها نتنياهو بتصرف مقصود، ليست على كل حال إلا مثالاً لما يقول به اللاجئون الفلسطينيون كبارًا وصغارًا منذ نكبة عام ١٩٤٨م حتى اليوم. وما موقف هذا الشيخ الفلسطينى صادفه نتنياهو إلا امتداد بديهيًا للحقيقة التى يستحيل إنقاذها وهى أن اللاجئ الفلسطينى لم يهبط من المريخ إلى أرض هجرته الحالية ولكنه خرج من مدينة أو قرية معينة فى فلسطين فى ظروف معروفة أو بسبب حرب شنها عليه غزاة قادمون من أقطار غربية فلم يملك الأسباب آنذاك لدفعهم عنها. فاضطر للهجرة كارهًا آملاً أن يعود فى وقت قريب. فليس عجبًا أن يقول الشيخ الفلسطينى اللاجئ هذا الكلام ولكن العجب هو أن يعجب منه نتنياهو.

العجب هو فى هذه العقلية التى تحسب أن بالإمكان الفصل بين الإنسان وبين المكان كأن الوطن لعبة غميضة أبدية لا يعرف فيها اللاعب أين أخفى عنه الشىء المحجوب. فلقد عمد بعض القادة الإسرائيليين الأوائل فى مؤلفاتهم عن حرب فلسطين إلى تجاهل التواجد الفلسطينى فوق الأرض الفلسطينية جريًا مع دعايتهم (المفبركة) فى الغرب والقائلة: أن فلسطين لم تعرف الفلسطينيين إلا بدواً رحلا غير ذوى علاقة ثابتة بالمكان. ومن ذلك اطلقوا شعارهم السياسى المضلل (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) أما (ابن غوريون) مؤسس الكيان الإسرائيلى فكان فى معرض خشيته من التاريخ أن يضبط أناسه

الطارئين متلبسين بالفضول على المكان، يوجه إلى إقامة مدن جديدة وقرى جديدة فى غير الأماكن التى أقامها أهل البلاد العرب النازحون، وذلك اغتيالاً لاسم المكان وموقعه المرتبط تاريخيًا بإنسانه العربى الفلسطينى.

أما هذا الإنسان الفلسطينى فإن التشبث بحقه فى المكان الذى أزيح عنه كان وما يزال جوهر نضاله، وهو قبل ذلك ركيزة من ركائز إيمانه الدينى. قال لى الأستاذ/ مصطفى مراد الدباغ: حب الوطن من الإيمان ونحن والحمد لله مؤمنون. وأظنه كان يستند إلى المأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام حينما التفت إلى مكة وهو فى طريق الهجرة فقال: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى ولولا أن قومك أخرجونى منك ما تركتك».

وبعد فإن الشيخ عثمان الطباع كان رجلاً إلفًا، مألوفًا، ذا تقاطيع قوية مميزة ليس من السهل نسيانها، وذا شخصية مؤثرة تتسم بالجد والصرامة والاستقامة.

ومازلت أتذكره ـ رحمه الله ـ فى لقطتين حيتين محفوظتين بين تلافيف الشريط الدماغى الخاصة بزمن الطفولة المبكرة. اللقطة الأولى فى صحن الجامع العمرى، وهو يتمشى برفقة جدى المرحوم الحاج/ محمد الريس، وقد انهمكا فى حوار هادئ، حول مسألة شرعية لا أتذكرها. وقد رسخت فى الذاكرة مشيته ولفتة رأسه وجدية ملامحه. واللقطة الثانية وهى ذات أثر فى تثبيت صورة التقاطيع، أذكره فيها وهو يدخل باب بيته فى حى الدرج القريب من الجامع العمرى بغزة متأبطا بعض الكتب. وعلى كثرة الأشخاص الذين يراهم الإنسان فى طفولته وصباه فإن قلة من الوجوه تظل فى المخيلة على مر السنين لما لها من طابع مميز. وكانت نظرة عينيه توحى بالاكتفاء والامتلاء دونما كبر أو فظاظة. وكان ـ كما أتذكر ـ أميل إلى القصر، يرتدى العمامة والجبة السوداء، ويميل فى مشيته ميلاً خفيفًا، ويسير على نحو نشط خفيف لا تعوزه المهابة.

وتدل وقائع حياته التى عرفناها من أقاربه ومعاصريه أن حياته اليومية كانت مقسمة بين الجامع العمرى الكبير الذى هو إمامه وخطيبه ومعلم الفقه الحنفى فيه، وبين مكتبة الجامع التى كان مؤسسها وأحد أمينيها. وله مع أصدقائه المشايخ نزهة يوم الجمعة فى فصل الصيف على شاطئ بحر غزة ذى الرمال الذهبية الناعمة. وهى النزهة التى تجدد النشاط ويتخفف فيها المشايخ من تكاليف المظاهر التى توجبها المواضعات الاجتماعية.

ومعلوم أن الشيخ قام بأسفار معدودة، منها سفره من غزة للحج إلى بيت الله الحرام، ولقاؤه هناك بالملك عبد العزيز آل سعود. كذلك أسفاره إلى دمشق لزيارة الأقارب العديدين من آل الطباع، واغتنامه الفرصة لارتياد المكتبة الظاهرية فى دمشق

القديمة وجمع المراجع لكتابه الذى نتكلم عنه، أو لغيره من المؤلفات. وربما قام بزيارات أخرى إلى القدس ويافا بحثًا عن الكتب فى مكتباتها. ويروى أنه زار الشيخ محمد تفاحة فى نابلس طلبًا لبعض المراجع، وأبى أن يقبل الضيافة إلا بعد أن أكد له المضيف أن طلبه سوف يلبى حتمًا. ويذكر أبناؤه أنه عاد إلى غزة والدنيا لا تسع فرحته لأنه حصل على (الجوهرة) كما كان يسمى الكتاب القيم.

لقد كان له الفضل الأكبر فى إنشاء مكتبة الجامع العمرى الكبير القائمة حتى اليوم. ولم يثنه عن ذلك أن الجناح الشرقى من مبنى الجامع، وهو الجناح الذى رآه ملائمًا للغرض بسبب قربه من البوابة الشرقية والشارع العام، كان من بين الأقسام التى دمرت بفعل سقوط القنابل البريطانية عليها فى معارك الحرب العالمية الأولى. فلما أعاد البناء على نفقة دائرة الأوقاف الإسلامية، بمعونة معلمى البناء والصناع المتطوعين من أهالى المدينة، استعان بالنجارين الذين لم يبخلوا بجهدهم فى صناعة الأرفف والخزانات. ووقف إلى جانبه الفقيه الشاعر الشيخ إبراهيم عاشور. وشاركه فيما بعد مهمام تزويد المكتبة وتنظيمها وتسهيل الفائدة منها لروادها. وقد فضل كل منهما هذا العمل على منصب القضاء، فرفضاه ورعًا وتقوى، وإدراكًا لخطورة ما تعنيه المكتبة وأعباؤها.

وبالإضافة إلى ما تبقى تحت الأنقاض من كتب أو مخطوطات قديمة أعيدت صيانتها أوفى الملك عبد العزيز آل سعود بالوعد الذى قطعه للشيخ الطباع فى مكة حين قال له: (سترى ما يسرك). فإذا بالشيخ (الكيحمى) القنصل العام السعودى بالقدس يفد فى أعقاب ذلك إلى غزة وفى ركابه عدد كبير من الكتب التى أهداها العاهل السعودى إلى المكتبة. ودأب الشيخ الطباع والشيخ عاشور على الكتب والسجلات حصرًا وتبويبًا وتسجيلاً.

وجاء مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بالبلاد، فقدم فى بعض جولاته مزيدًا من الكتب باسم الأوقاف الإسلامية، وتبرع ببعضها المحسنون من أهالى المدينة الطامحين إلى ثواب لا ينقطع بانقطاع عمل ابن آدم فى الحياة الدنيا. وصارت المكتبة مكتبة بمعنى الكلمة. لا بل أصبحت منتدى للعلم والثقافة والأدب، ترتاده النخبة من العلماء. أمثال الشيخ محيى الدين الملاح الفقيه والشاعر والأديب، والشيخ نعمان الخزندار الإمام ومعلم الفقة الشافعى، والشيخ خليل الحليمى الفقيه والناقد والأديب، والشيخ أحمد بسيسو المتصوف والعالم والخطيب، وغيرهم من محبى العلم والثقافة والمحاورات الفكرية.

وإذا كنا لا نعرف أيهما كان أسبق إلى تفكير الطباع: أهو تأليف كتابه عن تاريخ غزة، أم إنشاء مكتبة الجامع العمرى، فإن من المؤكد أن المشروعين كليهما تبادلا الفائدة والجدوى. فانصراف إرادة الشيخ إلى تأليف كتابه فتح عينيه على عالم الكتب والمراجع الدينية والتاريخية والأدبية بما فيها من تشابكات وتكاملات. وانصراف ذهنه إلى جمع الكتب لصالح المكتبة أمده بذخر كبير نافع لتأليف الكتاب. وسوف نضيف إلى ذلك أن الباحث المحقق الأستاذ عبد اللطيف أبو هاشم إنما عرف بكتاب الطباع وأغرم بالمؤلف هذا الغرام من خلال اضطلاعه بوظيفة مدير دائرة التوثيق والمخطوطات بوزارة الأوقاف والشئون الدينية، وعكوفه زمنًا على أمر تنظيم المكتبة، وإنشاء سجل جديد لها، وحصر أعمال الصيانة اللازمة لمخطوطاتها وأسفارها العتيقة. فمن ذلك الموقع تعرف أبو هاشم على الطباع وأثره فى إنشاء المكتبة وتنظيمها وإلى ما خلفه من آثار فكرية. وعزم على أن يجعل من تحقيق الكتاب الذى بين أيدينا مطمحًا مشرفًا. وجهاداً وطنيًا، وتعبيراً عن إعجابه بالرجل الذى يعد من رواد العلم والبحث والتحقيق ومحبة الكتب القديمة.

لقد عمل الشيخ الطباع فى أناة، وجعل من تحرير أبواب الكتاب والتعمق فى البحث شاغلاً من شواغله اليومية. فلم يعكف على تأليفه دفعة واحدة.

ولعل السبب فى ذلك ما ذكرناه من اشتغاله يوميًا بإمامة المصلين، وبعقد الدروس، وبأعمال المكتبة، وبحضور مجالس غيره من العلماء. ولا بد أيضًا أن افتقار مدينة غزة إلى مكتبة عامة أثر على وتيرة عمله التأليفى، فكان بحاجة إلى مطاردة المراجع فى مظانها مع ما يتطلبه ذلك من تخصيص وقت مقتنص لهذه الغاية من قلب الشواغل اليومية. وليس لنا أن نأسى على ذلك. فالحق أن النتيجة كانت أكثر من مرضية نظراً لشمولها ودقتها وأمانتها العلمية. وكان من صبر الشيخ وعلو همته أنه لم يقصر بحثه على غزة المدينة، بل تطرق إلى قراها وأريافها وجمع عنها مادة رائدة، وخرج علينا بتدوين معلومات أساسية عن أكثر من خمسين بلدة وقرية كان يضمها الهيكل الإدارى لمدينة غزة. ويقع منها فى نطاق قطاع غزة اليوم كل من بيت حانون وبيت لاهيا وجباليا والنزلة ودير البلح وخان يونس وبنى سهيلة وعبسان وخزاعة ورفح. بينما أكثرية البلدات والقرى واقعة فيما يعرف بإسرائيل اليوم: من دير سنيد وهربيا حتى يبنا والقبيبة وزرنوقا وعاقر فى الشمال. . . ومن خربة تل جمة والمشبه وخربة أبو معليق حتى بئر السبع فى الشرق. وتناول المؤلف ـ على قدر الإمكان ـ سكانها من العائلات القديمة والحادثة، وخصهم بجزء خاص من الكتاب. وخص الأعلام المبرزين فى مجالات

إبداعهم بجزء آخر. ولم يفته الحديث عن القبائل البدوية فى بلاد غزة وبئر السبع.

ولما كان المؤلف مدققًا شغوفًا ـ حتى بحكم مزاجه الشخصى ـ بالبحث والتدقيق، فقد استغرقت هذه الأبحاث فترة حياته الفكرية. وهو لم يتسرع فى دفع المخطوطة إلى المطبعة ـ مع قدرته على ذلك لو أراد ـ ولكنه آثر أن يعود إلى مراجعة ما سبقت له كتابته، مرة تلو مرة، مستكملاً ما نقص، مصححًا ما وقع من خطأ، موضحًا ما جاء غامضًا لأول وهلة، مستشيرًا ثقات العلم والثقافة، ومن بينهم أمير البيان شكيب أرسلان الذى زار غزة وأعجب بالمخطوطة وارتجل شعرًا عنها شجع المؤلف على طباعة الكتاب. ويبدو ـ مع ذلك ـ أن فكرة دفع الكتاب إلى المطبعة قد راودت الشيخ أحيانًا والدليل تلك الرسالة التى خطها إلى فاروق ملك مصر، ولكنه لم يرسلها لسبب ما. وأهل فلسطين كانوا يحسنون الظن بالحكام العرب ويعتزون بتعليق صورهم فى البيوت والمحال التجارية بحسبانهم رموزًا للانتماء إلى الأمة، فى مقابل الهجمة الأجنبية على فلسطين. ولكن الأنباء التى كانت تتوفر للمثقفين أحيانًا كانت تكشف لهم أمورًا تخالف ظنهم. فلعل الشيخ خاب ظنه فى فاروق على أثر نبأ نمى إلى علمه أو موقف لم يعجبه.

والذى حدث هو أن الكتاب ظل مخطوطًا، وأن قلم المؤلف لم يتوقف عن التنقيح والتعديل والإضافة والحذف حتى توفاه الله. بل من الثابت لدى الأستاذ المحقق أن الشيخ أعاد كتابة المخطوطة كلها مرة واحدة على الأقل.

وفى تلك الأثناء لم يبخل المؤلف بإطلاع الباحثين على أصل المخطوطة. ويذكر أحد أبنائه السيد على الطباع أن الأستاذ عارف العارف مؤلف كتاب (تاريخ غزة) كتب على النسخة التى أهداها إلى الشيخ فى حينه عبارة (إلى من كان له الفضل الأوفر فى تأليف هذا الكتاب... أهدى كتابى)! وفى العبارة ما يتجاوز المجاملة إلى نصيب من الحقيقة.

لا يسعنا فى الختام إلا أن ننوه إلى أن تأليف هذا الكتاب كان عملاً من أعمال الوفاء تجاه مدينة غزة... هذه المدينة التى عاش الشيخ عثمان الطباع حياته فيها ابنًا من أبنائها نعم بخيراتها، وعرف قدرها، وقدم لها أجل الخدمات، فآثرها بسواد عينيه وبكد ذهنه وبأوقات نشاطه السانحة سنوات طوالاً.

وفى المقابل عرفت المدينة لشيخها الجليل قدره، وبادلته وفاء بوفاء. وما زال المعاصرون يرددون أبيات الشاعر الغزى الأستاذ رامز فاخرة فى تأبين الشيخ عثمان الطباع:

كل حى وأن تأجج نارًا فهو كالجمر صائر لرماد

آل هذا الفقيد يكفى عزاء أن تروا أمة بثوب الحداد

ونحن وإن تباعد العهد نستذكر هذا الوفاء الجميل ونترحم على تلك الروح الطاهرة التى أبت أن تفارق الدنيا دون أن تضيف إلى الفكر والمعرفة والتاريخ والمدينة العريقة كنزاً تتسع به ثروة الدنيا وتزدان به المكتبات. إن مدينة غزة ما زالت فى هذه الأيام شأنها فى تاريخها عبر العصور، صانعة أحداث، وقاعدة نضال، وأم رجال، وطلعة بشاشة ودماثة، على الرغم من الأذى الذى ينتابها والثكل الذى تكبدته بفقد الكثيرين من أبنائها الخلص وشهدائها الأبرار، وباحتلال قراها وأريافها ومجالاتها الحيوية ومصادر مياهها. وهذا الكتاب قلادة توضع فى عنقها، وزغرودة لها فى صمودها. وزينة فى مكتباتها ومكتبات العالم.

رحم الله المؤلف وشكراً للناشر المحقق، ومن قبله لآل الطباع الذين حفظوا لنا هذا الكنز النفيس رغم محاولة الاحتلال سرقته بالمكر والمداهنة. وشكراً لكل من ساعد فى جعل إصدار الكتاب أمراً ممكنًا بعد أكثر من خمسين سنة على تأليفه.

ناهض منير الريس

عضو المجلس التشريعى الفلسطينى

غزة ـ فلسطين ـ شباط. فبراير ١٩٩٩م

مقدمة

بقلم الأستاذ/ جرار نعمان القدوة (*) «رئيس هيئة الرقابة العامة»

غزة هذه مدينة فريدة، وأى مدينة رأت ما رأته غزة، وشهدت من الأحداث ما شهدته، فقد بدأت غزة وجودها فى عصر سحيق من التاريخ، قيل: بناها المعينيون، على تل مرتفع بنحو ٤٥ متراً عن سطح البحر، حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد، وقيل: إنها بنيت قبل ذلك التاريخ.

وقد احتلت مكانة هامة، وتنبع أهميتها أنها كانت تقوم على أشهر طرق القوافل، التى تحمل الحرير، والتوابل، والبخور، وهو الطريق الذى يمتد من ساحل جزيرة العرب جنوباً، من حضرموت، واليمن، إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً، إذ قامت على شواطئه وقريباً منه، مراكز الحضارة فى العالم القديم، وامتد الطريق إلى البتراء ودمشق وتدمر.

(*) ولد فى خان يونس وأنهى تعليمه الثانوى فى غزة ثم تخرج من جامعة القاهرة ودرس للماجستير ثم سافر إلى السعودية وعمل فى الحكومة السعودية ثم فى الشركات التى كانت تقوم بالأشغال العامة للحكومة السعودية، ثم التحق (بستى بنك) الأمريكى، الذى كان أكبر بنك فى العالم وعمل فيه نحو ثلاثين سنة وبلغ أعلى منصب وصل إليه أى عربى فى الشرق الأوسط وهو: نائب رئيس ومدير عام وضابط أعلى الائتمان حيث كانت صلاحيته فى حدود (خمسين مليون دولار). ثم التحق بالسلطة الوطنية الفلسطينية حيث صدر قرار رئاسى بتعيينه: رئيساً لهيئة الرقابة العامة، وكذلك تم تعيينه أميناً لسر لجنة الإشراف على سلطة النقد، كما عين محافظاً لفلسطين فى البنك الإسلامى للتنمية ـ فى جدة حيث يعمل الآن. وله ولدان وبنتان. (المحقق).

ووالده الحاج نعمان القدوة: ولد فى مدينة غزة، وكان الابن الوحيد لوالده السيد حسين عرفات القدوة نقيب أشراف غزة ـ وكان له خمس أخوات. تتلمذ على عدد من الشيوخ منهم الشيخ العسلى، وسكن فى مدينة غزة معظم حياته، ثم سكن خان يونس حيث عين إماماً لمسجد خان يونس منذ ١٩٦٧ حتى وفاته. اعتقله الإنجليز عند دخول البلاد واعتبروه خطراً على الأمن ووعدهم أن يستمر فى الخطابة ضدهم ومع ذلك أفرجوا عنه، وكان ذا شخصية قوية وجرأة نادرة، حافظ على أملاك والده التى انتقلت إليه، حتى ورثها لأبنائه. وقد رزق ثلاثة أبناء وثلاث بنات الأبناء هم: جرير ومشرف وجرار والبنات توفيت اثنتان منهن قبل الزواج وتزوجت الثالثة ورزقت ولدين وثلاث بنات. توفى فى الثالثة والستين من عمره عام ١٩٣٤ ودفن فى مقبرة الشيخ يوسف فى خان يونس رحمه الله. (المحقق).

ووقفت غزة شامخة عبر التاريخ! إذ شغلت مركزًا اقتصاديًا واستراتيجيًا هامًا، فى جنوب فلسطين والشام جميعًا. وزاد فى أهميتها تلك، أنها وقفت منفردة فى ذلك الموقع، قبل أن تصل إلى بئر السبع شرقًا، أو القدس شمال شرق، أو يافا شمالاً. وكان يحيط بها دائمًا قبائل من العرب البدو، والحضر. وكان لمدينة غزة على البحر المتوسط ميناءان ميوما (ميماس) وتيدة (البلاخية). واعتبرت عظمى مدن الفلسطينيين الخمس.

وكانت غزة هى المدينة الحاكمة المسيطرة عسكريًا، بين قوتين عظميين: الشام والعراق شمالاً وشرقًا، ومصر غربًا، ولذلك كانت دائمًا هدفًا عسكريًا لملوك مصر؛ إذا تطلعوا إلى التوسع شرقًا، وهدفًا لملوك بابل وآشور وفارس.. إذا امتد طموحهم نحو الغرب.

وكانت آخر عقبة أمام الإسكندر المقدونى، فى زحفه نحو مصر عقب معركة (أسوس)، واجتياحه ساحل فينيقيا وكنعان ٣٣٠ق. م.؛ وقد وقف الإسكندر أمام أسوارها القوية عاجزًا لمدة شهرين، وجرح أثناء حصارها، ولما احتلها أخذ قائد حاميتها العربى؛ فربطه فى عربات الخليل، وأركضها حول السور؛ حتى قتل، وعندما حاصرها المكابيون ذات يوم؛ هب لنجدتها الحارث الرابع ـ ملك الأنباط ـ ففر المكابيون، ورفعوا الحصار عنها.

وبقيت غزة لفترة طويلة، قبل السيادة الإسلامية على فلسطين وبعدها، آخر محطة لقوافل قريش القادمة من اليمن، والحجاز، إلى شاطئ البحر المتوسط فى غزة. وفيها توفى ودفن السيد هاشم بن عبد مناف ـ جد الرسول ﷺ، ولا يزال قبره معروفًا، وأقيم عليه مسجد لا يزال عامرًا حتى اليوم. ولهذا يطلق عليها أحيانًا اسم (غزة هاشم).

وكانت قاعدة لعمرو بن العاص قبل زحفه إلى مصر. وكانت غزة هى القاعدة التى ركنت إليها جيوش الأيوبيين: الملك الصالح إسماعيل، والناصر داود، ملوك دمشق، وحماه، وحمص، وحلفائهم الخوارزميين. وكان ركن الدين بيبرس يقود جيش السلطان الملك الصالح؛ حيث دارت فى تشرين الأول بينهم وبين جيوش الفرنجة معركة ضارية عام ٦٤٦هـ (١٢٤٤م)، وكانت هذه المعركة أقسى كارثة حلت بالصليبيين، عقب معركة حطين (١١٨٧م ـ ٥٨٤هـ) على أرض فلسطين؛ حتى سماها مؤرخو الفرنجة: معركة حطين الثانية، قدر عدد قتلاهم فيها بنحو ثلاثين ألفًا، وسيق ثمانمائة من أسراهم إلى مصر.

وقد امتد حكم غزة أحيانًا شمالاً، وشرقًا، كما حدث تحت إمرة أحد أبنائها: قانصوة بن مساعد الغزاوى، فقد حكم عجلون والكرك، وعين أميرًا للحج الشامى،

توفى فى غزة محرم سنة ١٠٠٠هـ الموافق ١٩ تشرين أول سنة ١٥٩١م، وتلاه ابنه أحمد، ثم حفيده حميدان بن أحمد ـ ولكنهما لم ينالا شهرة أبيهما ـ.

وفى غزة وقف الأتراك وقفة حازمة وتاريخية، لصد الزحف البريطانى على فلسطين، فى الحرب العالمية الأولى؛ إلى أن عثر الإنجليز على بعض الخونة[1]، الذين دلوهم على طريق يلتف من خلف مواقع الجيش التركى ـ الذى يدافع عن غزة ـ، فهزم الجيش التركى بالغدر والخيانة، هزيمة منكرة بتاريخ ١٩١٧/١١/٧م. وذكر أن قتلى الأتراك فيها بلغوا نحو عشرين ألف جندى، وفتحت الطريق أمام الإنجليز إلى القدس الشريف؛ فاحتلوه فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩١٧م، وربط الإنجليز غزة بالسكة الحديدية مع اللد، وحيفا، من جهة، ومع القنطرة، ومصر، من جهة أخرى؛ وأقاموا بقربها مطاراً صغيراً لا تزال آثاره قائمة حتى الآن.

وعلى أرض غزة عقد المجلس الفلسطينى ١/ ٤٨/١٠، وصدرت عنه قرارات؛ اعتبرت أكبر رد على تقسيم الوطن الفلسطينى. ورفضت بعض القوى العربية إنشاء دولة فلسطين، على ما بقى حراً من أرض فلسطين؛ مما ألحق بالقضية الفلسطينية أفدح الأضرار التى نعانى من نتائجها وأصدائها حتى اليوم.

وقد أصدر المجلس الوطنى ـ المذكور ـ إعلان استقلال فلسطين ـ كلها ـ يوم ٢٨ ذى القعدة ١٣٦٧هـ ـ الموافق ١ تشرين الأول سنة ١٩٤٨؛ بحدودها الجغرافية المعروفة، استقلالاً تامًا، وإقامة دولة حرة ديمقراطية، ذات سيادة، يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم، وحقوقهم، وأصدر دستور فلسطين المؤقت الذى كان يتكون من ١٨ مادة.

وقرر المجلس أن تكون القدس عاصمة البلاد؛ على أن تستقر الحكومة مؤقتًا فى مدينة غزة، وأن يكون علم فلسطين: هو علم الثورة العربية الأصلى، بألوانه الثلاثة الأفقية، والمثلث الأحمر، (من دون نجوم).

أظلمت أيام غزة عندما انقطعت عن بيئتها الجغرافية منذ عام ١٩٤٨، وأصبح حوض وادى غزة، ـ الذى كانت مساحته نحو ٣٣٩٠ كيلو متراً مربعًا ـ، أرضًا محتلة، يقع هو ومنابعه ومياهه ضمن الاحتلال الإسرائيلى؛ وجف الوادى فانقطع عن الجريان صيفًا وشتاء، وانحصرت فيما عرف فيما بعد: بقطاع غزة، الذى يكتظ الآن بأكثر من مليون وربع ميلون لاجئ؛ واستولى اليهود على أجزاء كبيرة منه، ليتسنى لهم تقطيع أوصاله، بالغفلة والخيانة.

(١) إذا أردت أن تعرف أسماءهم فاسأل عنهم.

وفى عام ١٩٥٥ كانت غزة نقطة مضيئة فى المجابهة مع الهجوم الإسرائيلى، بثت الأمل فى نفوس الشعب الفلسطينى، بإمكانية العودة؛ بعد أن حاولت إسرائيل إقناع العالم كله بأن عودة الشعب الفلسطينى إلى مدنه، وقراه، هى أمر مستحيل.

وانطلق العمل الفدائى ليثبت ـ لأول مرة ـ منذ عام ١٩٤٨ أن بإمكانه أن يواجه وأن ينتقل إلى مرحلة اتخاذ القرار، والمواجهة، والهجوم، وإلحاق الخسائر بالعدو؛ ولكن عدوان ١٩٥٦ ـ الذى نُسِّقَ بين إنجلترا، وفرنسا، وإسرائيل، ونتائجه؛ قضت على هذا العمل المجيد، إلى أن قامت ثورة فلسطين المباركة ـ ثورة فتح ـ سنة ١٩٦٥.

وخلال هذه الحقب من التاريخ ظهر فى غزة عشرات: من العلماء، والشعراء، والأدباء، والفقهاء[1]؛ وظهر الكثير من المصنفات، وهى على كثرتها وتنوع موضوعاتها وأهميتها لم تحظ بمثل هذا المؤلف القيم ـ إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة ـ: الذى ألفه الشيخ عثمان الطباع (رحمه الله) والذى يتألق فيه الشيخ عثمان ـ مؤلف هذا الكتاب ـ، وهو علم من أعلام الفقه، والفضل. أوقف معظم حياته على العلم، والفقه فى الدين، وألف هذا الكتاب بجهد فذ، ندر أن يتاح لمثله ـ إلا للرجال العلماء أصحاب الرسالات ـ.

ونأمل أن يقف هذا الكتاب ويأخذ مكانه الطبيعى؛ وليسد ثغرة فى التاريخ، كالتى ملأها كتاب: الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل (الذى اهتم بتاريخ صلاح الدين الأيوبى بطل الحروب الصليبية).

أدعو الله ـ تعالى ـ أن يهيئ لهذا الكتاب ما يستحق من قبول وتقدير.

* * *

(١) ويقف فى مقدمتهم الإمام محمد بن إدريس الشافعى ـ رحمه الله ـ.

حلم تحقق

بقلم المهندس/ غسان محمود الوحيدى

وأخيراً . . . ها هو "إتحاف الأعزة" يرى النور بعدما ثوى عقوداً فى زاوية الغياب ، وقد نفض غبار الزمن عن نفسه ليتبوأ مكانه المناسب ومنزلته اللائقة ، وحق له ذلك فهو أول كتاب عربى ـ فيما نعلم ـ يبحث فى تاريخ غزة ولشموله فى موضوعاته ولتعمقه فى البحث والاستقصاء .

وحق لغزة هاشم أن تشمخ بين المدن تيها بهذا السفر الخالد الذى وضعه الشيخ عثمان الطباع بعدما بحث فى بطون الكتب والمخطوطات ، وتعمق فى جذور المدينة العريقة فى وقت نضبت فيه المعارف عن غزة وعزت المصادر التى يبحث فى تاريخها ، ولكنه راح يفتش وينقب فى مكتبات الأسر الغزية وحججها والمكتبات العربية حتى أتت جهوده بثمارها ، وأكرم بها من ثمار جاءت تحفة للأنام فحق أن يسمى "إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة" وقد جاء فى جزئين .

ولقد كان هذا الكتاب أشبه بالجندى المجهول فى ميدان تاريخ غزة فكم أفاد منه مؤلفون تصدوا لكتابة تاريخ المدينة ، ولعل أول من رجع إليه هو عارف العارف عندما وضع كتابه "تاريخ بير السبع وقبائلها" . ومرة أخرى عندما وضع كتابه "تاريخ غزة" حتى أنه أهدى الشيخ نسخة من كتابه مشفوعة بهذه الكلمة (أهدى هذا الكتاب لمن له الفضل فيه).

وبعد ذلك توالت الكتب التى انتفعت من "إتحاف الأعزة" المخطوط ، ولا عجب فما من كتاب صدر عن غزة إلا وكان فرعاً يتغذى من جذور "إتحاف الأعزة" الضاربة فى أعماق التاريخ . ومن أراد أن يؤرخ لأهل غزة وسكانها فلا بد أن يرجع لإتحاف الأعزة فى الجزء الثانى منه ، لأنه حوى ثروة هامة من المعلومات عن عائلات غزة وأعلامها وعلمائها ، وكم من مؤلف اعتمد عليه فى ترجمته لعلماء غزة هاشم ، بل لقد كان للكتاب نصيب الأسد فيما نقل عنه من تراجم لعلماء غزة فى سياق التراجم العامة لأعلام فلسطين .

وكأن حاله كما قال عروه بن الورد :

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة وأحســو قراح الماء والماء بارد

ولا عجب فتلك طبيعة العلماء الصادقين الذين يبتغون نشر العلم ولا شىء غير العلم ، زاهدة نفوسهم فى الدعاية بعيدة وجوههم عن المديح والإطراء .

وإن تقديرنا لجهد الشيخ الطباع وفضله لا يقلل من كتب الآخرين وجهودهم فى رصد تاريخ المدينة العريق لما تمثله من لبنات صالحة فى صرح المدينة الشامخ كما إن تاريخ المدينة أى مدينة إنما يمر فى أطوار متعددة . . . ولا بد من رصد كل طور من أطوارها ، فالتاريخ حركة دائمة متجددة تسترعى جهد المؤرخين فى دراستها على مر الزمان وتعاقب الأيام .

وتعدد الدراسات وتنوعها إنما يعكس مدى تجدد شباب المدينة ، ويوم أن يجمع المؤرخون على ثبات تاريخ مدينة ما ، إنما يدل ذلك على موتها وتلاشيها من ميدان التاريخ .

غزة . . . هذه المدينة العريقة التى تفخر بمولد الإمام الشافعى فى أحضانها ، وهى التى رفدت الإسلام بهذا الإمام الجليل وبعلماء جهابذة وشهداء بررة .

غزة . . . هذه المدينة العريقة التى دفن بها هاشم بن عبد مناف جد الرسول محمد ﷺ، فانتسبت له وسميت غزة هاشم وقد ذكرها الشاعر القديم بقوله :

وهاشم فى ضريح وسط بلقعة تسفى الرياح عليـه عند غزات

إنها لمدينة جديرة بهذا الكتاب القيم .

وغزة هذه المدينة الحافلة بالتاريخ العاطر ، والزاخرة بالآثار الخالدة من مساجد وكنائس وقصور ومدارس وبيوت وغيرها جديرة بهذا الكتاب الرائع .

وإنه لمن حسن الطالع أن يتولى تحقيق هذا الكتاب ونشره الأخ الأستاذ / **عبد اللطيف أبو هاشم** الذى يعتبر **خليفة الطباع** فى مكتبة المسجد العمرى . فالجهد الذى بذله والعناء الذى لاقاه والسهر الذى سهره فى سبيل إتمام هذا الكتاب **جهداً جباراً تنوء عن القيام به لجنة فكيف الأمر بفرد وحده ؟** . ذلك الجهد الذى لاحظته من أول يوم أطبقت فيه يداه على المخطوط كى يرى النور ويصبح فى أيدى الناس كتاباً مقروءاً .

فهنيئاً لمدينة غزة وأهلها الأعزة بصدور "إتحاف الأعزة" بثوب قشيب وحلة زاهية وهنيئاً للمتعطشين ـ أمثالى ـ بصدور هذا الكتاب .

وإنى على ثقة بأن يتلقاه المهتمون بالتاريخ والأدب بكل الفرح والتقدير ، وسينـزل على نفوسهم كما تنـزل قطرات الندى على الزهرة الظمآى . وهنيئاً لكل مكتبة زينت صدرها بهذا العقد الفريد.

رحم الله المؤلف الشيخ الطباع ... وشكر الله الباحث المحقق على جهده وعنائه فى سبيل إخراج الكتاب عن أحسن وجه . وإنها لدعوة بهذه المناسبة لمن بحوزته مخطوطة نافعة أن يبادر ويعمل على نشرها بين الناس ، وأن لا يحرمهم خيرها ، حتى نسير فى البناء الثقافى متلازماً مع البناء العمرانى لترقى بغزة إلى مستوى يليق بها كمدينة عريقة لها مكانتها بين المدن ، على أمل أن يمتد الاهتمام ليشمل باقى المدن فى أرجاء فلسطين العزيزة .

وفقنا الله لخدمة الوطن،،

غسان محمود الوحيدى

غزة هاشم

مقدمة المحقق

(الدراسة)

١ ـ مدينة غزة وأهميتها التاريخية وأسماؤها المختلفة ومعانيها

إن مدينة غزة من أقدم مدن العالم، (ويقال: إنها رابع مدينة بنيت على وجه الأرض... لذلك قيل: مدينة غزة جمع غازي والغزى والغزاة ـ الرماة بالنشاب ـ ثم تحرفت إلى غزة)[1]. (وهى بلدة كنعانية عربية،... وهناك أقوال قيلت عن معنى «غزة» ... والأرجح أنها بمعنى «قوى» و «مخازن» و «كنوز» و «ما يدخر»)[2] (وهى مدينة شاطئية فيها قبر هاشم بن عبد مناف. وهى آخر مدينة فى جند فلسطين قبل صحراء مصر، الجفار، جفار مصر، وفيها ولد محمد بن إدريس الشافعى المدفون فى الفسطاط... وتمتاز بموقع خاص، فهى قريبة من الصحراء ومن البحر، وهى واقعة على أم الطريق إلى مصر، وفيها مسجد جيد. قال عنها الجغرافيون أنها واقعة فى الإقليم الرابع على خط طول ٥٠، ٥٤ درجة وعرض ٣٢ وحدد أبو الفدا طولها بخط ٥٦. وقد دعيت المدينة «غزة هاشم» الذى توفى عن ٢٠ أو ٢٥ عامًا. وقد أنجبت رجالاً اشتهروا فى الإسلام أمثال الشافعى وغيره. وكان أبو الفدا أول من وصفها بشكل علمى، فهى بعيدة عن البحر، تفصلها كثبان رملية. فى المدينة حصن صغير وقليل من أشجار النخيل لكن كرومها خصبة. وكانت أيام ابن بطوطة عامرة... مساجدها كثيرة وهى محصنة، وتغص بالمصلين)[3]. (وهذه المدينة اسمها محفور فى ذاكرة التاريخ، وجدت مع وجود الزمان، وعانت أهوال كل قتال... كان لها فى كل عهد قصة، وفى كل معركة تضحيات وشهداء، ومع كل حاكم حكاية... كم دانت لفاتح! وكم استعصت على جبار... ولكنها فى كل حال لم تكن ترضى إلا أن تكون حديث الدنيا وقلب الأحداث.. فما اقتتل جيشان إلا اكتوت بنار قتالهما، وما تنازع خصمان إلا حاول كل منهما أن يخضعها لسلطانه، فهى واقعة فى الوسط بين قارتين وبين

(١) راجع: إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة للشيخ عثمان الطباع الغزى (ج١/ ق٤) (النسخة المسودة). وراجع النسخة المطبوعة (جـ١/ ص ٦٩ ـ ٨٠) (غزة وحدودها)..

(٢) انظر: كتاب غزة هاشم: سعيد عاشور. بيروت: المكتب الإسلامى. ط١، ١٩٨٨م، ص٩.

(٣) راجع: جندا فلسطين والأردن فى الأدب الجغرافى الإسلامى «شكرى عراف. كفر قرع: دار الشفق. (د. ت. ن) ص٢١٠ ـ ٢١١.

حضارتين.. طريق للفاتحين، وأول سلم للصاعدين الغالبين وآخر درجات المنهزمين الفارين تاريخها مجيد وسجلها حافل، وحاضرها جهاد وتضحيات، عانت وما زالت تعانى من غدر الأعداء وعجز الأصدقاء، ولكنها ـ وفى كل مرة تنتصر.. تنتصر بالرجال الذين أنجبتهم أرضها.. رجال عظماء.. وأبطال أشداء...»[1] وقد اختزل تاريخها الشاعر المجيد ناهض منير الريس فى قصيدته «غزة» فقال:

بَرَزَتْ لهم والنار سيلٌ جائحُ	ونساؤُها خلف الرجال تكافحُ
وكذا على أبوابِ غزةَ ينحنى	هامُ الطغاة ولا يمرُّ الفاتحُ
أرض اليمام تفوحُ بياراتها	فيَجنُّ ساكنُها بها والنازحُ
ما رامها الأعداء إلا ردَّدت:	لحمى أنا مرٌّ وبحرى مالح
نارٌ على المنطار حاشا تُخمد	من ألف ألف حجرُها يتوقَّدُ
ما جرَّبَ الغازى صواعق حربها	إلا تمنَّى لو يغور ويشردُ

سواعدهم من صخر وقلوبهم من حديد ومن أعظم صفاتهم الشجاعة والصبر على المكاره، والنفور من الذل وإباء الضيم، ولعلهم ورثوا هذه الصفات عن آبائهم، بسبب كثرة الحروب التى ألمت بديارهم، على مر الأحقاب... ويقال إنهم هم الذين خاف بنو إسرائيل بأسهم فقالوا: ﴿إن فيها قومًا جبارين...﴾. ولم يستطيعوا دخول الأرض المقدسة بعد ذلك إلا فى هذا الزمان البائس)[2]. فروح الصمود والمقاومة فى هذه المدينة قديمٌ قدم التاريخ كما دلل على ذلك الدكتور "هنريش ليغل" من سويسرا حيث كتب بحثاً بعنوان "روح المقاومة القديمة فى غزة" قال فيه: "إن روح المقاومة ليست وليدة العصر الحالى فى هذه المدينة ولكنها سلسلة متداخلة الحلقات، فهذه المدينة (غزة) تملك وثائق مكتوبة تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وما بعده، ومن هذه الوثائق ما يبين ما قام به "بولييوس" (٢٠٢ ـ ١٢٠ ق. م) وهو من ملوك سوريا السلوقيين، قام باجتياح مدينة غزة وأشاد بسكانها وتكاتف أهلها وروح الشجاعة التى يتحلون بها وكيف أنهم قاوموا الغزو الفارسى، وكيف وقفوا فى وجه الإسكندر. ويصف "إيرنانوس" (٩٥ ـ ١٧٥ م) فى كتابه تاريخ غزوات الإسكندر يصف حصار الإسكندر لغزة واجتياحها (٣٣٢ ق.م) وكيف أنه عندما أراد غزو مصر بعد احتلال صور وخضوع باقى فلسطين وقف حاكم غزة مستعيناً بقوة من البدو فى وجه الإسكندر الذى أصيب وهو يحاول اقتحام المدينة ولكنه تمكن فى النهاية بعد ثلاث محاولات من الوصول إلى المدينة ولكن

(١) انظر: غزة هاشم: سعيد عاشور. بيروت: دار الضياء للنشر والتوزيع. ط١، ١٩٨٨، ص٦.
(٢) نفس المصدر السابق ص ٦.

الرجال ظلوا يحاربون حتى النهاية وقد دعى الإسكندر النساء والأطفال كعبيد واعتبر غزة من المدن الحربية وأسكن فيها أفراداً من القبائل المجاورة لها. ويقول المؤرخ اليهودى "فلافيوس يوسفيوس" (٣٧ ـ ١٠٠ م) الذى وصف فى كتابه الآثار اليهودية القديمة حصار الملك اليهودى الإسكندر "جافيوس" (١٠٢ ـ ٦٧ ق.م) لغزة بعد مائة عام ق.م بقليل وتدميرها وكيف أن الإسكندر حاصر غزة بعد أن علم أن بطليموس انسحب من غزة إلى قبرص وغادرت والدته كليوباترا المدينة إلى مصر وحاول قائد غزة مهاجمة اليهود لكنه فشل فاستسلم ولكن سكان المدينة دافعوا عن أنفسهم حتى النهاية»[١].

ويجدر بنا أن نذكر أن: «غزة كانت إحدى المدن التى تدرس فيها آداب اليونان وثقافتهم، والمشهور أن مدارسها فى القرون الأولى للميلاد كانت أحسن مدارس فى تعليم الفلسفة والبلاغة والخطابة حتى قيل: إنه كان يقصدها طلاب من بلاد اليونان للتعلم فيها». ثم فى العصر الإسلامى كان الجامع العمرى المعهد الأكبر للعلم والثقافة فيها. حيث كان يلقى فيه دروس العلم من قبل الأئمة والأعلام.

• موقعها الجغرافى[٢]:

تقع غزة على حافة الأراضى الخصبة، العذبة المياه التى تأتى مباشرة بعد برية سيناء، وعليه فهى المحطة الطبيعية لكل من الآتين من مصر ووجهتهم الشام، كما وإنها المحطة الأخيرة لكل قادم من الشام ووجهته مصر مما جعلها مجمعًا للقوافل التجارية وغيرها قبل دخول البادية. ففيها يستكملون ما يلزمهم قبل المرور بالصحراء القاحلة التى ستعترضهم فى طريقهم إلى مصر. هذا ولما كانت غزة مرسى الصحراء أصبحت أيضًا مراكزًا للبدو الذين يأتون إليها من مئات الأميال لشراء ما يلزمهم من ملبوس وسلاح وفخار وغيرها. وهذا الموقع أكسبها أهمية خاصة كممر حيوى بين مصر وبلاد الشام.

ولموقع غزة التجارى ـ لوقوعها فى نهاية طريق القوافل العربية الآتية من الجنوب ـ أهمية كبيرة كان لها أكبر الأثر فى ثرائها ورخائها، كما كانت تبعث بخيرات بلاد العرب والهند وغيرها من المدن الواقعة على الطريق بين مصر والعراق، الشىء الكثير من المآسى والفواجع من جراء الحروب التى قامت بين فراعنة مصر وأهل العراق والآشوريين

---

(١) انظر كتاب: "فلسطين أرض وحضارة" (ص ١٤٥ ـ ١٤٨) للدكتور محمود شاهين: طرابلس. ط١، ١٩٨٥.

(٢) بصدد أهمية غزة وموقعها الجغرافية انظر: البحث القيم الذى كتبه الأستاذ/ (رائد صالحة) بعنوان «جغرافية غزة» وهو رسالة نال بها كاتبها درجة الماجستير وهو يعمل محاضراً فى قسم الجغرافية فى الجامعة الإسلامية.

والبابليين، ثم البطالمة والسلوقيين من خلفاء الإسكندر[١]. وعلاقة غزة مع العرب قديمة منذ أقدم الأزمنة. . . وكان الروم يقيمون فيها سوقًا فى موسم معلوم وكانت قريش فى الجاهلية تحضره. . . وقبل أن يفتح المسلمون غزة كان العرب يكثرون من التردد عليها للتجارة فقد نزلها أمية بن أبى الصلت الثقفى، وتوفى بها «هاشم بن عبد مناف» الجد الثانى للرسول ﷺ. وما زال قبره إلى الآن ونسبت إليه دعيت «غزة هاشم». كما أن والد النبى «عبد الله» كان قد نزل غزة للتجارة ولما عاد منها إلى الحجاز مرض فى طريقه إلى المدينة المنورة، فمات بها. وأما عمر بن الخطاب فقد كسب مكاسب حسنة من تجارته فى غزة. حيث كان يعمل مبرطسًا.

ولما وصل كتاب الرسول إلى الإمبراطور هرقل الذى يدعوه فيه إلى الإسلام، نادى الإمبراطور صاحب شرطته وأمره أن يبحث له فى سوريا عن حجازى من قوم محمد. فوجد صاحب الشرطة «أبا سفيان بن حرب» ونفرًا من تجار قريش فى غزة أتو للتجارة فأخذهم منها وأرسلهم إلى هرقل فى القدس، وقصة الحديث الذى جرى بين هرقل وبينهم مشهور فى صحيح البخارى ١/ ٤ ـ ٦، وفى كتاب الأغانى ٦/ ٣٤٥ وما بعدها.

وفى غزوة بدر ٢٧ رمضان ٢هـ الموافق ١٦ آذار سنة ٦٢٤م هاجم المسلمون قافلة تجارية عظيمة لقريش كانت عائدة من غزة، فيها ألف بعير ومعها من المال خمسون ألف دينار[٢].

* * *

٢ـ مدينة غزة والجغرافيون المسلمون:

أشار الرحالة المسلمون إلى مدينة غزة فى رحلاتهم[٣] وبينوا مركزها وذكروا القرى التى كانت تابعة لها، وذكروا أنها كانت نيابة فى العهد المملوكى، وكانت هذه النيابة مهمة جدًا لمركزها المتميز بين مراكز البريد والحمام الزاجل ونقل الثلج والمناور، ما بين مصر والشام[٤]. حيث موقع هذه المدينة فى الجهة الغربية من بلاد الشام، حيث تطل على البحر المتوسط، وهذا الموقع أكسبها أهميتها كموقع حيوى و (استراتيجى).

(١) بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ، كفر قرع: دار الشفق. ط٢، ١٩٨٨م. (م١ ـ القسم الثانى: ص٣٥ ـ ٣٦).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) بصدد الرحالة الذين ذكروها حسب الترتيب التأريخى انظر: "بلدانية فلسطين العربية" لمرمرجى الدمونيكى (حرف الغين).

(٤) انظر: نيابة غزة فى العهد المملوكى لمحمود على عطا الله (ص ١٨) بتصرف.

• تقسيماتها الإدارية:

«قسم المماليك بلاد الشام إلى عدة نيابات تسهيلاً لإدارتها فكانت غزة من بين تلك النيابات، وكان أول ظهور لها كنيابة فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى سنة (٧١١هـ، ١٣١١م). أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وفى هذا الصدد يقول المؤرخ ابن تغرى بردى فى «النجوم الزاهرة» أثناء تعداده لمآثر السلطان الناصر محمد بن قلاوون: «. . . حتى أن مدينة غزة هو الذى مصرها، وجعلها على هذه الهيئة، وكانت قبل ذلك كآحاد قرى البلاد الشامية، وجعل لها نائبًا سمى بملك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة[١]».

وتفيدنا النقوش المثبتة على جدران المساجد الأثرية والمنشآت العمرانية الأخرى من دينية ومدنية، أن هذه المدينة كانت بمثابة (مملكة). وهذا واضح فى النقوش الموجودة إلى الآن على جدران الجامع العمرى الكبير وجامع شهاب الدين بن عثمان[٢] ولذلك فلا غرو إذا قلنا أن تاريخ هذه المدينة قد برز بصورة واضحة فى العهد المملوكى حيث أنشأوا فيها المنشآت العمرانية الكبيرة بأقسامها المختلفة الدينية كالمساجد والتكايا والزوايا والمدنية التى تمثلت فى الأسواق والمعاهد والمدارس والبيمارستانات والحمامات والخانات. . إلخ.

وكما وصفها المؤرخون بالنيابة، وصفوها أيضًا بـ «المملكة الغزية» فى مقابل النيابة وقد قيل عنها أنها «دهليز الملك» أى الطريق المؤدية إلى التملك والسيطرة. وهى تدل على مدى موقعها الاستراتيجى بالنسبة للفاتحين. كان يتبع هذه المدينة كثير من المدن والقرى[٣]».

ولعبت غزة دوراً هامًا إبان الحكم العثمانى وكانت فى معظم الأوقات «صنجقًا، أو لواء» فى ولاية الشام[٤] وألحقت لفترة قصيرة بولاية صيدا، وكذلك بمتصرفية ثم ولاية القدس.

* * *

(١) نفس المصدر (ص ٦٤) بتصرف.

(٢) انظر عن هذه النقوش فى: كتاب المساجد الأثرية فى مدينة غزة (ص ٢٩ ـ ٣٦) و (ص ٨١ ـ ٨٥).

(٣) انظر: إتحاف الأعزة جـ ٢، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٥ (غزة وما يتبعها من المدن والقرى).

(٤) انظر: إتحاف الأعزة جـ ١، ص ، التقسيمات الإدارية.

٣ ـ لمحة عن مدينة غزة وموقعها منذ الغزو الصليبى وحتى أواخر العهد المملوكى:

اتخذ الإفرنج مدينة غزة قاعدة لصد غارات الفاطميين التى كانت تشكل خطراً على الوجود الصليبى فى بلاد الشام[١] ويشكل مسجد النصر فى بيت حانون تجسيداً لنصر المسلمين على الصليبيين، «حيث جرت فيها وقائع حربية وحصلت بنواحيها معارك دموية لأنها باب «غزة» من الجهة الشمالية وذكر ياقوت فى معجم الأدباء: أن أسامة وهو أبو المظفر الكنانى الكلبى «الملقب بمؤيد الدولة» استشهد على باب «غزة» فى شهر رمضان سنة ٥٤٥هـ، فى حرب الفرنج ـ لعنهم الله ـ وكانت تقطر به فرسه على باب غزة واستعلى الفرنج على أصحابه فانكشفوا عنه، وبقى فى المعركة فقتل ـ رحمه الله ـ أ.هـ» وجرت عندها وقعة كبيرة انتصر فيها المسلمون على الأفرنج فأسس المجاهدون الأبطال مسجداً شكراً لله على النصر والظفر تذكاراً لمن استشهد منهم ودفن بتلك الساحة التى عنده، وقد دثر وتجدد ومنقوش على بابه بعد البسملة وآية ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الأمير الاسفهسلار الأجل الكبير الغازى المجاهد المرابط شمس الدين سنقر «المماثل للركاب الملكى الكاملى العادلى عند كسرة الأفرنج ـ خذلهم الله ـ فى بيت حانون ـ يوم الأحد النصف من ربيع الآخر ٦٣٧هـ. وسماه مسجد النصر[٢] ويتحدث الطباع بحدة وأسى عن مصير هذا المسجد فيقول: «. . . وعنده (أى المسجد) من استشهد من أصحابه (أسامة بن منقذ) ـ فى الوقعة . . . وكان ذلك فى أواخر أيام «أبى بكر سيف الدين» الملقب بالملك العادل الأصغر المتوفى بمصر ٦٣٧هـ، وهو ابن الملك الكامل المتوفى بدمشق سنة ٦٣٥هـ.

ـ ووقف على المسجد لإقامة الشعائر فيه أرضاً كبيرة ضبطتها المعارف، وتعطلت شعائره وأشرف على الخراب مع أنه لا يوجد فى هذه القرية غيره! وهو المحل الأثرى التاريخى الذى يجب المحافظة عليه والعناية به وإقامة الشعائر الدينية تنفيذاً لرغائب المؤسس الموقف والمجاهد الكبير، بل والتحرى على قبور أولئك الشهداء الأبرار الذين دفنوا بجواره، تذكاراً لمن تخضبت الأرض بدمائهم، ودافعوا عن الوطن العزيز بأنفسهم وأموالهم، حتى استشهدوا فى هذا السبيل»[٣].

---

(١) انظر: إتحاف الأعزة جـ ١، ص ٢١١، فصل الحروب الصليبية والأسباب الحاملة عليها.

(٢) انظر: إتحاف الأعزة جـ ٢، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٣) نفس المصدر ص ٣٧٦.

وهكذا واصل الأيوبيون أيضًا جهادهم ضد الافرنج لاسترجاع مدينة غزة، وذلك بعد أن تمكن صلاح الدين من هزيمة الصليبيين فى حطين واستعاد جميع مواقعهم بما فيها غزة وتبوأت غزة موقعها أيضًا إبان العهد المملوكى واكتسبت موقعًا خاصًا بين نيابات الشام. وكانت غزة محط أنظارهم فلهم فيها المآثر العمرانية وتمثل ذلك بزيادات العمران فى الجامع العمرى الكبير وهذا واضح من خلال النقوش الموجودة على الباب القبلى للجامع. والقيم المعمارية فى الزيادة واضحة. حيث يستطيع الرائى أن يفرق بين العمارة الإسلامية وبين العمارة البيزنطية. وهذه الزيادة حصلت فى عهد الناصر محمد. وأنشأ فيها الظاهر بيبرس المكتبة المعروفة قديمًا بمكتبة الظاهر، كما أنشأ فيه البيمارستانات والمدارس، وذلك ردًا على صنيع أهل غزة الذين قاموا بتطبيب زوجته آنذاك.

وأغلب الظن أن هؤلاء الأطباء كانوا من عائلة «الريس» التى كانت قديمًا تعرف بـ «الهليس» وأطلق عليها هذا الاسم نظرًا لتقدمهم فى علم الطب[1].

ولا غرو فى ذلك فقد امتازت هذه المدينة بظهور العديد من العلماء والفقهاء والأدباء، منهم الشاعر الكبير أبو إسحاق الغزى الإشهبى الكلبى الذى انقرضت عائلته كباقى العائلات التى انقرضت أثناء الحروب الصليبية، هذا الشاعر الذى قيل عن شعره: إنه يفوق شعر المتنبى[2]، وظهر فيها الشاعر الصوفى الكبير القطب العارف بالله «ابن زقاعة الغزى» الذى نظم قصيدة فى الأرض وما احتوت عليه فى ٧٧٧٠ [سبعة آلاف وسبعمائة وسبعون بيتًا]. وله ديوان شعر لطيف فيه جملة من أشعاره[3]. وهناك الكثير من النوابغ الذين لا يتسع المقام لذكرهم من أدباء وفقهاء وشعراء ورجال إدارة وسياسة. وقفنا عند الكثير منهم فى قراءتنا لجزء التراجم من الإتحاف. فهناك الكثير من المحطات التى تستوقف الباحث والقارئ والدارس وهى بحاجة إلى دراسات معمقة من حيث الناحية الأدبية والعلمية. وهناك أسماء لعدة أعلام من عائلات كثيرة نبغوا فى هذه المدينة منهم ثمانية وعشرون عالمًا وفقيهًا من عائلة النخال، وعدة أطباء حذاق ماهرين من آل الريس، وجملة من الفقهاء والأدباء من عائلة التمرتاشى الغزى، التى انقرضت من الناحية الاجتماعية إلا أن أثرها العلمى باقٍ إلى اليوم[4].

---

(١) انظر: إتحاف جـ ٣، ص ١٨٥، قسم العائلات الأنساب.

(٢) انظر: إتحاف الأعزة جـ٤، ص (١٢ ـ ١٨)، ترجمة أبى إسحاق الغزى. وانظر تعليقات المحقق بهذا الصدد فى نفس الصفحات فى الهامش.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٩.

(٤) انظر: إتحاف جـ ٤، ص ٨٦ ـ ١٠٢.

ولعبت غزة أيضًا نفس الدور فى العهد العثمانى واشتهرت فى غزة فى النصف الثانى من القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر، أسرة الأمير أبى شاهين التى برز فيها ابناه بهرام ورضوان، واشتهر كذلك ابن هذا الأخير: أحمد الذى توفى فى ١٥/ ١٠/ ١٦٠٦م، وعين هؤلاء الأفراد حكامًا على صنجق غزة، وشغل بعضهم حكم ولاية اليمن ومصر، كما عهد إليهم بإمارة الحج الشامى لسنوات عديدة واشتهر من مماليك هذه الأسرة الأمير "فروخ بن عبد الله"، الذى حكم صنجقى نابلس والقدس، وعين أميرًا للحج الشامى فى الربع الأول من القرن السابع عشر. وبرز من أبناء غزة فى القرن الثامن عشر، حسين باشا ابن مكى الذى عين صنجقًا عليها وكانت تابعة لولاية الشام، ثم نقل واليًا على دمشق فى عام ١٧٥٧، خلفًا لأسعد باشا العظم، واعتبره المؤرخ الدمشقى «ميخائيل بريك» من ثانى طائفة أولاد العرب الذين صاروا وزراء فى بلادنا. وكانت الطائفة الأولى «آل العظمة» واشتهرت غزة بمرور قافلة الحج الشامى فيها، فى بعض الأحيان، أثناء عودتها من الحجاز، لتحاشى هجمات البدو، أو لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فى أعقاب هذه الهجمات. وعرف الطريق الذى سلكته القافلة عبر غزة، بالطريق «الغزاوى» متميزًا له عن الطريق الرئيس المعروف بالطريق السلطانى وذكر أن من أراد اللحاق من الحجاج الشاميين بقافلة الحج المصرى، التى كانت تمر بالعقبة كان يمر بغزة فى طريقه إلى العقبة. وأفادت غزة كذلك من وقوعها على الطريق التجارى الذى يربط بين بلاد الشام ومصر»[1]. وبهذا القدر نستطيع أن نأخذ فكرة ولو بشكل عام عن تاريخ هذه المدينة وعن أهمية موقعها على مدار التاريخ. وفى كل فترة يلزم دراسات متخصصة ومعمقة حول هذا الموضوع. لذلك فأنا أتمنى أن تخرج دراسة علمية رصينة عن تاريخ غزة فى العصور القديمة وبالذات «التاريخ المصرى القديم» ويكون الاعتماد على الوثائق والبرديات والإحاطة بما جاء فى رسائل تل العمارنة، تلك الوثائق الضاربة فى القدم. وفى المقابل أتمنى أن يتم عمل دراسة موسعة حول تاريخ غزة فى العهد العثمانى وبالذات العهد الأخير منه، لما له من اتصال وثيق بتاريخنا المعاصر الذى نعيشه يومًا بيوم وساعة بساعة. ولا أنكر أننى قد أفدت من الدراسات التى سبقت والتى اطلعت عليها سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة وهى حسب الترتيب التأريخى.

(١) انظر: غزة دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية (ص ٦٩) (١٢٧٣ - ١٢٧٧ هـ) = (١٨٥٧ - ١٨٦١م) للدكتر عبد الكريم رافق بحث مقدم إلى المؤتمر لتاريخ بلاد الشام المنعقد فى الجامعة الأردنية.

غزة فى أواخر العهد العثمانى
وبداية الإنتداب البريطانى على فلسطين

لقد وقف الأتراك فى غزة وقفة شامخة وحازمة[١] وكان موقفهم تاريخيا يعد لهم فى العصر الحديث . ولولا هزيمة الجيش التركى فى غزة ، لما استطاع الانجليز دخول القدس الشريف واحتلاله سنة ١٩١٧ ، ومن ثم قاموا بربط غزة بالسكة الحديدية مع اللد وحيفا ، من جهة و مع القنطرة ومصر من جهة أخرى ، وأقاموا بقربهامطارا ضخما صغيرا لا تزال آثاره قائمة حتى الآن وكما أشار الاستاذ / جرار القدوة فى مقدمته).

« بعد أن تم للإنجليز دره خطر الأتراك عن مصر وقناة السويس ، اعتزموا القيام بحركات واسعة النطاق لاحتلال فلسطين وكان ذلك بناء على قرار أصدرته وزارة الحرب البريطانية فى بداية عام ١٩١٧ » . ثم بعد أن انسحب الأتراك من العريش فى ٢٠ من كانون أول عام ١٩١٦ فاحتلها الانجليز فى صبيحة اليوم التالى . وفى شباط عام ١٩١٧ وصلوا الى رفح . وفى ٢٨ شباط احتلوا خان يونس . ومن هناك أخذوا يستعدون للزحف على غزة . وقد انسحب الأتراك إليها ، وأخذوا يتأهبون للدفاع عنها دفاعا لا هوادة فيه .

حصن الأتراك مدينة غزة تحصينا كاملا من الساحل الى تل المنطار هذا بالإضافة إلى أشجار الصبر والتحصينات الطبيعية الأخرى ، وقد هجرها أهلها ، وانتشروا فى المدن والقرى المجاورة»[٢].

وقد تقرر الهجوم يوم ٢٥ آذار (مارس) على أن يتم الهجوم فى مرحلتين : الأولى: تنجح فى احتلال وادى عزة ، والثانية تقوم بتطويق المدينة وعزل حاميتها عن امكانية تلقى الامدادات من الشرق . أما القوة المهاجمة ، فلم تكن تقل عن ٢٠ ألف جندى .

ولقد خدم الحظ وجده الأتراك هذه المرة ، اذ أن غلطة وقع فيها دوبل هى التى اضطرت جنوده إلى التراجع عن المناطق التى احتلوها فعلا من وادى غزة . وذلك أن كتيبة الصحراء ، وهى إحدى كتائبه المهاجمة ، تأخرت بضع ساعات قبل أن تنجز

(١) انظر تاريخ عزة لعارف المعارف ص ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

مهمتها ، فظن دوبل أن تنسحب قواته ويتراجع.

فاغتنم الأتراك هذه الفرصة ، وعززوا قواتهم فى ذلك الموقع . وبهذا انتهت المرحلة لاأولى من الهجوم بتقهقر الإنجليز إلى المواقع التى بدأوا منها . أما خسائر المعركة فكانت ٤٠٠٠ من الإنجليز و ٢٥٠٠ من الأتراك.

هذا من حيث احتلال الوادى (وادى غزة) . أما من حيث الإستيلاء على رابية المنطار ، فقد استطاعت كتيبة نيوزيلندية أن تقتحم التحصينات الطبيعية التركية هناك . لكن خبر سقوط الرابية لم يبلغ إلى دوبل إلا عن طريق القيادة فى القاهرة ، ولذلك جاء متأخرا ، وبعد أن كان قد أصدر أوامره بتراجع قواته . وهكذا كانت الحملة فشلا ذريعا للانجليز ، مع أن مورى أبرق إلى لندن بالنجاح ، وتسلم تهانى الملك ولويد جورج على انتصاره ! ليس هذا فحسب ، بل إن القيادة فى لندن طلبت اليه أن يغير خطته ، بحيث تتضمن الاستمرار فى الزحف على جنوب فلسطين ومن ثم احتلال القدس . وكانت القيادة فى ذلك متأثرة برغبات لويد جورج الشخصية أكثر من تأثرها بحقيقة الموقف الحربى لجيوشها.

بعد هذا الفشل قرر مورى أن يطلب إمدادات جيدة من القيادة ، فسارعت هذه الى توفير ما طلب وكانت تأمل أن ينال القائد نصرا فى الشرق يخفف به من الألم الذى سببه اندحارات جيوشها فى فرنسا.

وفى ١٧ نيسان (ابريل) أعاد مورى الكرة على غزة والوادى وكان ينوى اسقاط الموقعين فى ثلاثة أيام ، وعن طريق القيام بكماشة صاعقة . ففى اليوم الأول تفاجئ قواته مواقع الأتراك فى الوادى وتخندق هناك . وفى اليوم الثانى تقوم قوات تأتى عن طريق الساحل بتركيز القصف بالمدفعية على المنطار ومواقع الوادى معا . أما فى اليوم الثالث ، فتندفع كتائبه لاحتلال غزة بالسلاح الأبيض.

وقد وفرت له البحرية البريطانية والفرنسية بارجتين تقصفان المدينة من عرض البحر، كما كان يعتمد على ذخيرة كبيرة من قنابل الغاز قرر أن يستعملها عند الحاجة لكن كل هذه التقديرات كانت غير سليمة.

وبعد أن وصل الإنجليز الى أطراف الوادى فى ١٨ نيسان (ابريل) وهو اليوم الأول، وخندقوا هناك . لكنهم كانوا غير مزودين بالماء ، وفى مدى نار المدفعية التركية ، وضمن حدود منطقة الرمى بالبنادق . الا أن الأتراك لم يحركوا ساكنا . إنهم لم يقاوموا تقدم العدو . وفى ١٩ ابريل صبت المدفعية الإنجليزية الثقيلة قذائفها على المنطار المشرف

على غزة ، وعلى جانبى الوادى حيث يقبع الأتواك . لكن مورى حيث حاول الهجوم فى ذلك المساء على أن مدفعيته لم تنجح إلا فى الحاق اضرار طفيفة بالتحصينات التركية، سواء فى المنطار أو موقع الوادى . ومع هذا أصدر أمره بالهجوم.

وحينذاك فتكت المدفعية الألمانية بقواته ، واصطادهم الرماة الأتراك من كل ناحية . هذا علاوة عن أن العطش شارك فى إنهاكهم وتبديد طاقاتهم . وبعد الخسائر التى لحقت بالجيش البريطانى حيث ٦٤٠٠ قتيل فى مقابل أقل من النصف فى الجانب الأخر (الأتوراك) (٢٥٠٠) .

ولم يستطع الانجليز الاستيلاء على أى موقع تحصن فيه الأتراك. عند ذلك تأكد مورى من فشل هجومه الثانى فأصدر أوامره الى قواته بالبقاء فى مواقعها والدفاع عنها دون أن تحاول التقدم ياردة واحدة.

ولما أبلغت القيادة فى لندن بهذه النتيجة تغيرت لهجتها، فطلبت من مورى مجرد المقاومة بشكل دفاعى فقط دون الزحف على العدو[1]. حيث كان الهدف إسقاط جنوبى فلسطين ومن ثم الوصول الى المدينة المقدسة. وبالفعل تم ذلك ولكن ليس بسبب الانتصار على الأتراك أو بسبب صمود البريطانيين أو أو... الخ. بل لسبب واحد هو خيانة شرذمة من العملاء والخونة قامت بالوشاية لجيش الانتداب عن مواقع الأتراك المتمركزين فى أرض الرباط. فالتف الجيش البريطانى عليهم وكانت النتيجة مؤسفة جدا حيث قتل حوالى ٢٠٠٠٠ جندى تركى. ودمر جزءا من الجامع العمرى الكبير لمجرد الاشتباه بأن هناك كتيبة تركية متواجدة فيه. وأظن أن تلك الكتيبة كانت من الذين نجوا من التدمير والقتل لجأوا الى مكان آمن وهو الجامع العمرى إلا أنهم قد لاقوا حتفهم. ومعروف لدينا أنه نتيجة للقصف تهدم الجزء الشرقى منه والمنبر والمحراب والمأذنة العظيمة الشامخة التى بنيت فى العهد المملوكى عصر العمارة والحضارة وتم تجديدها بواسطة المجلس الاسلامى الشرعى الأعلى فى فلسطين سنة ١٩٢٦م/ ١٣٤٥ هـ[2].

ولم يكن الجامع العمرى الذى طاله الخراب فقط . بل « اصاب عزة خراب كبير بسبب هذه المعارك التى دارت فيها وحولها . وفيه ضربت من قبل الأسطول الانجليزى بحرا ومن الجيش برا. حتى تهدم ما ينوف على ثلثها ، وهجرها

---

(١) انظر : كتاب الحرب العالمية الأولى ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣) عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر عمر الدمرلوى ، بيروت ، دار العلم للملايين.

(٢) انظر : المساجد الأثرية (ص ٣٤ - ٣٥).

أهلها[١]. . . . وكما يقول الطباع « وبالذات عندما جعلها جمال باشا خطاً حربيا وأمر بإخلائها وترحيل جميع أهاليها فى ظهر يومين ، ولو زحفاً على الركب ، وأن كل من تأخر منهم يصير حرقه وحرق داره وأمتعته ، وأرسلوا مناديا يعلم الناس بذلك ليلا ، فصار الناس فى كرب وهم عظيم ، . . . وتمنوا الموت من هول ما لاقوه وفظائع ما عاينوه ، فرحل جميع أهالى عزة بحالة تفطر الأكباد إلى القرى القريبة من غزة طمعاً فى قرب عودتهم إليها ، وتركوا أكثر موجوداتهم وأثاثهم فى دورهم ، فصارت العساكر تكسر الأبواب وتنهب مكا فيها ، ومن سوء تدبيرهم واجتهادهم على الهدم . بهمة لا يعتريها فتور لم يتركوا بيتاً إلا خربوه ، ولا جداراً فيه خشبة إلا لأجلها نقضوه ، ومن سوء تدبيرهم أنهم وضعوا معظم الجبخانة (الكتيبة) فى بيت الجامع الكبير الأثرى ، فسلط العدو عليه القذائف حتى خربه ودمر منارته التى كانت لا نظير لها ، وانفجرت الجنخانة فيه ، فقضت عليه[٢].

وهكذا نستطيع أن نتصور مدى فداحة الحرب العالمية الأولى وأثرها على هذه المدينة . وكما أسلفت نحن بحاجة الى دراسات موسعة حول هذه الفترات التاريخية وهى :

١ - عزة أثناء الحرب العالمية الأولى .

٢ - غزة أثناء الحرب العالمية الثانية والانتداب البريطانى .

٣ - غزة منذ سنة ١٩٤٨ - حتى ١٩٦٧ .

٤ - غزة منذ سنة ١٩٦٧ - ١٩٨٦ .

وهكذا وأهيب بالأخوة الدارسين إلى التوجه نحو دراسة هذه الفترات بأى صورة تحلو لهم طالما كان هناك نية لبحث أى موضوع كان . ولذلك قمت بإلقاء الضوء على بعض المصادر المهمة فى تاريخ هذه المدينة لألفت أنظار الباحثين والدارسين لها.

* * *

(١) انظر : تاريخ غزة المعارف ص ٢٣٢ .

(٢) انظر إتحاف ١ : (ص ٣١٧ - ٣١٨).

مصادر مهمة تاريخ غزة

١ ـ كشف النقاب عن بعض من بنواحى غزة من الأعراب «الشيخ أحمد بسيسو» وهو مخطوط. وفيه معلومات نادرة عن الأعراب والقبائل البدوية وعلاقتهم بسكان غزة وفيه أيضًا تراجم للعلماء الذين كانوا فى عهده. ثم ذكر عدة عائلات عريقة تحدث عنها.

٢ ـ دفتر جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ودفتر جميعة الهداية الإسلامية، ودفتر جمعية الإرشاد (مخطوط).

وجميعها بخط الشيخ عثمان الطباع. وفيها ما لا يوجد فى غيرها من حيث المعلومات الهامة عن الحالة الدينية والثقافية فى مدينة غزة فى أواخر العهد العثمانى وبداية الانتداب البريطانى.

٣ ـ أوراق الشيخ عثمان الطباع ومراسلاته أو قل: (أرشيفه الخاص). فقد أفدت منه كثيراً.

٤ ـ مؤلفات ورسائل وكتب الشيخ عثمان الطباع التى قام بتأليفها قبل كتاب «إتحاف الأعزة»، وعلى رأسها كتاب «**خلاصة الأنساب الغزية**» وكتاب «**ثبت للطرق الصوفية**»، وكتاب «**السفينة الزاخرة بمحاسن الأشعار الفاخرة**» فهو من أهم المصادر للتعرف على الحالة الأدبية للفترة التى عاش فيها الشيخ عثمان الطباع.

٥ ـ كتاب «**خلاصة تاريخ كنيسة أورشيلم الأرثوذكسية**» لمؤلفيه شحاده خورى ونقولا خورى. وكتاب سليمان الغزى شاعر مسيحى ملكى. هذان الكتابان أفدت منهما فى التعرف على تاريخ غزة فى العهد المسيحى. أفدت أيضًا من المقالة القيمة التى كتبها لويس موصيل فى مجلة المشرق[1]. فى التعرف على الآثار التى اندرست فى المدينة.

٦ ـ كتاب المستشرق ماير عن غزة بعنوان:

The History Of Gaza City . Mayer. A. M.New York. 1966.

وبالذات الفصل الذى تناول فيه تاريخ المدينة فى العصر الإسلامى.

٧ ـ كتاب «تاريخ غزة» العارف العارف، فهو بمثابة أطلس تاريخى لهذه المدينة. طبع

(١) نشرت فى العدد الخامس فى آذار سنة ١٩٩٨م. وهى بعنوان: «آثار قديمة للنصرانية فى غزة وضواحيها» (ص ٢١١ ـ ٢١٦).

سنة ١٩٤٣ فى القدس، ويحتوى على ٣٥٥ صفحة.

٨ ـ كتاب «تاريخ غزة» نقد وتحليل للأستاذ حلمى أبى شعبان نشر سنة ١٩٤٣ وهو رد على مغالطات عارف العارف، واستعان فيه بمعلومات كثيرة من الشيخ عثمان الطباع. كما ذكر ذلك فى صفحات الكتاب.

٩ ـ «المظاهر العمرانية والحضارية لمدينة غزة منذ الفتح الإسلامى وحتى العهد المملوكى» للأستاذ أحمد الساعاتى. مدير العلاقات العامة فى الجامعة الإسلامية. ونال بها درجة الماجستير من جامعة عين شمس (قسم التاريخ)، وفيها إضاءات واضحة حول المظاهر الحضارية والثقافية لمدينة غزة.

١٠ ـ نيابة غزة فى العهد المملوكى، لمحمود على عطا الله. (٤٢٢ص) نشر فى دار الآفاق الجديدة فى بيروت سنة ١٩٨٦ وقد غطت هذه الدراسة جميع النواحى الثقافية والحضارية والسياسية والإدارية للفترة المملوكية فى مدينة غزة.

١١ ـ «بلادنا فلسطين» لمصطفى مراد الدباغ. وبالذات المجلدين اللذين خص فيهما تاريخ هذه المدينة. (القسم الثانى).

١٢ ـ أوراق ووثائق زودنى بها أبناء المدينة الذين لم يدخروا جهداً فى تقديم المستندات لى وهى على النحو التالى:

١ ـ أوراق عائلة «الريس» زودنى بها الأستاذ ناهض منير الريس ـ حفظه الله.

٢ ـ أوراق عائلة «سيسالم» زودنى بها الأخوان الفاضلان الأستاذ الدكتور عصام سيسالم، والأخ الأستاذ مازن سيسالم. وقد أفدت منهما فى التعرف على بعض النواحى التاريخية فى عهد عبد الله باشا فى أواخر العهد العثمانى.

٣ ـ أوراق «عائلة العلمى» زودنى بها الأخ عبد اللطيف العلمى ـ حفظه الله.

٤ ـ وهناك الكثير من الوثائق والمراسلات التى أفدت منها بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

ويبقى أنه من أهم المصادر لتاريخ هذه المدينة هو كتاب «إتحاف الأعزة». الذى نحن بصدده.

* * *

ترجمة مؤلف الكتاب

• مولده ونشأته :

ولد عثمان أبو المحاسن بن السيد مصطفى حامد الطباع فى غزة هاشم (بفلسطين) سنة (١٣٠٠هـ) الموافق لسنة (١٨٨٢م)، وأتم دراسته الابتدائية فى مدارسها آنذاك، فحفظ القرآن الكريم وجوده، ودرس التوحيد، والحساب والعبادات، وكان متفوقاً على لداته فى دراسته الأولى، واتجه فى دراسته الدينية، وفق السادة الحنفية فى الجامع العمرى الكبير بغزة. وفى عام ١٩٠٠ يمم مصر لإكمال دراسته فى الجامع الأزهر، وحضر فيه دروس أكابر ذلك العصر، كالشيخ محمد السملوطى والشيخ أحمد الرفاعى[١] والشيخ محمد بخيت[٢] والإمام محمد عبده[٣] ـ مفتى الديار المصرية ـ والشيخ سليم البشرى[٤] وأخذ عنهم الكثير من مختلف العلوم .

• ثقافته وعلمه :

وبعد أن تمكن الشيخ الطباع من علوم اللغة، والدين ونال الإجازات فيها من مشيخة الأزهر الشريف . غادر مصر عائداً إلى غزة عام ١٩٠٢م ، وشرع فى التدريس، وإلقاء

---

(١) أحمد فريد الرفاعى (١٣٧٦هـ= ١٩٥٦م): كاتب مصرى، من المشتغلين بالأدب والتاريخ . تخرج بكلية الآداب بالقاهرة . وكتب مقالات فى جريدة المؤيد وعين مديراً للصحافة والنشر. وصنف عدة كتب . انظر: معجم المؤلفين ١/ ٢٢٠ ، الأعلام ١/ ١٩٥.

(٢) الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعى الحنفى (١٢٧١ ـ ١٣٥٤هـ= ٨٥٤ ـ ١٩٣٥م): ولد فى بلدة المطيعة من اعمال أسيوط . تعلم فى الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه ثم انتقل للقضاء الشرعى سنة ١٢٩٧هـ . عين مفتياً للديار المصرية سنة ١٣٣٣ ـ ١٣٣٩هـ ـ (١٩١٤ ـ ١٩٢١م). توفى بالقاهرة سنة ١٩٣٥م . انظر: الاعلام ٦/ ٥٠، معجم المؤلفين ٣/ ١٥٩ .

(٣) الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ= ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) : محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركمانى: مفتى الديار المصرية، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد فى الإسلام. ولد فى شنرا (من قرى الغربية بمصر ونشأ بمحلة نصر بالبحيرة) تعلم بالجامع الأحمدى بطنطا ثم فى الأزهر، عمل فى التعليم وعمل بالصحافة، وتولى منصب القضاء ثم مفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ، توفى بالإسكندرية ودفن بالقاهرة . انظر: الأعلام ٦/ ٢٥٢ .

(٤) سليم البشرى (١٢٤٨ ـ ١٣٣٥هـ ـ ١٨٣٢ ـ ١٩١٧م): سليم بن أبى فراج بن سليم البشرى، المالكى، شيخ الأزهر . ولد فى محلة بشر من قرى البحيرة بمصر . وتوفى فى ذى الحجة سنة ١٣٣٥هـ . انظر: معجم المؤلفين ١/ ٧٨١ .

الخطب فى مختلف جوامع غزة إلى أن أسند إليه التدريس فى الجامع العمرى الكبير فى عام ١٩٢١م[١]، ثم أسند إليه الخطابة فيه عام ١٩٣١م، ورأى الفقيد بنظره الثاقب أن غزة فى حاجة ماسة إلى مكتبة عامة[٢]، فأخذ على نفسه أن يسد هذه الثغرة، فشمر عن ساعد الجد والاجتهاد حتى نجح فى تأسيس مكتبة عامة خصها بغرفة فسيحة فى الجامع العمرى الكبير وزودها بنحو ثلاثة آلاف كتاب[٣]. وينتمى الشيخ الطباع إلى أسرة معروفة وعريقة فى نفس الوقت . وقد تحدث عنها باسهاب بعد أن بيّن معنى الاسم واللقب (الطباع). حيث أنها كانت نتيجة المهنة والصنعة، والطباع هو من يطبع على السيف ونحوه ولها مرادفات كثيرة[٤] ويسرد الطباع علينا كثيراً من أجداده فى القرون الماضية أثناء حديثه عن تاريخ أسرته فيقول : " . . . والمعروف والمأثور والثابت المشهور أن الجد الأعلى لهذه العائلة ببغداد . لقب بالطباع لصنعته طبع السيوف وعملها وقد رحل منها ـ أى (بغداد) ـ ونزل دمشق وتوطنها واشتهرت عائلته بها ثم سكن بعض ذريته قرية الديماس مدة، وهى تبعد عن دمشق نحو خمس ساعات وتملك بها فصارت عائلته تلقب بالطباع الديماسى، ثم بسبب الطوفان المشهور الذى حصل بدمشق وعم أكثرها بعد الألف رحلت هذه العائلة من دمشق الديماس، وكانت تابعة لزملكا ثم عادت إلى دمشق " [٥].

وينقل الطباع عن بعض شيوخ عائلته فيقول : " وقد أخبرنى بعض شيوخ العائلة بدمشق أنه كان عندهم درج قديم يحتوى على فروع الشيخ عبد القادر، ورحلتهم من بلاد العراق وتفرقهم فى بلاد سوريا وقرى دمشق . . . . . وممن ظهر بدمشق فى القرن الحادى عشر الشيخ " عثمان ابن السيد محمد الطباع الديماسى" وكان شيخ التجار بدمشق وشيخ القافلة والركب الدمشقى "وأمين الصرة الحجازية" وصار ذلك متسلسلاً فى ذريته إلى أثناء القرن الثالث عشر، ولهم بهذه الوظائف السامية فرمانات سلطانية بالزعامة على قرية الديماس، وزملكا والكسوة والمزة وغيرها . والزعامة هى : "عبارة

(١) كان خطيباً فى جامع ابن مروان بغزة قبل تعينه خطيباً وسمياً للجامع العمرى الكبير بغزة .

(٢) بصدد تأسيس مكتبة الجامع العمرى الكبير وجهود الشيخ عثمان الطباع. انظر إتحاف الأعزة ج٢/ص ١١٦ ـ ١٢٦.

(٣) انظر: من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين (٣٧٢ ـ ٣٧٣) ليعقوب العودات. ط ٢، القدس، دار الإسراء ١٩٩١م.

(٤) انظر: إتحاف (جـ٣/ ٢٩٢).

(٥) نفس المصدر (ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

عن الإقطاعات السلطانية كما هو معروف قديماً " وأول من عمل الصرة للحرمين الشريفين السلطان مراد خان وهى عبارة عن قدر معين من النقود يرسل سنوياً مع أمين الصرة الذى يتوجه مع محمل الحج إلى عرب الحج، وفقراء مكة والمدينة لكنها لم تكن بالقدر العظيم الذى بلغته بعد ذلك، ثم ظهر بعده فى القرن الثانى عشر ابنه الشيخ محمد، ثم ابنه فخر التجار المعتبرين وصدر الرؤساء المعظمين الحميد الوجيه والمقدم والرئيس النبيه المعظم السيد عبد الغنى بن الشيخ محمد بن الشيخ عثمان بن السيد محمد الطباع الديماسى الدمشقى . وهو الجد الرابع الجامع لفروع هذه العائلة. . . . وتوفى فى أواخر القرن الثانى عشر عن نحو تسعين سنة ودفن عند قبور آبائه وعائلته بتربة الباب الصغير بدمشق، وخلف ابنه بكرى الطباع والعلامة الفقيه والفهامة النبيه الشيخ محمد ابن السيد عبد الغنى الطباع وقد اشتغل بتحصيل العلم وأخذ عن فضلاء أهل القرن الثانى عشر حتى نبغ وتقدم وشهد له أهل عصره وبعد وفاة والده تولى وظائفه واشتغل فى ضياعه إلى أن توفاه الله تعالى بدمشق فى أوائل القرن الثالث عشر وخلف أنجاله السيد حامد وهو الذى أتى لغزة فى سنة ١٢٥٨هـ.

● سبب مجيء الأسرة إلى غزة والاستقرار بها:

يذكر الشيخ عثمان سبب مجيء السيد حامد الطباع جده إلى مدينة غزة وذلك بسبب الوظيفة التى تعين لها حيث كان ناظراً ومديراً لرسومات الجمرك "بغزة" بسبب ضمانه لها، وتعهده بدفع مرتب للحكومة فى نظير تلك الرسوم التى يجمعها ويأخذها لنفسه، وكذلك كانت الإمارة والنيابة والقضاء فى البلاد العثمانية، وكانت هذه الوظيفة مهمة، ولها قيمتها لعلو مركزها، وجسام وارداتها بكثرة ورود قوافل التجارة المصرية، والشامية، والحلبية إليها، ولم تكن طريق البحر مفتوحة، ولا أسكلة يافا، فكانت "غزة" صاحبة الفكر والعلم، فحضر إليها فى سنة (١٢٥٨هـ= ١٨٤٢م) ولم يحضر أحداً من عائلته ونسائه غير جارية له، وكان عمره وقتئذ يتجاوز الستين سنة، ولم يرزق ذرية من البنين، فحسن له أصحابه ومعارفه من كبراء المدينة، وفقيهها الكبير " أحمد محيى الدين أفندى "[1] بالتزوج، وقد أخذ من النساء ثلاثاً أو أربعاً رجاء أن يرزقه الله ذرية، وخطبوا له بنت الخليفة الصالح الشيخ إسماعيل اللبابيدى، وأمها من عائلة "هاشم الشرفا" وكان القسمة لها، فتزوجها ، وعمل لها وليمة حافلة جمعت رؤساء

(١) السيد الحاج أحمد محيى الدين الحسينى الحنفى المفتى بغزة (١٢٣٣ ـ ١٢٩٥هـ/ ١٨٠٨ ـ ١٨٧٨م). انظر ترجمته بتوسع فى الإتحاف جـ ٤/ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨.

" غزة " وأعيانها، وموظفيها، وحسب ما عرف عنه أنه كان عنده كتب ومجاميع ودواوين بخطه وكان له تعلق شديد بالأدب، والشعر، والتاريخ والفوائد، والطرائف، والنفائس، والغرائب، حسن الفكاهة، حلو المحادثة، معتدل القامة، يميل إلى الطول، أبيض اللون، يغلب الشيب على لحيته، حسن المنظر، وقور كريم مهاب جليل، وكان طلق اللسان حسن الخط، يعرف اللغة العربية والتركية والفارسية، وله عدة أسفار، عدا أسفاره التي كانت لبلاد احجاز، وسافر إلى الأستانة، وبلاد الروم مراراً وإلى حلب وبغداد، ومصر، وآخرها رحلته إلى غزة ولواء القدس، وصنف رحلته " لغزة " ذكر فيها الكثير من أهل ذلك العصر، وأقام بها نحو سنتين ولم يعجبه المقام بها لكثرة ما رأى فيها من الحسد، والفساد والشقاق، والخمول، والفقر والكسل، والفضول، مع قلة التمدن، والنظافة، وشدة الحر، والأقذار، والغبار، بالنسبة للبلاد، والمدن التى كان يقيم فيها . ولذلك قال فيها هذه الأبيات :

عجبت لمن له عقلٌ ويرضى	إقامتـــه ولو يوماً بغزة
فما فيها سوى حرٍ شديدٍ	وحمـــاءِ كنارٍ مستفزة
نعم تجدن فيهـا صبراً كثيراً	بغير الصبرِ لا تجد المعزة
فيا من لُطفـه فينا شهيرٌ	تمكن ديننـا تمكن بغزة
وتعنى بالرجـوع إلى ديارى	ولو فى قرية تسمى بمزة

. . . ثم قدم استقالته من هذه الوظيفة، وعدل عن ضمانها وعزم إلى الرجوع إلى وطنه فلم تسمح له الدولة بذلك، ونقلته إلى " نابلس " فتوجه إليها، وأقام بها نحو ستة أشهر، ثم استقال ورجع إلى دمشق، وذلك فى حدود ١٢٦٠هـ، وبقى قاطناً بمنزله ملازماً للعبادة والذكر، والتلاوة إلى أن توفاه الله تعالى بعد صلاة العصر، وهو على سجادة الصلاة فى ١٢٦٤هـ وقد جاوز السبعين سنة . وصلى عليه أخوه " الشيخ محمد بالجامع الأموى " ودفن بجوار قبور عائلته وأجداده بتربة الباب الصغير.

إذن استقرار جد المؤلف، ومن ثم أبيه كان هو بداية وجود هذه العائلة فى مدينة غزة ولذلك يقول الشيخ عثمان عن عائلته: " وبالجملة فهى عائلة كبيرة عريقة فى البلاد العربية، وقد بارك الله فى ذرية جدها الكبير المترجم حتى انتشرت فى بلاد الشام وفلسطين وشرقى الأردن ومصر والحجاز . لذلك فاسم هذه العائلة (الطباع) منتشر فى جميع البلاد العربية " [1].

---

(١) انظر: إتحاف (جـ ٣/ ٢٩٥ ـ ٣٠٢) بتصرف.

• شيوخه واساتذته:

١ - رحلته الى الأزهر الشريف سنة ١٣٠٠هـ:

كان الشيخ عثمان تعلق شديد بالعلم وتعلمه وتعليمه . وكان متعطشا لأن ينهل من معينه أينما حل وأينما كان . وهكذا طالب العلم حيث أنه كما ورد في الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال» .

وكان شيخنا من طلاب العلم وطالبيه فقد طلب العلم منذ نعومة أظفاره ومنذ أن توجه إلى الأزهر واستمع إلى دروس العلماء الأجلاء آنذاك ، فقد استمع الى دروس كبار العلماء فى الأزهر الشريف كالإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية ، والعلامة الفقية الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى الأزهرى[1] الذى خلف الإمام محمد عبده فى الإفتاء ، والشيخ سليم البشرى ، والشيخ محمد السملوطى والشيخ أحمد الرفاعى . حيث أخذ عنهم الكثير فى مختلف العلوم.

وبصدد فترة تعلمه فى الأزهر الشريف حرص شيخنا الفاضل على الاستجازة من العلماء الذين أخذ عنهم حيث أنه توجد له ثلاث إجازات:

الأولى: من الشيخ العلامة محمد بخيت المطيعى وهى فى الفقه وفى السيرة النبوية.

والثانية : من الشيخ أحمد الرفاعى المالكى الأزهرى سنة ١٣٢٢ هـ.

والثالثة: هى من الشيخ حسن رجب السقا خادم العلم بالأزهر الشريف ١٣٢٢ هـ.

وموضوع هذه الإجازت هو: تسلسل السند واعطاء المجاز الحق فى إذاعة ورواية الحديث أو مجموعة الأحاديث أو كتاباً معيناً منصوصاً عليه فى الإجازة. فإجازة الشيخ المطيعى له فى الفقه حيث يروى بسنده إلى أن ابن عابدين. والشيخ أحمد الطحطاوى الثانية وهى اجازة برواية كتاب «الشفا» للقاضى عياض حيث قال فيها: «وأروى الشفاء

---

(١) ذكر الطباع أن الشيخ المطيعى قد أجازه ذكر ذلك فى كتابه: «سند العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ أحمد الطهطاوى الحنفى ويليه سند عمدة المدققين الشيخ محمد أمين بن عابدين تغمدهما الله برحمته ورضوانه «قال فى الورقة الثانية عشر منه «وانى مجازٍ بما فى هذا الثبت من أسانيد الفقه عن شيخنا العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى الأزهرى عن شيخه الإمام الوحيد والهمام الفريد الشيخ عبد الرحمن البحراوى عن شيخه العلامة والعمدة الفهامة الشيخ محمد الكتبى عن شيخه العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ أحمد الطرابلسى الحنفى » اهـ .

أيضا بالسماع من شيخنا العلامة الوحيد الشيخ محمد بخيت المطيعى الأزهرى رئيس المجلس العلمى بمصر سمعته منه فى أشهر عديدة بعد العصر فى الجامع الحسينى بمصر». أ. هـ .

إلى أن يصل سنده بيحيى بن محمد الأنصارى المعروف بابن الصائغ عن القاضى عياض والتافلاتى المغربى المالكى الذى تحنف وتولى افتاء القدس وهو يروى أيضا عن الشهابين أحمد الملوى والجوهرى وتوفى فى بيت المقدس ١١٩١ هـ.

والإجازة الثانية هى من الشيخ أحمد الرفاعى أجازه قائلا: «. . . أما بعد. . . طلب منى ولدنا الفاضل والأغر الكامل الشيخ عثمان الطباع الغزى الإجازة به ليتصل سنده بأيمته فقلت : أجزته بكتاب الشفا فى حقوق المصطفى . صلى الله عليه وسلم - كما أجازنى به وتلقيت عنه شيخنا الولى الصالح الشيخ مصطفى المبلط الشافعى رحمه الله سماعاً منه وقرئ عليه وأنا أسمع عن شيخه العلامة محمد الشنوانى إلى آخر سنده». أ. هـ. حررت الإجازة بتاريخ ١٤ ربيع الثانى ١٣٢٢هـ.

والإجازة الثالثة التى أجازه بها الشيخ حسن رجب السقا الشافعى خادم العلم بالأزهر الشريف حيث وصف الطباع فيها: «بالإمام الكامل والهمام الفاضل والجهبذ الأغر اللوذعى الأريب والألمعى الأديب - ولدنا الشيخ عثمان أبى المحاسن ابن السيد مصطفى الطباع الغزى أيده الله بالمعارف ونصره - طلب منى اجازه ليتصل بسند سادتى سنده ولا ينفصل عن مددهم فى سلك قد فاق غيره وبهر فأجبته وان لم آكن لذلك أهلا رجاء أن ينتشر العلم وأنال من الله فضلا وأنجو فى القيامة مما للكاتمين من الضرر فقلت : أجزت المومئ إليه بما يجوز لى روايته ونصح عنى درايته من كل حديث وأثر . ومن فروع وأصول ومنقول ومعقول وفنون اللطائف والعبر ، كما أخذته عن الأئمة السادة والأكابر القادة مسددى العزائم فى استخراج الدرر منهم ملاذنا الفهامة الكبير بوأه الله اسنى مقر عن شيخه الشهاب أحمد الملوى . .الخ).

وهكذا نرى من هذه الإجازات مدى حرص الطباع على الأخذ عن العلماء فهذه الإجازات فى الحديث الشريف وفى الفقه وفى السيرة . وهذا ان دل على شيئ فإنما يدل على الموسوعيةوالشمولية فى طلبه للعلم وهذا جميعه قد اثر فى ثقافته وصقل موهبته ليتبوأ مركز الإمامة والصدارة بعد ذلك . وبالذات بعد أن عاد الى مسقط رأسه غزة . ومما يبهرنا فى شخصيته شيخنا الفاضل هو طلبه للإجازات وهو لم يبلغ الا اثنين

وعشرين عاما فتواريخ الإجازات جميعها هو ١٣٢٢ هـ أى بعد مولده باثنين وعشرين سنة ولا غرو فى ذلك فهو سليل أسرة محبه لعلم ولها فيه الباع الطويل[١].

شيوخه واساتذته فى مدينة غزة :

لم يكتفى الشيخ بما حصله من العلوم فى الأزهر كمشايخ هذا الزمان الذين تركوا العلم حال أخذهم الشهادة ، فقد كان شيخنا كما قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه « مع المحبرة الى المقبرة » وهكذا كان الشيخ الطباع ، فالعلماء الذين عنهم فى مدينة غزة أكثر من العلماء الذين أخذ عنهم فى مصر، حيث كانت غزة تغص بالعلماء من حل حدب وصوب ، ولو أطلعنا على عدد العلماء الذين كانوا ضمن جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجمعية الهداية وجمعية الإرشاد لأخذتنا الدهشة أثر ذلك.

ولربما كان سبب كثرة العلماء فى ذلك الوقت هو مجىء الإنجليز كما يقول الشيخ عبد الحميد السائح فى مذكراته: «. . . وبعد مجىء الإنجليز شعر أهل الغيرة فى نابلس بالحاجة إلى وجود علماء لتفقيههم فى دينهم وتعليمهم واجباتهم الدينية فى مقاومة الاحتلال، فتألفت لجنة من العلماء والوجهاء فكنت ضمن من وقع الاختيار عليهم»[٢].

ومن الممكن جداً أن الأمر كان فى غزة تماماً كما هو فى نابلس فالأحوال فيها لم تكن تختلف حسب ما ذكر دروزه أيضاً فى مذكراته[٣].

وقد تمركز جميع هؤلاء العلماء فى الجامع العمرى وحوله قبل أن تكون مكتبته الزاخرة. ومن هؤلاء العلماء :

١ - الشيخ أحمد بسيسو الحنفى : فهو الإمام العلام العلامة ، والحبر الفهامة ، تاج العلماء المحققين ، وسراج الفضلاء المدققين ، نادرة الزمان ، حامل لواء العرفان ، صاحب الفضل العلامة شيخنا الشيخ أحمد بسيسو ابو المعالى ابن الحاج أحمد سالم بن

---

(١) ذكر الشيخ ذلك أثناء حديثه عن أسرته فقال عن جده حامد الطباع الذى جاء لغزة واستقر فيها: «وكان يحرص على صحبة المتقدمين ومجالسة العلماء والصالحين ويكثر من البحث وحضور الدروس العلمية وحفظ الكتب الفقهية والتاريخية والأدبية حتى كمل عقله وتم إدراكه وظهر أمره» انظر: إتحاف (جـ٣ ص٢٨٦).

(٢) انظر: مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح (فلسطين) «لا صلاة تحت المحراب» ص٩. نشر فى بيروت سنة ١٩٩٤م مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(٣) انظر: مذكرات محمد عزة دروزة جـ١/ ص(٢٤٩ ـ ٢٥٠) (سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن (١٣٠٥هـ ـ ١٤٠٤هـ) ١٨٨٧م ـ ١٩٤٨م) بيروت: دار الغرب الإسلامى.

بسيسو - الخانى نزيل مدينة غزة ابن يوسف بن أحمد الملقب بسيسو العالم الكبير ، والفقيه الصوفى المعمر الشهير شيخ العلماء والطرق الصوفية بمدينة غزة البهية[١].

٢ ـ الشيخ حامد السقا النويرى الحنفى[٢]: العلامة عمدة الفقهاء، وعمدة الفضلاء، جلال العصر، وكمال القطر فقيه النفس الشيخ حامد ابن الحاج أحمد ابن السيد يوسف السقا ابن الشيخ أحمد بن صلاح الدين النويرى الحنفى ولد بغزة سنة ١٢٥٠هـ. ثم أخذ فى تحصيل العلم... وارتحل إلى مصر ١٢٧٢هـ، وأقام فى الجامع الأزهر ست سنين جد فيها بتحصيل العلوم على الأساتذة الأجلاء والجهابذة الفضلاء[٣]..وأخذ عنه ـ المترجم وأجازه برواية عدة كتب حيث إن الشيخ السقا كان ملازمًا لقراءة دروس الفقه للطلاب بعد الشمس وبعد العصر كما يقول الطباع وقرأ «شروح مراقى الفلاح» «ومنلا مسكين»، «والعينى على الكنز»، و«الدر المختار على التنوير» مرات كثيرة مع تتبع حواشيها، وقد حضرت عليه أكثر ذلك، ولازمته ثلاث سنين وانتفعت منه، وأجازنى بما أجيز به، وكان رحمه الله يذاكرنى فى الفتاوى والمهمات، ويعتمد على مراجعتى ونقلى لنصوص المذهب، وكان لا يضن بفوائده ودقائقه، ويحب مذاكرة العلم والاشتغال به... وله فتاوى كثيرة محررة منقحة لكنها لم تدون، ولازمته فى المكتب سنتين وفى الجامع الكبير مدة الطلب ثلاث سنين... أصابه مرض الوباء (الكوليرا) وكان أول وطأته، فتوفى سنة ١٣٢٠هـ. ولما وصل خبر وفاته لغزة هرعت الناس إلى الجامع الكبير، وضجوا بالبكاء والتأسف، وعملوا له الختمات ثلاث جمع متواليات على حسب العادة... ولما بلغنى خبر وفاته قلت فى رثائه:

المرء يفنى وإن فى العمر تطويل   وما نعيم الأولى إلاّ أباطيل[٤]

وهذا ما يدل على وفاء المترجم لشيخه رحمهما الله جميعًا.

---

(١) انظر ترجمته فى الإتحاف جـ ٤ ص ٢٩٦ - ٣٠٩ .

(٢) انظر ترجمته فى الإتحاف ص٣٣٠ ـ ٣٤٢. وقال عنه الشيخ أحمد بسيسو فى كشف النقاب: «... وهو فقيه محقق ص٦٩ ـ ٧٠».

(٣) توجد إجازة بخط الشيخ محمد الرافعى الحنفى مفادها: «إجازة الشيخ حامد السقا برواية جميع مرويات الشيخ الرافعى. وتوجد إجازة أخرى بتاريخ سنة ١٢٧٨هـ. من الشيخ مصطفى المبلط والشيخ على الغزى المخللاتى الشافعى برواية جميع مروياتهما. وهناك إجازة ثالثة من الشيخ إبراهيم الزرو الخليلى برواية جميع مروياته وهناك أيضًا جميع نصوص هذه الإجازات المخطوطة بحوزة المحقق.

(٤) نفس المصدر السابق ص٣٣٧.

٣ - الشيخ سليم شعشاعة : العلامة فخر العلماء المدرسين وصدر الفضلاء البارزين عين الأماثل ، وزين المحافل الشيخ سليم ابن الحاج خليل شعشاعة العلمى[١] أخذ عنه الطباع وقرأ عليه بعض الكتب وذكر أنه قد حضر كثيرا من دروسه واطلع على تصانيفه. وقال عنه: إنه كان شغوفا بالعلم لا يرى إلا مطالعا أو مدرساً ، أو محررا دائم الإشتغال مغتنما للأوقات ، فلا يضيع وقته بلا عمل[٢].

٤ - السيد حنفى عبد الحى الحسينى الحنفى المفتى بغزة: العالم الأجل الفقيه ، والصدر الأمثل الوجيه السيد حنفى مفتى غزة وابن مفتيها ، وابن ابن مفتيها[٣] الناهض المقدم، والبارز بين حاضرها وباديها.

٥ ـ السيد عبد الحى أفندى الحسينى: العالم الكبير ، والنابغة البدر المنير عين أعيان عصره وصدر كبراء قطره السيد عبد الحى الحسينى[٤]. وقد أشار عليه بإشارات نافعة فى « اتحاف الأعزة » حيث قال : « ولقد استدعانى ليسمع منى ما كتبت فى هذا التاريخ وكان على مسودته فأسمعته وأعجبه واستحسنه ، وأشار بالتحرى والتوسع ، وكثرة البحث والتقيب»[٥].

٦ - الشيخ يوسف شراب الحنفى (١٢٥٤ - ١٣٣٠هـ) : العلامة الحافظ الفقيه ، والفهامة المحدث المفسر النبيه الإمام الأجل والهمام الأمثل الشيخ يوسف بن سالم بن مقبل شراب الحنفى البصير بقلبه ، ولد بخانيونس ١٢٥٤هـ[٦].

٧ - الشيخ حسين وفا العلمى الحنفى : فخر العلماء الكرام ، وصدر الفضلاء الفخام الشيخ حسين ابن السيد مصطفى العلمى الحسنى المقدسى القاضى بغزة . ابن السيد محمب ابن عين السادات الكرام السيد وفا العلمى نقيب الساد الأشراف بالقدس وناظر وقف الحرمين الشريفين[٧] قال عنه : « وقد وقعت عنده موقعا عظيما وقدم لى هدية قيمة وقد اشتركنا معه فى قراءة صحيح البخارى غير مرة ، ورأيناه على شيخوخته بهمة

---

(١) نفس المصدر ص ٢٤٣ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٤٣ - ٣٤٤
(٣) نفس المصدر ص ٣٤٨ .
(٤) اتحاف الأعزة ج ٤ ص ٣٥٧ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .
(٦) نفس المصدر ص ٣٧٩ .
(٧) اتحاف ٤/ ٣٩٠ .

الشباب لا يكل ، ومن المطالعة والقراءة لا يمل مع المثابرة على الطاعات والحرص على الجماعات ، وحسن المحضر ، والأمانة فى العلم ، والتثبت فى النقل ، وكان يحيل عليّ فى الفتوى ، وقرظ كثيرا من مصنفاتى نثرا ، ونظما وأعجب بها . وقد وجهت إليه رتبة رؤس مدرسين ، وانتخبناه فى سنة ١٣٥٠ هـ ، رئيسا لجميعة الهداية الإسلامية التى صار تشكيلها بغزة وأنابنى عنه فى شؤونها بعد أن اعتراه الكبر وضعف الجسم»[١].

٨ ـ **الشيخ حسن الشوا الشافعي**: العلامة عين النبلاء المدرسين، وزين الفضلاء المحققين، العلم البارز الأكمل، والشهم الناهض البطل «الشيخ حسن، ابن السيد هاشم، ابن السيد خليل الشوا الشافعى» الفقيه الأمثل الأديب والنبيه الأجل النجيب، ولد سنة ١٢٩٢هـ، ثم قرأ القرآن وتعلم الخط والكتابة، وأخذ بتحصيل العلم بغزة، سنة ١٣٠٤هـ على العلامة «عبد اللطيف الخزندار» والشيخ «سليم شعشاعة» وغيرهما، ثم رحل إلى الأزهر سنة ١٣٠٥، وجد فى التحصيل على شيوخ عصره[٢]، أخذ عنه الشيخ عثمان وقرأ عنده بعض كتب النحو والصرف والبيان والعروض والتجويد والفرائض، وكان يقرأ فى اليوم أربعة دروس خلاف درس العامة، ويقيم فى الجامع الكبير من أول النهار إلى آخره لحرصه على العلم وحبه للاستفادة والإفادة. أ. هـ[٣].
توفى سنة ١٣٢٠هـ.

وهكذا نستطيع أن نقول بأن هؤلاء الشيوخ هم الذين أخذ عنهم مشافهة وقراءة وبحثًا وتمحيصًا للكتب التى كانت تقرأ فى مجالسهم ويستمع لها والكتب التى كان يقرأها عليهم ويجيزوه بها.

ولربما هناك كثيرًا من الأساتذة والشيوخ الذين تتلمذ عليهم ولكننا لا نعرفهم، أو لم نقف على البعض منهم، ولكن أظن أننا قد وقفنا على الأغلب منهم، والله وحده أعلم.

* * *

(١) نفس المصدر ص ٣٩٤ .
(٢) إتحاف ٤/ ٤٢٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٢٦ .

• أصدقاؤه ومعارفه:

كان للشيخ عثمان مجموعة كبيرة من الأصدقاء والمعارف فى داخل فلسطين وفى الخارج، وبقيت لدينا عدة أسماء محفوظة من خلال مكاتباته ومراسلاته وقد تنوعت صداقاته ومعارفه فمنهم رجل الدين ومنهم السياسى ومنهم الأديب ومنهم التجار والأعيان وأصحاب المناصب ومن أهم أصدقائه:

١ ـ الشيخ محيى الدين الملاح[1]:

ولد سنة ١٨٧٦م، وتوفى سنة ١٩٥٢م. أى بعد وفاة الطباع بسنتين، وهو شاعر مفلق. ذكره الطباع فى الإتحاف وأثنى عليه[2]. وهو صاحب القصيدة التى قرظ بها «إتحاف الأعزة» حيث قال فيها:

لقد أتحفت عثمان الأعزة بخير مؤلف تاريخ غزة.

حسرت نقابها فبدت تهادى .... إلخ القصيدة[3].

وقد نعته الطباع بالعلامة الأديب والفهامة... وقد عرف بالاستقامة والصلاح والأخلاق الكريمة والمزايا الحسنة وله مؤلفات تدل على طول باعه وسعة اطلاعه منها: عمدة الحكام ومن يتردد على المحاكم، ونظم الدر المنثور من الحكم والأمثال والمأثور، ونظم «متن الحكم السكندرية» وقد طبعت ومنها: «سمر التمر فى مولد خير البشر»[4].

٢ ـ الشيخ سعيد أفندي أبو شعبان:

قال عنه: «صاحبنا العلامة الفاضل والفهامة الكامل الشيخ سعيد أفندى، وقد سبقنى إلى رحلة الجامع الأزهر، ثم أدركته فى سنة ١٣١٨هـ، فقابلنى مع الإخوان الغزية فى المحطة وظهر سروره بقدومى فأنزلنى فى محله برواق الشوام ثلاثة أيام، وكان رحمه الله ـ كريم النفس، حسن الأخلاق، ثم حضر لغزة وقرأ الدرس الخاص للعلماء حسب

---

(١) انظر ترجمته فى كتاب «من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين» ليعقوب العودات ص(٥٩٦ ـ ٥٩٧).

(٢) انظر إتحاف مج٣ ص٤٤٤.

(٣) راجع القصيدة ص٥ فى مج ١ من الإتحاف.

(٤) نفس المصدر السابق ص٤٤٤

العادة وظهر تحصيله وفضله واقتداره، ثم تعين معلمًا بالمدرسة الأميرية وإمامًا لجماعة الحنفية، ومدرسًا بالجامع الكبير ثم عين وكيلاً للقضاء والإفتاء مدة يسيرة، ورفعت عنه وظيفة التعلم ولم تعينه إدارة المعارف لأسباب حزبية حتى استقال من وكالة الإفتاء ونقلته معلمًا لمدرسة الرحلة وبقى بها إلى أن توفى سنة ١٣٥٥هـ[١].

٣ ـ خلوصي عمر بسيسو:

الأستاذ الألمعي، الجهبذ اللوذعي الشيخ خلوصي المتخصص باللغة العربية وقد أحرز الشهادة العالية وتعين معلمًا بالجليل والسبع[٢].

٤ ـ الشيخ عبد الله الغصين الشافعي:

(١٢٥٦ ـ ١٣٢١هـ) (١٨٤٠ ـ ١٩٠٣م). قال عنه بعد أن ترجم له: «... كان رحمه الله ـ كبيراً محترمًا ووجهًا مقدمًا، ذا حشمة ووقار يسر به أنيسه، ولا يمل جليسه، وقرظ شرحى: الديباج المنثور على زورق البحور فى علم العروض وأنا بالأزهر، وكان بينى وبينه مكاتبة متواصلة مما قلته فيه وكتبت به إليه:

عيون المها تسبى نهى كل ناظر وقلب الأولى يدمى بسهم النواظر

توفى سنة ١٣٢١ هـ فى ١٦ شعبان وشيعت جنازته فى مشهد عظيم[٣].

٥ ـ الشيخ محمد سعيد مراد الحنفى:

العلامة الذكى اللبيب والفهامة الألمعى النجيب محمد سعيد ابن الفاضل الشيخ عطا، ... ابن الشيخ محمد مراد الحنفى الأصولى النبيه القاضى الفاضل ـ العفيف الكامل ... كان مثالاً للنشاط، والإقدام والتضحية، والمفاداة فيما أخذه على نفسه من نشر الثقافة العربية[٤].

٦ ـ الرئيس الحاج سعيد أفندى الشوا:

قال عنه: «الوجيه الكبير، والرئيس الخطير، عين الأعيان الكرام، وصدر الرؤساء الفخام، الأجل عزيزنا الأمثل» «الحاج سعيد أفندى» ابن المرحوم السيد محمد أبو على، ابن السيد خليل ابن السيد صالح، ابن السيد خليل الشوا. ولد بغزة سنة ١٢٨٥هـ، .. تعين رئيسًا لمجلس بلدية غزة وبقى بها من سنة ١٣٢٤ هـ إلى الاحتلال: وقد أكسبته

(١) انظر إتحاف (مج ٣ ص٢٠).
(٢) نفس المصدر مج ٤ ص٣٠٩
(٣) نفس المصدر السابق ص٣١٣.
(٤) انظر ترجمته بالتفصيل مج٤ (ص٤١٧ ـ ٤٢٤).

أسفاره إلى «سوريا» والآستانة ومصر وصحبته للعلماء والأعيان ووجهاء البلاد حنكة ومعرفة وإدراة. . . وتوفق وملك القلوب بما أوتيه من حسن الأخلاق والسياسة، والتودد إلى عموم الناس، حتى أصبح فرداً يشار إليه، وركنًا يصار له ويعتمد عليه. وفى أوائل الحرب العامة اعتمدته الدولة العثمانية لجمع المؤن، والأدوات العسكرية، ومهمات الجيش، وعينته رئيسًا لتلك اللجنة وتعهد بالحبوب وغيرها، ثم عينته وكيلاً عن قائمقام غزة، وخدمته الحكومة الملكية والعسكرية، وتوجهت عليه عدة نياشين، ورتب سامية. . . وبالجملة فقد كان رحمه الله ـ من الوجهاء النابهين، والنبلاء النابغين مجيداً عاقلاً، ونبيهًا مدبراً، توفى فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ، وقد ضجت البلاد لفقده، ثم شيع بجماهير كثيرة، حضرت من أطراف البلاد «بفلسطين» وغيرها[١].

٧ ـ الدكتور الحاج محمد توفيق أفندى حتحت:

الطبيب الحاذق، والحكيم الوطنى الصادق . . . صاحبنا ورفيقنا فى الطلب وصهرنا، ولد سنة ١٢٩٩هـ، ثم تردد على المكاتب الابتدائية وأتم تحصيله سنة ١٣٠٩هـ. وحاز على الشهادة العالية فى الطب. . . وثابر على التمرين والتطبيق بالمستشفيات الكبيرة. . . توفى فى ٢٨ شهر رمضان سنة ١٣٥٢هـ. ورثاه الشيخ عثمان بعدة أبيات[٢].

٨ ـ السيد حمدى أفندى الحسينى:

قال عنه: صديقنا ولد سنة ١٨٩٩م وتعلم تعليمًا عاليًا حتى إنه أجاد عدة لغات منها: الأسبانية واليونانية والإيطالية والألمانية والتركية والفارسية والعبرية.

ترأس القائمة الوطنية فى غزة سنة ١٩٤٦م، ففازت قائمته فوزاً كبيراً، وكان من المرشحين لرئاسة بلدية غزة، إلا أن سلطات الانتداب البريطانى حالت دون ذلك[٣].

وهناك الكثير من صداقاته وأقرانه لا يحصرهم هذه السطور ولو اطلعنا على قائمة جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٤] أو جمعية الهداية أو جميعة الإرشاد[٥] لكانت النتيجة هى أن جميع أعضائها على الأقل من معارفه وأقرانه والكثير منهم أصدقاء له.

(١) انظر ترجمته المفصلة ص٤٣٥ ـ ٤٤٧ فى مج ٤ (إتحاف).

(٢) انظر ترجمته فى (ص٤٤٨، ٤٤٥).

(٣) انظر ترجمته ص٤٥٦ ـ ٤٥٨.

(٤) جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تأسست فى غزة بناء على قرار مؤتمر علماء فلسطين الأول المنعقد بالقدس فى ٢١ شوال ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م وبلغ عدد أعضائها ٤٣٤ عضواً.

(٥) جميعة الإرشاد وكانت تدعو إلى الأخلاق الإسلامية، والعلم النافع، والأدب الرفيع، والخلق =

• أعماله والمناصب التي شغلها:

قام الطباع بعدة أعمال منها الدينية والعلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وشغل من المناصب:

خطيب الجامع العمرى الكبير ـ وأمينًا لمكتبته.

وكان رئيسًا لجميعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وترأس أيضًا جميعة الهداية الإسلامية وإلى جانب ذلك كانت له عدة نشاطات سياسية قارع فيها دولة الانتداب البريطانى، وهناك عدة مكاتبات وعدة رسائل تدل على ذلك من حيث رفضه لمجمل ما كانت عليه إدارة الانتداب.

دوره فى إنشاء مكتبة الجامع العمرى الكبير:

أظن أنه من أهم الأعمال التى قام بها الطباع بعد تأليفه كتاب «إتحاف الأعزة» ومجموعة مؤلفاته الأخرى هو إلى جانب نشاطاته الدينية والسياسية هو قيامه بإنشاء مكتبة الجامع العمرى الكبير فى مدينة غزة. وقد تحدث عن نشأتها وعن دوره فيها فى قسم التاريخ من الإتحاف[1]. وهناك عدة مكاتبات ومراسلات بينه وبين المجلس الإسلامى الشرعى الأعلى فى فلسطين برئاسة الحاج أمين الحسينى آنذاك مفادها: تزكية الشيخ عثمان وطلب مأمور الأوقاف فى غزة بتاريخ ٢٠/٨/١٣٥٤هـ الموافق ١٧/١/١٩٣٥م. يطلب فيه تعيين فضيلة الأستاذ الشيخ عثمان أفندى الطباع قيمًا على مكتبة الجامع العمرى الكبير لضرورة ذلك ولاهتمامه فى جمع كتبها ومساعيه المشكورة فى تنظيمها، وحيث إن فضيلته أهل لهذه الوظيفة وأمين على هذه المكتبة، ولما نعهده فيه من غيرة عليها، وحيث إنها من الجهات العلمية وظيفة لجنة توجيه الجهات، كما هو مبين فى ذلك، لذلك فإننا نقرر تعيين فضيلة الأستاذ الشيخ عثمان أفندى الطباع حافظًا لهذه المكتبة وقيمًا على إدارة شؤونها، تحريراً فى اليوم الحادى والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية الموافق ١٨/١١/١٩٣٥. توقيع مأمور الأوقاف: والشيخ خليل الحليمى ورئيس لجنة التوجهات.

وكان عدد كتبها حسب ما ورد فى وثيقة أخرى مؤرخ فى ١٧/١١/٣٥م (٢٤٦٥)

= الكريم والعمل المجيد. تأسست فى غزة فى ٥ ربيع أول ١٣٥٣هـ ومركزها غزة هاشم. بلغ عدد أعضائها ٦٢ عضواً واثنى عشر فى مجلس الإدارة.

(١) انظر مج ٢ (ص١١٦ ـ ١٢٦).

وكل ذلك كان مهمة ومساعي فضيلة الشيخ عثمان الطباع حسب ما جاء في الوثيقة الآنفة.

وتوجد عدة مكاتبات يطالب فيها الطباع بميزانية لشراء وتجليد الكتب وبعض الأدوات والأثاث وطالب أيضًا بمراسل أفراش للقيام بتنظيف المكتبة وتقديم الشاي والقهوة.

وفي مكاتبة أخرى من قبل مأمور أوقاف غزة. بتاريخ ٣/ جمادى سنة ١٣٦١هـ الموافق ١٩/ ٥/ ١٩٤٢م، فيها الشيخ عثمان الطباع يخاطبه فيها بأمين مكتبة جامع غزة العمري الكبير - المحترم.

ويطالبه بعمل فهرست عام ليضمن جميع موجودات المكتبة من الكتب مرتبًا ترتيبًا بحسب ذوقكم السليم (كما قال له) وذلك بناء على طلب المرجع الأعلى المؤرخ في ١٧ مارس سنة ١٩٤٢م وفي وثيقة أخرى مفادها: ترسيم وتعيين الشيخ الطباع أمينًا لمكتبة العمري براتب شهري وقدره جنيهان فلسطينيان بما في ذلك علاوة غلاء المعيشة وذلك اعتبارًا من أول حزيران سنة ١٩٤٢م والوثيقة بخط المدير العام للأوقاف في فلسطين المخول من المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى.

وقد حكى لنا الطباع قصة المكتبة كما أسلفت في المجلد الثاني من الإتحاف (ص١١٦ - ١٢٦) ثم قام بسرد أسماء وأماكن وجود المخطوطات العربية في العالم العربي والإسلامي (١٢٧ - ١٣٣) من المجلد الثاني. وكما أسلفت عمل لها فهرسًا، جاء في ٨٠ ورقة من الحجم الكبير. واحتوى على إحصاء للكتب لغاية شهر ربيع ثاني ١٣٦٣هـ[1]. وأثبت في مقدمة الفهرس جميع أعداد الكتب بمختلف أشكالها وفي جميع فروع الثقافة الإسلامية، حيث بلغت (٢٥٦٠) كتابًا. ثم عمل لها نظامًا دونه في مقدمة الفهرس ووقع عليه مأمور أوقاف غزة آنذاك (سعيد عبد اللطيف) وصدر الفهرس بالائحة الداخلية للمكتبة وأورد فيها كل ما يتعلق بقرارات المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في فلسطين بشأن المكتبة وبصدد تعيينه رئيسًا لها، وقيمًا عليه ومن ذلك يتبين حب المؤلف للكتب والمكتبات وتعلقه بها ونضاله من أجل الحصول عليها (يقول: ورأيت أوراق المصاحف والتفاسير وكتب الحديث وغيره مبعثرة في سائر الطرقات ومنها ما هو ملقى في القاذورات، فتذكرت بذلك وقعة الأندلس ووقائع التتار، وما اقترفوه

(١) بصدد الوضع الحالي لهذه المكتبة وتاريخها وما آلت إليه انظر كتاب: المساجد الأثرية في مدينة غزة «للمحقق».

بها، فخرجت منها لهفًا وبكيتها حزنًا وأسفًا... ثم توجهت إليها ثانية وانتظرت سكوت المدافع حتى تمكنت من دخولها فى يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان ١٣٣٥هـ. فقصدت كومندان الرملة، فآنسنى ورحب بى وأرسل معى نفراً من العسكر ليساعد من كان بصحبتى على استخراج بقية كتبى من مخبأها ويحافظ علينا، حتى نخرج منها[1].

وهكذا نرى كيف خاطر شيخنا بنفسه فى سبيل الكتب وكيف ناضل لينقذ تلك الكتب والمخطوطات من أيدى الهلاك ومن بين الركام. وقد أسس الفقيد بصنيعه هذا مكتبة الجامع العمرى الكبير، هذا الصرح العلمى الذى ما زال يؤتى ثماره إلى اللآن. يؤمه الطلاب والدارسون من كل حدب وصوب.

• ثقافته وعلمه وموسوعيته:

تعددت النواحى الإبداعية والعلمية لدى الطباع. ومن هنا تكمن الصعوبة فى البحث فى شخصيته، فهو متعدد المعارف ومختلف المواهب، وموسوعى الثقافة. اجتمع فى شخصيته العالم الأزهرى، رجل الدين، والداعية الذى يصدع بالحق ويجاهر به رغم صعوبة الظروف والأحوال. وهو الكاتب والمؤلف فى مختلف العلوم، حيث بلغت قائمة مؤلفاته حوالى اثنين وأربعين كتابًا، عدا إتحاف الأعزة. ومعظمها يدور حول العلوم الإسلامية من أصول دين ومنطق وحديث شريف وفقه، وشروح لبعض الكتب المهمة. وأهم كتاب له فى الشريعة الإسلامية هو كتاب: «منتخبات الفتاوى العثمانية الغزية» وهو من القطع الكبير ويحتوى على أربع وثمانين ورقة وهو مخطوط. ولم يتيسر طباعة أىٍّ من هذه الكتب إلاّ كتاب «هداية الرحمن فى هدم البدع وترك التنباك والدخان» وهى رسالة صغيرة فى ٢٠ صفحة[2].

ويبقى أوسع كتاب له فى العلوم الإسلامية هو كتاب «**منتخبات الفتاوى الغزية**».

حيث إنه مجموع فتاوى له جمعها فى هذا الكتاب وقسمه على أبواب الفقه بدءاً بالطهارة وانتهاءً الوصايا والوقف وغيره. وفيه مجموعة من الفتاوى التى تمس القضايا المعاصرة، وبالذات السياسى منها. حيث أجاب الكاتب على عدة أسئلة كبيع الأرض لليهود، وخطورة التعامل مع أعداء الأمة.

---

(١) انظر: إتحاف جـ ١ (٣١٥ ـ ٣١٦).

(٢) طبعت هذه الرسالة فى مطبعة الترقى بيافا سنة ١٣٤٣هـ على نفقة الشيخ سعيد أفندى.

الطباع وموقعه بين المؤرخين الفلسطينيين

* مقارنة بينه وبين المؤرخين الفلسطينيين:

يعد الشيخ عثمان الطباع من أعلام المؤرخين الفلسطينين فى عصرنا الحديث. ويمكن القول بأنه من أهم المؤرخين فى فلسطين، عدا أنه المؤرخ الوحيد لمدينة تعد من المدن الفلسطينية المهمة (غزة). لذلك فالشيخ الطباع يعدٌّ من أقران العلامة المؤرخ الفلسطينى الأستاذ/ عبد الله مخلص الحيفاوى صاحب المؤلفات النادرة وعاشق المخطوطات العربية. ويماثله فى ذلك الأستاذ/ مصطفى مراد الدباغ صاحب موسوعة بلادنا فلسطين والذى زود المكتبة العربية والفلسطينة بمجموعة نادرة من المؤلفات تشرفها الكثير وظل البعض منها مخطوطًا. وعلى رأس هذه المؤلفات كتابه الموسوعة بلادنا فلسطين بأجزائها الإحدى عشر. ويماثله العلامة محمد عزة دروزة المؤرخ المخضرم مؤلف العشرات من الكتب والمراجع الضخمة ويماثله أيضًا الأستاذ أحمد سامح الخالدى ـ المقدسِى الذى نشر العديد من الكتب والنشرات الموثقة ـ التى كان يريد من خلالها أن يثبت عدم مصداقية الدعوة الصهيونيه (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) أثبتها فى كتبه كلها وبالذات «أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين» ففى كتابه هذا قام بتقديم صورة مشرقة للوجه الحضارى المضيء لهذه البلاد مبينًا ومستدلاً بأوثق المصادر التى فحصها وسبر غورها. ويماثله أيضًا الأستاذ/ إحسان النمر مؤلف كتاب «تاريخ جبل نابلس والبلقاء» الذى أورد فيه العشرات من الوثائق والحجج التى لولاه لما عرفنا عنها أى شيء. ففى كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء معطيات هامة ومهمة وإن لم يستفد منها المؤلف فلو لم يمكن إلاّ إيراده لها وتقديمها للباحثين لكفاه ذلك. وأرى أنه فى كتابه كان منهجه يدل على بساطته وأظن أن المادة التى اعتمد عليها يستطيع أن يفيد منها العشرات من المؤرخين فى ذلك. وقد قام بقراءتها بصورة بسيطة حسب مؤهلاته وثقافته إلا أنه يعدٌّ من المؤرخين الفلسطينيين فى القرن العشرين أيضًا عارف العارف المؤرخ الفلسطينى المعاصر مؤلف تاريخ غزة وتاريخ بئر السبع وقبائلها والقضاء بين البدو ونكبة فلسطين والفردوس المفقود فى (أجزائه الست) وتاريخ الحرم القدسى والمفصل فى تاريخ القدس. وعلى الرغم من الملاحظات العديدة التى أبداها وبيَّنها الشيخ عثمان الطباع فى مقدمة إتحاف الأعزة (قسم التاريخ). إلا أنه يبقى فى قمة من أرخ لهذه البلاد وإن كان هناك

بعض التحفظات على بعض ما ورد فى كتابيه المفصل فى تاريخ القدس والقضاء بين البدو. وأخيرًا نستطيع القول بأن الطباع كان فى مادة كتابه ملمًا ومحيطًا أكثر من كل الذين ذكرناهم ففى إتحاف الأعزة كان متنوع المصادر ومتعدد إلى درجة الإفراط فى الاستشهاد من المراجع المختلفة بشتى صورها، إن كانت مخطوطة أو مطبوعة من نقوش ومخطوطات ورقوم وحجج شرعية ووقفيات ووثائق وسجلات شرعية ودفاتر عثمانية خاقانية كل هذه المصادر تمثلها الطباع فى إتحاف الأعزة وأراد من خلالها أن يقدم لنا صورة حية ومرئية ومؤرخة لهذه البلاد. بل تجده أحيانًا وكأنه يريد أن يطلعك على حوليات هذه المدينة بشتى أشكالها ونواحيها. ثم بعد ذلك تأخذك الدهشة من قوة ملاحظاته وتعدد نظراته ومدى إستيعابه لأحوال البلاد بشتى صورها العلمية والحضارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. هذا عدا المصادر التى اندثرت وهى غير متوفرة الآن. بقسميها الكتابى والميدانى: فالكتابى هو مجموعة الماكاتبات والوثائق والدفاتر الخاقانية. فقد أرخ لنا من ذاكرة الأجداد الذين سبقونا، وأشار هو لذلك. ولو حسبنا هذا المصدر لوجدنا أنه يعود لمائتى سنة قبل وجود المؤلف حيث أنه أخذ عن المسنين الذين كانوا يكبرونه بأكثر من ثلاثة عقود. وهم أخذوا عمن يكبرونهم بنفس النسبة أو أكثر. ولم نسمع بالتأريخ الشفوى إلا فى عصرنا الحديث إلا أن شيخنا قد كان رائدًا فيه. وهو متمثل فى ذلك لعلوم الإسلام الأولى علم الحديث الشريف بشقيه علم الرواية والدراية هذا المنبع الذى تقدم فيه المسلمون على جميع الأمم استفاد منه الطباع حيث أنه رجل دين فى المقام الأول وصاحب منهج ومذهب وله فى ذلك باع طويل. وأظن أنه تمثل ذلك ووصل هذا الجانب بالتاريخ أى كان حلقة التى اطلع عليها مؤرخنا الجليل وحسب علمى وحسب ما وقفت عليه أن سجلات غزة العثمانية مفقودة ولا يوجد منها إلى سجلين فى مدينة دمشق وحسب رواية البعض بأنها قد سقطت من الطائرة أثناء نقلها إلى إستانبول. ولكن شيخنا قد اطلع عليها وأفاده منها أيما إفادة.

ومصدر آخر هو: الرقوم والنقوش والكتابات التى كانت على المبانى والجدران والعمائر بشتى أشكالها الدينية والمدنية فقد قرأها شيخنا وسجلها فى كتابه ولولاه لما عرفناها. فقد نقلها لنا بكل دقة وأمانه وهى تعتبر وثيقة خالدة على تواجدنا فى هذه البلاد.

المصدر الآخر وهو المصدر الميدانى: وهذه ميزة لم تتوفر لأى مؤرخ فلسطينى فى القرن العشرين حيث ـ ابتدع المؤلف أسلوب التأريخ الشفوى والوصل بين علم الرواية

الإسلامية وبين منهج التأريخ الشفوى. وهو فى ذلك ملتزم بالمنهج العلمى الاستردادى التوثيقى الذى هو فى جوهره منهج علم الحديث لدى المسلمين. وفيه قال بعض المستشرقين أنه قد كفا المسلمين فخراً فى ذلك.

وأعود للقول بأن هذا المصدر التاريخ الشفوى نجده واضحًا فى الجزء الثانى من الكتاب المخطوط فى الأنساب والعائلات حيث إن جميع ما أورده قائم على المعاينة والمشاهدة والمعايشة ومن ثم معرفة أصول وجذور هذه العائلات، ونجد ذلك فى القسم الثانى من التراجم حيث أنه ترجم لكثير من العلماء الذين عاصروه وعددهم يعد بالعشرات. فلو لم يترجم لهم لما عرفنا عنهم إلا النزر اليسير القائم على الشفاهية أما الطباع فقد وثقه وقدمه للأجيال ليقول: هكذا كان من سبقونا. فلنكن مثلهم.

* * *

مؤلفات الطباع المخطوطة

١ ـ إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة (النسخة المسودة): ٤٢٨ صفحة ، ١٩×٢٧سم . ٢٤سطراً . نسخة مسودة الكتاب الأساسى . انتهى مؤلفها من كتابتها سنة ١٣٣٠هـ، والنسخة المبيضة فرغ منها بتاريخ ١٩٤٧/٥/١٨م ، وقد تم تبيضه بعد أن اطلع عليه "أمير البيان" شكيب أرسلان،والعلامة أحمد زكى باشا، والأستاذ عبد العزيز الثعالبى.

٢ ـ بلوغ المراد فى الأدعية والأوراد .

٣ ـ البدر المنير على مولد الدردير.

٤ ـ الثبت الفريد فى عالى الأسانيد .

٥ ـ التعاليم الدينية فى الخطب المنبرية. ٢١ق ، ١٩س ، مقاس ١٠×٥.١٤سم .

٦ ـ تحرير المقياس فى تقرير القياس .

٧ ـ التقليد والنظر فى أصول الدين والفقه .

٨ ـ تتميم البيان فى تحريم الدخان. ٨ق ، ١٧س ، مقاس ١١×٥.١٤سم .

٩ ـ تنبيه المحاكم رسالة فى اعتبار الإقرار فى غير مجلس الحاكم . وفيها شرح المادة ٦٩ من قانون أصول المحاكمات الحقوقية . ١٠ق ، ٢٠ ـ ٢١س ، مقاس ١٥×٥.١٠سم .

١٠ ـ تنبيه المختار فى شرح المادة ٦٠ من أصول المحاكمات .

١١ ـ الجبايات والعقوبات الشرعية الإسلامية . ١١ق ، ١٩س ، مقاس ١٥×١١سم.

١٢ ـ حاشية على رسالة المدابغى فى ليلة النصف من شعبان .

١٣ ـ حكمة الخبير ونظرة البصير .

١٤ ـ خلاصة الأنساب . ٣٧ق ، ١٧س ، مقاس ٢٠×١٠سم .

١٥ ـ الدروس الأولية للمكاتب الوطنية فى علم الجغرافية والفلك . ١٣ق، ١٦ ـ ٧ ـ ١١س، مقاس: مختلفة المقاس .

١٦ ـ دفتر يتضمن بيان صور ووثائق شرعية وسندات نظامية وأوراق رسمية وفوائد قانونية . ٣٠ق ، ٢٦س ، مقاس ٣٠×٥.١٥سم .

١٧ ـ الديباج المنثور على زورق البحور فى العروض .

١٨ ـ الرحلة والتاريخ وهو يحتوى على رحلة المؤلف لمصر ونشأته وسيرته وتاريخ الأزهر ومشايخه وتراجم كثيرة لمشاهير القرن الثالث والرابع عشر جزء ٢ . وهذه المخطوطة مفقودة ولم نقف عليها .

١٩ ـ رسالة العلامة منلا حسين بن إسكندر الحنفى فى ذم الدخان وتحريمه والترغيب باتباع الشريعة والترهيب من البدعة الخبيثة . ٦ق ، ١٦س ، مقاس ٥,١٤سم .

٢٠ ـ رسالة فى الساعة وأشراطها . ١٩ق ، ١٦س ، مقاس ١٩×١٢.٥سم .

٢١ ـ رسالة فى التقليد والنظر . ١١ق ، ١٩س ، مقاس ١٥×١١.٥سم .

٢٢ ـ رسالة فى المنطق . ١٢ق ، ١٥س ، مقاس ١٢×٨.٧سم .

٢٣ ـ رسالة فى أصول الطرق السنية الصوفية: وهى مطالب علية وتلخيصات سنية من شرح النفحات الندية على الوظيفة الأحمدية للشيخ العلامة والحبر الفهامة الشيخ أحمد بسيسو الغزى الحنفى . ٢٢ق ، ٢٠س ، مقاس ٥,١٥×٥,١٠سم .

٢٤ ـ رسالة الكشف عن مجاوزة هذه الأمة . لجلال الدين السيوطى (نسخة بخط الشيخ عثمان) . ١٤ق، ١٣س ، مقاس ١٥×١١سم .

٢٥ ـ السفينة الأولى .

٢٦ ـ السفينة الثانية .

٢٧ ـ السفينة الثالثة فى الضوابط والفوائد .

٢٨ ـ السفينة الزاخرة فى محاسن الأشعار الفاخرة: للشيخ عثمان الطباع . فرغ من تأليفها سنة ١٣٣٤هـ. ٣١٥ق وهى أشبه بالمجاميع الأدبية .

٢٩ ـ الشجرة الزكية فى طرق الصوفية . (هذا الكتاب مفقود من مؤلفاته وهو ضمن فى ثبت مؤلفاته) .

٣٠ ـ الضرب الغريب فى الرد على الخطيب . ١٦ق، ٢٠س ، مقاس ١٥×٢,١٠سم .

٣١ ـ علم السياسة فى علم الفراسه . ٨ق ، ١٦س ، مقاس ١٥×١١سم .

٣٢ ـ فخامة النبأ فى وخامة الربا . ٢٠ق ، ١٩س ، مقاس ١١×١٥سم .

٣٣ ـ فصل الخطاب فى جواب أسئلة العلامة الشيخ محمود خطاب.

٣٤ ـ فصاحة اللسان فى علم البيان وحاشيته عليها .

٣٥ ـ القول المرتل فى شرح المسلسل بيوم عاشورا .

٣٦ ـ مجموعة الإجازات والشهادات العلمية .

٣٧ ـ مدارك التحقيقات على مراقي السعادات .

٣٨ ـ مناهل الرضوان فيما يتعلق برمضان . ٧٦ق ، ٢١س ، مقاس ١٤,٥×١٢سم[١].

٣٩ ـ منتخبات الفتاوى العثمانية الغزية: ٨٤ق ، ٢٥س ، مقاس ٢١,٥×١٥سم .

٤٠ ـ المنح السنية في تحليل الدخان والتنباك والقهوة البنية . ٢٠ق ، ١٦س ، مقاس ١٥×١٠سم .

٤١ ـ نظم المباني في مبادئ المعاني .

٤٢ ـ هداية الرحمن في هدم البدع وترك التنباك والدخان . ٢٠ق ، ١٦ ـ ١٤س ، مقاس ١٣×١٠,٥سم . وهو الكتاب الوحيد المطبوع من مؤلفاته . طبعت هذه الرسالة على نفقة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد سعيد أفندي الطوباسي بيافا . وقد تم نشر هذه الرسالة في ١٢ شوال سنة ١٣٤٣هـ . يافا: مطبعة الترقي .

٤٣ ـ الورد الصافي في علم القوافي .

* * *

(١) قرظه كثير من العلماء وكتبوا له عدة ملاحظات ومنهم من قرظه شعراً.

• مرضه ووفاته :

في سنة ١٣٦٧ وفي ذي القعدة الموافق ١٩٤٨ /٩/٤ أصيب الشيخ بنوبة قلبية . وقد وكل عنه في الخطابة الشيخ إسماعيل جنينة، إلا أنه كان يؤدي الدرس بنفسه بناء على كتاب بتاريخ ١٩٤٩/٢/٢٣م. وأناب عنه أيضاً الشيخ محمد ناجي أفندي أبو شعبان القاضي الشرعي . ثم تغيب الشيخ عثمان عن الخطابة منذ شهر كانون الثاني ١٩٤٩م بسبب مرضه، فأناب عنه الشيخ عمر أفندي صوان لمدة شهر، وانتهاءً بنيابة إسماعيل جنينة في الخطبة فقط، وكان التدريس للطباع . بعدها تغيب الطباع عن الخطابة ستة أشهر بسبب مرضه، وعجزه وسوء صحته وعدم استطاعته اعتلاء المنبر[١]، وكان لا يستطيع أن يؤدي وظيفة التدريس إلاّ بصعوبة، بعدها سقطت أسنانه الفوقية في ربيع ثاني سنة ١٣٦٩هـ الموافق ١٢/ ٤/ ١٩٥٠م أناب عنه الشيخ محمد ناجي أفندي أبو شعبان، وقام عنه بالتدريس بالوكالة الشيخ عبد القادر جبر[٢] والشيخ إسماعيل جنينة[٣]. وكان نتيجة التشخيص لمرضه هو: التهاب العضلة القلبية مع استسقاء الأحشاء الصدرية والبطنية وتعالج في مصر إلا أنه أسلم الروح إلى بارئها في نفس السنة ١٩٥٠م. الموافق لسنة ١٣٧٠ هـ الثالث من ربيع الثاني[٤].

ودفن في مقبرة الشيخ شعبان ورثاه العديد من أصدقائه ومعارفه، وقد رثاه الشيخ محيي الدين الملاح ـ صديق مسيرته ـ على قبره: بعد البسملة: هو الحي الباقي:

قبرٌ غدا روضة تزدان أفنانًا ... قد ضم خير بني الطباع عثمانا

إلى آخر القصيدة.

توفي إلى رحمته تعالى في ٣ ربيع ثاني ١٣٧٠هـ.

* * *

(١) هذا ما ورد من خلال التقارير الطبية، ومكاتبات إدارية تمت بشأنه.

(٢) عبد القادر جبر يونس: ولد في قرية بربرة قضاء غزة سنة ١٩١٤م ، أنهى تعليمه الديني في الأزهر بمصر حيث عاد إلى فلسطين سنة ١٩٣٦م، عمل مدرساً قبيل النكبة في مدرسة بربرة، قدم إلى غزة وعمل مدرساً في مدرسة الفلاح الإسلامية كما عمل واعظاً وألقى دروساً في عدة مساجد منها المسجد العمري الكبير ومسجد الشمعة وغيره . توفي سنة ١٩٩٣م .

(٣) ولد سنة ١٩١٠م تقريباً، تلقى تعليمه الديني في أزهر مصر، عمل خطيباً وألقى دروساً في عدة مساجد بغزة منها المسجد العمري الكبير ومسجد السيد هاشم وغيرهما . توفي سنة ١٩٦٩م.

(٤) كما هو مرقوم على ضريحه بخط الشيخ محيي الدين الملاح.

دراسة في الكتاب

بلغت المدة التى كتب فيها الطباع كتابه : " ست وثلاثين سنة " حيث انتهى من مسودة الكتاب سنة ١٣٣٠هـ، وهى المرة الأولى وانتهى من تبييضه للمرة الثانية فى ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٦٦هـ الموافق ١٨/ ٥/ ١٩٤٧، كما ورد ذلك فى آخر صفحة من الجزء الأول من النسخة المبيضة، وبين فى بعض أوراقه وذلك من خلال رسالة كان يريد أن يرسلها إلى الملك فاروق ملك مصر، ولكنه لم يرفعها ـ ولا أدرى ما هو السبب ـ وفى مقابل ذلك كانت هناك عدة أبيات من تقريظ الشيخ محيى الدين الملاح أيضاً[1] رفعها من التقريظ . وأظن أن السبب فى ذلك بعدما تكشفت وانكشفت بعض الحقائق بصدد حرب فلسطين وبالذات بعد النكبة . الشاهد فى ذلك هو المدة التى ذكرها الطباع فقال: " هذا الكتاب الذى لم يسبق له نظير المسمى إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة، وهو عدة حياتى، ونتيجة جهود فى مدة تزيد عن ثلاثين سنة، ولو حسبنا ذلك لوجدنا أن المدة بالضبط هى ست وثلاثون سنة، حيث انتهى من المسودة سنة ١٣٣٠هـ. وأرجح أن بداية الكتابة بشكل أولى فى هذا الكتاب (النسخة المسودة) من الإتحاف هى سنة ١٣٢٤هـ . إذن كانت بداية المشروع سنة ١٣٢٤هـ . وانتهى من الجزء الأول على ما ذكر سنة ١٣٦٦هـ فتكون مدة كتابته وتنقيحه وتبييضه ٤٢ سنة اثنتين وأربعين سنة أى ما يعادل نصف قرن تقريباً . والدليل على ذلك هو ما ذكره فى آخر صفحات مسودة الكتاب حيث قال : " وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده وفيه الكفاية والحمد لله فى البدء والنهاية، وكان الوصول إلى هنا والفراغ مما يرائى لنا فى يوم الجمعة المبارك الموافق للثامن عشر من ذى الحجة سنة ١٣٢٥هـ ولم أغفل بعد ذلك عنه، بل بذلت الجهد، وأفرغت الوسع فى البحث والتنقيب، والضبط والتحرير والتهذيب مع رفض الغرض، واتباع الحق وطرح الأهواء وتحرى الصدق، إذ لا شرف للتاريخ بغير ذلك، وقد ضل كثير من الناس فى هذه المسالك، سيما أصحاب الكتب المصنفة فى تاريخ الأمراء،

(١) هذه الأبيات حذفها الشيخ محى الدين الملاح من تقريظ الإتحاف وهى :

وإن قدمت لمليك عصر	يسر بطبعه ويجل حوزه
وفاروق الزمان حق دوماً	نفخر قد حباه الله كنزه
دعاه العنصر السامى لبر	وللعمل المجيد قد استفزه
فلا زالت به الأوطان تسمو	تلوح بها المسرة والمعزة

وتراجم الرؤساء والأعيان فلا يعتمد عليها، ولا يوثق بهل لمخالفتها للعيان، ومن سبر كتب التاريخ غرف عاليها من سافلها وصحيحها من سقيمها . وذكر فى صفة أخرى من خاتمة المسودة أنه انتهى من تبيضها (المسودة) للمرة الأولى سنة ١٣٣٠هـ فقال : " انتهيت من تبيضه فى المرة الأولى وكان الفراغ منه فى يوم الأربعاء الموافق للثانى عشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٣٠هـ، وحينما لاح نور تمامه، وفى نهاية النسخة المبيضة والمنقحة قال : " وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده فى الجزء الأول من كتاب إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة، وكان الفراغ من تنقيحه بعد العصر من يوم الأحد الموافق ٢٧ جمادى سنة ١٣٦٦هـ ، ١٨/ ٥/ ١٩٤٧م على يد مؤلفه الذى أنفق فيه من حياته وعزيز أوقاته السنين العديدة.

* * *

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه

ذكر هذا الكتاب غير واحدٍ من الباحثين الذين كتبوا عن تاريخ هذه المدينة مثل الأستاذ حلمى أبو شعبان فى كتابه «تاريخ غزة نقد وتحليل» سنة ١٩٤٣، والدكتور معين صادق فى كتابه عن الآثار الإسلامية المملوكية فى مدينة غزة. وذكره عارف العارف فى إهدائه كتابه تاريخ غزة فيما أهداه للشيخ عثمان الطباع. وكان هذا الكتاب مصدراً مباشراً لكتاب «أعلام فلسطين فى أواخر العهد العثمانى» للدكتور عادل مناع. وكثيراً ما لاحظت أن الأستاذ «إبراهيم سكيك» ينقل عنه دونما توثيق . أيضًا هذا الكتاب معروف لجميع أبناء مدينة غزة منذ خمسين سنة أو ما يزيد. ولا يجهل هذا الكتاب أحد منهم فالكل يعرف أن الشيخ عثمان الطباع قد كتب كتابًا عن تاريخ غزة وعن عائلاتها. هذا ما يعرفه الجميع. ولا ينكر ذلك أحد.

فقد ذكره الأستاذ حلمى أبو شعبان عدة مرات فى كتابه «تاريخ غزة نقد وتحليل» واستشهد بآراء الطباع أثناء رده على عارف العارف.

وكرر كثيراً اسم الشيخ عثمان الطباع[1]. واستدل من كتابه إتحاف الأعزة فقال عنه: أورد المؤلف فى كتابه «تاريخ غزة لعارف العارف» عن الأماكن الأثرية فى غزة وفيما يلى رأى الأستاذ الشيخ عثمان الطباع، الذى يواصل منذ أكثر عن ثلاثين سنة دراسة تاريخ

(١) انظر: ص ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨.

غزة بالتفصيل وهو مؤلف كتاب «إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة» المعد للطبع[١].

ويشهد أيضًا أثناء رده بصدد قبر المتبولى فيقول: «وجاء فى كتاب إتحاف الأعزة[٢]. وهكذا نستطيع بذلك أن نطمئن إلى أن هذا الكتاب هو من أهم كتب الطباع على الإطلاق وهو معروف لأبناء المدينة منذ ما يقرب من خمسين سنة.

* * *

بداية مشروع الكتاب

كما ذكرت بأن الشيخ عثمان بدأ مشروعه فى كتابة النسخة المسودة، وهى نسخة جاءت فى ٤٢٨ ورقة من الحجم الكبير، وهى مليئة بالحذف والشطب والكشط والإضافة، واحتوت على قسمين فى مجلد واحد، ويوجد تداخل كبير فيها فى المعلومات مما يدل على بداية التدوين والكتابة فيها، فأحياناً نجد بعض المعلومات فى غير محلها . كما نجد فى قسم العائلات، والأنساب حيث وجدنا تداخل حتى فى الترتيب حسب حروف المعجم، إذ لم تكن مرتبة ترتيباً صحيحاً . ويرجع السبب فى ذلك ـ حسب أغلب الظن ـ إلى أن قسم العائلات والأنساب كان الشيخ يريد أن يزيد فيه وينقص . تنقسم النسخة المسودة إلى قسمين: ـ وكل قسم هو بمثابة جزء كبير واحتوى كل قسم على عدة مواضيع، وكانت خطبة الكتاب ثابتة لم تتغير، ولكن التمهيد الذى فى النسخة المعدلة غير موجود إطلاقاً حيث أن التمهيد كتبه للرد على عارف العارف فى كتابه " تاريخ غزة " حيث طبع العارف كتابه سنة ١٩٤٣م[٣] ونوّه بأنه قد أخذ واستفاد من كتاب الطباع ثم تحدث بعد الخطبة عن تاريخ غزة قبل الإسلام وبالذات فى العصور القديمة، وذكر سكان غزة الأصليين، ثم أورد الفترات التاريخية المختلفة لتاريخ غزة حتى العهد الرومانى إلى الفتح الإسلامى (ق ١ ـ ١٥) ثم تحدث عن فضائل مدينة غزة وموقعها، ومساحتها وحدودها، وحوادث القرون الماضية وتعرضها للفترات التاريخية التى مرت بها منذ الحروب الصليبية حتى مجيء الدولة العثمانية والحملة الفرنسية وحروب إبراهيم باشا المصرى (ق ١٥ ـ ٢٤) . ثم أورد أقوال العلماء والأمراء، والرحالة عن مدينة غزة . ثم انتقل إلى الحديث عن آثار المدينة بدءاً بالجوامع والمساجد

(١) نفس المصدر (ص ٧٥).

(٢) نفس المصدر (ص ٧٣).

(٣) طبع فى بيت المقدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية .

الأثرية الموجودة والمندثرة وانهاءاً بالمقامات والمزارات والترب والمقابر (ق٧٢ ـ ٨٠) وقد أفرد قسماً خاصاً للحديث عن الزوايا والأماكن الدينية الأخرى (ق٨٠ ـ ٩٢) . وبهذا الصدد أورد معلومات هامة مفيدة للمؤرخ، ورجل الآثار وبالذات عن الجوامع الأثرية، والمندرسة منها واصفاً لها وقارئاً لنقوشها ومنقباً عن تاريخها . ثم تحدث بعد ذلك عن موقع مدينة غزة وصنائعها وتجارتها وعن أهلها وبيّن القرى والمدن التى كانت تابعة لها (٩٢ ـ ١٥٥) . ثم عن أقسام غزة ومحلاتها، وهى ما يسمى قديماً بالخطط[1] (ق١٦٠ ـ ١٨٠) . وبعد ذلك انتقل للحديث عن البيوت والأنساب والعائلات المندرسة والقديمة والحادثة حسب تقسيمه لها ثم انتقل بعد ذلك إلى تراجم أبنائها وعلمائها بهذا القسم أنهى الكتاب .

• النسخة المعدلة :

وهى النسخة التى قام الشيخ عثمان بتبييضها عن المسودة وتعديلها وإجراء تغييرات جذرية عليها من جميع النواحى، من حيث الأبواب والفصول والمعلومات . فهناك اختلاف كلى بين النسختين ولا يوجد أى مقارنة بينهما ومن الممكن القول بأن النسخة المسودة هى بمثابة مختصر بسيط ووجيز للنسخة المعدلة التى هى مدار بحثنا وحديثنا . فمن حيث التقسيم: قسم الطباع النسخة المعدلة من الإتحاف إلى جزلين الأول هو التاريخ، وتحتوى هذه النسخة على ثلاثمائة وسبع صفحات من القطع الكبير . وأورد

(١) مثل كتاب الخطط للمقريزى المسمى: ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها ـ ويعرف بالخطط المقريزية جمع فيها أخبار مصر وأحوال سكانها ، جزء ٢ بولاق ١٢٧٠ ـ جزء ٤ بمطبعة النيل التزام أحمد على المليجى ٦/ ١٣٢٤ ـ وطبع منه فى كتاب الأنيس المفيد الذى نشره سلوستر دى ساسى نبذاً كثيرة وترجمها إلى اللغة الفرنسية . وطبع منه باعتناء الأستاذ غستون ويات مدير دار الآثار العربية (سنة ١٩٢٨) أجزاء أربعة بمطبعة المعهد الفرنسى الشرقى بالقاهرة الأول سنة ١٩١١ والثانى ١٩١٣ والثالث ١٩٢٢ والرابع ١٩٢٤ والخامس تحت الطبع . وترجم منه إلى اللغة الفرنسية القسم الجغرافى الأستاذان بوريان وكازانوفا وطبع أجزاء فى المعهد الشرقى المذكور سنة ١٨٩٣ و١٨٩٥ و ١٩٠٦ و ١٩٢٠ . وطبع منه ذكر دخول قبط مصر فى دين النصرانية ومعه ترجمة لاتينية باعتناء الأستاذ وتزر فى سالباشى سنة ١٨٢٨ ص٢٤ و ٢١٥ . وطبع منه أخبار قبط مصر باعتناء العلامة وستنفلد فى غوتا ١٨٤٥ ص١٤٢و ٧٠ ، وباعتناء الأستاذ هماكر فى امستردام سنة ١٨٢٤م. (عن معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس ، ج٢/ ص١٧٧٨ القاهرة: طبعة مصورة . نشرته مكتبة الثقافة الدينية.(د.ت.ن) . وكتاب خطط الشام : محمد كرد على . دمشق: مكتبة النورى. ط٣، ١٩٨٣م .

فيها تاريخ غزة منذ العصور القديمة حتى اواخر العهد العثماني، وبداية الانتداب البريطاني على فلسطين إلى مرحلة ما قبل النكبة، حيث إنه قد فرغ من تأليفها سنة ١٩٤٧ كما أسلفت . وسأعود للحديث عنها بشكل مفصل . الجزء الثاني وهو مقسم إلى قسمين قسم العائلات والأنساب ويبدأ من ١ وينتهي بـ ٢٥٤ ، القسم الثاني وهو عن تراجم الأعيان الذين أنجبتهم مدينة غزة ويبدأ من ٢٥٥ وينتهي بـ ٣٥٣.

وأغلب الظن أن هذا القسم بالذات ـ العائلات والأنساب والتراجم ـ كان يريد أن يجرى عليها عدة تعديلات إلاّ أن المنية أدركته .

* * *

موارده فى الكتاب ونماذج من ذلك

هنا يشير الشيخ عثمان إلى مصادره فى الكتاب وهى :

١ ـ كتب التاريخ : وقد ترك لنا ثبتاً بها فى أول صفحات المخطوط .

٢ ـ كتب الرحلات: كرحلة ابن بطوطة وابن جبير والنابلسى وغيرهم .

٣ ـ وثائق العائلات وأوراقها من حيث عمود النسب والوثائق والحجج الشرعية.

٤ ـ التحارير والصكوك والوثائق القديمة .

٥ ـ السجلات والقيود الشرعية المطبوعة فى المحاكم الشرعية .

٦ ـ الرسائل المتبادلة بين العلماء .

٧ ـ النقوش والرقوم التى كانت موجودة على واجهات المساجد والجدران والقبور والمقامات (وقد اندثر الأغلب منها).

٨ ـ المصدر الميدانى: وهو ما أخذه الشيخ عثمان من أفواه المسنين من أبناء بلدته وهو مصدر مهم جداً بحيث لا يتوفر فى كل وقت وفى كل حين، وهذا المصدر من أهم المصادر.

* * *

كتاب إتحاف الأعزة ومباحثه

القسم الأول (التاريخ) وأهم ما ورد فيه

أشار المؤلف فى بداية الكتاب إلى أن أمير البيان شكيب أرسلان قد امتدح الكتاب، حينما كان متوجهاً من غزة إلى طرابلس الغرب لأداء بعض مهامه الرسالية للإسلام والعروبة . فارتجل بعض أبيات من الشعر وصدّر بها الكتاب وذلك سنة ١٣٣٠هـ، وهذه الأبيات موجودة أيضاً فى الورقة الأولى من النسخة القديمة (المسودة). ثم بعدها أشار إلى أن شيخ العروبة أحمد زكى باشا قد تصفح الكتاب وعجب به، وطلب منه أن يقوم بتبييضه وتنقيحه، وأشار عليه بأن يحذف بعض أشياء منه وأغلب الظن أن اطلاع شيخ العروبة كان على النسخة المسودة لأنه لو اطلع على النسخة المعدلة لأشار بأشياء أخرى على المؤلف، لأننى حسب دراستى ومعايشتى للكتاب وجدت أنه يلزمه تنقيح وتهذيب، بل أتجاسر أن أقول: إعادة صياغة وإعادة كتابة وإعادة ترتيب وتقسيم للفصول وهذا لن يتم إلا بعد تحقيق ونشر النسخة الأصلية والتعليق عليه[١] .

أقول هذا الكلام على الرغم من قناعتى الكبيرة بأهمية الكتاب، حيث أنه (مصدر أوحد) لتاريخ هذه المدينة (غزة) . ففيه ما لا يوجد فى غيره من حيث المادة والموضوع ومصداقية المعلومات وتوثيقها، وندرة المصادر التى أخذ عنها.

• مقدمة الكتاب :

أشار المؤلف فى المقدمة إلى موضوع الكتاب ومجمل الموضوعات التى يبحثها فذكر أن هذا الكتاب (الإتحاف) يشتمل على تاريخ غزة ذات الفخار والعزة، وما احتوت عليه من المزارات، والآثار وتراجم جماعة من أعيان علمائها الأخيار مع التنويه بما فيها من الأسر الفخيمة، والبيوت القديمة، والمندرسة منها والمتجددة فيها.

بعد ذلك تحدث عن معاناته فى الكتاب وكم استغرق من الجهد والوقت فقال: " وقد صرفت فيه من ريعان الشباب نحو سبع سنين، شمرت فيها عن ساعد الجد والاستبصار، وواصلت عن مطالبه فى الليل بالنهار، حتى وقفت على ما لا يمكن الوقوف عليه من تواريخ الأواخر والأوائل ومن الكتب والرحل والدروج والأنساب والصكوك القديمة والسجلات الشرعية والرسائل والكتابات المنقوشة على القبور

والأبواب والجدران، وما يعرفه الخبراء من أفواه المتقدمين ذوى العرفان، وتحريت الصحيح من الأخبار، وأكثرت من البحث والاختبار، وأضفت لذلك جملاً من نفائس الفوائد ونبذاً من عرائس الفوائد فجاء نزهة لفضلاء العصر وبهجة لنبغاء الدهر "[١].

بعد ذلك يوجه الطباع نقداً لاذعاً فى المقدمة (ص ٨) لكل من جرجى زيدان فى كتابه تاريخ التمدن الإسلامى ولعارف العارف فى كتابه عن بئر السبع وقبائلها وعن القضاء بين البدو . ويعزز نقد شبلى النعمانى لكتاب جرجى زيدان تاريخ آداب العرب (ص٩) حيث ذكر فيه على حد قوله مثالب العرب، ورميهم بكل معيبة وشين، ويعزو إليهم كل دنية وشر، وجعل العرب من أشر خلق الله وأسوأهم وذلك بأن نسب إليهم حريق خزانة الاسكندرية فى عهد خلافة عمرو بن العاص، وذلك باستشارة أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب . ثم يقارن الطباع نفس الحادثة بما كتبه عارف العارف فى كتابه (تاريخ بئر السبع) و(القضاء بين البدو)[٢]، وهذا الكتاب فى اعتقادى (الباحث) أنه من أهم المثالب التى الصقت بالعرب، وبالذات استغلال الدعاية الصهيونية لهذا الكتاب حيث قدمته للعالم بطريقة مشوهة ومغرضة لتكرس فى أذهان الغرب أن هؤلاء لا يستحقون الحياة حيث أن هذه هى معتقداتهم وتقاليدهم . وقد رأيت هذا الكتاب حيث انتزعت منه عدة فصول يدرس على طلاب الجامعات الإسرائيلية وأهمها الجامعة العبرية فى القدس . لذا يقول الطباع بصدد هذا الكتاب : " ولم يترك . . . . صغيرة ولا كبيرة إلاّ درجها حتى كلمات الرعاة وقراءة الغفل وصلاتهم وعقائد وعادات خاصة وخلالاً مروية أو نادرة على أنها سجية لعرب بوادى السبع، وأخلاق شائعة بين العموم، وقد عد الناس هذا ضربة لهم واستخفافاً واضطهاداً لقبائلهم، موحياً بحقارتهم لدى الطوائف، والأجانب الذين لا يحبون العرب جميعاً، ويريدون محوهم من الوجود، سيما أرض فلسطين المقدسة، ولذلك تلقفوا هذا الكتاب بلهفة وطبعوه لعدة لغات، وقد كتبت له ـ عندما أهدانى الجزء الأول ـ ضرباً من الانتقاد عليه وإن نوّه فيه باسمى ونقل عن كتابى هذا، ونبهته لتدارك إصلاح ما ينبغى اصلاحه فى الجزء الثانى وأصر على رأيه وأصبح بسوء تصرفه وعدم اكتراثه هدفاً لمن يشعر بما فيه، بعدما ابتز منهم أضعافاً مضاعفة ثم بذل جهده وواصل سعيه فى تأليف تاريخ لغزة فأشرت عليه بما عنده من خبرة باللغات الأجنبية، واطلاع على ما كتبه الأجانب عن غزة فى تواريخهم ورحلاتهم،

(١) إتحاف (١/ص ٦ ـ ١٨).

(٢) نفس المصدر (ص ١٤ ـ ١٥).

أن يترجم ذلك ويلخصه ويختار المفيد منه ويضم إليه ما يظفر به من الحقائق، والنبذ الرائعة فيكون بذلك صفة تشكر على مر الدهور إن كان يريد خدمة غزة وأهلها »[١].

وهكذا يوجه الطباع نقداً لاذعاً لعارف العارف في كتابه عن غزة وبئر السبع وقد كتب الأستاذ حلمي أبو شعبان وبإشارة من الطباع كتيباً صغيراً كله نقد لكتاب عارف العارف بعنوان : " تاريخ غزة لعارف العارف " نقد وتحليل، وذكر أبو شعبان في بداية الكتاب أن الشيخ عثمان الطباع قد شاركه في تمحيص الحوادث التاريخية[٢]. ثم بين فائدة التاريخ مستشهداً بأبيات لبدر الدين الغزي العامري وهي :

ومن عرف التاريخ أخبار من مضى وخلف علماً أو جميلاً من الذكر
كمن عاش كل الدهر بالعز فاغتنم بعلم وجود في الدنا أطول العمر

وقول شوقي :

دقات قلب المرئ قائلة له إن الحياة دقائق وثواني
خلد لنفسك ذكرها تحيَ به فالذكر للإنسان عمر ثاني[٣]

ويلوم الطباع من يدّعي أنه من أبناء الوطن وهو يجهل تاريخ أمته ومصره، ولا يعرف سيرة إقليمه وقطره، ويعيش مغروراً بنفسه جاهلاً بحوادث الزمان، غافلاً عن أخبار من عمروا قبله الأوطان على حد تعبير الشيخ عثمان[٤]. ويلمح الطباع في المقدمة عمن أخذوا وظائف على حساب وطنهم ودينهم فيقول : " ومن سوء الزمان وضعف الايمان، نرى ممن استهوتهم الدنيا واستغوتهم الوظائف من أبناء الوطن، ورجال الأمة من الكبير له ولها، وتدبير الأعمال الأثيمة، والمساعي المخزية الرجيمة نحو وطنهم وأمتهم "[٥] . ثم يبدأ في مقدمة أخرى عن تاريخ الإنسان القديم الغارق في القدم[٦] (ص٢٧ ـ ٣٢) وعن أصل الإنسان ورده إلى أولاد سيدنا نوح عليه السلام سام وحام . وفي أورد أقسام السلالات البشرية التي تمتد جذورها إلى عدة قرون قبل الميلاد مثل : المؤابيون، من أبناء لوط ومنازلهم بين نهر أرنون الأزرق وتبوك ، والمدياثيون وهي قبائل

(١) انظر: إتحاف (١/ ١٤ ـ ١٥).

(٢) انظر: تاريخ غزة ـ نقد وتحليل/ للأستاذ: حلمي أبو شعبان (ص ١٠ ـ ١١). طبع في القدس ١٩٤٣م. مطبعة دار الأيتام الإسلامية.

(٣) إتحاف (١/ ١٨).

(٤) نفس المصدر (ص ١٨).

(٥) نفس المصدر (ص ١٩).

(٦) نفسه (ص ٢٠).

عربية تشعبت من مدين قبيلة شعيب عليه السلام (ص٣٣ ـ ٣٤) . وتحدث عن العرب العاربة والمستعربة وعن بطونها، وقبائلها وأماكن سكناها (ص ٣٩ ـ ٤٢). وتحدث عن الوحدة العربية وضرورتها لحياة الأمة وحفظ كيانها. (ص٤٩). وعن الوحدة المفروضة وحدة الدين واللغة، وأشار لدعاة الإسلام أن يجتهدوا فى إعادة الوحدة الإسلامية إلى ما كانت عليه فى الصدر الأول، " خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم " . وفى (ص٥٥) تحدث عن فلسطين وحدودها وبين أسماءها وأورد أشهر مدنها . وفى (ص٦٩ ـ ٧١) تحدث عن مدينة غزة وحدودها وقدمها ومكانتها وذكر أنها من قواعد فلسطين الشهيرة . وبين أنها إحدى الرحلتين لقريش المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿رحلة الشتاء والصيف﴾. ويعزو ذلك إلى تفسير ابن عبد البر، وحينما بحثت عن تفسير ابن عبد البر فلم أجده وقرأت كل ما ورد عنه فى كتب التراجم فلم يذكر من ترجموا له بأن له تفسيراً وقد نقل ذلك عن التمرتاشى فى رسالته "الخبر التام". فهو الذى ذكر تفسير ابن عبد البر . ثم يستشهد من بعض كتب الجغرافيا عن مدينة غزة وعن موقعها (ص٧٢) وتحدث عن غزة وقدم عروبتها ونقل عن المستشرق اليهودى البريفسور " ليون ماير " فى كتابه عن غزة وأن صلة العرب بهذه المدينة ترجع إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، وأن قوماً من المعينيين أقاموا دولة عظيمة فى شبه الجزيرة العربية قبل قيام دولة السبأيين، وامتد نفوذهم إلى شواطئ البحر المتوسط وكانت مدينة غزة على الأرجح من أهم الأسواق لترويج تجارتهم فى البخور والبهارات، وكانت تنتهى عند غزة طريق القوافل من الصحراء (٨٣ ـ ٨٥). و"غزة ومركزها التجارى". (ص٨٩) غزة والإسرائيليون (ص٩٧). حيث نوّه الطباع إلى أهمية فلسطين الجغرافية التى من خلالها انبثقت أهميتها التجارية بمدنها المهمة الأربعة، وهى غزة وعسقلان وأشدود وعقرون (عاقر) . وكانت ميناء لها لما وراءها من البلاد والسكان، وسوقاً لجميع القبائل الرحل التى حواليه، وكما كانت دمشق أول محطة سورية على حافة الصحراء فى طريق الذاهب إلى بلاد آشور، كانت غزة أول مدينة على حافة الصحراء فى طريق الذاهب إلى بلاد مصر، وكانت المركز الذى يجتمع فيه الحجاج فى طريقهم إلى سيناء وفيها كانوا يلتقون مع جميع الجهات، ثم يتأهبون للسفر ويسيرون جماعات، وكان هؤلاء الحجاج مفيدين لأهالى غزة . . . . . وبين الطباع كيف كانت قوافل التجارة تجتمع فيها وتسير من سائر الجهات إلى مصر وإلى جنوب بلاد العرب. وقد اكتسبت غزة أهميتها من خلال وجود مينائها، وقربها من البحر، مجمع تجارة ونفائس بلاد العرب والهند،

فكانت تصل إليها مارة ببطرا، ومن ثم توزعها بحراً إلى جميع أنحاء الروم. ويلقى الكاتب الضوء على وثيقة وردت فى رسائل تل العمارنة حيث ورد ذكر غزة فى سجلات المصريين ففى رسالة من حاكمها الذى كان يحكمها باسم الدولة المصرية " ولما وقعت غزة فى يد السلوقيين ورثة الإسكندر فى سوريا، واحتل البطالسة مصر، رأوا أن احتلال غزة أمر حيوى لدولتهم، فحاولوا ذلك مراراً ولما تضعضعت دولة السلوقيين فى فلسطين، وقامت دول المكابيين حاولوا الاستيلاء عليها أولاً فلم يفلحوا، لأن مصر كانت تحميها وتدعمها، ولكن لما تخلت مصر عن حمايتها دخلوها كما سيأتى بيانه[1]. وهكذا يتضح لنا مما سبق كيف اكتسبت هذه المدينة مكانتها التجارية والاقتصادية، ومن ثم الاستراتيجية بلغة العصر . فهذه المدينة كما قيل عنها هى: " دهليز الملك " أو مدخله وسرّه من سيطر عليها استطاع السيطرة على غيرها ولذلك كانت كبقية الفاتحين منذ فجر التاريخ .

ويشير الدباغ إلى هذه الأهمية فى كتابه " بلادنا فلسطين "[2] فيقول : ولموقع غزة التجارى ـ لوقوعها فى نهاية طريق القوافل العربية الآتية من الجنوب ـ أهمية كبيرة كان لها أكبر الأثر فى ثرائها ورخائها ؛ كما كانت تبعث بخيرات بلاد العرب والهند وغيرها إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط .

* * *

المنهج العلمى لدى الطباع

انتقد الطباع من يعتقدون بأن للخضر مقاما فى مدينة دير البلح ، وبين ذلك بالدليل العلمى فقال : «بأن من المسلم به عند الجميع وخاصة عند المسلمين ، أن الخضر عليه السلام اليس له قبر مطلقا لافى الاسكندرية ولافى غيرها .(ص١٥٢) وأنه خرافه ينشرها الذين يصطادون الدنيا بحبانك الدين (١٥٣) وبين أن حدود غزة من دير البلح الى دير شيد ولذلك قيل عنها : (أولها دير وآخرها دير) - (غزة) ص١٥٤ ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن الطباع كان مؤرخا يعتمد على صدق الخبر ويتثبت منه.

عروبة غزة ووعى المؤرخ لما فيها من التداخل :

تحدث الطباع عن عروبة غزة وعن عراقة العرب فيها . وقد تقدم فيما تحدث عن

(١) انظر: إتحاف (١/ ١١٩ ـ ١٣٣).

(٢) انظر: بلادنا فلسطين: ج١، القسم الثانى (ب) ، ص٣٦ .

الوطن والوطنية ثم عن العرب وأصلهم ومساكنهم وجذورهم فى هذه البلاد وفى هذا الفصل يبين شيخنا الأصول الإسلامية لهذه البلاد والصراع الذى خاضه المسلمون مع الروح ص١٦٦ ثم تلاه بالحديث عن الفتح الإسلامى لبلاد الشام وفلسطين ، (١٧٦) وخص الفتوحات الإسلامية التى قام بها عمرو بن العاص لفلسطين ومدنها وكان آخرها غزة ومن ثم الدخول الى مصر (ص١٨٠ - ١٨١) .

المسح الأثرى (الأركيولوجى) لدى الطباع فى المحاف الأخزة :

تحدث الطباع فى هذا الفصل عن الآثار الإسلامية فى فلسطين وعن الحصون والجسور والقلاع والثكنات والرباطات والمدارس ، والزوايا والمساجد ، وذكر اولها المسجد الأقصى والصخرة الشريفة وأفاض فى الحديث عنهما (١٩١ -١٩٤) .

الحسن الاسلامى والإنتماء الحضارى للإسلام وذلك من خلال رأيه فى الحروب الصليبية :

ص٢١١ أورد الأسباب التى كانت وراء هذه الحروب وأورد خطبة «بطرس الناسك» (ص٢١٢) التى حرضت المسيحيين فى جميع أنحاء العالم على الإسلام والمسلمين. ثم أطال فى الحديث عنها (ص٢١٦ - ٢٢٤) ثم عن وقعة حطين الفاصلة (٢٥ - ٢٤٠) وعن الصراع العنيف الذى خاضه المسلمون مع الفرنجة مارا بالتتار وغاراته فى البلاد (ص٢٤٣- ٢٤٧) وعلل تأثر هذه الحروب بما جنته على البلاد (ص ٢٥١ - ٢٥٦)

التسلسل التاريخى فى الكتاب :

كثيرا ما تواجهنا اشكالية التسلسل التاريخى لدى الشيخ عثمان فنجد الاستطراد أكثر من التسلسل وهذه أشكالية فى الكتاب ، وكما اسلفت فى البداية أرى أن هذا المؤلف بحاجة الى اعادة تأليف لبعض أجزائه .

ولكن فى أقسام أخرى من الكتاب نجد تسلسلا تاريخيا فريد وهذا واضح فى الصفحات (٢٥٩ -٣٦٨) حتى آخر صفحات الكتاب . حيث بدأ فى الحديث عن غزة وحالتها الإدارية وكيف كان يعبر عنها بالمملكة الغزية (ص٢٦٠) وبعدها أردف بالحديث عن تاريخ البلاد أثناء الفتح العثمانى (البلاد العربية وفتح السلطان سليم لها) (ص٢٦٧ - ٢٧٦) . وذكر حوادثا واضطرابات فى العهد التركى (٢٧٧ - ٢٨٥) . فى ذكر الحملة الفرنسية (ص٢٨٩ -) وبالذات تأثيرها على منطقة غزة وما حولها . وأورد فيها بعض الوثائق الهامة التى لها دلالة واضحة فى تاريخ البلاد واعتمد فى ذلك

على كتاب الدكتور أسد رستم المحفوظات الملكية المصرية[١]. ثم تحدث عن حملة ابراهيم باشا المصرى حيث كان لهذه الحملة دورا كبيرا فى استقرار بعض من تبقى معه من الجيوش فى المدن والقرى الفلسطينية.

الشهادة على الأحداث والمصدر الميدانى القائم على الشهادة :

كثيرا من الأحداث التى أرخ لها الطباع فى كتابه كان معاصرا لها مثل الحرب العالمية الأولى والإنتداب البريطانى على فلسطين والحرب العالمية الثانية وما تلاها من الحوادث حتى سنة ١٩٤٧ حيث انتهى من تأليف كتابه . وفى هذا الفصل أورد بعض المعلومات الهامة التى قد لاغيرها فى أى مصدر آخر ، وذلك فيما تحدث عن زحف الجراد على غزة سنة ١٩١٣م و١٣٣٣هـ والضرر الذى حصل بالمزروعات . وتحدث عن الوباء وموت الكثير من جزاء الأمراض الفتاكة وبين ناحية مهمة نستطيع أن نستدل منها على الأوضاع الأقتصادية والإجتماعية لمدينة غزة. حيث حصل الوباء ومن جرائه نتج الغلاء وحصل سوء الغذاء وفساد الهواء وصار الفقراء يقتاتون من الأعشاب والترمس والقشور والجيف ، فأحدثت فيهم الأمراض الفتاكة ومات أكثرهم بالجوع ، ذلك سنة (١٣٣٤هـ - ١٩١٤م) . وفى آخر هذه السنة شرعت حكومة الإنتداب بفتح شارع بغزة من الغرب الى الشرق وأخذت فى هدم المحلات المتبقية والأبنية الجسيمة ، ومسحت القبور المقابلة لمزار الشيخ شعبان وهدمت جزءا كبيرا من جامع الوزير بسوق الخضرة وما ولاه من الحوانيت والدور ، حتى وصل الهدم بخان الزيت فقسم الشارع نصفين ، ولحق الناس مالا مزيد عليه من الغصة والحسرة، عندما شاهدوا الهدم والتخريب لمحلاتهم ومساكنهم بالقهر والقوة من غير رحمة ولا مفاوضة ولا تعويض ، وفيها صار إعدام كثير من العساكر شنقاً ورميا بالرصاص لفرارهم من الخدمة العسكرية كما شنق كثير من أعيان البلادالعربية بسبب طلبهم من الدولة الإصلاح قبل الحرب ، واستنصارهم بالدول الأجنبية ، وغربوا كثيرا من الوجوه لبلاد الأناضول وكان الأتراك يسيئون الظن بالعرب ويضمرون لهم العداء ، حتى أصر الإتحاديون على إبادتهم أو تنزيلهم بنقلهم الى بلاد الأتراك ونقل الأتراك إلى البلاد العربية ، وفى سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٥ م . أمر ناظر الحربية وقائد الجيش والحملة على مصر «أحمد جمال باشا» بتغريب جماعة من أهالى القدس والخليل ويافا وغزة ، فكابدوا من ذلك أنواع الشدائد ، ومن خرج منهم صار قبضه واعدامه ص (٣١٤)

(١) نشرة المكتبة البولسية فى خمسة أجزاء ١٩٨٧ .

مشاهدات المؤلف وانطباعه عن الحرب العالمية الأولى والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية إبان الحرب :

بعد أن قص علينا ماأصاب البلاد والعباد جراء هذه الحرب وما قام به العساكر من أعمال مشينة حيث كانت العساكر تكسر الأبواب وتنهب ما فيها ، والحكومة اقتصت آثار الأهالى فى القرى فرحلتهم حيث مات اكثرهم بالغم والهم والجوع ولم يوجد من يغسلهم ويكفنهم ويصلى عليهم ويدفنهم، وانما كانو يرمونهم بثيابهم فى الآبار المهجورة رمى الجيف وفيهم - وقليل ماهم - من رحل الى «الرملة» و«اللد» والقدس والخليل ونابلس «ودمشق» . ثم ان العساكر الأتراك أعادوا الكرة على «غزة» فلم يتركوا بابا إلا خلعوه ولا سقفا أو جدارا إلا وهدموه ، ونقضوه حتى خلعوا منابر الجوامع وبددوا الكتب والمصاحف الموثوقة بها ، والكتب الموجودة بدور أهل العلم والفضل ، وأخذوا منها ما أخذوه وباعوه بقيمة زهيدة لاتوازى مؤنة حملهم ، وأصبحت - «غزة وأهاليها » بحالة يرثى لها ، وجرى عليها مالم يسبق له نظير» ثم يتحدث المؤلف عن انطباعه ومشاهدته الشخصية لآثار تلك الحرب المدمرة فيقول «وكانت رحلتى مدينة الرملة فسافرت منها الى غزة عن طريق «الفالوجة» ثم «المحرقة» لتخفف مابلغنى عنها ومشاهدة ما حل بها ونقل ما تركته فيها من مكتبتى النفيسة، فدخلتها مع المخاطرة فى يوم الأحد الموافق ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣٥هـ. والمدافع من الاسطول الإنجليزى وجيشه تتوالى قذائفها على العساكر العثمانية التى كان مقرها خلف جبل المنطار، فرأيت حالتها تبكى العيون وتفطر الأكباد. مدينة خالية خاوية على عروشها لا يقع النظر فيها إلاّ على خراب، وأنقاض من كل جانب بها شرذمة من العساكر يلتقطون بقايا أمتعتها وأساسها، ويهدمون الأصقفة والجدران لأخذ ما فيها من الأخشاب والكرميد والحديد، والخروع ويقطعون الأشجار من الكروم والبساتين والبيارات، ويسرّحوا الدواب والخيول فى المزروعات؛ ورأيت أوراق المصاحف والتفاسير وكتب الحديث وغيره مبعثرة فى سائر الطرقات، ومنها ما هو ملقى فى القاذورات، فتذكرت بذلك واقعة الأندلس ووقائع التتار، وما بها اقترفوه ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾. فخرجت منها لهفًا وبكيتها حزنًا وأسفًا» اهـ[1].

وأستطيع القول بأن هذا الفصل هو من أهم فصول هذا الجزء. وهو أشبه بسيرة ذاتية للشيخ عثمان، وفى نفس الوقت انطباع وشهادة على المرحلة التى عاشها آنذاك وهى

(١) إتحاف (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

مرحلة مهمة، فيها نقلة متباينة من العهد التركى إلى إدارة الانتداب البريطانى على فلسطين. وفيه أيضًا تصوير لنتائج هذه الحرب وما جرته على البلاد وتعليل لأسباب ذلك، ونقد لاذع للساسة والقادة الذين أداروا رحى هذه الحرب.

وفى الصفحات اللاحقة يصور لنا المؤلف أحداث الحرب بصورة تفصيلية[1]. ثم ينتقل الكاتب إلى غدر بريطانيا بالعرب. وإعلان وعد بلفور وإعطاء اليهود دولة فلسطين وتطبيقًا للمقولة الصهيونية (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) وهو إعطاء من لا يملك لمن لا يستحق. ثم ينتقل بنا فى هذا الفصل الهام عن حوار ساخنٍ دار بينه وبين المستر ملز سنة ١٩٣٦م (مساعد حاكم اللواء) وهو من أحرار الإنجليز على حد تعبير المؤلف[2].

بعدها ينتقل المؤلف يسرد لنا جميع الحكام الذين تواردد على غزة منذ الفلسطينيين الأوائل «الكنعانيون» وحتى أوائل هذا القرن وانتهاء بعهد القائمقامية.

حيث كان آخرهم إحسان بك السعيد اليافى. ثم ينتقل بعد ذلك للأوضاع الإدارية لمدينة غزة بعد الفتح العثمانى، وعن التقسيمات بدءًا بالألوية وأقسامها. حيث كانت غزة تابعة للواء الجنوبى ومركزة بين المدن الفلسطينية[3].

ثم يبدأ بعد ذلك بالحديث من جديد عن تاريخ غزة فى العهد المملوكى، ثم غطى الفترة المسيحية، ثم أورد جميع الرحالة الذين زاروا غزة وآرائهم فيها. ثم أرخ لها وتحدث عن المدن والقرى التى كانت تتبعها ثم تلاها بالحديث عن الاثار والمعابد والمزارات والمشاهد والمكاتب والترب والمدارس. وهذا الفصل فى رأيى من أهم فصول الكتاب. حيث أورد فيه معلومات منتقاة من مصادر نادرة أغلبها مفقود (كالدفاتر العثمانية الخاقانية والوقفيات والحجج والوثائق، والنقوش التى اندثرت ولم يبق منها إلا النزر اليسير. بسبب الحروب.

ثم عرَّج المؤلف إلى ناحية مهمة جدًا حيث أورد أوقافًا قديمة مسجلة، هذه الوقفيات أوقفها السلاطين المماليك على المدن والقرى الفسطينية وهذه الوثائق وثائق وحجج نادرة لا نجدها فى أى مصدر آخر[4]، ثم أورد الأوقاف المندرسة.

---

(١) انظر نفس المصدر (ص ٣٢١ ـ ٣٢٧).

(٢) نفس المصدر (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

(٣) نفس المصدر ص٣٦٧.

(٤) انظر: مج٢ ص٢٣٢.

ثم تحدث عن المدارس والكتاتيب. وهذا يفيدنا فى التعرف على الأوضاع العلمية والثقافية لمدينة غزة فى نهاية العهد العثمانى، وبداية الانتداب البريطانى، ثم عرج بعد ذلك على المدن والقرى التى كانت تتبع غزة من الناحية الإدارية مع إيراده لجميع القبائل العربية التى تتبع لكل مدينة من المدن الفلسطينية أو سميت بأسمائها. كمنطقة بئر السبع مثلاً فقد أورد المؤلف جميع القبائل التى تتبع لبئر السبع، وعنه أخذ عارف العارف فكرة كتابة مؤلفه «تاريخ بئر السبع وقبائلها» وانتقده الطباع بشكل لاذع فى مقدمة الجزء الأول من التاريخ لأنه كتب كتابًا آخر. بعنوان «القضاء بين البدو» كانت له آثاره السيئة على الفلسطينيين وعلى العرب وكأنه مصداقًا للدعوة الصهيونية والتى ألصقت بنا الجهل والخرافة، فقام العارف بتوثيقها على أرض الواقع تقريبًا، ثم بعد ذلك أورد جميع المواقع والاثار التاريخية بقضاء بئر السبع وما احتوت عليه من الآثار المتبقية التى قام باكتشافها بعض علماء الآثار البريطانيين. ونشرت جميع الآثار التى اكتشفت فى جريدة حكومة عموم فلسطين التى كانت تصدر آنذاك. وقد قمت بتوثيق جميع تلك الاثار من المصادر الموثقة وألحقتها فى الهوامش[1]. ثم ختم هذا الجزء بالحديث بكل لوعة وأسى لما آلت إليه الأمة العربية والإسلامية وكيف كانت فى الماضى وإلى أين وصلت فى الحاضر ثم ذكر أسباب انحطاطها وطرح بديلاً لنهضتها وبعدها أرخ لانتهائه من الجزء الأول (قسم التاريخ) وذلك بتاريخ ٢٧/ من جمادى الثانية ١٣٦٦هـ، الموافق ١٨/ ٥/ ١٩٤٧م. ونبه إلى الجزء الثانى من المخطوط بقسميه العائلات والأنساب والتراجم.

القسم الثانى (العائلات والأنساب والتراجم)

هذا القسم لعله من أهم الأقسام فى الكتاب. حيث فيه ما ليس فى غيره البتة. بدأ المؤلف حديثه بعد الافتتاحية بتقديم عمله هذا وقيمته وأهميته حيث أن معظم مصادره نادرة حيث اعتمد على معرفته بهذه العائلات وجذورها الممتدة عبر التاريخ، واعتمد فى توثيق وتوضيح أصولها على الوثائق والحجج الشرعية والوقفيات والدروج والأنساب والصكوك كما أشار فى بداية القسم الأول من التاريخ: ثم إنه أيضًا خاض فى كنه وأسباب ونشأة أسماء العائلات من حيث ارتباطها باللقب الوظيفى أو اتصالها وامتدادها إلى القبائل والبطون العربية وتدرجها إلى من اشتهر من رؤساء الأُسر وأفذاذ العائلات كزين الدين وتاج الدين ورضوان وعرفات، وحكى ونحو ذلك. ثم صارت وتطورت

(١) انظر هوامش (ص٤٥٠ ـ ٤٦٣) من المجلد الثانى.

هذه الألقاب إلى أصحاب الحرف والصنائع كالسَّراج والفراء والصائغ والنحاس، ونحو ذلك.

منهجه فى العائلات والأنساب:

رتب المؤلف أسماء العائلات حسب حروف المعجم بغية تسهيل المراجعة، تاركًا للاستدراكات والملاحق مكانًا وهذا من أهم الأسباب التى جعلته لا يلتزم الترتيب المعجمى بشكل مرتب ومضبوط. حيث أن هناك تداخلاً كبير فى ترتيب إيراد العائلات من حيث الدقة.

وأرّخ فى بداية الكتاب إلى ناحية مهمة فى تواجد وتجمع العائلات فى فلسطين وفى غزة بالذات فقال: «واعلم أولاً أن البلاد بسبب الحروب الصليبية التى تواصلت فيها نحو مائتى عام تغيرت نضارتها، ودك عمرانها، ومزقت أهلها، وخلت من سكانها حتى صارت تساق الناس من أقاصى البلاد من سوريا ومصر والمغرب والحجاز والجراكسة والأتراك. وغيرهم. ويذكر بأن عدد سكان غزة قد زاد على الستمائة ألف آنذاك[1].

ثم بدأ بحرف الألف بعائلة الإسفاقسى وانتهى بحرف الياء بعائلة ياسين. وقد تناول فى هذا الجزء مائتين وثمانين عائلة من أشهر وأعرق عائلات غزة سواء القديم منها التى انقرضت أو التى بقيت فروعها أو العائلات الحادثة على حد تعبيره وهى التى جاءت من فترة ليست بعيدة.

وهناك عائلات كانت شبه محطات يقف عندها وبعض العائلات لم يتجاوز فى الكتابة عنها خمسة أسطر. وهى طبيعة الترتيب الموسوعى للكتاب. وقد قام برسم وتخطيط شجرة لحوالى سبعين عائلة يبدأ بجدها الأكبر وحتى أولاده وأحفاده فى زمنه.

وكما أسلفت كان فى هذا الجزء معتمداً على مصادر أصلية مكتوبة والأغلب منها شفهى يعتمد على معرفته بأصول وجذور لكل العائلات ومهما تحدثت عن هذا الجزء فلن يغنى عن مراجعته وقراءته. وستكون النتيجة معرفة عميقة بأصول وجذور العائلات ومن ثم إضافة نواحى مهمة فى تأريخ هذه المدينة من الناحية الاجتماعية والأنثروبولوجية.

---

(١) انظر جـ ٣ ص٦ ـ ٧.

منهجه فى كتابة التراجم (المجلد الرابع)

استهل المؤلف هذا الجزء بعبارة تراجم الأعيان الذين أنجبتهم مدينة غزة أو نزلوا بها ونسبوا إليها.

وبدأ بالسيد هاشم بن عبد مناف ـ جد النبى ﷺ، ثم بالإمام الشافعى، ووقف عند محطات له فى الترجمة كأبى إسحاق الغزى، وابن زقاعة الغزى وبنى التمرتاشى وبنى النخالة وغيرهم. وكان أهم مصدر من مصادره فى الترجمة لأعلام العصر المملوكى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر وكتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى، ثم كان مصدره فى تراجم أعيان القرن الحادى عشر والثانى عشر كتاب خلاصة الأثر للمحبى وسلك الدرر للمرادى ثم حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر لمحمد راغب الطباخ. وهكذا. وأظن أن أهم من ترجم لهم فى الكتاب هم أعلام مدينة غزة فى أواخر العهد العثمانى حيث أن تراجم هؤلاء قد لا نجدها فى مصدر آخر غير إتحاف الأعزة. وجل هؤلاء العلماء كان الطباع معاصراً لهم سواء تتلمذ عليهم أو كانوا من أصدقائه ومعارفه والأغلب منهم كان كذلك فمن خلال وقوفنا على دفتر جميعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ودفتر جميعة الإرشاد والهداية الإسلامية، وثبت أسمائهم يتضح لنا بأنه قد ترجم لكثير منهم وبالذات الذين توفوا فى حياته. وتحدث عن الكثير منهم إن كانوا أصدقاء له أو أقارب أو مجرد معرفته بهم وبأعمالهم أو مؤلفاتهم ولم يقتصر فى ترجمته على رجال الدين وحدهم بل ترجم للساسة والقادة والحكام وجميع المشهوريين.

منهجه فى التراجم:

احتوى الكتاب مائتين وأربع عشر ترجمة كان آخرها ترجمة لحمدى الحسينى جاءت هذه التراجم فى أربع مائة وثمانين صفحة. وقد كان يترجم للمتوفين منهم فقط إلا حمدى الحسينى ولا أدرى ما هو السبب؟ حيث أن هناك الكثير من معارفه ولم يترجم لهم فى قسم التراجم ولم يفرد لأى منهم أى ترجمه كالشيخ محيى الدين الملاح وبعض أقرانه وزملائه. لأنه التزم فى إيراده للترجمة بأن يترجم للمتوفين فقط.

وأخيراً أقول بأننا بحاجة ماسة لقراءة هذا الكتاب من أوله لأخره هو وجميع الأجزاء التى سبقته، حتى نأخذ تصوراً جيداً عن الأجداد ونحذوا حذوهم فحياة العظماء وحياة العلماء والأبطال والمجاهدين الذين كانوا نبراساً لنا نهتدى به فى وقتنا الحاضر.

عملي في الكتاب

بعد أن تسلمت مخطوط الكتاب، من الأخ الفاضل/ فيصل عمر الطباع (أبو هشام) ـ بالإنابة عن الإخوة آل الطباع ـ ورثة المؤلف ـ واتفقنا على حيثيات الطبع والنشر، ومن الطريف بهذا الصدد أنه قد اشترط عليَّ بألاَّ تزيد مدة التحقيق عن ستة شهور، وقدر الله أن تزيد المدة عن خمسة سنوات لا ستة أشهر. واكتشفت أثناء التحقيق وأثناء نقل الكتاب على الحاسوب أن هذه المخطوطة (القسم الأول منها) لا تتناسب مع القسم الثانى (الأنساب والعائلات). وقررت فى نفسى أن هذه النسخة يستحيل أن تكون هى النسخة التى كتبها الشيخ عثمان الطباع. حيث إن فيها تكرار للأنساب والعائلات بصورة غير كاملة. ولا يوجد فيها أى تناسق مع الجزء الثانى من الكتاب (العائلات والأنساب وتراجم الأعيان) وذلك لعدة أسباب منهجية وموضوعية وتأريخة. فأعدت السؤال بإلحاح على الأخ «فيصل» وحاول مجاملتى بلطف ووافق على البحث مرة أخرى فى كتب وأوراق الشيخ عثمان الطباع، فعثرت على «النسخة المبيضة» فدهشت وطرت من الفرح! وقرأت فى أول ورقة منها: وقد اطلع عليه شيخ العروبة أحمد زكى باشا فأعجب به وحملنى على تنقيحه وتبيضه وحذف أشياء منه، فقلت هى إذن. وبدأت العمل من جديد وبهمة ونشاط أكثر من ذى قبل، حيث أننى عثرت مع النسخة المسودة على مجموعة من رسائل وأوراق الشيخ عثمان الطباع وبدأت أنقل ما فيها على الحاسوب بدلاً من النسخ، وانتهيت من ذلك بعد سنة ونصف لأننى أمضيت نصف سنة فى المسودة. ففى خلال سنة ونصف كنت قد أنهيت نقل المخطوط الذى تزيد أوراقه عن السبعمائة صفحة بقسميه (التاريخ والعائلات والأنساب والتراجم): ومن خلال عملية النسخ والنقل تعرفت على جميع مصادر المؤلف وبعدها بدأت رحلة التحقيق والبحث والدراسة فى الكتاب. ومعايشته. وكان منهجى فى التحقيق هو المنهج المتعارف عليه لدى جميع الباحثين والدارسين فى الشرق والغرب وحسب علم نشر النصوص القديمة.

وقد قمت بتقسم الكتاب فى البداية إلى ثلاثة أجزاء:

الأول: قسم التاريخ (بجزأيه التى تمت طباعتها).

الثانى: عن العائلات والأنساب.

الثالث: تراجم الأعيان.

ثم أثناء المونتاج الأخير تم تقسيم الكتاب بصورته الأخيرة إلى أربع مجلدات

(مجلدين للتاريخ) ومجلد للعائلات والأنساب ومجلد للتراجم.

وهذا التقسيم الذى اهتديت له أخيراً كان على ضوء تقسيم المؤلف لكتابه المخطوط فهو أفرد جزءاً للتاريخ (٣٠٨ ورقات) والقسم الثانى بجزأيه للعائلات والأنساب والتراجم. وقد زودت المجلد الثالث بفهرس أبجدى للعائلات والأنساب، ومثله فهرس آخر للتراجم حسب حروف المعجم لتسهل المراجعة والبحث فيهما.

وحتى يتمكن الجميع: الباحث والطالب والقارئ من الحصول على المطلوب فى أسرع وقت ممكن.

وتمثل منجهى فى التحقيق فى الخطوات التالية:

١ ـ قمت بقراءة المخطوط ونقلت النص على الحاسوب.

٢ ـ حققت النص وأخرجته كما أراده مؤلفه.

٣ ـ خرجت الأيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٤ ـ خرجت الأشعار والأمثال وغيرها.

٥ ـ قمت بضبط وتوثيق أسماء الأعلام والمدن. مع الإحالة إلى مصادر التراجم ومصادر البلدانيات والمدن والقرى. الفلسطينية والعربية على حدٍ سواء.

٦ ـ قمت بتخريج وتوثيق الحوادث التاريخية والتعليق عليها.

٧ ـ قمت بشرح وتوضيح الكلمات الغريبة بالذات التركية منها (لغة الخلافة) ـ لاتصالها الوثيق بمجريات الكتاب.

٨ ـ قمت بشرح معانى المصطلحات والألقاب الواردة للأمراء والسلاطين والحكام والأعيان وأصحاب الشأن واعتمدت على المصادر المخصصة بهذا الصدد.

٩ ـ نقلت شجر العائلات من شكلها المخطوط وقمت بتوزيعها على الحاسوب، حتى تسهل قراءتها كما هو واضح فى المجلد الثالث (الأنساب والعائلات).

١٠ ـ قمت بتخريج التراجم الواردة فى المجلد الرابع (التراجم) وصححت الكثير منها وأحلت إلى مصادر ترجمة الأعيان المترجم لهم، ثم أبرزت كثيراً من المترجمين الذين لم تورد عنهم المصادر إلاَّ النزر اليسير.

١١ ـ قمت بعمل فهارس لكلٍ من الأنساب والعائلات حسب حروف المعجم ولتراجم الأعيان أيضًا حيث أن المؤلف لم يلتزم الترتيب المعجمى فى كلا القسمين وأنا عازم على عمل فهارس فنية شاملة لجميع مجلدات الكتاب فيما بعد أن شاء الله تعالى.

١٢ ـ قمت بالرجوع إلى المئات من المصادر والمراجع. حيث زادت عن الثلاثمائة من

الكتب المخطوط منها والمطبوع وقمت بمراجعة مئات أخرى لم استفد منها ظنًا منى بأن فيها بغيتى، فلم أقيدها لاننى لم أدون منها شيئًا، وطالعت المئات من الوثائق والحجج والوقفيات وأوراق العائلات والدروج (أعمدة النسب) لما لها من اتصال بموضوع الكتاب عدا عشرات المخطوطات التى لم تنشر. وقمت بتفريغ البعض منها على الحاسوب «ككشف النقاب لبسيسو» وخلاصة الأنساب للطباع وذلك لكثرة استعمالى لهما ورجوعى لما فيهما بين آونة وأخرى. وكلفنى البحث عن تلك المصادر والمراجع أن سافرت ثلاث مرات متوالية إلى جمهورية مصر العربية وكنت أداوم دوامًا رسميًا فى معرض الكتاب الدولى حيث لم أدع مكتبة أو دار نشر إلاَّ وقرأت عناوينها بالكتاب وتتبعت دور النشر فى سوريا وعمان ولبنان وأفدت فيها بالكثير والحمد لله، ثم ذهبت إلى مكتبات القاهرة وبحثت فيها جميعها وخرجت أيضًا بالخير الكثير، ثم تتبعت بعض المكتبات الخاصة عدا دار الكتب المصرية فأخذت منها ما أخذت، وكنت فى كل مرة أكابد مشقة السفر بسبب كثرة ما معى من لكتب. هذا عدا مكتبتى الخاصة التى وصل عددها الآن ثمانية آلاف كتاب، فهى مجهزة بكل ما يتصل بالتراث العربى المخطوط منه والمطبوع. وأحمد الله عز وجل إلى أن وفقنى منذ نعومة أظفارى لجمعها وترتيبها وإفادة أهل العلم منها. وأعود للقول بأن عملية تحقيق هذا الكتاب تجاوزت الخمس سنوات سلختها من عمرى وأنفقت على هذا الكتاب من قوتى وعلى حساب معيشة أولادى، ولم آخذ معونة من أحد ولم يقدم لى أحد أى شىء، فقد تداينت مبلغًا ضخمًا من الأستاذ الفاضل جرار القدوة ـ حفظه الله وكان دينًا شرعيًا وعليه شهود وكان مشكوراً فى ذلك. وساهم معى الأخ الفاضل الناشر بجزء من تكلفة طباعة الكتاب. وهذا كله لا يمثل شىء بالنسبة لما بذلته من جهد فكم سهرت ومتى نمت وكم قرأت وكم كتبت وكم فكرت، وكم حلمت فى هذا الكتاب فى الحلم وفى اليقظة، لقد كان مصدر قلقى لخمس سنوات خلت اختلط فيها الخيال بالواقع وتآتى الحلم باليقظة. وباختصار كان إتحاف الأعزة بالنسبة لى سيمفونية أريد أن أرى نهايتها. فقد كانت هذه السيمفونية تعذبنى وتلهب مطامحى. وهكذا كنت وهكذا كابدت ولا يستطيع أحد أن يتصور إلا من خاض التجربة، فكما قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلاَّ من يكابده ... ولا الصبابة إلاَّ من يعانيها

فالليالى التى سهرتها والجهد الذى بذلته والمال الذى أنفقته إلى أن وصل الكتاب بما عليه الآن، بشكله الأخير. حيث إننى أشرفت وشاركت فى كل خطوة من خطوات

المونتاج وكنت أنتقل بين القاهرة وغزة أكثر من أربعة شهور كان معظمها إجازات ـ إلى أن تمم الله عز وجل نعمته عليّ فله الفضل والمنة. فبتوفيقه وكرمه وصلت إلى ما وصلت.

وفي الختام أرجو أن ينال عملي هذا القبول وأن أكون قد قدمته بشكل يليق بمكانته المحفورة في ذاكرة أبناء هذه المدينة.

فالحمد لله وحده وأسأله تعالى أن يوفقني لإصدار المزيد إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

عبد اللطيف أبو هاشم

القاهرة ـ غزة

٢٢ ربيع ثاني ١٤٢٠ ـ ٤/٧/١٩٩٩م

المصادر والمراجع
مرتبة هجائياً

• **المصادر المخطوطة:**

١ ـ إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة (النسخة المسودة): ٤٢٨ صفحة ، ١٩×٢٧سم . ٢٤ سطراً . نسخة مسودة الكتاب الأساسى. انتهى مؤلفها من كتابتها سنة ١٣٣٠هـ، والنسخة المبيضة فرغ منها بتاريخ ١٨/٥/١٩٤٧م ، وقد تم تبييضه بعد أن اطلع عليه أمير البيان شكيب أرسلان والعلامة أحمد زكى باشا والأستاذ عبد العزيز الثعالبى .

٢ ـ أوراق الشيخ عثمان الطباع (مكاتباته ومراسلاته) .

٣ ـ ثبت للطرق السنية الصوفية: لمحرره العبد الفقير لمولاه الراجى عفوه ورضاه عثمان أبى المحاسن الطباع الغزى الحنفى. وهو مسند الطرق الصوفية لرب البرية . فرغ منه سنة ١٣٢٥هـ . ٢٠ ورقة .

٤ ـ الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز: لشيخ الإسلام ومعتقد الخاص والعام وبركة دمشق الشام فريد العصر ووحيد الدهر العالم العلامة مربى الكاملين مولانا الشيخ عبد الغنى الشهير بابن النابلسى الحنفى القادرى، نفعنا بعلومه آمين. نسخة كتبت سنة ١٢٠٣، أوقفها على خزانة الشيخ حسين سليم الدجانى مفتى يافا سنة ١٢٥٤هـ متسلم سنجق غزة . الشيخ سعيد المصطفى . نسخة كتبت سنة ١٢٠٣ تقريباً . نسخة كتبت بخط جميل خط رقعة ، ٣٠ سطراً ، ٢٠×٢٩سم .

٥ ـ خلاصة الأنساب: للشيخ عثمان الطباع . ٧٢ ورقة كتبت سنة ١٣٢٦هـ .

٦ ـ دفتر القرارات لجمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بغزة سنة ١٣٥٤هـ . (٨٠ ورقة) .

٧ ـ الخير التام فى ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأراضى الشام : للشيخ صالح بن محمد بن عبد الله بن أحمد التمرتاشى الغزى .

٨ ـ ديوان ابن زقاعة الغزى (٨١٦هـ=١٤١٤م). وهو شعر صوفى . كتب بخط نسخى جميل بيد الناسخ محمد بن عيسى القادرى الشاذلى. بدايته . . قال الشيخ الإمام والعالم العامل قطب العارفين وإمام المحققين، ومربى المريدين، ومفيد الطالبين أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد القرشى النوفلى، الشافعى مذهباً،

القادرى طريقة، الغزى بلدة، المقرى الشهير بابن زقاعة :

أنتم غياثى إن دهت معضلة   واشتد خطب الكرب أو ضرعا

أنتم ملاذى فى اشتداد أزمة   يحار فى انفراجها ذوو الحجى

كيف وشمس المرسلين جدكم   هل بعد ذا فخر لدى أهل النهى

والمخطوط تام ٤٥ ورقة ، ٢٧سطراً، مقاس ٢٠سم×١٣.٥سم . مجلد بتجليد عادى، أهداه السيد يوسف الدجانى من مكتبة المرحوم الشيخ على أبو المواهب الدجانى إلى دائرة المخطوطات بأوقاف غزة .

٩ ـ السفينة الزاخرة فى محاسن الأشعار الفاخرة: للشيخ عثمان الطباع . فرغ من تأليفها سنة ١٣٣٤هـ. ٣١٥ ورقة وهى أشبه بالمجاميع الأدبية .

١٠ ـ الشجرة الزكية فى طرق الصوفية: للشيخ عثمان الطباع . وهو الوحيد من كتبه المفقودة وهو موجود فى ثبت مؤلفاته .

١١ ـ فهرس مخطوطات الجامع العمرى الكبير فى مدينة غزة تحت الإنجاز. المخطوطات إحدى روافد تراث الأجداد وما خلفوه لنا، يعكس بكل جرأة ما وصلت إليه البلاد من علم وحضارة وما وجد فى مكتبة الجامع العمرى الكبير من مخطوطات تربو على المائة والسبعين مخطوطاً فى مواضيع شتى وفى مختلف العهود والحقب ، وذلك يدل على ثراء مدينة غزة الثقافى، وما وصلنا هو غيض من فيض بل قطرة من بحر، فلم تألُ دائرة التوثيق والمخطوطات والآثار جهداً فى إخراج فهرساً لهذه المخطوطات ، تصور وتوضح المخطوط بما احتواه من عنوان، ومؤلفه، وتاريخ وفاة المؤلف، وعدد الأوراق، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ، موضوع المخطوط، ونوع الخط، وعدد السطور، ومقاس الورقة ونوع الورق ونوع الحبر ولونه وتجليد المخطوط ومن يملكه وما عليه من أختام وما عليه من قراءة وسماع وشرح وحواش وتقييدات، وذكر بداية ونهاية المخطوط.

١٢ ـ كشف النقاب فى بيان أحوال بعض سكان غزة وبعض من بنواحيها من الأعراب: للشيخ أحمد بسيسو الحنفى الشاذلى . ٧٥ ورقة .

١٣ ـ الفتاوى التمرتاشية فى الوقائع الغزية: شمس الدين أبى صالح محمد بن أحمد التمرتاشى الغزى . نسخت بيد مصطفى عبد الرحمن الأزهرى سنة ١٢٧٤هـ، بخط نسخى مصرى، مجلد بتجليد أسمر بسيط . وهى موجودة فى مكتبة الجامعة العبرية بالقدس ـ مجموعة يهوذا وهى ٢٢٥ورقة، ٢٥ سطراً، مقاس ١٨×١٣سم .

ونسخة أخرى: الفتاوى التمرتاشية لمحمد بن عبد الله الخطيب التمرتاشى ١٠٠٤هـ = ١٥٩٦م . وهو فتاوى فى الفقه الحنفى، نسخ فى سنة ١١١٣هـ دون معرفة اسم الناسخ. بدايته : . . . حمداً لمن أنعم علينا بعلم الشرايع والأحكام . . . وبعد، فيقول محمد بن عبد الرحمن، لما ابتليت من عنفوان شبابى، بالإفتاء بغزة هاشم ونواحيها . . . . . أما نهايته فناقصة غير تامة .

١٤ ـ مجموع نفيس فيه فضايل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام وفضايل الشام: لمؤلفه الشيخ العلامة المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسى ، عدد الأوراق ١٧٨ق، عدد الأسطر ٢١، مقاس ٢٧×٢٠.٧سم، نسخة جامعة توبنجن فى ألمانيا وهناك نسخة أخرى هى نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣١١٤ .

١٥ ـ رسالة فى فضايل بيت المقدس: كتبت سنة ١٠٦٢هـ . لمؤلفها ابن عساكر عبد الله بن الحسن أبو سعد (٦٠٠ ـ ٦٤٥هـ= ١٢٠٣ ـ ١٢٤٧م) ١٥ق، عدد الأسطر ٢١ ـ ١٥، مقاس ٢١×١٥سم .

• المصادر والمراجع المطبوعة:

١٦ ـ آثار الأول فى تاريخ الدول: الحسن بن عبد الله العباسى، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الرحمن عميره. بيروت: دار الجيل ؛ سنة ١٩٨٩م .

١٧ ـ آلهة مصر القديمة: على فهمى خشيم : طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، وبيروت: دار الآفاق الجديدة .

١٨ ـ الإتحاف بحب الأشراف: عبد الله محمد بن عامر الشبراوى. القاهرة: المطبعة الأدبية ، (د. ت. ط) .

١٩ ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : محمد بن أحمد المقدسى البشارى، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم . ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م .

٢٠ ـ أحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة ـ (حياته ، آراؤه، وآثاره) . القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر، ١٩٦٤م .

٢١ ـ أدب القضاء : شهاب الدين أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحموى ابن أبى الدم، تحقيق ودراسة: يحيى هلال . بغداد: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، بغداد: مطبعة الإرشاد. ط١، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م .

٢٢ ـ أساطير اليونان : عماد حاتم . بيروت: دار الشرق العربى، الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٨٨م . ودار الشرق العربى ، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٣ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، تحقيق: محمد على البجاوى، بيروت: دار الجيل . ط١، ١٩٩٢م.

٢٤ ـ أسماء الكتب المتممة لكشف الظنون: عبد اللطيف بن محمد رياض زاده ، تحقيق وتوضيح: محمد القونجى . القاهرة: مكتبة الخانجى .

٢٥ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة: أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق: على البجاوى. القاهرة: دار نهضة مصر . ط١.

٢٦ ـ الأصنام : ابن الكلبى، تحقيق : أحمد زكى باشا . القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م/ سلسلة إحياء الآداب العربية عن النسخة الوحيدة بالخزانة التركية .

٢٧ ـ الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): خير الدين الزركلى، بيروت: دار العلم للملايين، ط٩، نوفمبر ١٩٩٠م.

٢٨ ـ من أعلام خليل الرحمن (إبراهيم بن زقاعة) : يونس عمرو، جامعة الخليل، منشورات جامعة الخليل ، ١٩٨٥م .

٢٩ ـ من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين : يعقوب العودات (البدوى الملثم) . القدس: دار الإسراء . ط٢ .

٣٠ ـ أعلام فلسطين فى أواخر العصر العثمانى (١٨٠٠ ـ ١٩١٨): عادل مناع . القدس: جمعية الدراسات العربية . ١٩٨٦م .

٣١ ـ أعلام فلسطين من القرن الأول حتى الخامس عشر الهجرى ومن القرن السابع حتى القرن العشرين الميلادى: محمد عمر حمادة، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م .

٣٢ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد . بيروت: دار الفكر . ط٢، ١٩٧٧م .

٣٣ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى: تأليف الشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة . بإشراف لجنة من العلماء ، ١٩٨٥م .

٣٤ ـ الأغانى: أبو الفرج الأصفهانى، إشراف إبراهيم الإبيارى. القاهرة: طبعة دار الشعب، ١٩٦٩م .

٣٥ ـ الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار: حسن الباشا. القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع . ١٩٨٩م.

٣٦ ـ الإمام الشافعى ، حياته وعصره، آراؤه وفقهه: محمد أبو زهرة ، القاهرة:

دار الفكر العربى ، ط٢، ١٩٤٨ .

٣٧ ـ الإمبراطورية العربية : يوليوس فلهاوزون : نقلها إلى العربية عبد الهادى أبو ريدة . القاهرة. مطبعة التأليف والترجمة والنشر .(د.ت.ط) .

٣٨ ـ أنباء الغمر بأبناء العمر: أحمد بن على بن حجر العسقلانى. بيروت: دار الجيل ، ١٩٩٣م .

٣٩ ـ انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامى:شبلى النعمانى. مطبعة المنار. ١٣٣٠هـ.

٤٠ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: أبو اليمن القاضى مجير الدين العليمى الحنبلى. القاهرة: المكتبة الوهبية ، ط٢، ١٢٨٣هـ . وطبعة عمان: مكتبة المحتسب ١٩٧٣م .

٤١ ـ أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين: أحمد سامح الخالدى . عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية . ط١ ، ١٩٦٨م .

٤٢ ـ أوقاف وأملاك المسلمين فى فلسطين فى ألوية غزة والقدس الشريف وصفد ونابلس وعجلون حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة فى القرن العاشر الهجرى ، تحقيق وتقديم: محمد أبشرلى ومحمد داود التميمى . مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية . إستانبول/ منظمة المؤتمر الإسلامى . ١٤٠٣هـ= ١٩٨٢م .

٤٣ ـ الأوقاف والسياسة فى مصر : إبراهيم البيومى غانم. القاهرة: دار الشروق. ط١، ١٩٩٨م.

٤٤ ـ البحر الأحمر فى العصور القديمة: عبد المنعم عبد الحليم سيد. القاهرة: دار المعرفة الجامعية. ط١، ١٩٩٣م .

٤٥ ـ بحوث فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لبلاد الشام فى العصر الحديث: عبد الكريم رافق. دمشق: كلية الآداب، جامعة دمشق .

٤٦ ـ البداية والنهاية: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير . القاهرة : مطبعة السعادة . ١٣٥١ ـ ١٣٥٨هـ . وطبعة أخرى تدقيق وتحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية. ط٣، ١٩٨٧م .

٤٧ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن على الشوكانى . القاهرة . ١٣٤٨هـ .

٤٨ ـ بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ. بيروت: دار الطليعة. ١٩٦٥ ـ

١٩٧٥م. صور في دار الهدى بكفر قرع .

٤٩ ـ بلدانية فلسطين العربية: جمع نصوصها وأبجدها وترجمها إلى الفرنسية: ا.س. مرمرجي الدومنيكي. فهرسها: محمد خليل الباشا. عالم الكتب . ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

٥٠ ـ بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكرى الألوسى البغدادى. عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثرى. بيروت: دار الكتب العلمية ، ط٢ .

٥١ ـ البنايات الدينية في إسرائيل : ليون ماير . (د. ت. ط).

٥٢ ـ بيبلوغرافيا الوحدة العربية : مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . (د.ت.ط).

٥٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس : محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي . القاهرة: المطبعة الخيرية . ١٣٠٦هـ .

٥٤ ـ تاريخ الآثار الإسلامية الأولى: ك. كريزويل، نقله إلى العربية: عبد الهادى عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه: أحمد غسان سبانو. دمشق: دار قتيبة. ط١، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م .

٥٥ ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي: أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، نقله إلى العربية: صلاح الدين هاشم ، مراجعة: إيغور بليايف. اختارته : الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٥٧م .

٥٦ ـ تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ. بيروت: دار العلم للملايين. ط٥، ١٩٨٩م .

٥٧ ـ تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ط١ ، ١٩٨٧م .

٥٨ ـ تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، لبنان في ظل الإمارة الشهابية: حيدر بك الشهابي، علق على حواشيه مارون رعد، إشراف نظير عبود. بيروت: دار الجيل. ١٩٩٣م .

٥٩ ـ تاريخ بئر السبع وقبائلها: عارف العارف، القدس: مطبعة بيت المقدس ١٣٥١هـ=١٩٣٣م .

٦٠ ـ تاريخ التمدن الإسلامي: جرجي زيدان. بيروت: دار مكتبة الحياة (د.ت.ط)

والقاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢٢ ـ ١٩٣١م .

٦١ ـ تاريخ جبل نابلس والبلقاء : إحسان النمر . دمشق. ١٩٣٨م (١ ـ ٤) .

٦٢ ـ تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار: صنعه باللاتينية وليم الصورى، نقله إلى العربية وقدم له : سهيل زكار، دمشق: دار حسان للطباعة والنشر. ١٤١٤هـ= ١٩٨٤م .

٦٣ ـ تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس: حسين بن محمد الديار بكرى . مصر. ١٢٨٣هـ.

٦٤ ـ تاريخ دمشق : ابن القلانسى أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى، تحقيق: سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر . دمشق، ١٩٨٣م .

٦٥ ـ تاريخ دمشق الكبير: على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تهذيب وترتيب: الشيخ عبد القادر بدران. بيروت: دار إحياء التراث. ١٩٨٧م .

٦٦ ـ تاريخ الدولة العثمانية : يلماز أوتوفا. منشورات مؤسسة فيصل للتمويل تركيا. ٩٩م (١ ـ ٢).

٦٧ ـ تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن : حضرة عزتلو يوسف بك آصاف. تقديم: زينهم محمد عزب . القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٩٥م .

٦٨ ـ تاريخ سوريا الدينى والدنيوى: المطران يوسف الدبس . أعادت طباعته وإخراجه دار نظير عبود . بيروت. ١٩٨٩م .

٦٩ ـ تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها : نعوم بك شقير . مصر: مطبعة المعارف. ١٩١٦م.

٧٠ ـ تاريخ العالم: أورسيوس، حققها وقدم لها : عبد الرحمن بدوى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١، ١٩٨٢م .

٧١ ـ تاريخ غزة : عارف العارف . القدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية ١٩٤٣م .

٧٢ ـ تاريخ غزة نقد وتحليل: حلمى أبو شعبان، القدس: مطبعة بيت المقدس . ١٩٤٣م .

٧٣ ـ تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط: شكيب أرسلان. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٣٥٢هـ .

٧٤ ـ تاريخ فلسطين الحديث: عبد الوهاب الكيالى . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١٠، ١٩٩٠م .

٧٥ ـ تاريخ مختصر الدول: غريغوريوس الملطى المعروف بابن العبرى. بيروت: دار المسيرة .(د.ت.ط).

٧٦ ـ تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة: حسن حسنى عبد الوهاب . مصر. ١٩٤٦م .

٧٧ ـ تاريخ المكتبات : الفرد هيسيل، نقله إلى العربية: شعبان عبد العزيز خليفة. الرياض: دار المريخ . ط٢، ١٩٨٠م .

٧٨ ـ تاريخ المكتبات فى مصر فى العصر المملوكى : السيد النشار . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية . ط١، ١٩٩٣م .

٧٩ ـ تاريخ الناصرة من أقدم العصور إلى أيامنا الحاضرة: أسعد منصور . القاهرة: مطبعة الهلال . ١٩٢٣م . وإصدار مطبعة الحكيم . ط٢، ١٩٢٤م .

٨٠ ـ تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل: أحمد السعيد سليمان. القاهرة: دار المعارف. ١٩٧٩م .

٨١ ـ التبر المسبوك فى ذيل السلوك: محمد عبد الرحمن أبى بكر السخاوى. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة بالأوفست عن نسخة وحيدة بالمكتبة الخديوية .

٨٢ ـ تراث فلسطين فى كتابات عبد الله مخلص : كامل جميل العسلى. عمان : دار الكرمل. ١٩٨٦م .

٨٣ ـ تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشر: حسن عبد اللطيف الحسينى. دراسة وتحقيق وتقديم: سلامة صالح النعيمات، عمان الجامعة الأردنية . ١٩٨٥م .

٨٤ ـ تراجم مقبرة مأمن الله: فهمى الأنصارى المقدسى. نشر فى القدس ١٩٨٧م .

٨٥ ـ التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية: محمد الغزالى . القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر .(د.ت.ط).

٨٦ ـ تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٣م .

٨٧ ـ التمرد: مناحيم بيغن ، بيروت: دار الفكر (د. ت.ط) .

٨٨ ـ التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد: ابن عبد البر القرطبى . ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م .

٨٩ ـ تهذيب التهذيب: أحمد بن على بن حجر العسقلانى، باعتناء: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد . بيروت: مؤسسة الرسالة . ١٩٩٦م .

٩٠ ـ التيجان فى ملوك حمير: وهب بن منبه، تحقيق ونشر : مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء . ط١ ، ١٣٤٧هـ .

٩١ ـ الجامع الأموى فى دمشق وصف وتاريخ: على الطنطاوى . جدة: دار المنارة. ١٩٩٠م .

٩٢ ـ جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر النمرى، تحقيق أبى الأشبال الزهيرى. الرياض: دار ابن الجوزى . ١٩٩٧م .

٩٣ ـ جامع كرامات الأولياء : يوسف بن إسماعيل النبهانى ، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض . القاهرة: مكتبة البابى الحلبى .

٩٤ ـ جامع المسانيد والسنن الهادى إلى أقوم سنن : عماد الدين أبى الفدا إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى الشافعى . وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه أمين قلعجى . بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م .

٩٥ ـ الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل: محمد عمارة . دمشق: دار قتيبة . ط١ ، ١٩٨٩م .

٩٦ ـ جامعة الدول العربية الواقع والطموح : عدة مؤلفين، أصدره مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ . ١٩٨٣م .

٩٧ ـ جغرافية فلسطين: خليل طوطح وحبيب خورى . مطبعة الناصرة . ١٩٢٣م.

٩٨ ـ جغرافية فلسطين وحضارة عمان ، المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين). إصدار الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك عمان: مطابع الجمعية العلمية الملكية. ط١، ١٩٨٣م.

٩٩ ـ جمال الدين الأفغانى "الأعمال الكاملة" : دراسة وتحقيق : محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدرسات والنشر. ط١، ١٩٧٩م .

١٠٠ ـ جمهرة أنساب العرب: لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى . لجنة من العلماء . بيروت: دار الكتب العلمية . ط١، ١٩٨٣م .

١٠١ ـ جمهرة اللغة : لابن دريد. بيروت: دار صادر، طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن بالهند . ١٣٤٤هـ .

١٠٢ ـ جندا فلسطين والأردن فى الأدب الجغرافى الإسلامى : شكرى عراف. كفر قرع : دار الشفق .

١٠٣ ـ الجواهر المضية فى طبقات الحنفية : عبد القادر بن محمد القرشى، تحقيق:

عبد الفتاح الحلو. القاهرة . ١٩٩٣م .

١٠٤ ـ الحاكم بأمر الله (خليفة وإمام ومصلح): عارف تامر. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ط٢، ١٩٨٢م .

١٠٥ ـ حركة الجامعة الإسلامية : أحمد فهد بركات الشوابكة . عمان: مكتبة المنار. ط١ ، ١٩٨٤م.

١٠٦ ـ الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامى فى العصور الوسطى: د. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية. ط٤، ١٩٨٦م.

١٠٧ ـ الحروب الصليبية، الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان، كتبت أصلاً بالإغريقية والسريانية والعربية، اختارها وترجمها وحققها وقدم لها : سهيل زكار . دمشق: دار حسان للطباعة والنشر. ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٠٨ ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه . ط١، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م .

١٠٩ ـ حضارة العراق وآثاره: نيكولاس بوستفيت، ترجمة سمير عبد الرحيم الحلبى، بغداد : دار المأمون للترجمة والنشر. وزارة الثقافة والإعلام. ١٩٩٠م .

١١٠ ـ الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية : عبد الغنى النابلسى الحنفى ، تحقيق ودراسة: أكرم حسن الحلبى. بيروت: دار صادر. ١٩٩٠م .

١١١ ـ الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز: عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى. تقديم أحمد عبد المجيد هريدى . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٦م .

١١٢ ـ حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتنسيق وتعليق: محمد بهجت البيطار. بيروت: دار صادر.

١١٣ ـ حياة نابليون: حسن جلال . سلسلة المعارف العامة لجنة التأليف والترجمة.

١١٤ ـ خريدة القصر وجريدة أهل العصر قسم شعراء الشام : عماد الدين الأصفهانى. تحقيق: شكرى فيصل . دمشق: المطبعة الهاشمية . ١٣٧٥هـ=١٨٩٥٥م .

١١٥ ـ خطط الشام : محمد كرد على . دمشق: مكتبة النورى. ط٣، ١٩٨٣م .

١١٦ ـ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر: محمد المحبى . مصر: المطبعة الوهبية. ١٢٨٣هـ .

١١٧ ـ خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية: شحادة خورى ونقولا خورى. القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥م .

١١٨ ـ خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال: أحمد بن عبد الله الخزرجي. مصر. ١٣٢٢هـ.

١١٩ ـ دائرة المعارف الإسلامية: إصدار أئمة المستشرقين، تحرير إبراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى ، عبد الحميد يونس. القاهرة: مطابع دار الشعب .

١٢٠ ـ درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة: تقى الدين أبو محمد أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى الشافعى. دراسة وتحقيق: محمد كمال الدين عز الدين على . بيروت: عالم الكتب . ط١، ١٩٩٢م.

١٢١ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الشهير بابن حجر العسقلانى . تصوير عن نسخة حيدر آباد، الدكن بالهند .

١٢٢ ـ الدر المنضد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد: مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمى الحنبلى، حققه وقدم له: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. السعودية: مكتبة التوبة . ط١، ١٩٩٢م .

١٢٣ ـ دعوة عامة من المجلس الشرعى الإسلامى الأعلى لفلسطين لعمارة الحرم القدسى الشريف ويليها (دليل الحرم الشريف) القدس ، مطبعة بيت المقدس، ١٣٤٣هـ= ١٩٢٧م .

١٢٤ ـ دول الإسلام : الحافظ شمس الدين الذهبى، عنى بطبعه ونشره عبد الله إبراهيم الأنصارى: دار إحياء التراث الإسلامى .

١٢٥ ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب: برهان الدين إبراهيم اليعمرى ابن فرحون المالكى، بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).

١٢٦ ـ ديوان الإسلام: محمد بن عبد الرحمن الغزى، تحقيق: سيد كسروى حسن، بيروت: دار الكتب العلمية. ط١، ١٩٩٠م .

١٢٧ ـ ديوان الإمام الشافعى ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجى. بيروت: دار ابن زيدون. (د.ت) .

١٢٨ ـ ديوان الشوقيات: أحمد شوقى. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة. ١٩٣٦م .

١٢٩ ـ ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى

الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشى والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط٣، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م .

١٣٠ ـ ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان: حسين خوجة، تحقيق وتقديم: الطاهر العمورى. الدار العربية للكتاب .

١٣١ ـ الذيل على رفع الإصر: للسخاوى، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر. ١٩٦٦م .

١٣٢ ـ رحلة ابن بطوطة . القاهرة: المطبعة الأزهرية. ط١، ١٩٢٨م.

١٣٣ ـ رحلات فى ديار الشام: أحمد سامح الخالدى. يافا: شركة الطباعة اليافية المحدودة. ١٩٤٦م.

١٣٤ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتانى. دمشق: دار الفكر . ١٩٦٤م .

١٣٥ ـ رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية: قاسم عبده قاسم .القاهرة: دار الموقف العربى. ١٩٨٣م .

١٣٦ ـ الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب . ضمن مجموعة أسد رستم رقم (٢٣ ـ ٢٤) . بيروت: المكتبة البولسية.ط٢، ١٩٨٨م.

١٣٧ ـ ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا: أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى الحنفى ، حققه عبد الفتاح الحلو. القاهرة: مطبعة البابى الحلبى .(د.ت) .

١٣٨ ـ سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب : محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى ، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى . وطبع فى بغداد ١٢٨٠هـ .

١٣٩ ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: لمحمد عبد الله النجدى الحنبلى. مكة المكرمة: مكتبة الإمام أحمد. ط١، ١٩٨٩م .

١٤٠ ـ السلاطين فى المشرق العربى، معالم دورهم السياسى والحضارى السلاجقة الأيوبيون: عصام محمد شبارو.(د.ت).

١٤١ ـ سلام ما بعده سلام : دافيد فرولكين . لندن. ط١، ١٩٩٢م .

١٤٢ ـ سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر: أبو الفضل محمد خليل المرادى. القاهرة: مطبعة بولاق ، أعادت تصويره دار البشائر. بيروت . ١٩٨٦م .

١٤٣ ـ السلوك فى معرفة دول الملوك: أحمد بن على عبد القادر أبو العباس

المقريزى، حققه وقدم له ووضع حواشيه : سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة: مطبعة دار الكتب. ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢م.

١٤٤ ـ سليمان الغزى، شاعر وكاتب مسيحى ملكى من القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد. تحقيق: المطران ناوفيطوس أدلبى. جونيه بيروت : المكتبة البولسية . ١٩٨٤م .

١٤٥ ـ سنن ابن ماجه . القاهرة: مطبعة عيسى البابى الحلبى. ١٩٧٢م.

١٤٦ ـ سنن أبى داود: بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع. ط١، ١٩٩٨م.

١٤٧ ـ سنن الترمذى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة الإسلامية ، وتحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف. بيروت: دار الفكر ١٩٧٨م .

١٤٨ ـ سنن الدارمى. أشرف على طباعته محمد أحمد دهمان. دار إحياء السنة النبوية .

١٤٩ ـ سنن النسائى. شرح جلال الدين السيوطى. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط١، ١٩٣٠م .

١٥٠ ـ سياحتنا نامه سى اوليا جلبى: نسخة فى المتحف الفلسطينى بالقدس باللغة الإنجليزية ترجمها عن التركية: الراهب حنا اسطفان. من مصلحة الآثار فى متحف روكفلر (المتحف الفلسطينى) سابقاً وترجم الجزء المختص بغزة للعربية عمر حرب ١٩٩٨م .

١٥١ ـ سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية فى فلسطين: مايكل دنبر: ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت .

١٥٢ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى . حققه مجموعة من العلماء ، إشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١، ١٩٨١م .

١٥٣ ـ السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام المعافرى (ـ ٢١٣هـ=٨٢٨م) ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى. بيروت: دار إحياء التراث العربى. ط٣، ١٩٧١هـ .

١٥٤ ـ السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام المعافرى (ـ ٢١٣هـ=٨٢٨م) . طنطا: دار الصحابة للتراث. ط، ١٩٩٥م (مصححة ومعدة إعداداً جيداً) .

١٥٥ ـ السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام المعافرى (ـ ٢١٣هـ=٨٢٨م) . تحقيق:

سعيد محمد اللحام . بيروت: دار الفكر. ١٩٩٤م .

١٥٦ ـ السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام المعافرى (ـ ٢١٣هـ=٨٢٨م). بيروت: دار الجيل. ط٢، ١٩٩١ .

١٥٧ ـ سيكولوجية الجماهير: غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم: هاشم صالح. لندن: دار الساقى. ١٩٩١م .

١٥٨ ـ شخصيات قلقة فى الإسلام: لويس ماسينيون ، ترجمة عبد الرحمن بدوى. الكويت: وكالة المطبوعات . ط٣ ، ١٩٧٨م .

١٥٩ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلى. القاهرة: طبعة القدسى. ١٣٥٠هـ .

١٦٠ ـ شعراء الصوفية المجهولون: تأليف يوسف زيدان. بيروت: دار الجيل. ط٢، ١٩٩٦م .

١٦١ ـ شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام: أحمد الشرباصى. بيروت: دار الجيل .

١٦٢ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على القلقشندى . القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر . ١٩٦٣م .

١٦٣ ـ صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى. ط١، ١٩٥٥م .

١٦٤ ـ صفحات من حياة الحاج أمين الحسينى: عونى جدوع العبيدى. الأردن الزرقاء: مكتبة المنار . ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٩م .

١٦٥ ـ صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل: عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع . ط٤، ١٩٩٤م .

١٦٦ ـ صوان الحكمة (ثلاث رسائل): أبو سليمان المنطقى السجستانى حققه : عبد الرحمن بدوى. طهران: مؤسسة بنياده فرهنك، المؤسسة الثقافية الإيرانية. سنة ١٩٧٤م.

١٦٧ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى. القاهرة: مكتبة القدسى. سنة ١٣٥٣هـ .

١٦٨ ـ طبقات الأمم: لويس شيخو اليسوعى. القاهرة: مطبعة المنار ١٣٣٠هـ= ١٢٩٢هـ .

١٦٩ ـ طبقات الأولياء: سراج الدين عمر بن على بن الملقن. القاهرة: مكتبة الخانجى . ١٩٧٣م .

١٧٠ ـ طبقات الحفاظ: جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، تحقيق: على عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية . ١٩٩٦م .

١٧١ ـ طبقات سلاطين الإسلام : استانلى لين بول، بغداد: مطبعة البصرى، ط١، ١٩٦٩م .

١٧٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، د. محمود محمد الطناحى . القاهرة: مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.

١٧٣ ـ الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار : أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد على الأنصارى الشافعى المعروف بالشعرانى . بيروت: دار الجيل. ١٩٨٨م .

١٧٤ ـ طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى، تحقيق: على محمد عمر، القاهرة: مكتبة وهبة. ط١، ١٩٧٢م .

١٧٥ ـ ظاهر العمر وحكام جبل نابلس: إبراهيم الدنفى السامرى، تحقيق وشرح موسى أبو دية. نابلس: جامعة النجاح الوطنية ، مركز التوثيق والأبحاث ، ١٩٨٦م، سلسلة المخطوطات رقم(١).

١٧٦ ـ العروة الوثقى : جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده . بيروت: دار الكتاب العربى . ط٢، ١٩٨٠م .

١٧٧ ـ عشائر العراق: عباس العزاوى. بغداد: منشورات الشريف الرضى. ط١، ١٩٣٧م .

١٧٨ ـ العقود اللؤلؤية فى بعض أنساب الأسر الهاشمية بالمملكة العربية السعودية، تحقيق: الشريف محمد بن على الحسينى. القاهرة: مكتبة مدبولى. ط٢.

١٧٩ ـ العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج: عبد الفتاح أبو غدة . حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. ١٩٩٦م .

١٨٠ ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : ابن أبى أصيبعة. تحقيق: نزار رضا. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة . ١٩٦٥م .

١٨١ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء: شمس الدين محمد أبو الخير ابن الجزرى.

بيروت: دار الكتب العلمية . ١٩٨٠م .
١٨٢ ـ غزة عبر التاريخ: إبراهيم خليل سكيك. القدس: المطبعة العربية الحديثة. ١٩٨١م . وأجزاء طبعت فى غزة مكتبة ومطبعة منصور سنة ١٩٩١م .
١٨٣ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى. شرح ابن حجر العسقلانى. عناية عبد العزيز بن باز. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى. المكتبة السلفية .
١٨٤ ـ فتوح البلدان : لأبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: عبد الله وعمر أنيس الطباع. بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر. ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .
١٨٥ ـ فردوس الأخيار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب : للحافظ شيرويه ابن شهر دار بن شيرويه الديلمى، ومعه تسديد القوس: للحافظ ابن حجر العسقلانى . بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م .
١٨٦ ـ فصول بيبلوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية: محمد مؤنس أحمد، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، ط١ .
١٨٧ ـ الفلاكه والمفلوكون: للإمام أحمد بن على الدلجى. بيروت: دار الكتب العلمية .
١٨٩ ـ فلسطين القضية ـ الحضارة ـ الشعب: بيان الحوت، بيروت. ط١، ١٩٩١م.
١٩٠ ـ فهرس الأرشيف العثمانى : فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزارة بإستانبول. إعداد: نجاتى آقطاش، وعصمت بيارق . ترجمة: صالح سعداوى صالح، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلى. منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول ومركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ، ١٩٨٦م.
١٩١ ـ فهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل : محمود عطا الله . عمان : مجمع اللغة العربية .
١٩٢ ـ فهرس مخطوطات المكتبة البديرية (مكتبة الشيخ محمد بن حبيش): خضر إبراهيم سلامة. القدس: مطابع دار الأيتام الإسلامية الصناعية . ١٩٨٧م .
١٩٣ ـ فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى: إعداد خضر إبراهيم سلامة. عمان : المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية . ١٩٨٣م .
١٩٤ ـ الفوائد البهية فى تراجم الحنفية : محمد عبد الحى الكنوى . عنى بتصحيحه

السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني. مصر: مطبعة السعادة . ١٣٢٤هـ .

١٩٥ ـ فى الأدب العربى الحديث: إسحق موسى الحسينى ، إعداد : محمد إبراهيم حوّر. طبع فى دبى، كلية الآداب، جامعة الإمارات . ١٩٨٥م .

١٩٦ ـ قاموس أساطير العالم: آرثر كورتل، ترجمة سهى الطريحى . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ط١، ١٩٩٣م .

١٩٧ ـ القاموس التركى (قاموس تركى كافة اصطلاحات عربية وفارسية وأجنبية) : ش. سامى . طباعة إستانبول، دار سعادة ، ١٣١٧هـ .

١٩٨ ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى ١٩٤٥، وضعه وحققه وعلق عليه: محمد رمزى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٤م .

١٩٩ ـ قاموس الصناعات الشامية: محمد سعيد القاسمى. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . ط١ .

٢٠٠ ـ قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطانى: محمود برهوم ومحمد خروب. عمان : دار الكرمل . ١٩٨٩م . وطبعت ١٩٩٠م .

٢٠١ ـ قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك وجون ألكساندر والرهج مطر. القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٤م .

٢٠٢ ـ قبائل بنى قيس القديمة والحديثة فى الوطن العربى: أحمد موسى صالح الفسفوس. عمان، ط٢، ١٩٩٢م .

٢٠٣ ـ القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة: عبد الله خورشيد. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب .

٢٠٤ ـ قصة الحضارة: ول ديورانت . ترجمة محمد بدران. القاهرة: جامعة الدول العربية والإدارة الثقافية (د. ت) .

٢٠٥ ـ القضاء بين البدو: عارف العارف. القدس : مطابع دار الأيتام الإسلامية، ١٩٣٣م، أعادت تصويره دار الهدى فى كفر قرع . ١٩٨٧م .

٢٠٦ ـ قضايا عربية معاصرة: إسحاق موسى الحسينى. بيروت: دار القدس. ط١، ١٩٧٨م .

٢٠٧ ـ القلاع أيام الحروب الصليبية: فولغبانغ مولر متيز. ترجمة: عمر وليد.

دمشق: دار الفكر .

٢٠٨ ـ الكامل فى التاريخ: ابن الأثير. بيروت: دار صادر. ١٩٧٩م، (المصورة عن الطبعة التى طبعت فى أوروبا) .

٢٠٩ ـ الكتب والمكتبات في العصور القديمة: شعبان عبد العزيز خليفة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. ط١، ١٩٩٧م .

٢١٠ ـ الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى، الشرق المسلم، الشرق الأقصى: شعبان عبد العزيز خليفة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. ط١، ١٩٩٧م .

٢١١ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون: حاجى خليفة . بيروت: دار الفكر . ١٩٩٤م .

٢١٢ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزى، وضع حواشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

٢١٣ ـ لب التاريخ: محمد أفندى غنيم. القاهرة: المطبعة الحسينية. ط١، ١٣٢٧هـ.

٢١٤ ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى . بيروت: دار صادر. ط٣، ١٩٩٤م .

٢١٥ ـ لطف السمر وقطف الثمر فى تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر: نجم الدين محمد الغزى. حققه : محمود الشيخ. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م . صورته الرياض: مكتبة دار زمزم .

٢١٦ ـ اللد فى عهد الانتداب والاحتلال: أسبير منير. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية .(د.ت) .

٢١٧ ـ لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها): عبد المنعم سيد عبد العال. القاهرة: دار الكتاب العربى للطباعة والنشر. ١٩٦٨م، وزارة الثقافة الجمهورية العربية المتحدة.

٢١٨ ـ مثير الغرام لفضائل القدس والشام: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسى الشافعى، شرح وتعليق: أحمد سامح الخالدى. يافا: مكتبة الطاهر إخوان. ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م.

٢١٩ ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس: شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد بن حجر العسقلانى، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلى. بيروت: دار المعرفة. ط١ .

٢٢٠ ـ محاسن المساعى فى مناقب الإمام أبى عمرو الأوزاعى/ نشره الأمير شكيب أرسلان، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٦٧م .

٢٢١ ـ المحفوظات الملكية المصرية : أسد رستم. بيروت: منشورات المكتبة البولسية، مجموعة أسد رستم. ط٢، ١٩٨٦م .

٢٢٢ ـ المختار فى التراث العربى: ليلى الصباغ، دمشق: مطابع وزارة الثقافة ١٩٨٣م.

٢٢٣ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، طبعة إستانبول: دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م .

٢٢٤ ـ المختصر فى أخبار البشر: عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن على بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م .

٢٢٥ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، اختصره ابن منظور، تحقيق: مجموعة من المحققين. دمشق: دار الفكر. ط١، ١٩٨٤م .

٢٢٦ ـ المخطوطات العربية فى فلسطين: صلاح الدين المنجد . بيروت: دار الكتاب الجديد. ط١، ١٩٨٢م .

٢٢٧ ـ مدائن فلسطين (دراسات ومشاهدات). نبيل خالد الأغا. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١، ١٩٩٣م .

٢٢٨ ـ مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام ٤٩٢هـ =١٠٩٩م : صادق أحمد داود جودة. بيروت: مؤسسة الرسالة ودار عمار . ط١ ، ١٩٨٦م .

٢٢٩ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن على بن الحسين المسعودى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر. ط٢، ١٩٨٩م . بيروت: دار المعرفة. ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م.

٢٣٠ ـ المساجد الأثرية فى مدينة غزة : عبد اللطيف زكى أبو هاشم . وزارة الأوقاف والشئون الدينية . ط١، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م .

٢٣١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون . بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٩٥م .

٢٣٢ ـ مسند الفردوس: أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمى. قدم له وحققه وخرج أحاديثه: فؤاد أحمد الزمرلى ومحمد المعتصم بالله البغدادى. بيروت: دار الكتاب العربى .

٢٣٣ ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً: ياقوت الحموى، بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٦م .

٢٣٤ ـ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله التبريزى، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩١م .

٢٣٥ ـ مصابيح السنة: للإمام الحسن بن مسعود البغوى الشافعى، إشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، بيروت: دار القلم .(د.ت) .

٢٣٦ ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير: للرافعى . بيروت: المكتبة العلمية . (د.ت) .

٢٣٧ ـ مصطفى آغا بربر، حاكم إيالة طرابلس وجبلة ولاذقية العرب: أغناطيوس طنوس الخورى. منشورات طرابلس: جروس برس ودار الخليل. ط٢، ١٩٨٥م . من سلسلة مصادر التاريخ اللبنانى (٤) .

٢٣٨ ـ المعارف: ابن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٢٣٩ ـ المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية دراسة عن مولد يعقوب أبى حصيرة بمحافظة البحيرة: سوزان السعيد يوسف. القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . ط ١٩٩٧م .

٢٤٠ ـ معجم الأدباء: ياقوت الحموى، مراجعة وزارة المعارف العمومية، مطبعة دار المأمون. (د.ت) .

٢٤١ ـ معجم أعلام الدروز: محمد خليل الباشا. بيروت: الدار الثقافية. ط١، ١٩٩٠م .

٢٤٢ ـ معجم الألقاب المستعارة فى التاريخ العربى الإسلامى: فؤاد صالح السيد. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٩٠م .

٢٤٣ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى: المستشرق زامباور، ترجمة وإخراج: زكى محمد حسب بك وأحمد حسن محمود وآخرين. القاهرة: جامعة فؤاد الأول. ١٩٥١م .

٢٤٤ ـ معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى الحموى، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى. بيروت: دار الكتب العلمية . (د.ت) .

٢٤٥ ـ معجم بلدان فلسطين : محمد محمد شراب. دمشق : دار المأمون للتراث. ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

٢٤٦ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : عمر رضا كحالة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط٦، ١٤١٢هـ=١٩٩١م .

٢٤٧ ـ معجم كلمات القرآن العظيم: محمد عدنان سالم ومحمد وهبي سليمان . بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر. ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٢٤٨ ـ المعجم المشتمل على أسماء الشيوخ النبل: لابن عساكر ، تحقيق سكينة الشهابي. دمشق: دار الفكر. ط١، ١٩٨٦ .

٢٤٩ ـ معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: مصطفى عبد الكريم الخطيب. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١، ١٩٩٦م .

٢٥٠ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة: جمعه ورتبه: يوسف إليان سركيس. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .(د.ت).

٢٥١ ـ معجم معاني وأصول وأسماء المدن والقرى الفلسطينية: فرج الله صالح ديب. بيروت: دار الحمراء للطباعة والنشر . ط١، ١٩٩١م .

٢٥٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. فنسنك (مجموعة من المستشرقين) . ليدن: مكتبة بريل . ١٩٢٦م .

٢٥٣ ـ معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية : عمر رضا كحالة، جمع واعتناء وإخراج: مكتب تحقيق التراث بمكتبة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م .

٢٥٤ ـ معجم مؤلفي مكتبة الحرم المكي الشريف، إعداد: عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٢٤) بتاريخ ١٤١٦هـ=١٩٩١م.

٢٥٥ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة: أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده ، تحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبي النور . القاهرة: مطبعة الاستقلال الكبرى . ١٩٦٨م . تصوير عن نسخة حيدر آباد الدكن الهند ١٣٥٧هـ .

٢٥٦ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: لابن واصل الحموي، تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة . ١٩٥٣ .

٢٥٧ ـ مفرج الكروب ومفرح القلوب ومبلغ الخائف من حصول الأمن وحصونه

غاية المطلوب: يوسف بن إسماعيل النبهانى، بيروت: دار الفكر. ط٢، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م .

٢٥٨ ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد على. بيروت : دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة النهضة. ١٩٧٣م .

٢٥٩ ـ المفصل فى تاريخ القدس:لعارف العارف. القدس: مطبعة المعارف ١٩٦١م.

٢٦٠ ـ مقدمة ابن خلدون: تحقيق المستشرق الفرنسى أ. م. كاترمير عن طبعة باريس ١٨٥٨م ، تصوير مكتبة لبنان. بيروت ١٩٩٢م.

٢٦١ ـ المقفى الكبير: أحمد بن على عبد القادر أبو العباس المقريزى حققه: محمد البجلاوى. بيروت: دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٠م .

٢٦٢ ـ مكتبة الإسكندرية القديمة: مصطفى العبادى. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٧٧م.

٢٦٣ ـ المنجد فى اللغة والأعلام: منير البعلبكى. بيروت: دار المشرق. ط٢٥، ١٩٨٦م.

٢٦٤ ـ منجم العمران المستدرك على معجم البلدان: محمد أمين الخانجى الكتبى ، قرئ على الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى. القاهرة: مكتبة الخانجى. ط١، ١٣٢٤هـ=١٩٠٦م.

٢٦٥ ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى: لابن تغرى بردى الأتابكى ، حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين، سعيد عاشور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٤.

٢٦٦ ـ من هو؟ لرجال فلسطين سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦م: القدس: مطبعة العرب . الناشرون: مكتب الصحافة والنشر ، يافا .

٢٦٧ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد القسطلانى. تحقيق: صالح أحمد الشامى. بيروت: المكتب الإسلامى. ١٩٩١م.

٢٦٨ ـ موسوعة الأديان السماوية والوضعية مثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ويليه معجم المعبودات القديمة، حسن نعمة. بيروت: دار الفكر. ١٩٩٤م .

٢٦٩ ـ الموسوعة الأردنية: الأرض والإنسان: عبد الله الترزى وآخرون. عمان . ط١، ١٩٨٩م.

٢٧٠ ـ الموسوعة السياسية: عبد الوهاب الكيالى. بيروت: مؤسسة الدراسات،

تصوير كفر قرع: دار الهدى. ١٩٨٩م .

٢٧١ ـ الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربال ، دار الجيل والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية. ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

٢٧٢ ـ الموسوعة الفلسطينية : أحمد المرعشلى، عبد الهادى هاشم، أنيس صايغ. هيئة الموسوعة الفلسطينية دمشق . ط١، ١٩٨٤م.(١ ـ ٤) . والموسوعة الفلسطينية (١ ـ ٨). هيئة الموسوعة الفلسطينية . بيروت. ط١ ، ١٩٩٠م .

٢٧٣ ـ موسوعة القبائل العربية لمحمد سليمان الطيب. القاهرة: دار الفكر العربى. ١٩٩٣م .

٢٧٤ ـ موسوعة كل مكان وكل أثر فى فلسطين: ترجمة ومطالعة : عيد حجاج. عمان: الجامعة الأردنية . ط١، ١٩٩٠م .

٢٧٥ ـ ميزانية الجامع الأموى لسنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م: تحقيق بسام عبد الوهاب ، عمان. ١٩٩٢م.

٢٧٦ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : ابن تغرى بردى . مصور عن دار الكتب ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٣م .

٢٧٧ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم: أحمد بن على عبد القادر أبو العباس المقريزى، حققها: عبد السلام هارون. القاهرة : دار المعارف .(د.ت) .

٢٧٨ ـ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد ابن الأنبارى، تحقيق: إبراهيم السامرائى. الأردن ـ الزرقاء: مكتبة المنار . ط٣، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

٢٧٩ ـ نسب قريش: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيدى، تصحيح وتعليق ليفى بروفنسال. القاهرة: دار المعارف. ط٣، ١٩٧٧م .

٢٨٠ ـ نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب: ابن سعيد المراكشى، تحقيق: نصرت عبد الرحمن. عمان: مكتبة الأقصى. ط١، ١٩٨٢م .

٢٨١ ـ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى. ط١، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م .

٢٨٢ ـ النقب والقبائل البدوية فى فلسطين: توفيق أبو معيلق. دمشق: مطبعة ابن خلدون. ١٩٩٠م .

٢٨٣ ـ نكبة فلسطين والفردوس المفقود ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢م: عارف العارف . إصدار:

دار الهدى بكفر قرع .(د.ت) .
٢٨٤ ـ نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب: أبو العباس أحمد القلقشندى، تحقيق: إبراهيم الإبيارى. بيروت: دار الكتاب اللبنانى. ط٣، ١٩٩١م .
٢٨٥ ـ نوادر المخطوطات فى مكتبات تركيا: رمضان ششن. بيروت. ١٩٨٠م .
٢٨٦ ـ نيابة غزة فى العهد المملوكى: محمود على خليل عطا الله. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة. ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
٢٨٧ ـ هاغناه/ إتسل ليحى (العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة) : محمود محارب. بيروت. ١٩٨١م .
٢٨٨ ـ الوافى بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، اعتناء: رمزى بعلبكى. طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية التابعة لألمانيا الاتحادية بإشراف المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية فى بيروت على مطابع دار صادر فى بيروت. ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢٨٩ ـ وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطانى والصهيونية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) جمع وتصنيف : عبد الوهاب الكيالى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ط٢، ١٩٨٨ م .
٢٩٠ ـ الوسائل فى معرفة الأوائل: جلال الدين السيوطى، تحقيق: عبد الرحمن الجوزو، بيروت: مكتبة الحياة ١٩٨٨م، طبعة خاصة منقحة ومذيلة بالحواشى .
٢٩١ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:لأبى العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبى بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر ودار بيروت ١٩٧٧م .
٢٩٢ ـ وقفيات المغاربة: أحمد العلمى. القدس: مطابع دار الأيتام الصناعية. ط١، ١٩٨١م .
٢٩٣ ـ يافا، مشروع تخطيط المدينة: على المليجى مسعود. القاهرة: مطبعة مصر. (د.ت) .

• مقالات.دوريات:

٢٩٤ ـ آثار قديمة للنصرانية فى غزة وضواحيها : لويس موصيل . مجلة المشرق ، السنة الأولى العدد ١٥ ، آذار ١٨٩٨م ، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين .
٢٩٥ ـ "آل قدامة والصالحية" : د. عيسى صالحية ، من حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت . الحولية الثالثة . ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م .

٢٩٦ ـ إسرائيل تشترى دمتيوه، طارق رضوان. القاهرة: مجلة روزاليوسف.

٢٩٧ ـ بعد نصف قرن من الغياب ، الكلية العربية فى القدس الشريف ـ درة النظام التعليمى الفلسطينى، تصارع للولادة من جديد . جريدة القدس بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٥ ص١٧ .

٢٩٨ ـ التراث العربى الإسلامى بين الإحياء والطمس: عبد اللطيف زكى أبو هاشم.

٢٩٩ ـ جريدة حكومة فلسطين الرسمية. القدس، العدد ٢٢٦ الصادرة فى كانون الثانى ١٩٢٩م .

٣٠٠ ـ شاعر الأزهر (محمد الأسمر): أحمد مصطفى حافظ، مجلة الأزهر ج١ / ٧٠ عدد محرم ١٤١٨هـ، مايو ١٩٩٧م، الجزء الثانى، من مجلة الأزهر، العدد الأول، ص ٩٧ ـ ١٠١ .

٣٠١ ـ غزة دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية (١٢٧٢ ـ ١٢٧٧هـ) (١٨٥٧ ـ ١٨٦١م): عبد الكريم رافق (بحث أعده بمناسبة المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، الذى نظمته الجامعة الأمريكية فى عمان، فى الفترة بين ١٩ ـ ٢٤ نيسان ١٩٨٠م ، ٩ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ .

٣٠٢ ـ غزة فى نقوش جنوب جزيرة العرب: محمود على الغول. الأردن: جامعة اليرموك . (المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) نظمته الجامعة الأمريكية فى عمان ، فى الفترة بين ١٩ ـ ٢٤ نيسان ١٩٨٠م، ٩ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ) .

٣٠٣ ـ قافلة الحج الشامى وأهميتها فى العهد العثمانى: عبد الكريم رافق. بحث أعد للمؤتمر العالمى لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، ١٦ ـ ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ/ مايو ٢٠ ـ ٢٦ نيسان ١٩٨١م .

٣٠٤ ـ فلسطين فى مذكرات الفارس دارفيو، البنية الطبيعية والبشرية: ليلى الصباغ، جامعة دمشق، (بحث مقدم لمؤتمر بلاد الشام ، ونشرته الجامعة الأردنية فى عمان سنة ١٩٨٣م تحت نشرات المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)، مج١٢ ، "جغرافية فلسطين وحضارتها ١٩٨٣م .

٣٠٥ ـ مخطوط من العام ١٦٨٧م لمؤلفه صالح التمرتاشى الغزى وصف بيت المقدس وغزة والرملة وحدودها . إعداد: محمد غوشة ، دائرة الآثار الفلسطينية . جريدة القدس ، العدد ١٠٠٦٦ ربيع الثانى ١٤١٨هـ/ أيلول ١٩٩٧م .

٣٠٦ ـ المطران سليمان الغزى : عيسى المعلوف، ١٩١٠م، مجلة النعمة.

٣٠٧ ـ المكتبات الفلسطينية منذ الفتح العربي الإسلامى حتى ١٩٨٥م: كامل جميل العسلى .

٣٠٨ ـ مكتبة الإسكندرية أول مكتبة علمية فى التاريخ: ربيع شتا. القاهرة: مجلة الهلال، عدد خاص فبراير ١٩٩٢م .

٣٠٩ ـ من أجل تنسيق الجهود القائمة حول تحقيق التراث ونشره. العددان ١٧، ١٨١ مجلد ٦، عدد ذى الحجة ١٤١٦هـ، رجب ١٤١٧هـ، ديسمبر ١٩٩٦م . القاهرة: معهد المخطوطات العربية، مجلة أخبار التراث العربى .

٣١٠ ـ من مكتبات بيت المقدس ـ المكتبة الخالدية: سميح حمودة. جريدة الفجر المقدسية بتاريخ ١٩٨٨/٩/٥، العدد ٤٨٤١ .

٣١١ ـ نبذة عن المستشرقين اليهود وأبحاثهم فى الشرق الإسلامى: نشرة صادرة عن الوكالة اليهودية . القدس. فبراير ١٩٤٧م، نشرة رقم ٢١ .

٣١٢ ـ نفائس المخطوطات العربية فى فلسطين، ديوان ابن زقاعة الغزى: عبد اللطيف زكى أبو هاشم . مجلة الإسراء المقدسية ع١٣، ١٩٩٨م.

• مراجع اللغة الإنجليزية :

313 - The port of GAZA and excavation in pHilastia .By Duncan Mackenzie M.A.Pn.D, Palestine exploration Fund., Quarterly Statement , For 1918 Cas _ Paj 1 - 73 - E.

314 - EVLIYA TSHELEBI's , Seyahatname si) Travels (, Trsl of vol III, PP 99 - 134 By ST .H .Stephan 1649 .Trsl .into Arabic by Omar M . Harb. 1999.

315 - History of City of Gaza _M.A .mayer , New York 1966.

فهرس موضوعات المقدمة

* * *

هذا كتاب

اتحاف الأعزة في تاريخ غزة

لمؤلفه الفقير لرب المطاع

عثمان ابو المحاسن الطباع

الغزي ثم الدمشقي الحنفي

غفر الله له ولوالديه

والمحسنين عليه

آمين

م

وقال في حضرة الأمير شكيب أرسلان من بلغاء جبل لبنان ارتجالا وكان على أهبة السفر من غزة

لا سيما اتحاف الأعزة تحفة ... بفوائد التاريخ يكمل نفعه

لكن لأجل تمام فائدة به ... مذ كتمه الطباع يلزم طبعه

وكذا يليق بمن تعلم في الورى ... أن يستفيد بما تعلم ربعه

ما جاء تاريخ لغزة مفرد ... حتى تهيأ من يراع أصنعه

قد ضم عن إقليم غزة زبدة ... صحت وفيها بات يزار ربعه

هذا هو العلم الذي من طبه ... لخاطر القدر وسر بجد رفعه

والعذر في التقصير مقبول فما ... شعر على سفر سديد وقعه

صفحة العنوان من النسخة المسودة

الجزء الأول من كتاب
إتحاف الأعزة في
تاريخ غزة
لمؤلفه الفقير
عثمان [illegible]
الطباع [illegible]
الغزي
عفي عنه
آمين

وحينما اطلع على مسودته أمير البيان حضرة الأمير شكيب أرسلان قال فيه ارتجالا وكان على أهبة السفر من غزة إلى طرابلس الشام [illegible]

لا شك إتحاف الأعزة تحفة | بفوائد التاريخ يكمل نفعه
لكن لأجل تمام فائدة به | مذ كنتم الطباع يلزم طبعه
وكذا يليق بمن تعلم فن الوزن | أن يستفيد بما تعلم ربعه
ما جاء تاريخ لغزة مفرد | حتى تهيأ من بدائعك صنعه
فجزيتم عن إقليم غزة زبدة | صحت وكم بات يلذ سمعه
جمعت أهل العلم الذي من طيبه | لحظائر القدوس يجدر رفعه
والعذر في التقصير مقبول لما | شعر على سفر سديد وقعه

وقد اطلع عليه أستاذ التاريخ وخزانة الأدب شيخ العروبة أحمد زكي باشا [illegible] المصري وتصفحه فعجب به وحثني على تنقيحه وتبييضه وأشار لحذف بعض أشياء منه فعملت بذلك وقد طار صيته وهو في مسودته وطلبه الكبراء والأعيان وأراد بعض المستشرقين طبعه فزدت البحث والتنقيب وأخذ آراء ومعلومات ذوي المعرفة من أهل العصر والبحث عما لم أطلع عليه من الكتب المخطوطة

صفحة العنوان من النسخة المعدلة (المحققة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر العالم بقدرته معدد الكون بحكمته مغدق الفضل على بلاده
مغدق الخير في عباده جاعل البلاد مواطن والعباد معادن ميسر كل لما خلق
له مهيئ أسباب فضله لمن اعتمد عليه أحمده حمد معترف بقدرته وأفضاله
الموجبة شكره وأصلي وأسلم على نبيه النقي ورسوله الصفي وعلى آله الأطهار
وأصحابه الأخيار وبعد فهذا كتاب يشتمل على تاريخ غزة ذات الفخار
والعظم وما احتوت عليه من المزارات والآثار وتراجم جماعة من أعيان
علمائها والأخيار مع التنويه بما فيها من الأسر الكريمة والبيوت القديمة والمشهورة
منها والمتجددة لها وقد أطلقت عنان اليراع في ميدان هذه الطروس
وأتيت بما لم يسبق إليه وحليت به جيد نسخة العروس حبا في العلم وخدمة
للوطن ونشرا للفضائل التي اندرست من هذا الزمن ليكون تذكرة لنا وتبصرة
لمن يأتي بعدنا فجاء هذا الكتاب موفيا إن شاء الله بعظيم أمل وأرجو أنه
لكتاب مطلب ينتفع به الصغير والكبير ويحتاج إليه الناقد البصير وقد صرفت فيه من
ريعان الشباب نحو سبع سنين شمرت فيها عن ساعد الجد والاستمرار وواصلت
البحث عن مطالبه في الليل والنهار حتى وقفت على ما يمكن الوقوف عليه من تراجم
الأكابر والأوائل ومن الكتب والرحل والدروج والأنساب والصكوك القديمة والسجلات
الشرعية والرسائل والكتابات المنقوشة على القبور والأبواب والجدران وما
يعرفه الحفاظ من أفواه المسنين ذوي العرفان وتحريت الصحيح من الأخبار
والآثار من البحث والاختبار وأضفت لذلك جملا من نفائس الفوائد ونبذا من عرائس
الفرائد فجاء نزهة لفضلاء العصر وتحفة لنبغاء الدهر ولم أبال فيه بأمثال المتاعب
وتحمل المشاق وتثبيط الهمم من ذوي البطالة والكسل ولا اللوم ممن لا يعرف الفضائل
والحقائق من أهل الغفلة والجهالة وقد أعدت النظر فيه مرة بعد أخرى وحذفت منه
ما يقصر بقدره وإعلائه إذ لا قيمة للكتاب ولا ثقة بالكاتب إذا لم يدعم بالصدق
والأمانة والتاريخ لا يقبل التمويه والتدليس

وقد اطلعت على تاريخ التمدن الإسلامي لبعض فضلاء العصر فرأيته جامعا لأبواب التاريخ
ومهمات المسائل مع كثرة النقل وسعة الاطلاع وحسن التعبير غير أنه أسقط كتابه
بالغرض والتمويه وعدم الصدق والأمانة بذكره جملة مسائل عارية عن الصحة
لا يقبلها العقل ولا يجيزها النقل فشانه ذلك شينا لا يخفى وقد اختلج في صدري
أن أرد عليه وأفند تلك الترهات التي جعلها للعرب والإسلام من الأحوال والسجايا
المستبشعة حتى رأيت العلامة الشيخ شبلي النعماني رئيس ندوة العلماء في لكنو الهند
قام بالرد والانتقاد عليه وغالى في تفنيد كلامه

خطبة الكتاب

الأمير الكبير مصطفى باشا نائب غزة من حدود سنة ٩٥٠ ونقل منها الى ولاية حلب [illegible]

= بهرام باشا ابن مصطفى = = الى ٩٨٨ ثم نقل من غزة الى ولاية حلب [illegible]

= رضوان = = = = = = تولاها بعد اخيه بهرام باشا [illegible]

= احمد = = ابن رضوان = = الى ١٠٠٩ = بعد والده وضمت اليه نيابة القدس ونابلس وعكا ومرعش وكان امير الحاج

= حسن = = احمد = = الى ١٠٥٤

= حسين = = = حسن = = = ... ١٠٧٧

= ابراهيم = = ابن حسين = =

= موسى = = = حسن = = ابن احمد ١٠٩٠

= احمد باشا ابن مصطفى بيك ابن حسين باشا

= اسعد = = ابن الفطيم

محمد بيك مكي الغزي كتخدا الصدر ١١٥٥

حسين باشا مكي الحلاق قتل ١١٧٩

عبد الرحمن اغا المصري واقام على بلاد غزة [illegible] ١١٨٤

درويش باشا متصرف لواء غزة [illegible] ١٢٠٢

[illegible]

الحاج احمد اغا متسلم غزة [illegible] ١٢١٧

الحاج علي اغا ابو مرق كان متسلما الى ١٢١٤

محمد باشا ابو مرق متصرف غزة والقدس الى ١٢١٧ وكان يقيم بغزة تارة وبالقدس [illegible]

شعبان اغا متسلم غزة وكان ... ١٢١٤

[illegible] حاكم جهة وعزله [illegible] سنة ١١٩٤

احمد باشا الجزار والي عكا

الأمير [illegible] امير لواء غزة وكان ١٢١٧

اسماعيل باشا الكرجي واقام [illegible] ١٢٢٥

محمد اغا ابو طوق متسلم غزة [illegible] ١٢٢٤

محمد اغا الدوزدار [illegible]

مصطفى اغا [illegible] ١٢٢٤

عبد الله باشا [illegible] ١٢٢٦

حسين اغا متسلم غزة ويافا [illegible] ١٢٢٧

[illegible] اغا [illegible] متسلم غزة

سليمان اغا [illegible] ١٢٢٨

صالح اغا ابو شناق كان [illegible] ١٢٤٤

[illegible]

ثم نقل من غزة الى ولاية حلب [illegible] عيّن [illegible] نائب غزة ومقدم [illegible]

[illegible] بعد والده وضمت اليه نيابة القدس ونابلس وعكا ومرعش وكان امير الحاج قال المحبي واستولى على بلاد غزة [illegible] من الرملة [illegible] الى [illegible]

[illegible]

المعروف بغزة على [illegible] والخليل والرملة ويافا ونابلس وضمت اليه مرعش والقلاع وامارة الحاج [illegible]

الامير حسين باشا ... حسين باشا ولي [illegible] [illegible]

حسين باشا الامير [illegible] عزل ونفي الى الاستانة [illegible]

توجه الى الاستانة واخذ بلاد غزة وقطاعها له واقام بها ولده حسين باشا ثم عزل ابراهيم [illegible] ثم [illegible] سنة ١١٠٩

لانه للامارة غزة وصيدا ودمشق والحاج [illegible] حاكما ومحافظا لبلاد غزة ثم [illegible] بالبلاد وصار حاكم غزة بعينه والى مصر تارة ووالى عكا اخرى وحركت الحرب المصرية [illegible] محمد بيك ابي الذهب [illegible] في غزة بلاد [illegible] عند [illegible] وقتل اولاد احمد باشا الجزار والي عكا بسبب [illegible] يوسف باشا المعدني [illegible] حملته على مصر وكان ذلك بها [illegible] محمد باشا [illegible] الجزار [illegible]

[illegible] سنة ١٢١٥ [illegible] [illegible] ويافا [illegible] وعسكر الحجاز

[illegible] على انه [illegible] بالسر علاوة على غزة [illegible] وحلطه

تغلب على غزة وتبارعلى حاكمها ابو مرق [illegible] باحمد [illegible] [illegible] الى [illegible]

وهو من [illegible] الجزار ولانه يكتب [illegible] وعكا [illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] متسلم حسين بيك [illegible] والى [illegible] وصيدا وعكا وطرابلس [illegible] ويافا ونابلس [illegible] القدس [illegible] ان غزة في القرن الثالث عشر نزلت درجتها من النيابة والولاية الى لواء [illegible] ثم الى متسلمية وقائمقامية

[illegible]

صفحة (١٢٥) من المخطوط ويقابلها (ص ٣٥٥ـ٣٥٩/ مج٢) من المطبوع

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا
فلا يستجاب لهم وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على
يدي الظالم ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض
وقال لا تظالموا فتدعوا فلا يستجاب لكم وتستسقوا فلا تسقوا وتستنصروا فلا تنصروا
ولا يوجب الخزي والبوار والمحق والدمار غير الفساد والعصيان والظلم والطغيان
وكم أباد الله به من أمم وملل ودك من عروش وأفنى من دول وخرب من قرى
وأمصار وكم أصبحت عبرة لأولي الأبصار ولكن هذا آخر ما أردنا إيراده
في الجزء الأول من كتاب اتحاف الأعزة في تاريخ غزة كان الفراغ من تبييضه
بعد العصر من يوم الأحد الموافق ٧ من جمادى الثانية سنة ١٢٦٦ [illegible] على
يد مؤلفه الذي [illegible] الفقير لمولاه الراجي
دوام ستره ورضاه عثمان ابن الطباع الغزي الدمشقي الحنفي الأزهري
والحمد لله على عظيم فضله ونعمه وعظيم توفيقه
وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
والتابعين والعلماء العاملين
وتابعيهم بإحسان
إلى يوم الدين
آمين
م

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله بعد المقدمة حرف الألف وفيه
ذكر الماية ثلاث عشر تراجم الأعيان الذين أنجبتهم غزة في العصور المختلفة

خاتمة الجزء الأول من المخطوط (قسم التاريخ)

لقد أتحف عثمان الأعزه ... بخير مؤلف تاريخ غزه

حسنت تقاريظ فغدت تؤدي ... بأكمل حلة وبحسن بزه

جمعت له المصادر عن ثقاة ... ومن كل غدا استخرجت كنزه

فمن علم الى أدب نفيس ... الى أثر بها أظهرت لغزه

نشرت الى بنيها ما طوته ... يد الأزمان من مجد وعزه

فكان لها وكان اليك ذكرا ... رفيعا لا يرى الانصاف وخزه

ودل على فضائل فيك تسمو ... على سعة اطلاع كان حرزه

على جهد على حسن اعتناء ... اصبت بجيد الترتيب رمزه

يقينا لو سوالك اراد هذا ... لاظهر واسع التاريخ عجزه

قرأت صحائفا منه وكشفا ... ~~لم تعجزني يا عثمان~~ لم تعوزني يا عثمان هزه

فيا ذا الفاضل الطباع اقبل ... على طبع الكتاب ينال فوزه

تخلد ذكرك الأيام فيه ... وشكرك من خصوصك والأعزه

الفقير الى ربه تعالى

محيي الدين بن حسن بن ابراهيم بن الشيخ محمد تقي الدين الشهير بالملاح

من أهل طرابلس الشام المتوطن غزة منذ أعوام

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

آمين

تقريظ الشيخ محيى الدين الملاح للكتاب

وقال فيه بعد ما أتم الجزء الأول منه حضرة الفاضل الأديب منير أفندي محمد عيسى الصفدي

بإتحاف الأعزة زدت قدرا ... وفي تاريخ غزة نلت أجرا
غرست بروضة التاريخ علما ... فأنبت للذهن نظما ونثرا
جمعت مآثر الأخبار حتى ... كأنك عاصرت عصرا فعصرا
ورصعت عقودا عسجديا ... فأضحت مرجعا للناس سيرا
فموسوعتك التي جمعت فأوعت ... بها أحييت بالإيمان ذكرا

تحريت الحقائق عن شعور ... وغيرك قد أتى زورا وهجرا
فأنت معلم للعلم حقا ... ودون سواك قد أفرغت فكرا
لقد حققت للتاريخ بدءا ... وكل منهم بالشكر أحرى

ورب ذكي علم مشرئب ... جهول لم يحط بالعرب خبرا
تؤلف خدمة للعرب حتى ... تحس فؤاده ذاك الجهول وزرا
وباع ضميره بيعا سماحا ... لذلك ضمير بعض الناس يشرى
طرحت له بأفق الصدق شمسا ... تقلص ظله المأفون ظهرا
وأطلقت اليراعة من عنان ... فلم تترك له ثالا مسترا
كذا الرحمن يبعث كل قرن ... إماما للأنام يكون حبرا
وقيت أبا المحاسن كل شر ... ودمت لنا وللتاريخ ذخرا

ابن الجزيرة

منير محمد عيسى
الصفدي

تقريظ الأديب منير الصفدى للجزء الأول

تعددت فيها كل حبر مؤلف	ومحبر حبر العلم علامة ندب
وحبر وابن العز مهديه رشده	كتاب جليل خطه الذوق الادب
فهم جماعا قل فيها رقيمها	أيا من يلقاه في صدره الرحب
أيسله الذي تختاره من طروسها	ومن كل من راق في الشرق والغرب
أورد منهلا منها يروي ظماءه	وحدث ولا اثم عن المورد العذب
وقد شاكر النشاء خطان الله	مؤسسها والشكر يحمد للمنسب
ولسادة الاخيار اصحابها الالى	لقد بذلوا في شأنها منتهى الرتب

" بيان ما وجد ويوجد من المكاتب في العواصم والبلاد الاسلامية "

١) خزائن الخلفاء العباسيين ببغداد وقد نالها من التلف ما نالها من رمتها في الدجلة وحرقها .
٢) خزائن الفاطميين بمصر ومكتبة الاسكندرية وغيرها .
٣) خزائن الامويين بالاندلس بما في الغرب من المكتبات ومنها جامع الزيتونة .
٤) الدولة العثمانية بالاستانة وصنف فيها كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون .
٥) الدولة المصرية بالقاهرة وظهرت فيها في عهد محمد علي باشا وعرفت بالكتبخانة الخديوية .
٦) مكتبة الظاهر بيبرس بغزة وبلغ فيها مدة عشر عهدا وبلغ ما حوته خمسين الف كتاب وذهبت بسبب الحروب .
٧) مكتبة الظاهر بيبرس بدمشق وهي موجودة عامرة وفيها اعلاء وتجديد .
٨) مكاتب في بلاد المغرب لخير الدين باشا بتونس ومكتبة القرويين بفاس ومكتبة الشريف مولاي ومكتبة مرطلي بالمدينة .
٩) مكاتب في بلاد اليمن .
١٠) مكاتب في بلاد الاتراك ومنها مكتبة ازمير وسالونيك ومناستر وسيروز وادرنه وبورصة وقونية وغيرها .
١١) مكاتب في بلاد الهند .
١٢) مكتبة الجامع الازهر بما فيه من مكاتب الاروقة .
١٣) مكتبة الحرم بمكة المكرمة وفيها نحو عشرين الف كتاب وقد زرتها وفيها كتب من كتب القديمة .
١٤) مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة لشيخ الاسلام عارف حكمت وهي قريبة من باب جبريل وفيها نحو خمسة الاف واربعمائة كتاب .
١٥) مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة للسلطان محمود وفيها نحو اربعة الاف وخمسمائة كتاب .
١٦) مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة للسلطان عبد الحميد الاول وفيها نحو الف وثمانمائة كتاب .
١٧) مكتب بشير آغا بالمدينة المنورة بزقاق الخياطين وفيها نحو الفين كتاب وفيها كتب ...... ثلاث الف كتاب نادرة المثال ولو جمعت بمحل واحد لكان انفع .
١٨) مكتبة المسجد الاقصى ببيت المقدس .
١٩) مكتبة الخالدية ببيت المقدس وفيها كتاب قيمة بخط العلماء السابقين والمحققين لها قيمتها .
٢٠) مكتبة الحرم الابراهيمي بمدينة الخليل واكثرها مخطوطة ولكنها مهجورة تحتاج لصيانة .
٢١) مكتبة احمد باشا الجزار بعكا وفيها كمية كبيرة من المخطوطات وفيها كتب قيمة .
٢٢) مكتبة محمد باشا ابو ..... بيافا وفيها كمية كبيرة من المخطوطات وفيها كتب قيمة .
٢٣) مكتبة الجامع العمري الكبير بغزة وهذه المكتبات الخمسة مرتبطة بالا ...... اداره الاوقاف وقد اصبحت تزدهي بموقعها .... وتنظيمها .... من كتب التفسير والحديث والفقه والفتاوى والاصول والعلوم العربية عددا كثيرا من كتب التاريخ والآداب والصحف الكبيرة والكتب وكثيرا من الكتب المختارة من مختلف العلوم والفنون ويؤمها كثير من الاساتذة .... والقضاة والتلامذة وطلبة العلوم .... فيها .... من .... من نحو عشر سنين من تأسيسها .... شخصا .... الزوار لها من الاجانب واهل .... والسياح ....

((كنيسة برفيريوس))

هي الكنيسة الصغيرة التي بناها القديس برفيريوس اسقف غزة ...... الكنيسة الكبيرة التي ...... الوثني ...... المتقدم ذكره ...... وكنيسة ...... لانها ...... منتظمة في ...... بالجدار القبلي والشمالي

١٠٧/٠٠

نموذج من النسخة التى طبعت على الآلة الكاتبة

وقد تسربت إلى جامعة حيفا، ليد الدكتور (بطرس أبو منة)

الجزء الثاني من كتاب
إتحاف الأعزة في
تاريخ غزة لمؤلفه
الفقير إليه سبحانه
عثمان الطباع
الدمشقي
الغزي
عفي عنه
م

عنوان الجزء الثانى من المخطوط (الأنساب والعائلات والتراجم)

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد يا من وفقت من اردت لخدمة عبادك وهديت من
اجتبيت لخالص العمل في بلادك لا اله الا أنت أسعفت من أمّك
عليك وكفيت من توجه بقلبه اليك والصلاة والسلام على
خير الأولين والآخرين سيد المتقين والمؤمنين وعلى آله
وصحبه وجنده وحزبه وبعد فلما انتهى اليراع من القسم
الأول من اتحاف الأعزة في تاريخ غزة دعاني حب الفضيلة
والوطن الى القيام باتمام هذا الواجب والشروع في القسم
الثاني من هذا الكتاب الذي لم يسمح الدهر بمثاله ولم ينسج
ناسج على منواله وقد رأيت أن أحليه بمقدمة تكون
حلية في صدر هذه العروس الجميلة وحلة لأهلها ذوي
المكارم والفضائل الجليلة تبين ما جاء فيه من الألقاب والنسب
التي صارت أعلاما تتعرف بها الأسر وما درج منها في الحجج
والسجلات القديمة وما استفاض منها بين الناس من ذكر الألقاب
والنعوت التي كانت تنعت بها الفضلاء والأعيان ومراتب كل
منها أو ما يفهم من تفرعها على كثير من اهل النباهة فضلا عن غيرهم
وذلك يستدعي مزيد الشرح والبيان ليكون القارئ على علم
بمصادرها وتكفيه مؤونة التفتيش والبحث عنها مقدمة
في بيان ألقاب الأسر ونسب العائلات القديمة والحالية
الأصل في الألقاب والنسب أن تكون الى الأجداد أو الأنساب
والبطون والقبائل العربية ثم صارت كما يغلب في العجم
الى البلاد والمواضع ثم صارت الى من اشتهر من رؤساء الأسر
وأفراد العائلات كزين الدين وعلم الدين وبدر الدين
وعلاء الدين ومحب الدين وصلاح الدين وخير الدين وتاج
الدين ورمضان وعرفات ومكي ونحو ذلك ثم صارت
الى الحرف والصنائع كالنشاشيبي والغلاييني والبرادعي
والخزناتي والقباقيبي والحايك والصباغ والسراج والفرا
والصائغ والنحاس والحداد والنجار والبناء ثم صارت الى الوظائف
كالقاضي والمفتي والخطيب والامام والموقت والناظر والقيم والجابي
والمحتسب والمباشر والكاتب والبواب الى غير ذلك
وهنالك ألقاب شاعت لأوهى سبب واشتهرت لأدنى علاقة
ومنها ما هو مستقبح مبذول ومستملح مرذول كما سترى ذلك
مرتبا على حروف المعجم تسهيلا للمراجعة تاركا متسعا في
كل حرف لذكر ما لا يذكر والحاق ما لم يسطر مما غاب عن الذهن
ولم يستحضره الفكر كيف وقد ذكرت في الحرف من لا يستحق الذكر

الصفحة الثانية (الجزء الثاني)

تراجم الأعيان الذين اختص بهم مدينة غزة او نزلوا بها ونسبوا اليها ٤٢٦

السيد هاشم بن عبد مناف

ترجمة النبي صلى الله عليه وسلم

واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لأنه اول من هشم الثريد لقومه بمكة واطعمه وقد اصابتهم لزبة وقحط فرحل من مكة الى فلسطين فاشترى منها الدقيق فقدم به مكة فامر به فخبز له ونحر جزورا ثم اتخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز وانه اول من سن الرحلتين رحلة الشتاء والصيف وهو اول من اخذ لقريش الحبل فانتشروا من الحرم اخذ حبلا من ملوك الشام الروم وغسان واخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك الى ارض الحبشة واخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة فاختلفوا الى العراق وارض فارس واخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير فاختلفوا بذلك الى اليمن فجبر الله بهم قريشا فسموا المجبرين وولي هاشم بعد ابيه عبد مناف السقاية والرفادة. وقال وهب بن عبد قصي

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... واعيا ان يقوم به ابن بيض

اتاهم بالغرائر متأقات ... من ارض الشام بالبر النفيض

فاوسع اهل مكة من هشيم ... وشاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكللات ... من الشيزى وحائرها يفيض

واول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم مات بغزة من ارض الشام ثم مات عبد شمس بمكة فقبر باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ثم مات المطلب بردمان من ارض اليمن وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم الى اخيه المطلب ثم انتقلت الى عبد المطلب بن هاشم واسمه شيبة الحمد كما في الطبري [illegible] لان هاشما اخو قومه واعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وكان يحمل ابن السبيل ويؤدي الحقائق وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه يتوهج شعاعه ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشيء الا سجد اليه اهـ قال ابن هشام هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من ارض الشام تاجرا فولي السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف في قومه وفضل وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته [illegible] ومات هاشم بغزة وله عشرون او خمس وعشرون سنة [illegible] وقال مطرود الخزاعي يبكي بني عبد مناف جميعا وذكر [illegible]

وهاشم في ضريح وسط بلقعة ... تسفي الرياح عليه بين غزات

[illegible] كل ناحية منا باكرم البلدة [illegible]

[illegible] تعرف بغزة هاشم لانه [illegible]

[illegible] فلم يكن عندهم منه علم [illegible]

[illegible] ترجمة [illegible]

الصفحة الأولى من تراجم الأعيان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

حمداً لك على مرسل آلائك ومرفوعها ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها بحسن الإنشاء وصحيح الخبر يا من تجيز من استجازك وافر الهبات وتجير من استجارك واعر العقبات فيغدو موقوفاً على مطالعة الأثر ما بين مؤتلف الفضل ومتفقه ومختلف العدل ومفترقه جيد الفكر سليم النظر بحسن منتج قياسه شريف الفوائد وبحسن منهج اقتباسه شريق الفرائد ويجلي نفس النفوس بمعقود العقائد الغرر فإن صادفه مديد الأمداد وصادقه مزيد الأنجاد وصفا مشربه الهني ولا كدر ووجد درر الجواهر ويانعة الوجاده بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة ولا أشر ولا بطر فبذل المعروف وبدل المنكر إذ ليس عنده الإصحاح الجوهر ما عنعن وما افتن عزها عندما عثر لا يزور ولا يدلس ولا يطهر ولا يطلس ولا يعاني الشر فيا من منّ على هذا المنقطع الغريب ومنحه منحة المتصل القريب امنحني السلام في داره ونجني من سقر ومدك موصول صلواتك لا مقطوعها وسلسل جليل تسليماتك ومجموعها على سندنا وسيدنا محمد سيد نوع البشر وعلى آله وأصحابه وحملة شريعته وأحبابه ومن اقتفى أثرهم وعلى جهاد نفسه صبر أما بعد فلما كان الإسناد مزية عاليه وخصوصية غالية لهذه الأمة دون الأمم الخالية اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر إذ الدعي غير المنسوب والقصي غير المحسوب وسليم البصيرة غير أعمى الفكر ولما كان منهم الإمام الكامل والهمام الفاضل والجهبذ الأبر اللوذعي الأريب والألمعي الأديب ولدنا الشيخ عثمان أبي المحاسن ابن السيد مصطفى الطباع الغزي أيده الله بالمعارف ونصر طلب مني إجازة ليتصل بسند سادتي سنده ولا ينفصل عن مددهم مدده وينتظم في سلك قدماء غيرهم وزمر فأجبته وإن لم أكن لذلك أهلاً رجاء أن ينشر العلم وأنال من الله فضلاً وأحشر في القيامة مع الكاتمين من الغرر فقلت أجزت المومى إليه بما يجوز لي روايته ويصح عني درايته من كل حديث وأثر ومن فروع وأصول ومنقول ومعقول وفنون اللطائف والعبر كما أخذته عن الأئمة السادة وأكابر القادة مسندي الفرائد نجم استخراج الدرر منهم ملاذنا المفرده وأستاذنا العلامه الشيخ إبراهيم السقا الجد الأكبر عن أستاذه العلامة ولي الله المقرب وملاذه العلامة الكبير ثعيلب بوأه الله أسنى مقر عن شيخه الشهاب أحمد الملوي ذي التآليف المفيدة وعن شيخه أحمد الجوهري الخالدي صاحب التصانيف الفريدة عن شيخهما عبد الله بن سالم صاحب الثبت الذي اشتهر وعن أستاذه محمد بن محمود الجزائري عن شيخه علي بن عبد القادر الأمين عن شيخه أحمد الجوهري المذكور المشهور بالعرفان والتمكين عن شيخه عبد الله بن سالم الذي ذكره غبر وعن أستاذه الشيخ محمد صالح البخاري عن شيخه رفيع الدين القندهاري عن الشريف الإدريسي عن عبد الله بن سالم رضي السير وعن أستاذه الشيخ محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير عن أشياخه الذين حوى ذكرهم ثبته الشهير وعن غيرهم لا زالت رحم الله الجميع ولي وله ولهم وللمجاز أكرم وغفر وكلهم يروون عن جم غفير كالشيخ الحفني والشيخ الصعيدي فسنده وأسانيدهم مسلسله فما أكرمها من نسبة أدامها الله وأقر تحرر هذا في ربيع الثاني ١٣٢٢ هجريه

الفقير إليه سبحانه
حسن رجب
السقا الشافعي
خادم العلم
بالأزهر

إجازة الشيخ حسن رجب السقا الشافعي للمؤلف سنة ١٣٢٢هـ

بيان تصانيف مؤلف هذا الكتاب

عدد

١ رفاعة اللسان في علم البيان وحاشية عليها
٢ الديباج المنشور على نزورتي البحوث في الدروس
٣ الورد الصافي في علم القوافي
٤ فصل الخطاب في جواب الأسئلة العلاوية التي هي ... الطالب
٥ الضرب الغريب في الرد على الخطيب
٦ نظم المباني في مبادي المعاني
٧ تحرير المقياس في تقرير القياس في الأصول
٨ مناهل الرضوان فيما يتعلق برمضان
٩ مدارك التحقيقات على مراقي السعادات في التوحيد والعبادات للشربلالي
١٠ الرحلة والتاريخ وهو يحتوي على رحلة المؤلف لمصر ونشأته وسيرته
٠٠ وتاريخ الأزهر ومشايخه وتراجم الشريف من مشاهير القرن الثالث والرابع عشر جزء ٢
١١ اتحاف الأعزة في تاريخ غزة
١٢ منتخبات الغذاء الغربية
١٣ المنح السنية في تحليل الدخان والتنباك والقهوة البنية
١٤ حاشية على رسالة المدابغي في ليلة النصف من شعبان
١٥ القول المدلل عن شرح المسلسل بيوم عاشوراء للعلامة الأمير
١٦ الثبت الفريد في عالي الأسانيد
١٧ مجموعة الإجازات العلمية والشهادات الدالية
١٨ خلاصة الأنساب
١٩ السفينة الأولى
٢٠ السفينة الثانية
٢١ بلوغ المراد في الأدعية والأوراد
٢٢ تتميم الإبانة في تحريم الدخان
٢٣ رسالة في الساعة وأشراطها
٢٤ حلية الخبير وتذكرة العصي
٢٥ التحفة المزكية في طرق الصوفية
٢٦ نخبات الثنا في رخامة الربا
٢٧ التدريب المنير على مولد الدردير
٢٨ التعاليم الدينية في الخطب المنبرية
٢٩ [illegible]
٣٠ [illegible]
٣١ [illegible] في علم الفراسة
٣٢ الجنايات والعقوبات الشرعية
٣٣ [illegible] في أحوال الدين و[illegible]
٣٤ السفينة الثالثة في الفوائد والأمور



في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ

حضرات أصحاب الفضيلة المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فبمناسبة وفاة الأستاذ الكبير المرحوم العلامة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الواحد [illegible] الملكي نلتمس تشريفكم بعد صلاة الجمعة الآتية وذلك بعدها الى الجامع الكبير لقراءة ختمة شريفة لروح الأستاذ المرحوم حسب المعتاد قياما ببعض ما يجب له من الحقوق وفي الختام تحية واحترام

١ فضيلة الشيخ حيدر [illegible] الملكي
٢ = = محمد = الحرام
٣ = = عمر = سبيع
٤ = = محمود = [illegible]
٥ = = خليل = الحلبي
٦ = = عبد الله = القشاوي
٧ = = سعيد = البوتجانة
٨ = = شاكر = الملكي
٩ = = ابراهيم = عاشور
١٠ = = محمد = مكي
١١ = = لقمان = الخزندار
١٢ = = محمد = حمادة
١٣ = = هاني = حنيفه
١٤ = = محمود = سكيك
١٥ = = هاشم = العكاوي
= = حسن = معروف
= = حسن = العاروشي
= = حسن = البدشليه
= = حسين = =
= = عبد الخالق = الربعي
= = علي = بدوي
= = اسماعيل = مرتجى
= = محمد = صوافي
= = محمود = بردانخ

٢٥ فضيلة الشيخ محي الدين افندي عبد الشافي
٢٦ = الحاج الشيخ [illegible] الشرقاوي
٢٧ = الشيخ مصطفى افندي [illegible]
٢٨ = = سعيد = الشوا
٢٩ = = مصطفى = =
٣٠ = = حسين = =
٣١ = = مصطفى = بسيسو
٣٢ = = عارف = =
٣٣ = = محمد عواد = الفالوجي
٣٤ = = حسن = الشهراوي
٣٥ = = توفيق = الحليمي
٣٦ = = حلوص = [illegible]
٣٧ = = شعبان = [illegible]
٣٨ = = عبد الله [illegible] = الملكي
٣٩ = = هاشم = الخزندار
٤٠ = = حسين = مكي
٤١ = = حسن = ساق الله
٤٢ = = مصطفى = مكي
٤٣ = = عبد الرحمن = البرس
٤٤ = = محمد = ابو النعيم
٤٥ = = = = سليمان طه
٤٦ = = = = مشتهى
٤٧ = = ابراهيم = حماده
٤٨ = = يوسف = رجب

ثبت بأسماء أعضاء جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



مدينة غزة سنة (١٨٣٩م) (تل المنطار) رسمها دافيد روبرتس
وهي من محفوظات الأكاديمية الملكية بلندن

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

[تصدير الأمير شكيب أرسلان]

وحينما أطلع على مسودته "أمير البيان" : «حضرة الأمير شكيب أرسلان»[(١)]

---

(١) شكيب أرسلان (١٢٨٦- ١٣٦٦ هـ) = (١٨٦٩- ١٩٤٦م) . شكيب بن حمود بن حسن ابن يونس أرسلان ، أديب ، كاتب ، شاعر ، مؤرخ ، سياسي، ولد في الشويفات بلبنان . وتوفي سنة ١٩٤٦م. انظر: «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة م١ / ٨١٨ . اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م . ويقول عنه الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه: «شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام» ص٧: (شكيب أرسلان اسم ملأ في عصره كل مكان ، واستغنى عن التعريف بابن فلان فهو السياسي الطائر الصيت ، وهو الكاتب الذائع الشهرة ، وهو الرحالة الواسع الرحلات وهو المجاهد في سبيل وحدة العرب وإخوة الإسلام ، والمؤلف للعدد الكبير من الكتب والآثار، وهو أمير البيان الذي يجري لقبه مع اسمه على كل لسان يقرأ العربية ، أو يتابع أحوال العرب) . وقد كان للسيد جمال الدين الأثر الواضح في شخصية الأمير ، لأنه اتصل به في صدر شبابه، وهذا ما يؤكده الشرباصي في كتابه المذكور آنفاً فيقول : (إن الأمير اتصل في صدر شبابه بثائر الإسلام وموقظ الشرق: السيد جمال الدين الأفغاني ؛ حيث سافر شكيب إلى الأستانة ، وتعرف إلى السيد واتصل به وأخذ عنه . وكان لجمال الدين أثر في إسلاميات شكيب ، لأن الأفغاني كان يعمل لخدمة الإسلام عن طريق مناصرة الخلافة ودولتها، وكان يعمل " لجمع شتات المسلمين في حوزة دولة إسلامية تحت ظل الخلافة العظمى" ويبلغ تأثير جمال الدين في شكيب حداً جعل أحد الكاتبين يصف الأمير بأنه: «أفغاني هذا العصر»، وواحد هذا الدهر . لقد تشابه الرجلان العظيمان قدراً ورتبةً، واستويا على صعيد واحد من العظمة والنبوغ . أليس السيد نفسه الذي قال للأمير شكيب يوم التقيا في دار الخلافة : (سقياً لأرض الإسلام التي أنبتتك). انظر كتاب: «شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام» / تأليف د. أحمد الشرباصي. ص٥٥ -٥٦. ووراجع ترجمته بصورة كاملة في الأعلام للزركلي ج٣/ ص١٧٣ - ١٧٥ حيث يورد الزركلي عن رسالة بعث بها الأمير إلى صديقه السيد هاشم الأتاسي عام ١٩٣٥ ، أنه أحصى ما كتبه في ذلك العام فكان العدد ١٧٨رسالة خاصة و١٧٦ مقالة في الجرائد ، و١١٠٠صفحة كتب طبعت . ثم قال: (وهذا محصول قلمي كل سنة). وللعلم إن كلمة شكيب كلمة تركية معناها أسد وهي كذلك علم في اللغة التركية . راجع «دائرة المعارف الإسلامية» أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم =

قال فيه ارتجالاً، وكان على أهبة السفر من غزة إلى طرابلس الغرب[1] سنة (١٣٣٠هـ) :

لا شك إتحافَ الأعزةِ تحفــــةٌ	بفــوائدِ التاريخِ يكمُلُ نَفعُـهُ
لكن لأجلِ تمـامِ فـــائدةٍ بهِ	مُـذْ كُتم الطَّباعَ يلزم طبعـه
وكذا يليق بمن تعلم فى الورى	أن يـستفيـد بما تعلم ربعـه
ما جاء تاريخٌ لغزةَ مفـــــردٌ	حتى تهيأ من يراعك صنعـه
قد ضم عن إقليم غزة زبـــدةٌ	صبُحتَ وفيها بات يزأر سبعـه
هذا هو الكلم الذى من طيبـه	لحظائر القدوس يجدر رفعـه
والعذر فى التقصير مقبول فما	شعر على سفر ســديد وقـعه

* * *

= ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية . النسخة العربية اعداد وتحرير إبراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، د. عبد الحميد يونس .القاهرة : مطابع دار الشعب . المجلد الأول (ص ٦١٨ - ٦١٩). ترجمة أحمد الشنتناوى وآخرين . وانظر معجم أعلام الدروز مج١ - (أ-ر) تأليف : محمد خليل الباشا (ص١٤٥-١٥٠)، بيروت: (الدار الثقافية) ط١ ، (١٩٩٠).

(١) طرابلس الغرب: ولاية بغربى المملكة الليبية المتحدة تمتد على طول ساحل البحر المتوسط . تحدها تونس والجزائر غرباً وفزان جنوباً. خضعت لحكم الأتراك (سنة ١٥٥٣- ١٩١٢) ثم استولت عليها إيطاليا . احتلها البريطانيون فى الحرب العالمية الثانية (١٩٤٣) كونت مع برقة وفزان دولة ملكية مستقلة فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١. وتبلغ مساحتها (٢٤٨٦٤٠ كم٢ و٨٠٠ ألف نسمة). انظر الموسوعة العربية الميسرة ج٢ : (ص ١١٥١). تأليف د. أحمد الشنتناوى وآخرين.

ملاحظة: هذه التقسيمات عندما كانت ليبيا مملكة فى أول عهدها بعد ان استقلت.

[رأى شيخ العروبة أحمد زكى باشا فى الكتاب]

وقد اطلع عليه أستاذ التاريخ وخزانة الأدب، "شيخ العروبة" "أحمد زكى باشا"[(١)]، "أبو شادى المصرى"[(٢)]، وتصفحه فعجب به، وحملنى على تنقيحه وتبييضه، وأشار لحذف بعض أشياء منه، فعملت بذلك.

---

(١) (أحمد زكى بن إبراهيم بن عبد الله (١٢٨٤- ١٣٥٣ هـ) = (١٨٦٧- ١٩٣٤ م)، شيخ العروبة . عالم ، أديب ، راجع ترجمته فى معجم المؤلفين ١/ ١٤٠- ١٤١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ م (المحققة) وقد أورد كحالة عدة مصادر مهمة لمواضع ترجمته . ووصفه الزركلى : فقال : " أديب بحاثة مصرى من كبار الكتاب . قام بفكرة إحياء الكتب العربية وطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات تولى هو تصحيحها ومراجعتها ، وأحكم صلته برجالات العرب فى جميع أقطارهم، وتسمى بشيخ العروبة وسمى داره " دار العروبة"، وجمع مكتبة فى نحو عشرة آلاف كتاب وقفها . فنقلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية . ويقول الزركلى : سألته عن أصله فقال : أنا من بيت النجار من عكا . وما كان يريد أن يذكر هذا عنه و هو حى . قال عنه الأمير شكيب أرسلان فى وصفه : كان يقظة فى إغفاءة الشرق ، وهبة فى غفلة العالم الإسلامى، وحياة وسط ذلك المحيط الهامد . توفى بالقاهرة ودفن فى قبر أعده لنفسه فى الجيزة . انظر الأعلام للزركلى ١/ ١٢٧-١٢٨ . وهناك كتاب مهم للأستاذ أنور الجندى بعنوان " أحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة - حياته ، آراؤه ، وآثاره . نشر في القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر ، ١٩٦٤ م . وللتأكيد بأن المقصود من الأحمدين - (زكى باشا وزكى أبوشادى) هو: "أحمد زكى باشا" يقول الطباع في إحدى أوراقه الخاصة : " وقد طلبه منى سعادة أحمد زكى باشا حينما شرف لعزة وطالعه - أى إتحاف الأعزة - بأجمعه وأعجب به وطلب منى تبييضه والمبالغة فى تنقيحه وتهذيبه، فلبيت طلبه وأعدت تبييضه بصورة تسر المطالعين وتبهج الخبيرين". (أوراق الشيخ عثمان الطباع بحوزة المحقق) .

(٢) أحمد زكى أبو شادى(١٣٠٩ - ١٣٧٤ هـ) = (١٨٩٢ - ١٩٥٥ م) أحمد زكى بن محمد أبو شادى . دكتور فى الطب ، أديب شاعر . ولد فى القاهرة . ودرس الطب ، وعلم ، ثم انصرف إلى الأدب والشعر ، توفى بواشنطن راجع معجم المؤلفين ١/ ١٤١ . وراجع معجم الأعلام (مختصر أعلام الزركلى) ص ٤٠ . ونستطيع أن نؤكد بأن المقصود منهما هو: "زكى باشا" . وليس أبو شادى . وإيراد الطباع لأبى شادى خطأ وخلط .

وقد طار صيته وهو فى مسودته[1]، وطلبه الكبراء والأعيان. وأراد بعض المستشرقين طبعه، فرجحت التريث والتثبت، وأخذ آراء ومعلومات ذوى المعرفة من أهل العصر والبحث، عنما[2] لم نطلع عليه من الكتب المخطوطة، ليكون بعيداً من التقصير والانتقاد، وعلى الله التوفيق لطرق السداد .

* * *

(١) مسودة كتاب إتحاف الأعزة، وهو أول عمل من مشروع الكتاب قام به الشيخ عثمان رحمه الله، وهناك اختلاف كلى بين النسخة المسودة والنسخة المبيضة - (المعدلة)، تم ذلك بعد مطالعة ومراجعة وتدقيق شيخ العروبة لها .

(٢) عنما : الصواب " عمّا " أضغمت النون فى الميم .

[تصدير العلامة الشيخ محيى الدين الملاح قاضى غزة الشرعى]

لَقَدْ اتحفْتَ عثْمَان الأعزّة — بخَير مُؤلّفٍ تَاريخ غَزة

حَسرتَ نِقَابها فَغَدت تُهادِى — بأجْمَل حُلّةٍ وبُحسْنٍ بِزّة

جَمَعْتَ لَهُ المَصَادِرَ عَنْ ثُقَاةٍ — وَمِنْ كُلٍ قَدْ استخرجتَ كَنْزَه

فَمنْ علم إلى أدَبٍ نَفِيسٍ — إلىَ أثرٍ بِهَا أظْهَرتَ لُغْزَه

نَشَرْتَ إلى بَنيهَا مَا طَوته — يدُ الأزْمَانِ مِنْ مَجْدٍ وَعِزّه

فَكَانَ لَهَا وكَانَ إليكَ ذكراً — رفيعاً لا يرى الإنصافُ وخزه

ودلَّ على فضائلَ فيك تسْمُو — عَلى سعَةِ اطْلاعٍ كَان حِرْزَه

عَلَى جُهْد عَلَى حُسْنِ اعْتِنَاءٍ — أصبتَ بِجيّدِ الترتيبِ رَمْزَه

يَقيناً لَوْ سِوَاكَ أرادَ هَذَا — لأظْهرَ واسعَ التاريخ عَجْزَه

قَرأتَ صحائفاً منه وكَشْفاً — له فَعَرتنى يا عثْمَانُ هِزّة

فَيَا ذَا الفَاضِلِ الطبّاعِ أقْبل — على طَبْعِ الكِتَاب يَنَال فَوْزَه

تُخَلّدُ ذِكْرِكَ الأيامُ فِيـه — وَشُكرِكَ مِنْ خُصُومِكُ والأعِزّة

الفقير إلى الله تعالى

محيى الدين بن حسن بن إبراهيم بن الشيخ محمد تقى الدين الشهير بالملاح

من أهل طرابلس الشام المتوطن غزة منذ أعوام

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة الكتاب]

الحمد لله مدبر العالم بقدرته، معمر الكون بحكمته ، مغدق الفضل على بلاده، مفرق الخير فى عباده، جاعل البلاد مواطن والعباد معادن ميسر كل لما خلق إليه ، مسخراً أسباب فضله لمن اعتمد عليه ، أحمده حمد معترف بقدره رافعاً له ألوية شكره وأصلى وأسلم على نبيه النقى، ورسوله الصفى، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار.

وبعد، فهذا كتاب: يشتمل على تاريخ غزة ذات الفخار والعزة، وما احتوت عليه من المزارات والآثار، وتراجم جماعة من أعيان علمائها والأخيار، مع التنويه بما فيها من الأسر الفخيمة، والبيوت القديمة، والمندرسة منها والمتجددة فيها، وقد أطلقت عنان اليراع فى ميدان هذه الطروس، وأتيت بما لم أسبق إليه وحليت به جيد هذه العروس، حباً فى العلم وخدمة للوطن، ونشراً للفضائل التى اندرست فى هذا الزمن، ليكون تذكرة لنا وتبصرة لمن يأتى بعدنا. فجاء هذا الكتاب موفياً بها، قائماً بعظيم حقها، ولعمرى إنه لكتاب خطير، ينتفع به الصغير والكبير ويحتاج له الناقد البصير، وقد صرفت فيه من ريعان الشباب نحو سبع سنين[1]، شمرت فيها عن ساعد الجد والاستبصار، وواصلت البحث عن مطالبه فى الليل والنهار،

(١) يقول الشيخ الطباع فى بعض أوراقه : (هذا الكتاب الذى لم يسبق له نظير المسمى إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة - وهو عدة حياتى ونتيجة جهودى فى مدة تزيد عن ثلاثين سنة) أورد هذه الكلمات فى تقديمه هذا الكتاب فى رسالة مسودة بخط يده كان يريد أن يرفعها إلى الملك فاروق ولكنها لم ترفع ، حيث إن المقدمة الأولى والثانية لم يرد فيهما هذا الكلام.

حتى وقفت على ما يمكن الوقوف عليه من: تواريخ الأواخر والأوائل ومن الكتب والرحل[١] والدروج[٢] والأنساب[٣] والصكوك القديمة[٤] والسجلات الشرعية[٥] والرسائل[٦] والكتابات المنقوشة على القبور والأبواب والجدران[٧]،

(١) المقصود هنا كتب الرحلات . وجمعها برحل جائز .

(٢) الدروج : جمع درج وهو مجموعة من الأوراق التى تشبه (الأرشفة العائلية) . وغالباً ماتكون فى الأنساب ومحفوظة لدى العائلات التى تعتنى بنسبها.

(٣) المقصود هنا شجرة العائلة التى غالباً ما تنال عناية فائقة من الطباع .

(٤) الصكوك: جمع صك وهى وثائق تفيد فى تحديد الملكية من حيث البيع والشراء والتملك. وتعتبر وثيقة مهمة ومصدراً من مصادر التأريخ، وهى عبارة عن دفاتر كبيرة الحجم محفوظة بقسم الحجج والسجلات بديوان الوزارة، ويوجد منها ١٨ نوعاً: بعضها مسجل به حجج أوقاف، أو حجج إلحاق أو تغيير أو استبدال، وبعضها مسجل به قرارات النظر الخاصة بالأوقاف وبعض الأحكام والفتاوى. . . إلخ. انظر الأوقاف والسياسة فى مصر. للدكتور إبراهيم البيومى غانم (ص ٣٩) القاهرة: دار الشروق ط١/ ١٩٩٨م.

(٥) ولم تخل ورقة من أوراق إتحاف الأعزة إلا وفيها اقتباس عن السجلات القديمة . حيث لم يدع هذا الشيخ سجلاً شرعياً إلا وقد اطلع عليه بل هناك بعض السجلات التى قام بنقلها بخطه ولولاه لما وصلتنا - انظر على سبيل المثال أوراقه المخطوطة أو السجلات التى قام بنسخها من المحاكم الشرعية والأوقاف .

السجلات الشرعية: "هى سجلات المحاكم الشرعية والدفاتر التى كانوا يسجلون فيها الإعلامات التى يحررها القضاة والحجج والقرارات، فضلاً عن مراكز الدولة والأوامر والتبليغات تبعاً للترتيب الزمنى". انظر: الأرشيف العثمانى ص ٤٧٤ (فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزارة باستنبول. إعداد: نجاتى أقطاس، وعصمت بنارق. ترجمة: صالح سعداوى صالح. إشراف وتقديم: د. أكمل الدين إحسان أوغلى. منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول ومركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ١٩٨٦م.

(٦) كثير من هذه الرسائل محفوظة إلى الآن بحوزة المحقق .

(٧) هذه الكتابات للاسف لم يبق منها إلا القليل و لولا الشيخ الفاضل لما عرفنا عن أكثرها شيئاً وبالأخص فى هذه المدينة المتناقضة - فهى مدينة عريقة ضاربة فى القدم والحضارة إلا أنها مهملة من قبل أبنائها ، والذى يؤسف له أكثر أن بعض من تنبه أخيراً وهم قلة قليلة جداً ليست لهم أية دراية بتاريخ هذه المدينة أو إدراك لروحها . فهذه المدينة ليست فقط مجرد موقع جغرافى!!.

وما يعرفه الخبراء من أفواه المتقدمين[1] ذوى العرفان، وتحريت الصحيح من الأخبار[2]، وأكثرت من البحث، والاختبار، وأضفت لذلك جملاً من نفائس الفوائد، ونبذاً من عرائس الفرائد، فجاء نزهة لفضلاء العصر ،وبهجة لنبغاء الدهر، ولم أبال فيه بارتياد الصعاب، وتحمل المشاق، وتثبيط الهمم، من ذوى البطالة والكسل، ولا باللوم ممن لا يريد الفضائل والحقائق من أهل الغفلة والجهالة، وقد أعدت النظر فيه مرة بعد أخرى، وحذفت منه ما يتصور نقده وإعلاله إذ لا قيمة للكتاب ولا ثقة بالكاتب إذا لم يدعم بالصدق والأمانة. والتاريخ لا يقبل التمويه والتدليس.

وقد اطلعت على "تاريخ التمدن الإسلامى"[3]، لبعض فضلاء العصر، فرأيته جامعاً لزبد التاريخ ، ومهمات المسائل مع كثرة النقل ، وسعة الاطلاع وحسن التحرير ، غير أنه أسقط كتابه بالغرض والتمويه وعدم الصدق والأمانة بذكره جملة مسائل عارية عن الصحة لا يقبلها العقل، ولا

---

(١) هنا كان الطباع رائداً من رواد التأريخ الشفهى ليس فى مدينة غزة فحسب - بل فى فلسطين والعالم العربى فى القرن العشرين .

(٢) كان الطباع متحرياً الدقة فى نقل الحدث التاريخى . وبالذات إحجامه عن كثير من الأحداث التى لم يكن متأكداً منها .

(٣) كتاب تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (١٢٧٨- ١٣٣٢ هـ) = (١٨٦١- ١٩١٤) جرجى بن حبيب زيدان منشئ مجلة الهلال بمصر أواخر سنة ١٨٩٢ م ومطبعة الهلال ، ولد ببيروت وأصله من لبنان . اشتغل بعد إتمام تعليمه بالأدب . فتولى تحرير جريدة الزمان مدة سنة، ورافق الحملة النيلية «البريطانية» إلى السودان سنة ١٨٨٤م بصفة مترجم بقلم المخابرات. وعاد إلى بيروت فدرس فيها اللغات العبرانية والسريانية ووضع إثر ذلك كتابه " الفلسفة اللغوية " فذاع صيته وانتشر اسمه شرقاً وغرباً ، ثم رحل إلى لندن وكان يتردد على متحفها الشهير، ولما رجع إلى مصر استخدم فى إدارة المقتطف ولم يحرر فيه إلا نبذة واحدة فى غياب صاحبها الدكتور يعقوب صروف. توفى فجأة بالقاهرة. وكتابه تاريخ التمدن الإسلامى ٦ أجزاء طبع فى مطبعة الهلال سنة ١٩٠٢ م. انظر معجم الأعلام ص ١٦٤ ، وراجع كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة / ليوسف إليان سركيس ج١/ ٩٨٥ - ٩٨٦ . القاهرة : تصوير مكتبة الثقافة الدينية ، (د . ت .ن) .

يجيزها النقل فشانه ذلك شيئاً لا يجبر، وقد اختلج فى صدرى أن أرد عليه وأفند تلك الترهات التى جعلها للعرب أو الإسلام من الأصول والسجايا المتبعة حتى رأيت العلامة الشيخ شبلى النعمانى[١] رئيس ندوة العلماء فى لكنؤ[٢] الهند قام بالرد والانتقاد عليه[٣] وقال فى مبدأ كلامه: " إن الدهر دار العجائب، ومن إحدى عجائبه أن رجلاً من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الإسلام، كتاباً يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل، وقلب الحكاية والخيانة فى النقل، وتعمد الكذب ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية وينشر هذا فى مصر، وهى غرة البلاد وقبة الإسلام ومغرس العلوم، ثم يزداد انتشاراً فى العرب والعجم ، ومع هذا كله لا يفطن أحد لدسائسه، إن هذا لشىء عجاب، لم يكن المرء ليجترأ على مثل هذه الفظيعة، فى مبدأ الأمر،

(١) شبلى النعمانى (١٢٧٤-١٣٣٢ هـ) =(١٨٥٨- ١٩١٤م) باحث من رجال الإصلاح الإسلامى بالهند . برهمى الأصل اعتنق الإسلام جده الثالث (سيوراج سنك وتسمى سراج الدين) ولد شبلى فى قرية (بندول) من أعمال (أعظم كره) وتعلم فى راجبور و لاهور وسهارنپور . وحج واتصل بكثيرين من رجال العلم وانتدبه مؤسسو جامعة عليكره لتدريس العلوم العربية سنة ١٣٠٠هـ فيها، فكان عوناً له على النهوض بالجامعة . وصنف كتباً جليلة بلغته ، وبعضها بالعربية . وشارك فى إنشاء دار العلوم التابعة لندوة العلماء فى لكنهو. وأنشأ دار المصنفين فى بلدة أعظم كره قبيل وفاته ، فأصدرت مئات من الكتب . ولها مجلة اسمها (معارف) وكان وثيق الصلة بالعالم الإسلامى ونهضاته السياسية والاجتماعية. ومما كتبه بالعربية (انتقاد تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان ط) و (الجزية – ط) وكان يجيد العربية والفارسية والهندية . انظر الأعلام للزركلى ج٣ / ١٥٥ ، وانظر الموسوعة العربية ج٢/ ١٠٧٣ .

(٢) لكنؤ أو كناؤ : مدينة (٤٤٧١١ نسمة ، بالهند وهى مقر جامعة لكنؤ المشهورة وهى مركز صناعى وملتقى طرق حديدية . انظر الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ص١٥٦٢-١٥٦٣ .

(٣) انتقده الشيخ شبلى النعمانى فى كتاب له بعنوان " انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامى " انظر (ص ١ – ٤) لشمس العلماء العلامة الشيخ شبلى النعمانى . ويليه انتقاد " انتقاد كتاب تاريخ آداب اللغة العربية " بقلم الشيخ أحمد عمر الإسكندرى . وانتقاد كتاب " تاريخ آداب اللغة العربية " أيضاً وكتاب " طبقات الأمم " بقلم الأب لويس شيخو اليسوعى . القاهرة : مطبعة المنار سنة ١٣٣٠هـ – ١٢٩٢هـ من (ص ١ – ٤) من الكتاب .

ولكن تدرج إلى ذلك شيئًا فشيئًا، فإنه أصدر الجزء الثانى من الكتاب، وذكر فيه مثالب العرب؛ دسيسة يتطلع بها على إحساس الأمة وعواطفها ؛ ولما لم يتنبه لذلك أحد، ولم ينبض له عرق، ووجد الجو صافياً أرخى العنان، وتمادى فى الغى؛ وأسرف فى النكاية بالعرب عمومًا، وخلفاء بنى أمية خصوصاً، وكان يمنعنى من النهوض إلى كشف دسائسه اشتغالى بأمر ندوة العلماء ، ولكن لما عَمَّ البلاء، وتوسع الخرق، وتفاقم الشر لم أطق الصبر فاختلست من أوقاتى أياماً وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والإبانة عمّا فيه من أنواع الإفك، والزور وأصناف التحريف والتدليس. معذرةً إلى المؤلف: إنى أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فإنك قد نوهت باسمى فى تأليفك هذا، وجعلتنى موضع الثقة منك، واستشهدت بأقوالى ونصوصى، ووصفتنى بكونى من أشهر علماء الهند، مع أنى أقلهم بضاعة، وأقصرهم باعًا وأخملهم ذكراً، ولكن مع كل ذلك، هل كنت أرضى بأن تمدحنى وتهجو العرب فتجعلهم غرضًا لسهامك، ودريةً لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو إليهم كل دنية وشر، حتى تقطعهم إربًا إربًا، وتمزقهم كل ممزق، وهل كنت أرضى بأن تجعل بنى أمية لكونهم عربًا بحتًا من أشر خلق الله وأسوأهم؟ وهل كنت أرضى بأن تنسب حريق خزانة الإسكندرية[1]

---

(١) مكتبة الإسكندرية : " أنشأها بطليموس (حوالى ٣٠٠ق.م) لنقل الآداب اليونانية إلى مصر، وازدهرت على أيام بطليموس٢ (٢٥٨- ٢٤٦ ق. م) وبطليموس (٢٤٦-٢٢١ ق. م) فوسعت مجموعاتها ، وكانت كتبها مدونة على البردى وعلى الرقوق على شكل لفائف ، وقيل إن عددها بلغ حوالى : ٤٠٠٠٠٠ لفافة متنوعة ، ونحو ٩٠٠٠٠ لفافة مفردة أى : لمصنف واحد ولمؤلف واحد ، كان بالإسكندرية فى العهدين اليونانى والرومانى مكتبتان : الأولى المكتبة الكبرى ، وكانت بالبركيوم من أحياء الإسكندرية ، والثانية المكتبة الصغرى ؛ وكانت بمعبد السرابيوم ، وتلك أنشأها بطليموس . وقد بلغت مجموعاتها حوالى ٤٣٠٠٠ من لفائف البردى . انظر الموسوعة العربية الميسرة ج٢ / ١٧٣٣ . وبصدد إلصاق فرية أن العرب المسلمين أحرقوها أيام الفتح العمرى يقول بعض الباحثين المعاصرين : (... يدفعنا الشعور باحترام التاريخ إلى إلتزام الحذر الشديد فيما يتعلق بالأسباب الحقيقية لاختفاء المكتبة، التى =

إلى عمر بن الخطاب الذى قامت بعدله الأرض والسماء.. . وهب أنى

= ترجع فى أغلب الظن إلى الحروب والغزوات ، وما اقترن بها من الحرائق . ففى عام ٤٨ قبل الميلاد قيل إن النار التى اندلعت فى سفن الأسطول المصرى الذى كان يحاصر يوليوس قيصر الذى كان يحتمى بالقلعة ، امتد لهيبها إلى المكتبة بفعل ريح الشمال وبعد بضعة أعوام نقل مارك أنطونى على سبيل التعويض إلى الإسكندرية ٢٠٠٠٠٠ لفة من المكتبة المنافسة لمكتبة الإسكندرية وهى (مكتبة برجافون) [بآسيا الصغرى] ثم أعقبت ذلك - ضمن أحداث أخرى - الغزوات المتعددة على المدينة والتى قامت بها الملكة زنوبيا (٢٦٨) ثم الأباطرة الرومان أورليانوس (٢٧٣) ودقلديانوس (٢٩٥) والفرس عام (٦١٨) وعمرو بن العاص (٦٤٠) ثم الصليبيون، وقد اقترنت هذه الغزوات فى أغلب الأحوال بعمليات السلب والنهب. ولكن قد يمكن القول أيضاً إنه من المحتمل أن المكتبة قد أصبحت عتيقة عفا عليها الدهر وذلك أن لفافات البردى تتلف سريعاً بمرور الزمن كما أن استخدامها أصعب من استخدام مجموعات المخطوطات المدونة على أوراق مستطيلة الشكل والمغلفة بغلاف من الخشب أو الجلد والتى تسمى(كوديكس) والتى ظهرت فى نهاية القرن الثالث بعد الميلاد. وعلى أية حال، فإنه حتى دخول العرب الذين جعلوا من الإسكندرية قلعة حربية، كان هناك مخطوطات يونانية ما زالت موجودة نظراً لأن مضمونها قد وصل إلينا بفضل الترجمات التى قاموا بها لتلك المخطوطات العربية. (ص ٩٥) مقالة الأستاذ "ربيع شتا" فى (مجلة الهلال) (عدد خاص فبراير ١٩٩٢م). بعنوان : " مكتبة الإسكندرية أول مكتبة علمية فى التاريخ " ويؤكد ربيع شتا فى قضية اختفاء المكتبة قبل دخول العرب ما ورد فى الموسوعة العربية ج٢ص١٧٣٣ : "... لما وصل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية ٤٨ق.م نشبت معركة بحرية واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المبانى، وفيها مكتبة الإسكندرية العظمى، وذهب المؤرخ بلوتارك : إلى أن مقدار ما التهمته النيران فى تلك الحادثة بلغ (٤٠٠٠٠٠ مجلد) ، وبذلك فقدت الحضارة تراثاً لا يمكن أن يعوض .رأى يوليوس قيصر أن يعوض مصر عن هذه الخسارة العلمية ، فأهدى إلى كليوباطرة ما يقرب من (٢٠٠٠٠٠ مجلد) ، غنمها من مكتبات ملوك برجامون ، وقد أودعت هذه المجموعة أحد المعابد . والمعروف أن المعبد ومكتبته قد دمرا أثناء الثورات التى وقعت فى ٣٦٦. أما مكتبة معبد السرابيوم فقد امتدت يد التدمير إليها فى القرن ٤ ، فنقل بعض كتبها إلى القسطنطينية ، وتشتت الباقى حوالى سنة ٣٩١ م . انظر الموسوعة العربية ج٢ / ١٧٣٣ . (مصدر سبق ذكره) . وهذه المكتبة ربما تكون من العجائب التى أنشأها الإسكندر الأكبر فمدينة الإسكندرية التى أنشأها الإسكندر الاكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد . تضم إحدى عجائب الدنيا السبع ، وهى فنار الإسكندرية الذى يقع فى مدخل ميناءها. فإنها كانت تستمد مجدها من مكتبتها الشهيرة ولقد ظلت هذه المكتبة طوال ما يقرب من ستة قرون تضم مجموعة فريدة من المصنفات العلمية والفلسفية والأدبية . وكانت المكتبة تشكل مركزاً للتعليم ومعهداً للبحوث ، وتقدم زاداً دسماً يغذى عدداً لا يحصى من العلماء =

عدمت الغيرة على الملة والدين... فهل كنت أرضى بأن تشوه وجه التاريخ

= الذين وفدوا إليها من كل حدب وصوب ووجدوا فيها واحة وارفة من الظلال ونبعاً فياضاً للعلوم والمعارف . وهناك ازدهرت الحضارة الإغريقية الرومانية التى تعتبر الأساس الذى ترتكز عليه الثقافة العربية وأحد المصادر الثرية للثقافة العربية التقليدية لا سيما فى مجال العلوم والفلسفة" ص٩٠ مقالة شتا فى الهلال . مصدر سبق ذكره. "وكانت هذه المكتبة تضم عدداً يتراوح بين(٤٠٠٠٠٠) و (٧٠٠٠٠٠) لفافة من لفائف البردى تحتوى على قرابة ٣٠٠٠٠ مصنف وفقاً لتقديرات مختلفة تتفاوت بتفاوت العصور . وحتى يتسنى إنشاء مجموعة بهذه الضخامة كانت المكتبة تأوى جيشاً من الكتبة الذين كانوا يمضون حياتهم فى استنساخ المخطوطات الواردة من المكتبات الأخرى.

كانت هذه المكتبة مرتبة من حيث التصنيف والفهرسة كى يستطيع المرء أن يهتدى إلى الكتاب المنشود بين هذا العدد الهائل من الكتب - كان أهم تحديد يتمثل فى تصنيف وفهرسة جميع الوثائق بحسب الموضوعات ، وبحسب المؤلفين على [البيسناكيس] وهى كلمة يونانية معناها الألواح . وقام بهذه المهمة كاليما خوس القوريناتى (٣١٠- ٢٤٠) والأستاذ أستيوس . وإسكارخوس بتكليف من من هذا الأخير وقد كانا من أوائل مديرى المكتبة ، ومع ذلك فإن المكتبة لم تكن إلا جزءاً من مجمع أكبر وأشمل هو المتحف أو (الميزيه) أى (معبد ربات الفنون) والعلوم (الميز) وقد أنشئ هذا المتحف على غرار المدرسة التى أسسها أرسطو فى حى الليسه فى الآفاق . مرصداً فلكياً وحديقة للحيوانات ، والنباتات وقاعات للاجتماعات وطوال ستة قرون (ابتداءً من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادى) عاش وأقام لفترة من الزمن فى هذا المكان ، أعظم علماء العصر ، مما جعل الإسكندرية القلب النابض والقوة الدافعة للحركات الفكرية فى جميع أرجاء حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط ، ومن بين هؤلاء العلماء نذكر : (هيروفيوس- ٣٤٠-٣٠٠ ق.م تقريبًا) الذى أرسى قواعد التشريح والفسيولوجيا ، وإقليدس (٣٣٠ - ٢٨٠) مبتكر علم الهندسة ، وأراطوستنيوس (٢٨٤- ١٩٢ ق. م) ودنيس الطراسى (١٧٠ - ٩٠) اللذان وضعا قواعد علم النحو ، وبطليموس (٩٠- ١٦) مؤسس علم الخرائط ، ولكن تحرى الحقيقة التاريخية يدفعنا إلى الاعتراف بأن الدافع إلى هذا المشروع الضخم لم يكن الحب الخالص للمعرفة وحدها . فلقد كان الهدف الأول من ورائه هو تزويد ملوك الإسكندرية بسلاح فريد للسيطرة [وهذا هو نفس الهدف الذى نشأ من أجله الاستشراق لمعرفة العالم العربى والشرق الإسلامى ومن ثم السيطرة عليه(المحقق)]، عن طريق إمدادهم بالمعرفة اللازمة لدعم سلطانهم - وهى مستمدة من الكتب فى المقام الأول ، وتشمل المعارف المتعلقة بالشعوب الخاضعة لسلطانهم التى كانوا يترجمون حتى كتبها المقدسة ، لكى يتسنى لهم فهمها على نحو أفضل ، ثم معرفة حية ، حيث كان العلماء المعتكفون فى حرم القصر الملكى - وهو الذى من أجله كان المتحف يسمى : (موطن ربات الفنون والعلوم) - يقدمون للملوك المشورة فيما يستطلعون فيه من الأمور يوماً بعد يوم =

وتدمغ الحق وتروج الكذب وتفسد الرواية وتقلب الحقيقة وتنفق التهم وتعود الناس بالخرافة بئس ما زعمت أيها الفاضل، فإن فى الناس بقايا وإن الحق لا يعدم أنصاراً[1]. . . (الخ) ما جاد به وأجاد فيه مما يجب الوقوف عليه. وقد وقع نحو ذلك حديثا فإن حضرة الفاضل عارف بيك العارف[2] قائمقام قضا

= وهناك محاولات لإعادة إحياء هذه المكتبة . وستكون مزودة بأحدث الوسائل العلمية وستشمل على مركز لصون المخطوطات الأصلية المهددة بالتلف ، وليتيسر الاطلاع عليها ولا سيما عشرات الآلاف منها التى يرجع عهدها إلى العصور الوسطى والموجودة فى المساجد والمتاحف والأديرة والصوامع المصرية والتى لايوجد لها اليوم أى فهرس شامل . وسينفذ هذا المشروع على عدة مراحل على أن يتم إنجازه فى بداية القرن المقبل ، وستفتح المكتبة بمجموعة أولية تقدر(ب ٢٠٠٠٠٠ مجلد) ، ثم تنمى مجموعاتها تدريجياً . ويتمثل الهدف فى الوصول إلى ٤ ملايين مجلد ثم ٨ ملايين مجلد مع توفير إمكانات التوسع فى البنى الأساسية وتزويدها بمرافق عامة وستجرى الإدارة بالحاسبات الإلكترونية بصورة كاملة ". ص ٩٠-٩٢ مقالة شتا فى مجلة الهلال (مصدر سبق ذكره) وراجع ما كتب فى عدد آخر من الهلال بقلم المحرر ص٦-ص٧ العدد صدر فى شهر مارس ١٩٩٠ م . وراجع كتاب " تاريخ المكتبات " تأليف: الفرد هيسيل ، نقله إلى العربية د. شعبان عبد العزيز خليفة (ص٩- ١٥).- الرياض: دار المريخ ، ط٢ - ١٩٨٠ م .وانظر ما كتبه الدكتور شعبان خليفة بهذا الصدد فى كتابه الجديد عن المكتبات القديمة بعنوان " الكتب والمكتبات فى العصور القديمة " تأليف : د. شعبان عبد العزيز خليفة ، طبع الكتاب فى القاهرة الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى رمضان ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م . انظر الصفحات من (ص٢١٨ - ٣١٣) وهو بحث قيم جداً عن مكتبة الاسكندرية . انظر: كتاب الدكتور مصطفى العبادى بعنوان: مكتبة الإسكندرية القديمة. نشر فى القاهرة سنة ١٩٧٧م نشرته مكتبة الأنجلو المصرية . ٧٨ص . والكتاب بحث كامل ومتكامل حول تاريخ هذه المكتبة .

(١) انظر : انتقاد تاريخ التمدن الإسلامى لشبلى النعمانى (ص١ - ٤) .

(٢) عارف العارف (١٣١٠- ١٣٩٣هـ) = (١٨٩٢- ١٩٧٣ م) .

عارف بن باشا العارف المقدسى : مؤرخ فلسطينى من رجال الإدراة والسياسة ولد وتعلم بالقدس وتخرج بجامعة إستانبول فى كلية الآداب سنة ١٩١٣ وكان من أعضاء المنتدى الأدبى ولما كانت حرب ١٩١٤ جند ضابطاً احتياطياً فى الجيش العثمانى . وأسره الروس فى معركة معهم بأرض روم، وقضى فى روسيا وسيبريا ثلاث سنوات تعلم فيها الروسية والألمانية . وعاد إلى القدس وشارك فى إصدار جريدة " سوريا الجنوبية " سنة(١٩١٩) واعتقله الإنجليز سنة ١٩٢٠ فهرب إلى دمشق ولما دخل الفرنسيون سوريا رحل إلى الأردن وسمح له الإنكليز بدخول فلسطين وحظروا عليه العمل فى السياسة فتولى وظائف إدارية (١٩٢١- ١٩٤٨) وبعد=

بئر السبع[١] ثم غزة أصدر تاريخًا لبئر السبع[٢]، والقضاء بين البدو[٣] ولم يترك فى الجزء الأول صغيرة ولا كبيرة إلا درجها، حتى كلمات الرعاة وقراءة

= زوال الانتداب البريطانى عن فلسطين عين رئيساً لبلدية القدس (٥١- ٥٣) ، وتولى إدارة متحف الآثار الفلسطينى فى القدس (٦٧) وصنف كتباً كثيرة ولم يغادر فلسطين بعد الاحتلال إلى أن توفى . قال كاتب فى مجلة الأديب : ترك ١٨ كتاباً مطبوعاً و٢٣مجلداً مخطوطاً هى مذكراته اليومية عن أحداث فلسطين . انظر الأعلام للزركلى ج٣ / ص٢٤٦ . وانظر الموسوعة الفلسطينية ج١/ (ص١٥٠- ١٥١) وراجع القسم الثانى من الموسوعة نفسها فى الصفحات ٨٧٣- ٨٨٢ من المجلد الثانى والصفحات ٤٢و ٥٥ ، ١٨٩، ٢٩٥ ، ٣٤٧، ٥٨٣، ٥٨٩ ، ٥٩٢ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤، ٨٤٥ ، ٨٥٤ ، من المجلد الثالث ، والصفحات ٢٧٣ و ٤٣٦ ، ٦٠٤ ، ٦١٩، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨، ٦٣٩ ، ٦٤١، ٦٤٢ من المجلد الرابع . والمجلد الخامس / ص ١٣ . وراجع ترجمته بنفسه فى كتابه النكبة الجزء الأول ص٣٨٢ - ٣٨٥ . وراجع ما ورد عنه فى "بلادنا فلسطين" للدباغ فى الجزء الأول ص٣٩٧ وقد ترجم له الدباغ فى الجزء الثانى ص١٩٩ . وورد عنه فى الجزء الأول ص٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ .

وأهم ما ورد عنه فى الموسوعة الفلسطينية الآتى : (عارف العارف ١٨٩٢- ١٩٧٣) مؤرخ ، رحالة ، إدارى ، ومناضل سياسى . . . تولى عدة مناصب إدارية فكان قائمقاماً فى جنين، ونابلس، ثم بيسان، ويافا. فانتقل إلى الأردن بدعوة من الأمير عبد الله، فاستعان به وبعدد من الفلسطينيين لوضع الأسس الأولى لإمارته . وبقى العارف فى عمان ثلاثة أعوام سكرتيراً عاماً لحكومتها وعضواً فى المجلس التنفيذى وفى عمان عارض العارف المعاهدة البريطانية – الأردنية فسجن فى عمان ، وأعيد إلى فلسطين حيث عين مديراً لبئر السبع وأمضى هناك عشرة أعوام ، درس خلالها عادات البدو وتقاليدهم وطرق تقاضيهم ، وألف فيهم كتابين يعد الآن من المصادر الموثوقة ثم انتقل إلى غزة حيث مكث أربعة أعوام وكانت حصيلتها ثلاثة كتب : تاريخ غزة ، والموجز فى تاريخ عسقلان ، ورؤياى (ولعلها إحدى مذكراته) يعد العارف أحد كبار المؤرخين الذين أنجبتهم فلسطين فى القرن العشرين . انظر الموسوعة الفلسطينية ج٣/ ١٥٠- ١٥١ .

(١) قضاء بير السبع : هو القسم الجنوبى من فلسطين ، ذو الشكل المثلث الذى يقع رأسه عند بقعة المرشرش على خليج العقبة ، ويشمل جميع الأراضى الواقعة بين قضائى غزة والخليل . انظر معجم بلدان فلسطين / لمحمد شراب ص ٢١٠ -٢١٢ .

(٢) تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف طبع فى مطبعة بيت المقدس سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٣م.

(٣) كتاب القضاء بين البدو لنفس المؤلف وطبع فى مطابع دار الأيتام الإسلامية فى القدس سنة ١٩٣٣ وحديثا أعادت تصويره دار الهدى فى كفر قرع ، سنة ١٩٨٧ م تقريباً .

الغفل وصلاتهم، وعقائد وعادات خاصة وخلالاً فردية أو نادرة - على أنها سجية لعرب بوادى السبع، وأخلاق شائعة بين العموم، وقد عد الناس هذا ضربة لهم، واستخفافًا واضطهاداً لقبائلهم، موجباً لحقارتهم لدى الطوائف والأجانب، الذين لا يحبون العرب جميعًا ، ويريدون محوهم من الوجود، سيما من أرض فلسطين المقدسة، ولذلك تلقفوا منه هذا الكتاب بلهفة وطبعوه لعدة لغات، وقد كتبت له عندما أهدانى الجزء الأول منه، ضربًا من الانتقاد عليه، وإن نوه فيه باسمى(١)، ونقل عن كتابى هذا ، ونبهته لتدارك إصلاح ما ينبغى إصلاحه فى الجزء الثانى، فأصر على رأيه وأصبح بسوء تصرفه وعدم اكتراثه هدفًا لمن يشعر بما فيه، بعدما ابتز منهم ثمنه أضعافًا مضاعفة، ثم بذل جهده وواصل سعيه فى تأليف تاريخ لغزة فأشرت عليه بما له من خبرة باللغات الأجنبية، واطلاع على ما كتبه الأجانب عن غزة فى تواريخهم ورحلاتهم، أن يترجم ذلك ويلخصه ويختار المفيد منه ويضم إليه ما يظفر به من الحقائق، والنبذ الرائعة فيكون له بذلك منقبة تذكر ،فتشكر على ممر الدهور، إن كان يريد خدمة غزة وأهلها، ولكن الغاية التى يرمى إليها حملته على العجلة والاستقلال برأيه ،وسرعة طبعه ونشره، ظنًا منه أن المؤرخ حر فيما يكتب أو أن غزة كالسبع لا تنتبه لما يكتب عنها أو يقال فيها، مع أن كل من ينشر شيئاً يخالف الحقيقة، أو يخرج به عن جادة الصواب، والمسائل التاريخية والدينية، لا تترك الأمة له حريته بل تصدُّه بما لديها من صد وردع، ونقدٍ ولذع، ولذلك ما برز منه أول جزء حتى قامت قيامة القوم ووجهوا إليه شديد الإنكار ،وعظيم الانتقاد، والتمس منى غير واحد من

---

(٤) نوه فيه باسم الطباع فى آخر صفحة من صفحات كتاب تاريخ غزة فقال: "أود أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الإخوان الذين آزرونى مؤازرة لولاها ما كنت لأنجح فى عملى ومنهم رئيس جمعية الهداية الإسلامية وإمام الجامع الكبير فى غزة: الشيخ عثمان الطباع". انظر تاريخ غزة لعارف العارف ص٣٠٦ آخر الكتاب .

الأعيان، أن أبين ما هو جدير بالثقة من الناحية التاريخية، فكتبت نبذة صار نشرها فى كتاب النقد والتحليل لمؤلفه النبيل[١] وقد ألمح العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه: "لما عرض للمؤرخين من المغالط والأوهام، وذكر شيئًا من أسبابها وأعظم ذلك الغرض، لأنه يقلب الحقائق ويصرف عن الصدق"[٢] وقد بذلت جهدى ،وواصلت بحثى فى تحرى الصدق، وطلب الصحيح

---

(١) الكتاب هو للأستاذ حلمى أبو شعبان وهو كتيب صغير كله نقد لكتاب عارف العارف عن تاريخ غزة وهو بعنوان " تاريخ غزة نقد وتحليل " بقلم حلمى أبو شعبان طبع فى مطبعة بيت المقدس ، قبل النكبة . والكتاب من القطع الصغير ٩٣ صفحة . وقد ذكر فيه أن الشيخ عثمان الطباع شاركه فى نقد كتاب عارف العارف " تاريخ غزة " فقال : " وقد شاركنى فى تمحيص الحوادث وجلاء الحقائق التاريخية صديقى الأستاذ الشيخ عثمان أفندى الطباع مدير مكتبة الجامع الكبير العمرى وصاحب كتاب " إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة " . انظر (ص ١٠ - ١١) من الكتاب المذكور آنفاً .

(٢) يقول ابن خلدون بهذا الصدد " اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم، والأنبياء فى سيرهم، والملوك فى سياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفيضان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا أُعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال فى الاجتماع الإنسانى، ولا يقاس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم سيما فى إحصاء الأعداد والأموال والعساكر إذا عرضت فى الحكايات إذ هى مظنة الكذب ومطية الهذر ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد " انظر مقدمة ابن خلدون لتاريخه المسمى: "كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر" (الجزء الأول) / لوحيد عصره العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى المتوفى سنة ٨٠٨هـ . طبعة مصورة عن طبعة بولاق المطبوعة سنة ١٢٨٤ هـ - فى بيروت : (مؤسسة جمال للطباعة والنشر) (د. ت . ن) . ص٧- ٨ وانظر الصفحات التى بعدها من ص٨ - ٢٩ حيث تكملة الفصل الذى ينتقد فيه العلامة ابن خلدون مغالطات المؤرخين .

ليكون مما يُعتمد عليه، ويُرجع عند الحاجة إليه وسميته (إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة)، وقلت فيه حينما صحت مبانيه وتمت معانيه:

يا رائداً لعُلى التاريخِ والرحلِ ومُرتجى من نداها بغية الأملِ

هذا كتاب، لقد عزت مطالبُه، بكل بسط ولا يفضى إلى الملل

جمعته ودواعى الترك داعيةٌ لجمعهِ ، بمقال الدون والهملِ

تثبطُ العزم افكار لهم سخفت وتصدر الهمُ عن علم وعن عمل

وقد أتيت بما أبديت مبتكراً ولم أبالِ بما قالوه من عذلِ

فاحرص على نحوه واحرز فرائده ليس العليم بهذا الفن كالجهلِ

كيف وفائدة التاريخ لا تنكر، وفضله عند أهله أشهر من أن يذكر ، وكم أسفرت به سيرٌ وأخبار ، وأشرقَتْ فى الكون شموسٌ وأقمار، فالبصير به هو العالم الذى يُرحل إليه ، والخبير بغوامضه هو النحرير الذى يعتمد عليه، وبه يعرف أساسُ العلم والدين، وأخبارُ الأمم والرسلِ والعلماءِ والسلاطينِ، فكأنه وجد معهم فى العصور الخالية ، ويحيى به ذكره فى القرون الباقية كما قال بعضهم:

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى

فتحسبه قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر دهره

إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كل الدهر من كان عالمًا

كريمًا حليمًا فاغتنم أطول العمر

وقد لخص ذلك (بدر الدين الغزى العامرى)[١] بقوله:

ومن عرف التاريخ أخبار من مضى
وخـــلف علمًا أو جميلاً من الذكر
كمن عـاش كل الدهر بالعز فاغتنم
بعلم وجــودٍ فى الدنا أطول العمر

ونحوه قال أمير الشعراء أحمد شوقى[٢]:

دقـات قلــــب المرء قائلة له إن الحــــــياة دقائق وثوانى
خلّد لنفسك ذكـرها تحيى به فالذكر للإنسان عمـــــر ثانى[٣]

ويقبح بمدعى المعرفة الوطنية أن يجهل تاريخ أمته ومصره، ولا يعرف سيرة إقليمه وقطره، ويعيش مغروراً بنفسه جاهلاً بحوادث الزمان، غافلاً عن أخبار

---

(١) بدر الدين الغزى العامرى (الرضى الغزى ٨٢١- ٩٣٥ هـ = ١٤٥٨ - ١٥٢٩ م) محمد ابن محمد بن أحمد بن عبد الله العامرى ، أبو الفضل ، رضى الدين الغزى : باحث من علماء الشافعية . وأصله من" غزة " ومولده ووفاته بدمشق ولى القضاء . وصنف كتباً منها (جامع الملاحة فى جوامع فوائد الفلاحة) ط فى الزراعة ، اختصره عبد الغنى النابلسى وسماه (الملاحة فى علم الفلاحة - ط) و(الجوهر الفريد - ط) ألفية فى التصوف ، شرحها حفيده النجم الغزى ، و " الدرر اللوامع فى نظم جمع الجوامع " فى الأصول وألفية فى اللغة وألفية فى علم الهيئة وألفية فى علم الطب و (منظومة فى علم الخط ، والإيضاح - خ) مختصر فى المعانى والبيان ، وأرجوزة فى الفآت - خ انظر الأعلام للزركلي ج٧/ ٥٦ وقد أحال الزركلى إلى المراجع التالية : الكواكب السائرة ٢/ ٣-٦ وشذرات الذهب ٨ / ٢٠٩ ومجلة المجمع العلمى العربى ٣/ ٣٦٢ . وبروكلمان s-brok /٣٦٦ s - ٢ ٣٩٣ .

(٢) أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقى (١٢٨٥-١٣٥١هـ = ١٨٦٨-١٩٣٢م) أشهر شعراء العصر الأخير . يلقب بأمير الشعراء . انظر معجم الأعلام ص٤٣ .

(٣) وكذلك (ثانٍ - وثوانٍ) .

انظر ديوان الشوقيات لأحمد شوقى ج٣/١٦٨ وورد البيت الثانى باختلاف بسيط فى الشوقيات فورد الآتى : " فارفع لنفسك " - وليس " خلد لنفسك " و" بعد موتك ذكرها " وليس " ذكرها تحيى به " - كما وردت عند الطباع .

من عمَّروا قبله الأوطان، وما لاقته البلاد فى سبيل سيادتها، والذود عنها من الكفاح مع عدوها والجهاد المقدس فيها، حتى نبت فى ربوعها، وتغذى من أرضها، وتعلل بنسيمها وتروىَّ من معين ينابيعها . أما يجب عليه أن يقوم بحقها؟ ويكون لها الولد البار، والابن المخلص المتفانى بحبها، والمتصابى بهواها، ولبلادك وأرضك حرمة وطنها ، كما لأمك حق حملها ولبنها .

منازل لست أهوى غيرها سقيت حباً يعم وخصت بالتحيات

وقد قيل حب الوطن من الإيمان، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان، والحر الأبى والكريم الوفى، لا يجفو بلداً بها قوابله ،ولا يسلو أرضًا فيها معارفه، وقبائله، ومن وفاء المرء شوقه إلى إخوانه وحنينه لأوطانه، ومن علامة الرشد أن تكون النفوس لمولدها مشتاقة، ولمسقط رأسها تواقة، وحرمة بلدك عليك كحرمة والديك:

أحن إلى الوطن العزيز وأهله ويزداد وجدى أن تناءت ربوعه

ويذكره قلبى ، فتذكيه لوعة وتجرى وينبو أدمعى وهجوعه

ومن سوء الزمان وضعف الإيمان، نرى ممن استهوتهم الدنيا واستغوتهم الوظائف من أبناء الوطن، ورجال الأمة من الكيد له ولها، وتدبير الأعمال الأثيمة، والمساعى المخزية الرجيمة نحو وطنهم وأمتهم، بل نحو أنفسهم وموالاة عدوها والمعاونة على تقويته عليها، وهضم حقوقها، وهدم كيانها وتمزيق بلادها، مما يوجب عظيم سخط الله وغضبه، وصبٌ سوط عذابه، وعاجل نقمته على كل خائن رجيم، وخارج لئيم، مع أن لهم بحوادث الزمان أعظمَ عبرةٍ، وبما جرى على منْ تقدمهم من الغاشين الخائنين أكبر عظة، وهذا أوان الشروع فيما أردت وبالله التوفيق.

* * *

[تمهيد]

اعلم أن الإنسانَ قضى قروناً فى العصر الحجرى، يتغذى من النبات، والثمار والألبان ولحوم الصيد، ويكتسى بالجلود ويأوى إلى الكهوف والمغارات والأكواخ، حتى بعث الله (أخنوخ) وهو إدريس عليه السلام[1]، ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن يانش بن شيث بن آدم (عليه السلام)، وكان نبياً رسولاً وملكاً عظيماً، وحكيماً عليماً، وسمى إدريس[2] لكثرة دراسته فى

(١) وهو النبى إدريس عليه السلام ، وأخنوخ اسمه سريانى وأنزل فى التوراة أنه حى إلى موت جميع الخلق وموت الملائكة فيذوق الموت حتماً مقضيًا . وأنه عاش فى الأرض ثلاث مائة سنة وخمساً وستين سنة ثم رفعه الله إلى السماء السابعة مع الملائكة . وقال الله : ﴿واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً﴾ (مريم / ٥٧) وقال بعض أهل العلم: ورفعناه مكاناً علياً : أى أنه رفعه فى النسب مكاناً علياً ، أن ليس بعد آدم وشيث نبى غيره والله أعلم . انظر: "كتاب التيجان فى ملوك حمير" (ص٢٩) . عن وهب بن منبه رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبى إدريس بن سنان عن جده لأمه وهب ابن منبه رضى الله عنهم ، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ / تحقيق ونشر : مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - الجمهورية العربية اليمنية - صنعاء .

(٢) إدريس : اسم نبى ورد فى القرآن مرتين ﴿واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً﴾ (سورة مريم الآية ٥٧ وما بعدها). ﴿ واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ واسمه أخنوخ نفسه الذى توحى حروفه معنى "الملهم" فقد أثر فى تكوين القصص التى حيكت حوله . أما فيما يتعلق فى المصنفات الإسلامية ملهماً بالعلوم والفنون ، فقد كان أول من خط بالقلم وأول من حاك الثياب وارتداها وكان الإنسان قبله يرتدى الجلود فهو إذ " راعى " الخياطين وأحد الرعاة السبعة وكان كذلك أول من عرف الطب ونظر فى علم النجوم وحساب السنين والأيام . اما من جهة الورع فقد كان أول من امتطى الفرس للجهاد فى سبيل الله ضد أحقاد طغيان المفسدين. انظر "دائرة المعارف الإسلامية" (١/ ٥٤١) يصدرها أحمد الشنتناوى وآخرون. القاهرة. وورد لدى الحافظ السيوطى أن " أول نبى بعثه الله فى الأرض " إدريس " أخرجه ابن أبى حاتم وفى المستدرك عن ابن إسحاق قال : كان إدريس أول بنى آدم أعطى النبوة وهو " أخنوخ " ابن يرد بن مهلاييل بن قنان بن يانش بن شيث ابن آدم وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: أول نبى بعث فى الأرض بعد آدم إدريس وهو =

العلوم والحكمة، وكان يسمى هرمس الهرامسة[1] : أسد الأسود، والمثلث: لأنه نبى وملك وحكيم وهو أول من استخرج الحكمة وعلوم النجوم والرياضيات والطبيعة والإلهى وأسرار الفلك وأول من خط بقلم وجاهد فى سبيل الله، ونهى أرباب الفساد عن مخالفة شريعة آدم (عليه السلام) وهو الذى وسم بعمارة المدن ، وجمع طلاب العلم ، وقدّر لهم قواعد السياسة وعمارة المدن، فأنشأت كل فرقة من الأمم مدناً فى أرضها فكانت المدن التى

= أخنوخ بن يرد) انظر كتاب " الوسائل فى معرفة الأوائل " للحافظ جلال الدين السيوطى ص١٥ . طبع الكتاب فى بيروت : مكتبة دار مكتبة الحياة ، تحقيق عبد الرحمن الجوزو .- طبعة خاصة منقحة ومذيلة بالحواشى. ١٩٨٨ م . وورد فى كتاب التيجان : (قال وهب : إدريس النبى أول من كتب بيده من أهل الدنيا أنزل عليه الكتاب السريانى وعلمه إيّاه جبريل، فأول من أنزل الله تبارك وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) وفى صحيفة وبعده فى الصحيفة مكتوب - شهد الله انه لا إله إلا هو ، إلى آخر الآية - ثم أنزل عليه ابجد إلى آخرها فكتب وقرأ ولما رفع إدريس استخلف ابنه متوشلخ) انظر كتاب التيجان ص٢٩-٣٠ مصدر سبق ذكره .

(١) هرمس الهرامسة : ذكر ابو معشر فى أخبار الأمم السالفة من المغربيين : أن هرمس الأول الذى يدعى الحرناية نبوته ويسميه الفرس " أبنهجد " وتفسيره : ذو العقل . كان قبل الطوفان، وكان ألف كتباً كثيرة بأشعار موزونة ، بلغة أهل زمانه فى معرفة الأشياء العلوية والسفلية الطبيعية على طريقة الفلسفة . وإنه علم أن آفةً سماوية تصيب بعد وفاته سكان الأرض : من الغرق بالمياه والاحتراق بالنيران والحرارة فبنى هو وأهل زمانه فى الناحية التى يسكنها من المغرب فى الأرض المعروفة بيونان فيما بين صعيد مصر المتصل ببلاد السودان إلى الإسكندرية وأسفل أهراماً كبيرة من حجارة على رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة ارتفاع كل هرم منها ما بين الثلاثين ذراعاً إلى الخمسين عريضة لرؤوس وجعلوا من بنائها . بينها هرمين أرفع سمكاً . ومن كلامه أنفع الأمور للناس وأقرها للعيون القناعة والرضا، وأضرها وأشنعها عليهم الشره والسخط . وذلك أن أفضل ما فى الدنيا السرور الذى هو ثمرة كل خير يصيبهم، وأشد ما يصيبهم الحزن الذى هو ثمرة كل شر يصل إليهم . وإنما يكون جل الحزن بالشره والسخط. ولن تجمع القناعة والسخط ولا السرور والحزن . وقال : كل شىء يطاق تغييره غير الطباع . وكل شيئ يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء . وكل شىء يستطاع دفعه غير القضاء. انظر كتاب " صوان الحكمة " ثلاث رسائل ـ تأليف أبو سليمان المنطقى السجستانى، حققه: د. عبد الرحمن بدوى .- طهران : مؤسسة بنياده فرهنك - المؤسسة الثقافية الإيرانية ، سنة ١٩٧٤م .

بنيت فى زمانه مائة وثمانين مدينة ثم اختل نظام العمران فى الأرض بالطوفان الذى وقع فى عهد نوح (عليه السلام) ابن لامك بن متوشلخ بن إدريس وهلكت به الأمم التى كانت فى القسم المعمور من الأرض ، قال تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ [الصافات:٧٥] (أى: بهلاك قومه حين يئس من إيمانهم وقد دعاهم إليه أحقابًا ودهوراً) ﴿فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ [الصافات:٧٥ ـ ٧٦] (وهو: العذاب والهلاك بالغرق) ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات:٧٧] (وقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير أبنائه وأزواجهم) قال قتادة[١]: الناس كلهم من ذرية نوح (عليه السلام) وقال ابن عباس: ذريته بنوه الثلاثة سام[٢] وحام[٣]، ويافث.

---

(١) قتادة : ابن دعامة بن قتادة بن عزيز ، أبو الخطاب السدوسى البصرى (٦١- ١١٨هـ = ٦٨٠- ٧٣٦ م) مفسر حافظ مفسر ضرير أكمه . انظر معجم الأعلام ص ٦٠٧ . وقال عنه ابن سيرين : قتادة أحفظ الناس . وقال معمر : سمعت قتادة يقول : ما فى القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً . قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء ووصفه بالفقه والحفظ ، وأطنب فى ذكره ، قال : قل أن تجد من يتقدمه . وقال : كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لايسمع شيئاً إلا حفظه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة فحفظها . . . . . مات بواسط فى الطاعون سنة ثمانى عشرة ومائة وقيل سنة سبع عشرة ، وله سبع وخمسون سنة ، أخرج له الجماعه . انظر: " طبقات المفسرين " / للحافظ شمس الدين محمد بن على ابن أحمد الداودى المتوفى سنة ٩٤٥هـ ، تحقيق : على محمد عمر .- ج٢/ ٤٢-٤٣ .- القاهرة : مكتبة وهبة ، ط١ .- ١٩٧٢م.

(٢) وهو من أولاد نوح الذين نجوا من الطوفان قال وهب : (وعاش نوح بعد الطوفان خمسمائة عام وأن السبعين رجلاً الذين كانوا معه فى السفينة ماتوا بلا عقب وإنما بنو نوح الثلاثة سام وحام ويافث . فولد سام أرفخشد وإرم وبنين كثيراً درجوا ودرج أبناؤهم) انظر كتاب : التيجان ص٣٢.

(٣) حام ولد نوح عليه السلام وهو من أولاد نوح الذين كانوا بمثابة أصل الخليقة وقد روى وهب ابن منبه هذه القصة بصدد حام وذريته : (. . طاف نوح بالبيت أسبوعاً ، ثم قال نوح لبنيه: إنكم فى حج فاعتزلوا النساء فجعل نوح النساء بمعزل وجعل دون النساء رماداً ، وأن حام جاز إلى امرأته ليلاً فوطئها فلما أصبح نوح رأى الأثر فى الرماد قال : من جاز إلى النساء ؟ قالوا: لا نعلم من جاز ، وكتمه حام . فقال نوح (اللهم سوِّد وجهه ووجه ذرية من عصى ووطئ أهله) فولدت امرأة حام غلاماً أسود فسماه كوشاً فعلم أن الدعوة أدركته) انظر كتاب التيجان =

والأكثرون على أن الناس كلهم فى مشارق الأرض ومغاربها من ذرية نوح (عليه السلام) ولذا قيل له: "آدم الثانى". و"الجد الثانى للبشر" لصريح الآية المذكورة، ولذلك أجمع علماء النسب والتاريخ، على أن نسب البشر بعد طوفان نوح ينتهى إليه ،لانحصار أنساب الأمم التى انتشرت فى أقطار الأرض فى أولاده الثلاثة، وكان الطوفان عاماً بالقسم المعمور من الأرض من آسيا على الأرجح، ولم يعم الكرة الأرضية، بل ولا قارة من قاراتها المعروفة، وبعده قسم نوح الأرض بين أولاده المذكورين أثلاثاً، فجعل لولده سام وسط الأرض، وفيها اليمن والحجاز والعراق وسوريا وفلسطين ومصر والنيل والفرات وسيحون وجيحون وله، من الولد خمسة إيلام وآشور ولاوذ والآلم وأرفخشذ، وجعل لولده حام سواحل النوبة والحبشة والزنج، وله من الولد أربعة كوش ومصر وقوط وكنعان، وجعل لولده يافث من سيحون فما وراءه، وله من الولد سبعة، جوامير ومأجوج ونوبال ودادى ومسوخ وميراس وجاوان معرب يونان، وتشعبت الشعوب وتفرقت القبائل، من ذرياتهم وكثر العمران بهم ، وأنشئت المدن فى أقاليم الأرض، وسمى الكثير منها بأسمائهم، والعرب بأجمعها على وفرة قبائلها وكثرة شعوبها من ذرية سام، ومنهم العرب العاربة، الذين عمروا الأرض بعد الطوفان، وأنشأوا المدن وتملكوا على الخلق، وقبضوا على ناحية الكون عدة قرون، ومنهم عاد الأولى، نسبة إلى عميدهم عاد، بن عوص بن عبيل بن أرم بن سام، وعاد الأخرى، وهى تنسب إلى عاد بن بكر بن معاوية، ابن عاد

= ص٣٢. (وولد حام كوشا وماريع ، فولد كوش الحبشة ، وولد لماريع بن حام كنعان بن ماريع بن حام فولد بربر بن ماريع ونوبة بن ماريع، وولد حام قبط بن حام وسند بن حام وقول بن حام وعامور بن حام ، ولد يافث عجلان بن يافث وعوجان بن يافث وبرجان بن يافث فولد عجلان بن يافث يأجوج ومأجوج والترك والخزر أولاد عجلان بن يافث ، صقالب ابن عوجان وسكس بن عوجان وقوط بن عوجان .) انظر التيجان ص٣٢ .

المذكور، وثمود بن جاثر ويقال كاثر بن أرم بن سام. وجديس بن أرم بن سام، وطسم بن لاوذ بن سام، وهم أول من بنى البنيان واتخذ الأسواق والآطام من الحجارة وسقف بالخشب[١].

قال ياقوت الحموى فى حرف الياء من معجم البلدان[٢]: " كانت منازل طسم وجديس اليمامة" ومنازل عاد الأولى الأحقاف ،ومساكن أميم برمل عالج، ومازل عبيل يثرب، وهو ابن مهلاييل بن عوص بن عميلق، أو

---

(١) بخصوص تاريخ العرب قبل الإسلام والقبائل العربية التى كانت موجودة آنذاك ، انظر : ١- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على م١- م٢ نشر فى بيروت : دار العلم للملايين وفى مكتبة النهضة فى بغداد، سنة ١٩٧٣م . حيث كتب عن طبقات العرب - العاربة والمستعربة فى المجلد الأول . (ص٢٩٤- ٣٥٤) وعن أنساب العرب ص٤٦٦ وعن تاريخ الجزيرة لفترة ٥٢٩م . وراجع الكامل فى التاريخ لابن الأثير حيث يؤرخ من بداية الخليقة وخلق آدم عليه السلام حتى إخراج ذريته من ظهره وأخذه الميثاق من (ص ٢٤-٤٠) وأرخ للأحداث التى كانت فى عهد آدم فى الدنيا حتى ظهور حنوخ وهو إدريس عليه السلام . وأورد عن أولاد نوح وذريته من(ص ٧٨- ٨٣) راجع الكامل فى التاريخ لابن الأثير م١ بيروت : دار صادر . وراجع تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك المجلد الأول) (والبداية والنهاية لابن كثير المجلد الأول) وراجع كتاب " نسب قريش " لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦- ٢٣٦ هـ) عنى بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه ليفى بروفنسال ، القاهرة دار المعارف ط٣.- ١٩٧٧ . حيث أورد نسب معد بن عدنان ص٣ إلى ولد عبد المطلب بن هاشم ص١٦- ١٧ . وراجع الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعلامة مجير الدين العليمى الحنبلى المجلد الأول من ص١٧- حتى ص ١٥٤ حيث أرخ منذ وجود آدم ومروراً بكل الأنبياء حتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ٢- وراجع كتاب " بلوغ الإرب فى معرفة أحوال العرب " تأليف: السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادى، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه.- محمد بهجة الأثرى ، بيروت : دار الكتب العلمية ط٢ الجزء الأول من ص ٥ حيث أورد تعريفاً للعرب وأقسامهم وطبقاتهم حتى ص ٣٣٢ ذكر عبد المطلب بن هاشم .

(٢) انظر: معجم البلدان / لياقوت الحموى - الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى ، الرومى البغدادى المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، م٧ (ص٥١٥- ٥٢٠) . عنى بتصحيحه وترتيب وضعه وكتابة المستدرك / محمد أمين الخانجى الكتبى بقراءته على الأستاذ الأديب النحوى الرواية / الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى. نزيل القاهرة حفظه الله.- ط١.- ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦ م . على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه .

عملاق بن لاوذ أو لاود بن سام ،وخيبر بن مهلاييل المذكور، وبه سميت البلدة المعروفة، ويثرب بن عبيل المذكور وهو الذى بنى المدينة المنورة، وسميت باسمه. إلى أن سماها النبى ﷺ (طيبة)، وجاثم بن عمليق قبيلة كبيرة، وله أولاد كثيرون تفرع منهم بطون ، وهم الأزرق وغفار ولف وبديل وراحل وهزان والأرقم، وسعد بن هزان وبنو مطر بطن من جاثم بن الأرقم وجدهم بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام وقحطان بن عابر ويعرب بن عابر المذكور.

قال ياقوت: " ومساكن جرهم تهامة، ثم اليمن ثم لحقوا بمكة، ومنازل العماليق موضع صنعاء اليوم، ثم نزلوا حول مكة ولحقت طائفة منهم بالشام ومصر، وتفرقت طائفة منهم فى جزيرة العرب إلى العراق والبحرين إلى عمان، وقيل أن فراعنة مصر كانوا من العماليق، وكان منهم فرعون إبراهيم الخليل (عليه السلام) واسمه سنان بن علوان وفرعون يوسف (عليه السلام) واسمه: الريان بن الوليد، وفرعون موسى (عليه السلام) واسمه الوليد بن مصعب" وكان الأرقم ملك الحجاز من العماليق، وكذلك الضحاك المعروف عند العجم بيوراسف، غلب على ملك العجم بالعراق"[1] أ.هـ. قلت: "والعمالقة أمة عظيمة، تفرقت فى البلاد فكان منهم أهل المشرق والحجاز وعمان والبحرين، وملوك العراق والجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر، وهم عمالقة التوراة، ومنهم جليات المشهور". قيل : "ومنهم الكنعانيون وقيل : هم من ولد كنعان بن حام، وكانت مواطنهم صحراء سينا، وامتدت إلى جوار (نابلس)، وحاربوا بنى إسرائيل، وتغلبوا على جدعون وشاول قال فى تاريخ فلسطين الكنعانيون قبيلة سامية، نزحت من جزيرة العرب إلى فلسطين، وكانت لغتهم القومية العبرانية التى اقتبسها اليهود منهم وكانت

(١) انظر: معجم البلدان لياقوت (جـ ٧/ ص ٥١٧). (مصدر سبق ذكره).

مساكن الكنعانيين الأولى فى منخفضات الأرض، ولذلك سموا الكنعانيين، لأن معنى كنعان فى لغتهم الأرض المنخفضة. وقد وجد فى الكرنك أسماء (١١٩) مدينة من المدن الكنعانية منها يافا[1] وعكا وصور واليبوسيون قيل: "إنهم بطن من الكنعانيين، سكنوا القدس، وكانت تدعى قديماً يبوس فنسبوا إليها وظلت فى أيديهم إلى أن حاربهم داود (عليه السلام) فحاصرهم، وهدم أسوارها، ودخلها عنوةً، وجعلها عاصمة ملكه"، وذكر فى التوراة: " إن داود اشترى بيدر أرونة اليبوسى وهو ساحة الحرم[2] ليبنى هناك هيكلاً، فلم يتوفق غير أن ابنه سليمان، أنجز هذا العمل". والفينيقيون: فرع من الكنعانيين الذين سكنوا فلسطين، واكتفوا بالساحل ما بين طرابلس الشام، وحيفا، ومن أهم مدنهم: صور وصيدا وبيروت وطرابلس الشام وقد كانوا مع ملكهم حرام حلفاء سليمان (عليه السلام) فعاونوه على بناء الهيكل، ونقلوا إليه الخشب من أحراج لبنان، عن طريق البحر إلى يافا، وساعدوا فى إتقان البناء والنقش والهندسة ،حتى تم بناء الهيكل، فى سبع سنين ورجح أن أحجاره قطعت من المحجر المسمى مغارة سليمان، شرقى باب العمود" ، وفى التاريخ العام : " الفينيقيون كانوا فى فينيقية القديمة، وهى تشمل قطعة

---

(١) يقول ماير فى كتابه البنايات الدينية فى إسرائيل:(إن يافا متصلة بالتاريخ الإسلامى منذ بدء الفتح الإسلامى وقد لعبت حتى وصول الصليبيين دوراً هاماً بالنظر إلى قلعتها التى يرجع تاريخها إلى زمن: أحمد بن طولون، كما كانت ملجأ لسكان اللة فى أوقات الخطر (ويعلق ماير على ما قاله المقدسى البشارى لابن بطلان وياقوت الحموى - فيقول : إن هذا الوصف مبالغ فيه جداً . لأن يافا فى الواقع لم تهمل إلى أن وقعت المعارك بين فتوحات صلاح الدين سنة ٥٣٨هـ . = ١١٨٧م والملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ = ١٢٦٨م . وفى العهدين المملوكى والعثمانى القديم بقيت المدينة فى حالة أنقاض . وكلما نهضت من عثرتها وسارت نحو الاصلاح ، استؤنفت المعارك واعيد تدميرها ، ويفهم من هذا أن بنايتها حديثة العهد) . انظر البنايات الدينية فى إسرائيل لماير ص٣١ .

(٢) انظر الانس الجليل بتارخ القدس والخليل/ لقاضى القضاة ابو اليمن مجير الدين العليمى الحنبلى الجزء الاول ص٤٢-٤٣ .

طويلة ضيقة من الساحل، الممتد بين البحر المتوسط وسلسلة جبال لبنان، وكانت السيادة أولاً لصيدا ،ثم صارت لصور اللتين كانتا أعظم مدن الفينيقيين، وبعد أن حاصر صور إسكندر الكبير حصاره المشهور، افتتحها ودكها إلى الأساسات سنة (٣٣٢ ق.م)، وموقع تلك المدينة العظيمة ليس اليوم سوى صخور.

والفلسطينيون: فرع من الشعب الأرياني قدموا غالباً من (جزيرة كريت)، عندما قاتلهم (رعميس)، وقهرهم وأسكنهم الساحل، ما بين يافا وغزة، ولما عظم شأنهم حاربوا مدينة (صور) وهدموها، ومن مدنهم العظيمة (غزة) و(أسدود) و(عسقلان) و(عقرون) عاقر[1] و(جت)، وكان عندهم صنم يدعونه (داجون)، وسيتم تعريف هذه المدن فيما بعد ضمن فصل (غزة وما يتبعها من القرى)، نصفه الأعلى شبه إنسان، والأسفل كالسمكة وكان لهم هياكل كثيرة فى (غزة) و(عسقلان) و(أسدود) و(بيت دجن)، التى سميت باسمه، وحاربوا اليهود فى عقر دارهم (مرج ابن عامر)، وهزموهم هزيمة منكرة، حتى أن شاول ملك اليهود من شدة غيظه قتل نفسه، على جبل جلبوع قرب جنين، فأخذ الفلسطينيون جثته وجثة ولده يوناثان، وعلقوهما على سور بيسان، وظهر فيهم جبابرة منهم جالوت وطالوت الجنى الذى قتله داود ولذلك قيل : بأنهم يرجعون فى نسبهم إلى العماليق، وفى تاريخ القرمانى: " إن العمالقة قوم يسكنون غزة وعسقلان، وساحل البحر ما بين مصر والشام، وإن جالوت ملك العمالقة ظهر على بنى إسرائيل، وتغلب على أرضهم وسبى كثيرا من ذراريهم، وضرب عليهم الجزية، وكان أشد الناس بأسا وأقواهم بطشًا، وقتله داود فى (بيسان)، وأهلك قومه والحثيون قبيلة

(١) (عاقر قرية كبيرة ، بها جامع كبير . وأهلها لهم رغبة فى الخير . وليس مثل خبزهم على جادة مكة) انظر: بلدانية فلسطين العربية لمرمرجى الدومنيكى ص ٢١٩ . وقف عليها وفهرسها / محمد خليل الباشا : عالم الكتب ، ١٩٨٧م.

انفصلت من تركستان نحو سنة ١٧٠٠ق.م.، وانهالت على فلسطين، وهم فرع من شجرة مملكتهم المؤسسة فى شمالى سوريا وآسيا الصغرى، وسكنوا بين القدس والخليل، وامتدوا إلى بيت ايل ونابلس، وذكروا أن إبراهيم (عليه السلام) اشترى مغارة المكفيلة من الحثيين، ودفن فيها زوجته سارة(١).

والأراميون من بنى آرام بن سام(٢) والآشوريون(٣) : من بنى آشور بن

(١) بصدد قصة سيدنا إبراهيم وأخباره راجع المصادر المعتمدة التى أشرنا إليها سابقاً . وراجع تاريخ العالم لأوروسيوس ص ٩٢ -٩٣ [إبراهيم بن تارح خليل الله] ، الترجمة العربية القديمة ، حققها وقدم د. عبد الرحمن بدوى.- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١.- ١٩٨٢ م وورد فيه أن سيدنا إبراهيم تزوج بعد موت سارة "قطورا" [qetura] فولد له منها ستة نفر هم :(زمران ويقشان ، ومران ومريان ، ويشبق، وشواة). وقبضه الله بالشام ، وقبر بكهف الأربع حيث دفن آدم وكان عمره مائة وخمساً وسبعين . وتزوج إسماعيل بن إبراهيم امرأة من العماليق ، فولدت له اثنى عشر ولداً وهم : (نبت nebuyot) ومنهم النبط ، و(قيدار qedar) ومنهم العرب الإسماعيليون ، وادبيل (odbeel) ، ومبسم (mibsum) ومشمع (mishmu) ودوما (duma) وقدما ومسى (massa) ، وحداد (hadad) وتيما (tema) ويتور (ietur) ونافش (naphish) . وكل هؤلاء قد انسل إسماعيل وهو ابن مائة وثلاثين سنة .) انظر تاريخ أوروسيوس ص٩٢. ووردت قصة شراء المغارة (المكفلية) فى الأنس الجليل الجزء الأول ص٤٢- ٤٣ مصدر سبق ذكره .

(٢) (والأموريون من بنى سام بن قدموا إلى أمورى وهى سوريا ثم استولوا على بابل وأقاموا بها مملكة من ملوكها " حمورابى " المشهور .) إتحاف ١/ ق٩ هـ٢ .

(٣) الآشوريون : آشور إمبراطورية قديمة قامت بغربى آسيا حول مدينة آشور الواقعة فى أعالى نهر دجلة حيث اتخذت عاصمتها فيما بعد فى كالاه ثم نينوى ، بدأت نواة المدينة حرة سامية مناضلة لكن لم يكن لها شأن إلى جانب قوة بابل . ثم قويت فى القرن ١٢ ق.م. تحت حكم تجلات بلسر الأول ، بيد أن أهميتها الحقيقية بدأت فى القرن ٩ ق.م. بفتوح آشور ناصر بال (ناصر بعل) الثالث الذى أقام فى ممتلكاته إدارة آشورية متماسكة . وأخذ خلفاؤه (شلمحا نصر الثالث ، وتجلات بلسر الثالث ، وسرجون الثانى) يبسطون سيطرتهم على منطقة الشرق الأدنى دعم سنخاريب قوة الإمبراطورية، وهزم إسرحدون قبائل الكدابتيين وفتح مصر. وفى عهد خليفته آشور بانيبال، بلغت آشور الذروة فى الآداب والفنون وإن فقدت مصر. تدهورت آشور سريعاً بعد موته ونهبت نينوى وخربت على يد الميدين (٦١٢ ق.م.) كافح آخر الملوك "س - شاد - إسكن " يائساً الأخطار المحدقة به من كل جانب لكن هزمه الميدين (٦١٠) . آلت أملاك آشور من بعده إلى الإمبراطورية الفارسية . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة المجلد الأول ص١٦٧) .

سام[١] والآموريون[٢] من بنى سام، قدموا إلى أمورى، وهى سوريا، ثم استولوا على بابل وأقاموا بها مملكة، ومن ملوكها (حمورابى)[٣] المشهور[٤].
والفرس من بنى إيران بن آشور بن سام وإلى إيران هذا تنسب مملكة إيران، التى كان فيها ملوك الفرس والجرامقة من بنى باشل بن آشور، وقيل : من

(١) قال فى خطط الشام: (وبعد خراب سد مأرب وسيل العرم جاءت قبيلة بنى سليح من قضاعة وسكنت البلقاء وجاء بنو غسان من الأزد واستولوا على جهات دمشق وفلسطين وانتشروا فى البلاد فى أواخر القرن الثانى عشر للمسيح ، وفى خلال تلك المدة قدمت فرقة من اللخميين إلى جنوب فلسطين ، وامتدوا فى غربى بحيرة لوط وبرز قوم من مضر يعرفون بالكلبيين ، امتدوا من الحجاز إلى جنوبى الشام ونزلوا فى الجندل (الجوف) فاذعنت بقايا هذه القبائل لزينب (الزباء) فاستأجرتهم وأدخلتهم فى جيشها ، إلى أن تغلب عليها الرومان. وقد كان خراب السد الذى صنعته بلقيس وجددت سيل العرم الصعب الشديد بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وخربت بلاد مأرب وما حولها وتفرقوا أهلها غاية التفريق حتى لحق منهم غسان بالشام والحجاز بيثرب ، وجذام بتهامة ، والأزد بعمان كما فى تفسير البيضاوى ثم تتابع ارتحال قبائل اليمن والحجاز إلى أن سافروا فى سائرالأقطار حتى ملأوا البرارى والقفار وتوغلوا فى القرى والأقطار .) إتحاف ١/ ق٩ هـ ٣ .

(٢) الأموريون: قبائل بدوية من الصحراء العربية ثبت وجودها أول مرة فى عهد سلالة الأكديين وفى عهد سلالة أور الثالثة والحقب المختلفة اللاحقة أقاموا سلالات محلية فى أنحاء غربى آسيا كلها تعرف لغتهم من أسمائهم الشخصية وهى مجموعة اللغات الساحلية الغربية. انظر: حضارة العراق وآثاره، تاريخ مصور تأليف: نيكولاس بوستغيت، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبى، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٠م ، ص١٢٦ .

(٣) حمورابى Hammurapi الملك السادس فى سلالة بابل الأولى (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) كان أصله أمورياً ووجدت فى عهده كتابة اللغة الأكدية بالمسمارية وشريعته تعد النموذج الأعلى لهذه العملية. انظر: حضارة العراق وآثاره، ص٣٢، مصدر سبق ذكره .

(٤) " ذكر فى التاريخ القديم أن الأموريين القادمين من أمورى (سوريا) استولوا على مدينة بابل وهم الفرع السامى، وبعد حروب ارتقى على عرش الملك حمورابى وهو الملك السادس من الأسرة الأمورية فى بابل سنة ٢١٠٠ ق. م . وقال فى الجزء السابع من تفسير المنار : قد ثبت عند علماء العاديات والآثار القديمة: أن عرب الجزيرة قد استعمروا بلاد الكلدان ومصر منذ فجر التاريخ وغلبت لغتهم فيها، وصرح بعضهم بأن الملك حمورابى عربى وكان معاصراً لإبراهيم عليه السلام،وحمورابى هذا ملكى صادق مَلِك البِرِّ والسلام، ووصف فى العهد العتيق بأنه كاهن الله العلى، وذكر أنه بارك لإبراهيم وأن ابراهيم أعطاه العشر من كل شيئ . أ.هـ" (هـ . ٢ ص ٩ إتحاف الأعزة).

بنى كاثد ابن أرم بن سام، والسريان ويقال لهم الكلدان من بنى سريان[١] بن نبيط والنبط : من بنى نبيط المذكور[٢] بن ماش بن أرم بن سام، وقيل نبيط ابن آشور بن سام[٣]، وهم أهل بابل فى الزمن القديم، ومَنْ دقق النظر فى

(٤) " الكلدانيون: أمة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك وكان منهم النماردة والجبابرة الذين كان أولهم نمرود بن كوش من بنى حام بانى المجدل) انظر تاريخ مختصر الدول ص٤٣ للعلامة غريغريوس الملطى المعروف " بابن العبرى " المتوفى سنة ٦٨٥ هـ. بيروت : دار المسيرة ، د.ت.ن .

(٢) ظهر الأنباط لأول مرة فى القرن ٦ ق.م. ، قبائل بدوية فى الصحراء الواقعة فى شرقى ما يسمى بشرق الأردن ، وفى القرن ٤ ق.م. كان الأنباط قوماً رحلاً يعيشون فى الخيام ويتكلمون العربية ولا يهتمون بالزراعة . وفى القرن ٣ ق.م. تركوا حياة الرعى إلى حياة الاستقرار وعملوا بالزراعة والتجارة وفى أواخر القرن ٢ ق.م. تحولوا إلى مجتمع منظم. وأول تاريخ ثابت للأنباط يرجع إلى ٣١٢ ق.م. حين نجحوا فى صد هجمات حملتين عن سورية بقيادة أنتيغوس أحد خلفاء الإسكندر . وكانت البتراء عاصمة الأنباط . وسع الأنباط سلطتهم ومراكزهم إلى المنطقة الشمالية المجاورة حيث أعادوا بناء المدن الأدومية القديمة ، وأصبحت البتراء منذ أواخر القرن ٤ المدينة الرئيسية على طريق القوافل تربط بين جنوب الجزيرة العربية الذى ينتج التوابل ، وبين مراكز الاستهلاك والبيع فى الشمال . وبدأ عهد ملوك الأنباط منذ ١٦٩ ق.م. ومنهم الحارث (ارتياس) الذى تحالف مع ملوك سورية السلوقيين ثم أصبح منافساً لهم، ساعد الحارث ٢(إيرتيموس) ح ١١٠ - ٩٦ ق.م. غزة حينما حاصرها إسكندر جنايوس المكابى ٩٦ ق.م. وانتصر خلفه عبيدة(أوبوداس الأول) على خبايوس واستغل عبيدة وخلفه الحارث ٣ (ح ٨٧ - ٦٢) انحطاط جيرانهما السلوقيين والبطالمة فوسعوا الحدود العربية إلى الشمال . وكان الحارث هذا أول من سك النقود النبطية التى اقتبس لها النموذج المعروف عند البطالمة . وبدأت البتراء منذئذ تتخذ مظاهر هلينية ، كما أخذت دولة الأنباط تتحالف مع روما ويمثل مالكو مالكوس ١(ح ٥٠ - ٢٨ ق.م.) عصر الأنباط الذهبى الذى انتهى بموته . وبلغت المملكة ذروتها فى عهد الرومانية وكانت المملكة تضم فى أقصى اتساعها جنوب فلسطين وشرق الأردن وسورية الجنوبية الشرقية وشمال الجزيرة العربية ، وكانت حضارة الأنباط عربية فى لغتها آرامية فى كتابتها ، سامية فى دياناتها ، ويونانية رومانية فى فنها وهندستها المعمارية. وكانت دياناتهم من النوع السامى الشائع أساسها طقوس الخصب المتصلة بالزراعة ، وكان رأس آلهتهم الإله دوشارا وهو إله الشمس الذى يعبد على صورة مسلة أو حجر أسود غير منحوت له أربع زوايا . وثلاث آلهة رئيسية فى الجزيرة العربية وتتصل بالإله دوشارا . (انظر: الموسوعة العربية الميسرة مج١/ ص٢٣١) .

(٣) "ومملكة آشوريا من ممالك آسيا القديمة وكانت محصورة بين أرمينيا شمالاً وجزيرة ابن عمر =

جميع فروع الساميين وجدها عرباً أو نمت إلى العرب بأصل أو ولاء أو اختلاط واندماج ، وقال في الخطط[١] : أيضا والنبط أو النبيط في اصطلاح العرب في القرون الأولى للهجرة، اسم أهل الحضر المتكلمين باللغات الآرامية، الساكنين في الشام، وليسوا النبط أو الأنباط الذين اتسعت مملكتهم في أرض الحجاز الشمالية، إلى حدود فلسطين ونواحي دمشق، وكان الأنباط أمة عربية الأصل، ولغتهم المألوفة العربية للتكلم والمحاورة بين الناس لا للكتابة أ.هـ[٢]. وأصل العبرانيين سبط من الساميين الذين نزلوا من جبال أرمينية، إلى سهول الفرات،على عهد مملكة الكلدان الأولى، وضربوا نحو الغرب، فجازوا الفرات فالقفر فالشام، حتى انتهوا إلى ما وراء بلاد الأردن وراء فنيقية، وهم شعب من الرعاة الرحالة، لم يحرثوا أرضًا، ولا سكنوا

= غرباً ومملكة ميديا شرقاً ومملكة بابل جنوباً ومحلها الآن بلاد الكرد وكان أكبر أنهارها نهر الدجلة وأشهر مدنها نينوى وظهرت باسم مملكة آشوريا ومملكة نينوى ثم هدم بختنصر مدينة نينوى وأتبع أشوريا لبابل فلما جاء ملك الفرس " فيروس " سنة ٥٣٨ ق. م . سلب استقلال اشوريا وبابل واتبعهما المملكة ، وكانت متقدمة في المدينة حتى أن العاديات التي استخرجت من أطلالها قريباً حققت ما نقل عنها من فخامة التماثيل ودقة الصناعة كما في دائرة المعارف للعلامة فريد وجدي . " هـ . ٣ ص ٩ إتحاف الأعزة .

(١) قال في خطط الشام : وبعد خراب سد مأرب وسيل العرم جاءت قبيلة بني سليح من قضاعة وسكنت البلقا ن وجاء بنو غسان بن الأزد واستولوا على جهات دمشق وفلسطين وانتشروا في البلاد في أواخر القرن الثاني عشر للمسيح، وفي خلال تلك المدة قدمت فرقة من اللخميين إلى جنوب فلسطين وامتدوا في غربي بحيرة لوط وبرز قوم من مضر يعرفون بالكلبيين امتدوا من الحجاز إلى جنوبي الشام ونزلوا في الجندل (الجوف) فاذعنت بقايا هذه القبائل لزينب والزباء فاستأجرتهم وأدخلتهم في جيشها إلى أن تغلب عليها الرومان. وقد كان خراب السد الذي صنعته بلقيس وجددت سيل العرم الصعب الشديد بين عيسى ومحمد عليهما السلام وخربت مأرب وما حولها وتفرقوا أهلها غاية التفريق حتى لحق منهم غسان بالشام والحجاز ويثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان كما بتفسير البيضاوي، ثم تتابع ارتحال قبائل اليمن والحجاز إلى سائر الأقطار حتى نزلوا البراري والقفار وتوغلوا في القرى والأمصار) الطباع هـ٢ - ص٩.

(٢) انظر خطط الشام الجزء الأول ص٢١-٢٢ لمحمد كرد علي .- ط٢ مصححة بقلم المؤلف، دمشق : مكتبة النوري ، ١٩٨٣م .

الدور والمنازل، وقد دعيت بلادهم أرض الميعاد أو أرض كنعان أو فلسطين . قال : وشعب الحثيين[١] : غير سام ومجهول اللسان، وانقرضت دولتهم فى القرن الثامن قبل الميلاد ا . هـ[٢].

والموآبيون : من أبناء لوط، ومنازلهم بين نهر أرنون الأزرق وتبوك.

والعمونيون من نسل ابن عمى من ذرية لوط، ومساكنهم جهة عمان، والسلط[٣] والزرقاء[٤]. وزغر قرية بالشام سميت باسم ابنة لوط (عليه

(١) الحيثيون : شعب قديم بآسيا الصغرى وشمالى سوريا يرجع نسبه إلى قبيلة الأناضول تعرف باسم ختى . وكانوا يسمون بلادهم فى أيام المملكة الثانية باسم بلاد خاطى أو حاطى. شملت مملكتهم الأناضول وجزءا كبيراً شمال العراق وسورية ، امتزج الحيثيون قديماً بالشعب الهندى -الأوروبى. وازدهروا (٢٠٠٠-١٢٠٠ق.م.) وكان أكبر مراكزهم فى مكان بوغازكوى الحالية (على بعد ١٤٤ كم شمال انقرة) حيث كشف التنقيب عن أكبر مجموعة من الوثائق الحيثية تمثل مخطوطات دولتهم وتتالف من أكثر من ١٠٠٠٠ لوح فخارى جمعها ملوكهم (ح-١٣٠٠ ق.م.) مكتوبة بالمسمارية كما كتب بعضها بالهيروعكيفية رتظهر مواهبهم الفنية فى نقوشهم وأختامهم ، كما يظهر فيها التأثير البابلى والأشورى . كانت لغة الحيثيين على صلة بمجموعة اللغات الهندية -الأوربية (انظر : جدول اللغات) وهناك عدة لغات أخرى تتمثل فى كتاباتهم ، ويدل التداخل بين لغاتهم على احتمال أنهم دخلوا (ح ٢٠٠٠ ق. م.) كابدوكية وطردوا حكام ما بين النهرين ومن المصادر البابلية والأشورية والمصرية عرفت بعض الحقائق الهامة عن تاريخ الحيثيين . ففى ح ١٨٠٠ ق.م. حكم الحيثيون إمبراطورية كان مركزها كابدوكية، واستطاع ملكهم مرشلش أن ينهب مدينة بابل. فتغلب بذلك على أسرة حمورابى. (انظر بتوسع الموسوعة العربية الميسرة مج١/ ص٧٤٦) .

(٢) نفس المصدر السابق الجزء الأول ص ٣٧-٣٨ . يقول محمد كرد على فى هذه الصفحات : "وأن الحثين أنفسهم من سلالة أرية ، ولكن امتزج بهم مع الزمن دم من غير الدم الأرى الأوروبى أى إن الحيثيين من أصل غير سام ولم تنتشر لغتهم كما قال حتى- فيليب فى كتابه تاريخ العرب المطول (ولم يتوفق البحاثون إلى حل رموزها حتى الآن) .

(٣) "قال فى البحر الزاخر : وخلف لوط ابنيه موآب وبن عمى اللذين تناسل منهم الموآبيون وبنو عمون وهم الذين وجدهم موسى ويوشع فى أرض شرق نهر الأردن والبحر الميت . (ط- هـ ص ١٠) .

(٤) (قال فى البحر الزاخر : وخلف لوط ابنيه مؤاب وبن عمى الذين تناسل منهم المؤابيون وبنو عمون وهم الذين وجدهم موسى ويوشع فى أراضى شرق نهر الأردن والبحر الميت) إتحاف ١/ق١٠ هـ ١ .

السلام) و(صفوريا) ابنة هارون .

المديانيون : قبائل عربية تشعبت من مدين[1]، قبيلة شعيب (عليه السلام) سميت باسم جدها مدين بن إبراهيم الخليل، وكانوا مع العمالقة، وأهل المشرق ينهبون زرع الإسرائيليين، ويأكلون ثمارهم. وأيلة وهى العقبة، مدينة سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم (عليه السلام) وكان بها علم كثير، وآداب ومتاجر وأسواق عامرة ونخل وزرع . والأدوميون : أولاد العيص بن إسحق كانوا قبائل وفرقاً، وكانت منازلهم جنوب البحر الميت، أخضعهم داود واحتل بلادهم، وجعل عليها حامية من جنده، ولما حمل بختنصر[2] على أورشليم أعانوه على نهبها وذبح أهلها، فكافأهم وأيد سلطتهم فى أدوم، ووسع حدودها من تخوم مصر حتى البحر المتوسط فداهمهم الأنباط العرب

(١) (ومدين أيضاً مدينة ومكان وقطر ، قال المقريزى: وكان بأرض مدين عدة مدائن قد باد أكثرها وخربت وبقى منها إلى ٨٢٥ سنة نحو من أربعين مدينة منها ما يعرف اسمه ومنها ما جهل فما يعرف اسمه ، بين أرض الحجاز ومصر وفلسطين عشر مدائن : الخلصة والسيطة والمدرة والمنبة والأعوج والحويرق والبترين والمائين والمعلق والسبع وأعظم هذه المدائن الخلصة والسبيطة وكثيراً ما تنقل حجارتها إلى غزة ويبنى بها هناك وملك مدين فيما بعد شعيب اسمه أبجد وكان له خمسة أولاد وهم هوز حطى كلمن سعفص قرشت وصاروا ملوكاً بعد أبيهم المذكور صحيفة ٣٠٣-٣٠٤ الجزء الاول) (إتحاف ١/ ق-١٠ هـ ٢) .

(٢) كان بخت نصر ملكاً على بابل ، وكان ابتداء ولايته فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى -عليه السلام- . وتفسير بخت نصر بالعبرانية : عطارد، سمى بذلك لتقريبه العلماء والحكماء وحبه أهل العلم . واختلف المؤرخون فيه هل كان ملكاً مستقلاً بنفسه أم كان نائباً للفرس، والأصح عند الأكثر أنه كان نائباً لملك اسمه هراسف . انظر كتاب "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " لمجير الدين الحنبلى ، ج١ص١٤٨ - مصدر سبق ذكره. وذكر ابن العبرى فى كتابه تاريخ مختصر الدول ص ٤٣-٤٥" أن بختنصر الذى غزا بنى إسرائيل وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى بقيتهم وغزا مصر وافتتحها دوخ كثيراً من البلاد. وينعته ابن العبرى بـ " بختنصر بن نيوفلسر " ملك قبل إحراقه هيكل الرب وإخرابه تسع عشرة سنة وبعده أربعًا وعشرين سنة . واسمه بالسريانية نبوخذ نصر أعنى عطارد ينطق. وأصل الاسم نبو وهو عطارد كلدو . نصر . فيكون المعنى نبو ينصر من الكدر، وإنما سمى بذلك لأنه نطق بالعلوم والآداب المنسوبة إلى عطارد " انظر ابن العبرى ص٤٣-٤٥

وملكوا بلادهم، وكان بذلك انقراض ملكهم ودولتهم ومن مشاهيرهم (هيرودس الأدومى)، حاكم فلسطين، ومساعد الرومان فى تأييد نفوذهم أيام المسيح، ومن آثاره (مدينة قيسارية) وسماها (قيصرية) نسبة إلى مولاه القيصر، وعمر (مدينة السامرة) وسماها سبسطية ، يعنى أوغستوس اسم القيصر فى تلك الأيام ، وبنى قلعة باب الخليل بالقدس، وشاد برج أنطونيا السفلى(وهو الآن مدرسة روضة المعارف) وقد جرفت بقاياهم الأنباط العرب، وأسست ملكاً فى وادى موسى ، ومن عظماء ملوكهم الحارث الثالث الذى تغلب على البقاع بسوريا وملك دمشق سنة ٨٥ ق.م وساعد هركانوس على أخيه أرستوليوس، وقد امتدت مملكتهم حتى عمت جزيرة سينا فى الغرب وحوران وحدود العراق من الشرق وبلغت وادى القرى من الجنوب، وفى بلاد الشام عناصر متنوعة وبقايا من الشعب الأشورى، والبابلى والكلدانى والكنعانى والفنيقى والحثى، والعبرانى والفارسى واليونانى والرومانى والترى والعربى، ولم تطل حياة عنصر فى صحة ببلاد الشام، كما طالت حياة العرب فإنهم فيها على أصح الأقوال منذ ألفين وخمسمائة سنة، كما فى الخطط[١]. وفى تاريخ فلسطين[٢]: " أن العرب دخلوا فلسطين قبل الإسلام بقرون، ولما جاء الإسكندر إلى غزة وحاصرها كانت حاميتها عرباً فقاومته أشد المقاومة " وفى "مروج الذهب"[٣] : " أن بخت نصر كان نائباً لهراسف ملك الفرس،

---

(١) انظر خطط الشام ج١/ص٢٠-٢١ .

(٢) تاريخ فلسطين : لعمر الصالح البرغوتى(١٨٩٤ - ١٩٦٥) . ألفه البرغوتى مشاركة الدكتور خليل طوطح ، وطبع سنة ١٩٢٢م . (ولم أقف على هذا الكتاب)(المحقق) . انظر بصدد ترجمة البرغوتى كتاب " من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين " ليعقوب العودات البدوى الملثم (ص٤١ - ٤٣) ط٣ ، ١٩٩٢م . القدس الشريف دار الإسراء ١٩٩٢م .

(٣) انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى (٣٤٦هـ) مج١/ص٢٢٨ - ٢٢٩ ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت :دار الفكر ، ط٢، ١٩٨٩م .

وسار بالجيوش نيابة عنه وفتح له البلاد ثم غزا العرب، وكان فى زمن معد ابن عدنان، فقصده طوائف منهم مسالمين فأحسن إليهم وأنزلهم شاطئ الفرات، وبنوا موضع معسكرهم وسموه الأنبار وأتى دمشق فصالحه أهلها، وصالحه بنو إسرائيل بالقدس، ثم غدروا به، فسار إليهم وسبى ذريتهم، وخرب بيت المقدس، وهرب من سلم منهم إلى مصر فأنفذ إلى ملكها يطلبهم، فامتنع من تسليمهم فسار إليه "بخت نصر"، وقتل ملك مصر وسبى أهلها، ثم عاد إلى المغرب وخرب البلاد وسبى، ثم عاد إلى فلسطين والأردن فسبى وقتل "[1]. وذكر فى الجزء السابع من "تفسير المنار": أنه ثبت عند علماء العاديات والآثار القديمة، أن عرب الجزيرة قد استعمروا بلاد الكلدان ومصر منذ فجر التاريخ[2]، وغلبت لغتهم فيها وصرح بعضهم بأن

---

(٤) بالنسبة " لبخت نصر " أو " نبوخذ نصر" - كما يسميه البعض. فقد" كان بخت نصر " ملكاً على بابل ، وكان ابتداء ولايته فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام. وتفسير " بخت نصر " بالعبرانية : عطارد وهو سطو ، سمى بذلك لتقريبه العلماء والحكماء وحبه أهل السلم . واختلف المؤرخون فيه هل كان ملكاً مستقلاً بنفسه أم كان نائباً للفرس . والأصح عند الأكثر : أنه كان نائباً لملك اسمه هراسف .[أو هراسيف كما نقله الطباع] انظر كتاب " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " لمجير الدين الحنبلى ، ج١ص١٤٨ - مصدر سبق ذكره . " وذكر ابن العبرى فى كتابه تاريخ مختصر الدول ص ٤٣-٤٥" أن بختنصر الذى غزا بنى إسرائيل وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى بقيتهم وغزا مصر وافتتحها ودوخ كثيراً من البلاد . وينعته ابن العبرى بـ " بختنصر بن نبوفلسر " ملك قبل إحراقه هيكل الرب وإخرابه تسع عشرة سنة وبعده أربعًا وعشرين سنة . واسمه بالسريانية نبوخذ نصر أعنى عطارد ينطق [وأصل الاسم نبو وهو عطارد كلر . نصر . فيكون المعنى نبو ينصر من الكدر، وإنما سمى بذلك لأنه نطق بالعلوم والآداب المنسوبة إلى عطارد " انظر ابن العبرى ص٤٣-٤٥.

يقول المسعودى وهو يعرض تاريخ ملوك بابل : " . . . ثم ملك بعده " بختنصر الجبار " خمساً وأربعين سنة " انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر م١ ، ص ٢١٧ تصنيف : أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى عام ٣٤٦هـ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .- بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

(٢) " والعرب من أقدم الأمم ولغتها من أقدم اللغات وجوداً كانت قبل إبراهيم وإسماعيل وقبل =

الملك حمورابى عربى، وكان معاصراً لإبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وحمورابى هذا هو ملكى صادق مَلِك البِرّ والسلام، ووصف فى العهد العتيق بأنه كاهن الله العلى، وذكر أنه بارك له إبراهيم، وأن إبراهيم أعطاه العشر من كل شىء أ.هـ [١].

* * *

= الكلدانية والعبرية والسريانية والفارسية وغيرها كما فى مقدمة المعرب للجواليقى . "(إتحاف الأعزة هـ. ٦) .

(١) راجع تفسير المنار ج٧ ص٤٤٦ . تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار تأليف السيد محمد رشيد رضا .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

العرب العاربة
والمستعربة

العرب العاربة والمستعربة[1]

والعرب العاربة يسمون القحطانيين، والسبئيين والحميريين والكهلانيين والكلبيين واليمنيين، نسبة إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح، وسبأ وكهلان ابنى قحطان وحمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن

(١) بصدد العرب العاربة والمستعربة وطبقات العرب وأنسابهم انظر كتاب " نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب " تأليف : ابن سعيد المراكشى (٦١٠هـ - ٦٨٥هـ) تحقيق : الدكتور نصرت عبد الرحمن ، نشر الكتاب فى عمان : مكتبة الأقصى ، ط١. - ١٩٨٢م وساعدت الجامعة الأردنية على نشره ، الجزء الأول : من (ص٤٦ - ٧١ عن العرب المبلبلة البائدة) وعن العرب العاربة من ص (٨٧ - ٣٠١) وعن العرب المستعربة من (ص٣٠٣ - ٤٧٣) وهذا الكتاب هو من أهم الكتب التى أرخت للعرب قبل الإسلام هو وكتاب الدكتور جواد على . وراجع : كتاب " المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام " لجواد على ج١، ج٢ . حيث ورد فى الجزء الأول عن أنساب العرب ص٤٦٦ وعن تاريخ الجزيرة لفترة ٥٢٩م . وراجع كتاب " نسب قريش " لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦ - ٢٣٦ هـ) عنى بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه ليفى بروفنسال ، القاهرة دار المعارف ط٣. - ١٩٧٧ . حيث أورد نسب معد بن عدنان ص٣ إلى ولد عبد المطلب بن هاشم ص١٦ - ١٧ . وراجع الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعلامة مجير الدين العليمى الحنبلى المجلد الأول من ص١٧- حتى ص ١٥٤ حيث أرخ منذ وجود آدم ومروراً بكل الأنبياء حتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ٢- وراجع كتاب " بلوغ الإرب فى معرفة أحوال العرب " تأليف : السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادى ، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه:- محمد بهجة الأثرى، بيروت: دار الكتب العلمية ط٢ الجزء الأول من ص ٥ حيث أورده تعريفاً للعرب وأقسامهم وطبقاتهم حتى ص ٣٣٢ دكر عبد المطلب بن هاشم - وهو من الكتب المهمة أيضاً. . ويقول ابن العبرى نقلاً عن القاضى صاعد الأندلسى صاحب قضاء مدينة طليطلة : إن العرب فرقتان فرقة بائدة وفرقة باقية . أما الفرقة البائدة فكانت أمماً ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس . ولتقادم انقراضهم ذهبت عنا حقيقة أخبارهم وانقطعت عنا أسباب العلم بآثارهم . وأما الفرقة الباقية فهى متفرعة من جذعين: قحطان وعدنان . ويضمهما حالان حال الجاهلية وحال الإسلام . انظر تاريخ ابن العبرى ص٩٣-٩٤ . مصدر سبق ذكره .

قضاعة بن مالك ان عمروَ بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير المذكور.

ومنهم ملوك اليمن، وأشهرهم سبأ بن يشجب بن يعرب، وهو أول من سن السبى فى العرب، وبنى مدينة سبأ. وأشهر أولاده حمير وكهلان، اللذان تشعبت منهما قبائل اليمن، وصار الملك ينتقل فى بنيهم، ولقبوا بالتبابعة ومنهم المناذرة ملوك العراق من قبل الأكاسرة ملوك الفرس، ومنهم الغساسنة ملوك الشام من قبل القياصرة ملوك الروم، وآخرهم: جبلة بن الأيهم، الذى بنى مدينة جبلَّة المشهورة، وأسلم فى أيام عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ومنهم ملوك كندة وغيرها، ومنهم الأوس والخزرج، وسائر قبائل الأزد وقبائل وبطون لا تحصى. والعرب المستعربة تعرف بالإسماعيليين والعدنانيين والمعديين والمضريين والقيسيين، نسبة إلى جدهم إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن تارح ابن ناحور بن شاروخ بن أرغو بن فالخ بن قينان بن عابر وهو هود (عليه السلام) ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام). وإلى عدنان ابن أدد بن أدد بن مقوم بن ناحور بن يترح ويقال تارح بن يعرب بن يشجب ابن نابث، ويقال قيدار بن إسماعيل (عليه السلام) وإلى معد بن عدنان وإلى مضر بن نزار بن معد المذكور . وإلى قيس بن عيلان، وهو إلياس بن مضر المذكور، ومنهم مدين وهى أمة كبيرة ذات قبائل وشعوب كثيرة وكانت ديارهم تجاور أرض معان، من أطراف الشام مما يلى الحجاز، قريبًا من ديار قوم لوط (عليه السلام).

ومنهم أمراء الحجاز بعد الجراهمة، والكنديون واللخميون وسادات العرب، والقرشيون والهاشميون والعباسيون، والأمويون والزيديون والعلويون والهلاليون والنجديون، وقبائل عديدة وبطون جمة منتشرة فى الأقاليم، ومتوطنة فى البوادى والقفار والمدن والأمصار، وبالجملة فالعرب أعظم أمة فى العالم ذات تاريخ مجيد عريقة فى المجد والسؤدد والنبوغ والحصافة والعز والكرم والنجدة والشجاعة وقوة الباس وشدة المراس، جمعت من سالف

العصور بين البداوة والحضارة، والتنعم والتقشف والزراعة والتجارة، وتوطنت المدن والأمصار والبوادى والقفار[1]، وقد شاركت باقى الأمم فى مواطنها وبلادها، وأختصت بثمانية أقاليم:

الأول: الحجاز ومن مدنه مكة المكرمة، وهى بكة وأم القرى، وفاران المذكورة فى التوراة، وفيها: «سيخرج من فاران نبى»، فخرج منها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ النبى العربى الهاشمى القرشى، دعوة جده إبراهيم الخليل، وبشارة عيسى وموسى، وقد بعث الله من العرب خمسة أنبياء، فأرسل منها هوداً إلى قبائل عاد، وصالحاً إلى ثمود، وشعيباً إلى مدين، وإسماعيل إلى العمالقة وجرهم وقبائل اليمن، ومحمداً ﷺ إلى الناس كافة.

الثانى: اليمن : الآهل من القديم بالعمران، ومتوفرة فيه الحضارة، ومن مدنه صنعاء وعدن والحديدة وملكه سلالة أئمة الزيدية، وأمراء المؤمنين، الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين الحسنى.

الثالث: حضرموت ومن مدنه ظفار وشيبان.

الرابع : مهرة شرقى حضرموت.

الخامس: عمان أو شحرعمان ومن مدنه مسقط وصحار.

السادس: الإحساء ويسمى بالبحرين، لوقوعه على بحرى عمان والفرن، ومن مدنه الهفوف والقطيف.

السابع: الأحقاف صحراء فى قلب جزيرة العرب بين عمان والإحساء وحضرموت ومهرة ونجد.

---

(١) قال فى مروج الذهب : سخرت العرب البرارى والمهمات والمصاف فمنهم المنجد والمتهم المرتفع والمنخفض ممن سكن أغوار الأرض كغور بيسان وغور غزة من بلاد الأردن وفلسطين من أرض الشام ومن سكنه لخم وجذام . (هـ ١ص ١٢ إتحاف الأعزة) .

الثامن: نجد فى جنوب صحارى الشام، وكان به مدينة هجر، ومن مدنه الرياض عاصمة ملك نجد والحجاز الملك العادل عبد العزيز آل سعود، وهو ابن الأمير الجليل عبد الرحمن ابن الأمير فيصل، ابن الأمير عبد الله ابن الأمير سعود ابن الأمير عبد العزيز ابن الأمير الشيخ محمد بن سعود، من قبيلة عنزة من القبائل اليمنية التى يفخر مليك العصر بانتسابه إليها، وعنزة أبو القبيلة المذكورة، هو ابن عمرو بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن الأزد بن الغوث، بن النبت بن زيد بن مالك بن زيد بن كهلان، ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام .

وكانت العرب فى أزمان الفترة على مذاهب شتى، منهم من كان على شريعة إبراهيم، ومنهم من كان على شريعة موسى ،ومنهم من اتبع عيسى، وأكثرهم على الشرك وعبادة الأصنام، وغيرها كسائر الأمم فى تلك العصور، وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح (عليه السلام) فى العرب بعد، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع وكانت على صورة امرأة، فكانت لهزيل وأما يغوث فكان لمراد لبنى غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكان لهمذان، وأما نسر فكان لحمير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[1]»[2]. وقال : فى حديث معاذ « إنك تقدم على قوم من أهل

---

(١) انظر بصدد عبادة الأصنام فى الجاهلية وما لكل قبيلة من الأصنام وعددها وأسمائها. كتاب "الأصنام لابن الكلبى". تحقيق شيخ العروبة أحمد زكي باشا، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٢٤ . سلسلة إحياء الآداب العربية عن النسخة الوحيدة بالخزانة الزكية.

(٢) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى الجزء السادس / ص١٩٩ كتاب التفسير . وفيه بعض الاختلاف البسيط عن الرواية التى أتى بها الطباع . انظر: صحيح البخارى " النسخة اليونينة" وهى من أفضل وأدق النسخ. راجع المقدمة التى كتبها العلامة أحمد محمد شاكر لهذه النسخة. صور الكتاب فى بيروت : دار الجيل .

الكتاب[1] ، هم اليهود وكان ابتداء دخول اليهود اليمن، فى زمن أسعد بن كرب، وهو تُبَّع الأصغر فقام الإسلام وبعض اهل اليمن على اليهودية وبعد ذلك دخلوا دين النصرانية، لما غلبت الحبشة على اليمن ولم يبق بعد باليمن أحد من النصارى أصلاً إلا بنجران وهى بين مكة واليمن، وبقى ببعض بلادها قليل من اليهود كما نقله "العينى فى شرح البخارى" قال فى "الخطط": "وكانت بلاد الشام قبل الفتح الإسلامى، تحت حكم الرومان منذ سبعة قرون، وملكها صاحب مملكة بيزنطة أو مملكة الروم الشرقية، ويعرف عند العرب باسم هرقل، وسكان هذه البلاد من روم وفرس وسريان وعرب، أصحاب علاقات مع الحجاز بالتجارة، كما كانت علائق عرب الحجاز فى الجاهلية كثيرة جداً بأهل هذا القطر، وكانت قبائل كثيرة من العرب تنزل الشام بل تشارك دولة الروم فى الأحكام، وأشهرها: غسان فى الجنوب وتنوخ فى الشمال، وتغلب فى الشرق، ودانت بالنصرانية وتركت عبادة الأصنام، فقويت الروابط بينها وبين البيزنطيين، وكان ذلك أهم ما يرجى منه تيسير الفتح أ.هـ[2] " ومهما تغلبت الوثنية واستحكم الشرك فى

(١) " إنك تقدم على قوم (من) أهل الكتاب (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله) خ٢ :١٤٧ - ٩ : ١٤٠ - م الإيمان ٣١ - هق٤ : ١٠٢ - قط ٢ : ١٣٦ - حلية ١ : ٢٣ - العمال - كنز ١٥٧٧٢ - طب ١١ : ٤٢٦ - فتح ١٣ : ٣٤٧

- " إنك تقدم على أهل كتاب وإنهم ..." تمهيد ٨ : ٣٧٠ .

- " إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله " فق ١ : ١١٤ - هق ٧ : ٢ - فتح ١٣ : ٣٤٧.

(٢) " وكانت هذه الديار تحت حكم الرومان منذ سبعة قرون وملكها صاحب مملكة بيزنطية أو مملكة الروم الشرقية ويعرف عند العرب باسم هرقل ، وسكان هذه البلاد من سريان وعرب وروم وفرس أصحاب علاقات مع الحجاز بالتجارة كما كانت علائق عرب الحجاز فى الجاهلية كثيرة جداً بأهل هذا القطر وأهم ما كان يرجى منه تيسير الفتح. إن قبائل عربية كثيرة كانت تنزل الشام بل تشارك دولة الروم فى الأحكام وأشهرها غسان فى الجنوب وتنوخ فى الشمال وتغلب فى الشرق . وكانت هذه القبائل العربية دانت بالنصرانية وتركت عبادة الأصنام والأوثان. فقويت الروابط بينها وبين البيزنطيين. فكانوا يؤدون لزعمائهم الرواتب ليقفوا فى =

عصور الفترة وأزمنة الجاهلية فقد كان ما فطر عليه العرب من رجاحة العقل، وقوة الذكاء والشعور والنبوغ فى البلاغة، من أكبر العوامل لتخلصهم من ربقة الشرك ، وظلمة الجهل، ورفضهم تلك الأباطيل والمعتقدات والعادات الذميمة، حينما قام النبى محمد ﷺ فيهم بالدعوة إلى دين الله الحق، الذى أراده الله لعباده وأمر باتباعه، وجاء كل نبى من الرسل يدعو إليه، فكانت أشعة الكتاب الحكيم وآيات الذكر المبين تنفذ فى أدمغتهم وتؤثر فى عقولهم، وتتخلل فى أحشائهم وقلوبهم، لما اشتملت عليه من الحجج الراجحة، والبراهين الصحيحة، والحكم الباهرة والسعادة الظاهرة، والترغيب فى كل خير والترهيب من كل شر. صارعت العقول فصرعتها، وقرعت الألباب فأذعنت لها، فصار الإسلام يبشر لنفسه بنفسه، وآيات التنزيل تعزز دعوته وتدعم حجته، فأشرقت الأرض بنور الحق، ودخل فى دين الله أكثر الخلق.

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكروا الكتب القديمة عنده ... طلع الصباح فأطفأ القنديلا

وفى ذلك يقول أمير الشعراء أحمد بيك شوقى. رحمه الله:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد ... يزينهن جلال العتق والقدم

يكاد من لفظة منه مشرقة ... يوصيك بالحق والتقوى بالرحم[1]

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام فى صنم

= وجه البادية فى الجنوب حتى لا يهاجموا الشام وفى وجه الفرس فى الشرق حتى لا يهددوا آسيا الصغرى " انظر: خطط الشام تأليف : محمد كرد على ن الجزء الأول المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .

(١) هنا يوجد نقص فى النقل ، حوالى ٦ أبيات . راجع الشوقيات ج١ / ص٢٠٤

والأرض مملوءة ظلماً[1]، مسخرة ... لكل طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغى فى رعيتـــه ... وقيصر الروم من كبر أصم عمى

يعذبان عباد الله فى شبـــه ... ويذبحان كما ضحيت بالغنـم

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له ... وأنت أحييت أجيالاً من الرمم[2]

شريعة لك فجرت العقول بها ... عن زاخر بصنوف العلم ملتطم

نور السبيل يساس العالمون بها ... تكفلت بشباب الدهر والهرم

كم شيد المصلحون العاملون فى ... الشرق والغرب ملكاً باذخ العظم

للعلم والعدل والتمدين ما عزموا ... من الأمور وما شدوا من الحزم

وعلمت أمة بالفقر نازلة ... رعى القياصر بعد الشاء والنعم

نالوا السعادة فى الدارين واجتمعوا ... على عميم من الرضوان مقتسم[3]

وقد دخل فى دين الله بهديه ﷺ واعتنق الإسلام، نحو أربعمائة مليون، فى أقل من ربع قرن، وقامت الوحدة الإسلامية الصحيحة، والقرآن إمامهم، والنبى ﷺ هاديهم وقدوتهم وقائدهم، والعرب مقدمتهم ،والعجم مددهم، وأهل الكتاب ذمتهم، والعدل حليفهم، والحق رائدهم، فانشرحت لهم صدور الأقطار وابتسمت بطلعتهم ثغور الأمصار.

* * *

(١) الصواب " جوراً " كما فى الشوقيات لأمير الشعراء ، أحمد شوقى . ج١ / ص ١٩٧ ، ط١ . – بيروت : دار العودة ١٩٨٨ م .

(٢) الشوقيات ج١/ ص١ ٢٠١ . " والسياق منقطع عشرات الأبيات .

(٣) انظر الشوقيات ج ١/ (ص٢٠٤-٢٠٥).



الوحدة العربية

الوحدة العربية[1]

إن الجامعة الاسلامية والوحدة العربية، ضرورية لحياة الأمة، وحفظ كيانها، وسعادتها ورقيها، والنهوض بها إلى ذروة العز والمجد الشامخ، وذلك يتوقف على وحدة إمامها، ونظامها وشؤونها السياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية ،واتحاد شعوبها وبلادها وأفرادها وجماعاتها، وعمل الجميع على مصلحتها، قال فى (الجزء الثانى) من "تفسير المنار": ومن القواعد المسلمة أنه لا تقوم لقوم قائمة، إلا اذا كانت لهم جامعة تضمهم ووحدة تجمعهم، وتربط بعضهم ببعض، فيكونون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد، فإذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هى مصدر حياتها سواء كات مؤمنة أم كافرة، فلا شك أن المؤمنين أولى بالوحدة من غيرهم، لأنهم يعتقدون أن لهم إلهاً واحداً، يرجعون إلى حكمه الذى يعلو جميع الأهواء، ويحول دون التفرق والخلاف، بل هو ينبوع الحياة الاجتماعية، لما دون الأمم من الجمعيات حتى البيوت (العائلات) ولما كان لكل جامعة حفاظ يحفظونها أرشدنا -سبحانه وتعالى- إلى ما نحفظ به جامعتنا، التى هى مناط وحدتنا بالاعتصام بحبله، .. وقد خلق الله الإنسان أمة واحدة أى مرتبط بعضه ببعض فى المعاش، لا يسهل على أفراده أن يعيشوا فى هذه الحياة الدنيا إلى الأجل الذى قدره الله لهم، إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضاً، ولا يمكن أن يستغنى بعضهم عن بعض، كما قالوا الإنسان مدنى بالطبع، يريدون بذلك أنه لم يوهب من القوى ما يكفى للوصول إلى جميع حاجاته، بل قدر له

---

(١) تحدث الطباع عن الوحدة العربية لينتقد ما أورده عارف العارف فى تاريخ غزة عن الوحدة العربية والاستقلال فى أول صفحات الكتاب .

منزلة أفراده من الجماعة منزلة الأعضاء من البدن . ."[1] وقال فى (الجزء الرابع) منه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾[2] وهو كتاب الله فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، إليه نجتمع وبه نتحد، لا بجنسيات نتبعها ولا بمذاهب نبتدعها، ولا بمواصفات نضعها ولا بسياسات نخترعها، ثم نهانا عن التفرق والانفصام،بعد هذا الاجتماع والاعتصام، لما فى التفرق من زوال الوحدة، التى هى معقد العز والقوة، وبالعزة يعتز الحق، فيعلو فى العالمين، وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين وكيد الكائدين.

وقد اعتصم فى هذا العصر أهل أوربا، بالعصبية الجنسية، كما كانت العرب فى الجاهلية، فسرى سم ذلك إلى كثير من متفرنجة المسلمين، فحاول بعضهم أن يجعلوا فى المسلمين جنسيات وطنية، لتعذر الجنسية النسبية زاعمين أنهم ينهضون بالوطن، وليس كذلك، فإن حياة الوطن وارتقاءه باتحاد كل المقيمين فيه على حياته، لا فى تفرقهم ووقوع العداوة والبغضاء بينهم، فالإسلام يأمر باتحاد واتفاق كل قوم تضمهم أرض وتحكمهم الشريعة على الخير والمصلحة فيها وإن اختلفت أديانهم وأجناسهم، ويأمر مع ذلك باتفاق أوسع، وهو الاعتصام بحبل الله بين جميع الأقوام والأجناس، لتحقق بذلك الأخوة فى الله"[3] وفى الجزء التاسع منه "وجملة القول إن إقامة دين الإسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، سواء فى ذلك هدايته الروحية ورابطته الاجتماعية، وحكومته العادلة المدنية، وإن المسلمين لم يكونوا فى عصر من العصور أحوج إلى الوحدة المفروضة عليهم، المتوقفة

---

(١) لقد بحثت فى تفسير المنار ولم أقف على ما أورده الطباع بهذا الصدد ، وحبذا لو ذكر فى أى سورة هذه المعلومة ، وأخشى أن يكون النقل عن مجلة المنار لا تفسير المنار ! (المحقق) .

(٢) سورة آل عمران/ آية ١٠٣.

(٣) نفس المصدر السابق مج٤/ ص٢١-٢٢ . طبعة بيروت : " مصورة بالأوفست " دار الفكر (د.ت . ن) .

على هذه اللغة فهم فى هذا العصر الذى تمزقوا فيه كل ممزق، فأصبحوا أكلة لمنهومى الاستعمار ومستعبدى الأمم والشعوب، وصدق قول النبى ﷺ "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها".. الحديث.[1] فالواجب على دعاة الإصلاح فى الإسلام الآن أن يجتهدوا فى إعادة الوحدة الإسلامية إلى ما كانت عليه، فى الصدر الأول، خير قرون الإسلام، وأن يستعينوا على ذلك بالطرق الصناعية فى التعليم، فيجعلوا تعليم العربية إجبارياً، فى جميع مدارس المسلمين، ويحيوا العلم بالإسلام، بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بآراء المؤلفين، فى القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر، فى أحوالها المدنية والسياسية. ولكنا نرى بعض المفتونين منا بسياسة أوروبا، يعاونونها على تقطيع بقية ما ترك الزمان من الروابط الإسلامية، بتقوية العصبيات الجنسية، حتى صار بعضهم يحاول إغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل، ألا إنها فتنة فى الأرض وفساد كبير، وقى الله المسلمين شره، وفى ذلك كفاية لمن أراد المعنى الصحيح للوحدة العربية"[2].

---

(١) انظر تفسير المنار مج٩ / ص ٣١٣.

- عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها .... " أحمد بن حنبل: المسند وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، بيروت: دار الفكر ٥/ ٢٧٨.

- عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها ..." سنن أبى داود ٤/ ١٠٨، القاهرة: دار الحديث، دار الريان للتراث ١٩٨٨م.

- " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ... " علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى: كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ١١/ ١٣٢ رقم الحديث: ٣٠٩١٦. ضبط وتصحيح: بكرى حيانى وصفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٩م.

(٢) بصدد الوحدة العربية راجع ببلوغرافيا الوحدة العربية - التى أصدرها مركز دراسات الوحدة العربية. وبصدد الوحدة الإسلامية راجع: كتاب " الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل" / للدكتور محمد عمارة،. دمشق: دار قتيبة، ط١.- ١٩٨٩م. ص٣٥-٤٣.
وراجع كتاب "جامعة الدول العربية الواقع والطموحات" مجلد أصدره مركز دراسات الوحدة =

= العربية وقد شارك فى هذا الكتاب عدة مؤلفين . الطبعة الأولى ١٩٨٣ م . ص٣١- ٦٧ . وانظر " كتاب العروة الوثقى / تأليف: جمال الدين الأفغانى ، الشيخ محمد عبده . الطبعة الثانية .- بيروت : دار الكتاب العربى ١٩٨٠. ص (١٠٧ مقالة بعنوان الوحدة الإسلامية - ١١٤ عن الوحدة والسيادة) وراجع : " جمال الدين الأفغانى " الأعمال الكاملة - الجزء الأول (ص٦١- ١٠٠). / دراسة وتحقيق الدكتور : محمد عمارة . ط١.- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ١٩٧٩ م . وانظر الجزء الثانى من نفس الكتاب(ص ٢٥- ٤٦). وراجع ماقاله فى نفس الجزء ص ٣١٥ عن العروبة والتعرب . [لقد أكثرت من الاستشهاد بأقوال موقظ الشرق العلامة السيد جمال الدين الأفغانى - لأنه من أكبر رواد الدعوة إلى الوحدة الإسلامية فى القرن العشرين ، فهو كما أسلفت موقظ الشرق وحكيم الإسلام] . وراجع كتاب " حركة الجامعة الإسلامية / تأليف : أحمد فهد بركات الشوابكة ، ط١.- عمان : مكتبة المنار ، ١٩٨٤م =١٤٠٤هـ .

فلسطين وحدودها

فلسطين وحدودها [١]

بكسر الفاء وفتح اللام، وقد تفتح فاؤها، وهي جزء من سوريا، ولذلك تسمى بسوريا الجنوبية[١]، سميت باسم أول من نزلها واختص بها، وهو

---

(١) بين الدكتور إسحاق الحسيني في بحثه القيم عن "أسماء فلسطين" إلى أن اسم "فلسطين" واحد من عديد الأسماء أطلق على بلادنا المقدسة ، واختص أول الأمر برقعة صغيرة من الأرض تقع على الساحل الممتد ما بين جبل الكرمل شمالاً وغزة جنوباً وهو مشتق من اسم ساكنيه القدامى الذين وفدوا إليه في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ولم يطلق على البلاد بحدودها الواسعة إلا بعد سنة ١٣٨ بعد الميلاد إثر قضاء الإمبراطور الروماني إليوس هادريانوس Hadrianus Aelius على مملكة يهوذا ومحوها من الوجود. والاسم المصري للمنطقة الجنوبية التي تشمل الساحل الفلسطيني هو kharu وللمنطقة الشمالية التي تشمل لبنان وسوريا هو رتنو Retnu وورد في رسائل تل العمارنة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، اسم كيناهي Kinahi أو كيناهنا Kinahna وهو كنعان بالنطق العبري والعربي ويشمل غربي الأردن وسوريا. ومعنى كنعان بلاد الأرجوان، والكنعانيون سكان البلاد قبل الغزو الإسرائيلي ساميون عرب، هاجروا من الجزيرة العربية بعد سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد. ومنهم قبائل نزلت الساحل المعروف اليوم بلبنان، وسماهم الإغريق بالفينيقيين. وأحدث الفينيقيون وإخوتهم الكنعانيون حضارة عظيمة أشاد بها المؤرخون وأفاد منها الغزاة الإسرائيليون، وحسبنا أن نذكر الحروف الهجائية التي اشتقت منها الحروف الإغريقية واللاتينية والعربية والعبرية والتي يستعملها جميع سكان العالم اليوم عدا اليابانيين والصينيين" . ويعدد د. اسحاق الأسماء التي أطلقت على فلسطين إلى ستة عشر إسماً أطلقت جميعها على البلاد مع اختلاف في الحدود والمساحة. وبعد أن ينتقد الروايات العديدة لمنشأ هذا الاسم، ويذكر السبب يتساءل في بحثه هذا ما معنى فلستيم وكيف أصبحت فلسطين؟ فيجيب قائلاً: بأن الأصل الثلاثي الذي اشتق منه الاسم بالعبرية هو palash " بلش" المستعملة في بلاد الشام هي اللفظة نفسها. وقد أوردها الكثير من المستشرقين في معاجمهم مثل دوزي في معجمه وكارك دفنتزو في معجمه أيضاً ... وأطلق على البحر الابيض pelishtim Jam اي بحر الفلسطينيين، واستعمل الإغريق والرومان الاسم، ويوما ذاع في جميع اللغات الأوروبية . وكيف انتقل الاسم من فلستيم إلى فلسطين؟ أداة الجمع في الكنعانية وربيبتها العبرية الميم ففلستيم هي جمع فلستي في تلك اللغتين، وحين ترجم العهد القديم إلى الآرامية ثم العبرية استعمل أداة الجمع فيها النون، فصارت فلسطين". انظر: كتاب " قضايا عربية معاصرة" للدكتور إسحاق موسى الحسيني، ط١، ١٩٧٨م، بيروت: دار القدس. بحث أسماء فلسطين ص١٠١-١١٢، بتصرف.

فلسطين بن كوسجين بن إيطين بن يونان بن يافث بن نوح (عليه السلام) كما فى الأنس الجليل[١]، وقيل فلسطين بن سام بن أرم بن سام بن نوح، وقيل فلسطين بن كلثوم من ولد نوح، أو فليش بن كسلوخيم من بنى يافث بن نوح، ويقال ابن صدقيا بن عيفا بن حام بن نوح، وهى آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها بيت المقدس، ومن مشهور مدنها: عسقلان[٢] والرملة[٣]

(١) انظر الأنس الجليل ج١ / ص٢٣ (باختلاف بسيط عما أورده الطباع) .

(٢) عسقلان : " بلدة قديمة بناها الكنعانيون ، ونزلها الفلسطينيون (الكريتيون) . فتحها العرب سنة ٢٣هـ . على يد معاوية ، واشتهرت بكثرة من نسب إليها من الحفاظ والعلماء . كانت عامرة أيام الصليبيين حيث استردها صلاح الدين سنة ٥٨٣ ، وعندما حاصرها الصليبيون مرة أخرى أمر صلاح الدين الأيوبى بتخريبها حتى لا يمتلكها الفرنجة عامرة ، وخربت تماماً ونقلت حجارتها ولم يبق منها شيء ، وتقع خرائبها بالقرب من المجدل " انظر معجم بلدان فلسطين ص٥٣٣- ٥٣٤ .

(٣) الرملة : تعتبر مدينة الرملة الممر أو الجسر الذى يصل يافا - الساحل بالقدس - الجبل ، وبالغور ، شرق الأردن - كما تصل شمال السهل الساحلى بجنوبه . أنشأها سليمان بن عبد الملك يوم تولى جند فلسطين فى عهد أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٩ هـ = ٧١٧م ..... وكانت عاصمة لفلسطين إلى أن احتلها الفرنجة سنة ١٠٩٩ م ، وصفها أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى المقدسي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ فى " أحسن التقاسيم " وقال : "لوكان للرملة ماء جار ، لما استثنيناها أطيب بلد فى الإسلام ، لأنها ظريفة خفيفة بين قدس وثور وبحور ، معتدلة الهواء لذيذة الثمار ، سرية الأهل " قيل سميت الرملة لكثرة الرمل فيها، وقيل باسم امرأة "رملة " وجدها سليمان بن عبد الملك فى بيت من الشعر وهو يرتاد الأمكنة ، فأكرمته . فسماها باسمها . من أهم آثار مدينة الرملة : الجامع الكبير ٢- بركة العنزية ٣- الجامع الأبيض ٤- أطلال قصر بناه سليمان بن عبد الملك ، وتقوم مكانه اليوم حديقة البلدية ولا تزال بعض جدرانه شاخصة ٥- قبر الفضل بن عباس ، استشهد يوم أجنادين عام ١٣هـ فى خلافة أبى بكر . " انظر معجم بلدان فلسطين / ص ٤١٧-٤٢٠ " بتصرف. وبالنسبة "لبركة العنزية " أو بير العنزية وكما يقول " كروزويل ": هذا البئر يعرف باسم بير العنزية فى بداية القرن التاسع عشر نجده منسوباً إلى هيلينا من قبل شاتوبريان فى عام ١٨٠٦ م ، إنه يقع على الطريق من يافا إلى القدس . إنه يتألف من اكتشاف تحت الأرض، مبطن بجدران قوية واقية" راجع الوصف التفصيلى - المعمارى - لهذا البئر ص٣٠٤-٣٠٦ من كتاب تاريخ الآثار الإسلامية الأولى / تأليف ك. كريزويل ، نقله إلى العربية : عبد الهادى عبلة ، استخرج نصوصه وعلق عليه : أحمد غسان سبانو .- دمشق : دار قتيبة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤ م .

وغزة[١] وأرسوف[٢] وقيسارية[٣] ونابلس[٤] ،

(١) غزة : وهى موضع بحثنا وقد قمنا ببحث هذا الموضوع من خلال تحقيق " إتحاف الأعزة " الذى نحن بصدده .

(٢) أرسوف : بلدة تقع على بعد سبعة أكيال شمالى يافا . وهى من المدن التى شادها العرب الكنعانيون على الساحل ، ويحتمل أن اسمها مشتق من اسم الإله " رشف" الذى كانوا يعبدونه: انظر معجم بلدان فلسطين (ص١١٠ - ١١١).

(٣) قيسارية : " بفتح أوله ، قرية عربية على بعد ٤٢ كيلاً جنوب غرب حيفا . أول من بناها الكنعانيون (الفينيقيون) وسموها (عبد عشتروت) ولما جدد بناءها هيردوس الكبير عام ١٠ قبل الميلاد أسماها قيصرية نسبة إلى القيصر الرومانى . حاصرها العرب سنة ١٣هـ بقيادة عمرو بن العاص ولم تفتح إلا سنة ١٩ هـ على يد معاوية . وفى الحروب الصليبية تداولها المسلمون والإفرنج حتى احتلها بيبرس وأمر بتدميرها ، وبقيت خربة حتى عام ١٧٧٨م عندما نزلها البوشناق وهم من مسلمى البوسنة والهرسك فى يوغسلافيا فعمروها من جديد . وهى واقعة على ساحل البحر المتوسط . انظر معجم بلدان فلسطين ص٦١٢-٦١٣

(٤) نابلس : بضم الباء واللام ، وقد تسكن الباء عند النطق . مدينة كنعانية من أقدم مدن العالم، دعاها باسمها " شكيم " بمعنى منكب أو كتف ، ونجد وارتفاع . كان موقعها القديم فى الوادى الذى عرضه نصف ميل إلى ميل كامل بين جبلى السامرة العاليين (عيبال وجرزيم) ، وأهميتها قائمة على أراضيها الخصبة التى تحيط بها وعلى الطرق المهمة التى توصلها بالمدن الأخرى . وبقيت فى موقعها الأول الموصوف حتى سنة ٦٧م عندما هدمها أحد قادة الرومان . وبعد سنة ٧٠ م نقلت حجارتها إلى مكانها الحالى ، وبنيت من جديد وسميت " نيابوليس" بمعنى المدينة الجديدة،ومنها لفظ نابلس الحالى وما ذكره ياقوت من أصل اسمها لا أساس له من الصحة . فتحها العرب المسلمون فى عهد أبى بكر الصديق بقيادة عمرو بن العاص . عرفت نابلس منذ القدم بمياهها الجارية وزيتونها الوافر وخيراتها الكثيرة حتى سميت دمشق الصغرى . وذكرها الرحالة والمؤرخون ، ومما قاله محمد بن حوقل فى رحلته ، والمتوفى سنة ٣٦٧هـ : (ليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سواها وباقى ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه وبها البئر التى حفرها يعقوب ، والجبل الذى يحج إليه السامرة . ومن أهم آثار هذه المدينة ١- جامع الخضراء . ٢- جامع الأنبياء ويقولون إن أولاد يعقوب دفنوا فيه ومنهم أخذ اسمه ، وفيه بئر يعرف باسم بئر الأنبياء والجامع الكبير أصله كنيسة بنيت فى القرن السادس للميلاد ، حولت بعد الحروب الصليبية ، وهو أكبر مساجد نابلس. " راجع معجم بلدان فلسطين / ص ٦٩٧- ٦٩٩ بتصرف . ولواء نابلس : تبلغ مساحته ٣٢٦٢ كم (حوالى ثمن الوطن الفلسطينى) أما عدد سكانه فقد قدر بنحو ٢٣٣ ألف نسمة ويتألف من أقضية نابلس وجنين وطولكرم " انظر بالتفصيل : " قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطانى " تأليف : محمود برهوم ، محمد خروب، عمان: دار الكرمل ١٩٨٩ (ص٦٩- ص١٢٢). =

وأريحا[١] ، وعمان[٢] ، ويافا[٣] ،

= وذكرت نابلس (شخيم) في وثائق مصرية من القرن الـ ١٩ قبل التاريخ ، وذكرت أيضاً في مخطوطات " تل العمارنة " من القرن ١٤ قبل الميلاد . . . وفي الحفريات التي جرت في تل بلاطة اكتشفت آثار من العصر البرونزي ولغاية العصر الروماني ، ومن بين هذه الآثار : آثار لأسوار وأبراج ومعابد وكتابة لم تفسر بعد، وكتابة بالخط المسماري باللغة الأكادية ، . . . وفي الحفريات التي جرت عام ١٩٨٠ اكتشف مدرج روماني يعتبر أكبر مدرج اكتشف حتى الآن ، ويشتمل على زهاء ٧٠٠٠مقعد للجلوس . والافتراض هو أن هذا المدرج أقيم في بداية القرن الـ ١٢ الميلادي . ولهذا المدرج مدخلان في طرفي الحلبة وصفوفه السفلى مخصصة لوجهاء المدينة . " انظر كل مكان وكل أثر في فلسطين - مصدر سبق ذكره - ج ٢ / ص ٧٣٩ - ٧٤١ بتصرف . راجع بصدد تاريخ نابلس بالتفصيل " كتاب تاريخ جبل نابلس والبلقاء " تأليف إحسان النمر ، ٤ أجزاء

(١) أريحا : " مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة ٣٧ كيلاً شمال شرقي القدس . وتنخفض هذه المدينة ٢٧٦متراً عن سطح البحر . . . من أهم مواقعها الأثرية : ١- عين السلطان ٢- قصر هشام بن عبد الملك ٣- قصر حجلة . ٤- دير القديس يوحنا المعمداني . " انظر: معجم بلدان فلسطين / لمحمد شراب . (ص ١١-١١٢) . زغر : " بلدة أثرية كانت تقع على شاطئ البحر الميت الجنوبي الشرقي ، ذكرها ابن حوقل سنة ٣٦٧هـ ، وياقوت الحموي . وكانت لها أهمية في القرون الخالية لوقوعها على طريق (أيلة - القدس) المارة بالخليل ، وكانت خيراتها تحمل إلى أريحا . وكان العرب يفتخرون بالكنائن الزغرية المنسوبة إليها ، وكانت كنائنها حمراً مذهبة . وهي مذكورة في حديث (الجساسة) في صحيح مسلم . حيث ذكر أن عين زغر تغور في آخر الزمان ، وهذا من علامات الساعة ، قال حاتم :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من مآب إلى زغر

" راجع معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب ص ٤٣١-٤٣٢ . مصدر سبق ذكره .

(٢) عمان : " بالفتح ثم التشديد ، وآخره نون . . . بلد بطرف الشام وكانت قصبة أرض البلقاء، وقيل إن عمان هي مدينة دقيانوس وبالقرب منها الكهف والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد، والله أعلم. " انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج٤/ ص١٧٠- ١٧١ . مصدر سبق ذكره.

(٣) يافا: " مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر المتوسط ، إلى الجنوب من مصب نهر العوجا بنحو سبعة أكيال ، على ارتفاع ٣٥متر عن سطح البحر . واسمها الحديث تحريف لكلمة "يافي" الكنعانية ، بمعنى جميل وتقع يافا القديمة على التلة القائمة على مينائها . كتبتها بعض المصادر " يافة " بالتاء المربوطة ، وكتبتها مصادر أخرى " يافا " بالألف . . . وتعتبر من أقدم موانئ العالم ، يعود بناؤها إلى الكنعانيين الذين نزلوا البلاد منذ ٤٥٠٠ سنة . وقد نزل يافا عام ٨٢٥ قبل الميلاد النبي يونس ليركب منها سفينة قاصداً ترشيش ، وعندما قذفه الحوت نزل على الشاطئ الفلسطيني عند النبي يونس قرب أسدود، أو عند تل يونس ، بين =

وبيت جبرين[1] . وقيل فى تحديدها، أنها أول أجناد الشام[2] من ناحية الغرب، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام، أولها رفح[3] من مصر وآخرها

= روبين ويافا . فتحها عمرو بن العاص ، ويقال معاوية . " انظر معجم بلدان فلسطين ص ٧٢٦ - ٧٢٧ . وراجع "كتاب بلادنا فلسطين للدباغ " الديار اليافية " المجلد الرابع الطبعة الثانية .- كفر قرع : دار الشفق ، ١٩٨٨ م . وانظر كتاب تاريخ يافا ، ويافا عطر مدينة .

(١) بيت جبرين قرية عربية تقع عند نهاية السفوح الغربية لجبال الخليل ، على بعد ٢٦ كيلاً شمال غربى الخليل ، وترتفع عن سطح البحر زهاء ٣٠٠ متر ، يعود تاريخ القرية إلى جبابرة العمالقة ، القبيلة الكنعانية التى سكنت فلسطين (قبل الميلاد) ، ومعنى بيت جبرين (بيت الأقوياء) . . . وبها قبر الصحابى تميم الدارى ، أبو رقية ، وأحفاده فى الخليل: " انظر معجم بلدان فلسطين ص ١٨١- ١٨٢ . وهى أكبر قرى قضاء الخليل مساحة وتقع فى الشمال الغربى منها ... والقرية أثرية بها بقايا كنيسة ، تحصينات ، عقود مبان ، بقايا معمارية ، وأبراج للحمام " قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطانى / محمود برهوم ، محمد خروب ص٤٥ . مصدر سبق ذكره . " وقد كانت هذه المدينة مهمة لأنها على مجمع طرق تأتى من الساحل نحو الخليل والقدس ، وقد منحت هذه المدينة فى العصر الرومانى مكانة حرة وكانت تسمى " الأتروبوليس " ... وكان الصليبيون قد أعادوا بناءها وحصونها وأقاموا فيها كنائس كثيرة ، وتوجد فى الخربة القديمة لهذه المدينة آثار من العصر البيزنطى (نقلت الفسيفساء البيزنطية إلى القدس) وآثار لكنائس من ضمنها كنيسة القديس جبرئيل ، وكنيسة القديسة آنة وتوجد كذلك آثار لأسوار وأبنية قديمة وكتابات آرامية ، ومسجد ومقبرة محفورة فى الصخور . وفى عام ١٩٨١ اكتشف آثار لمدرج من القرن الثالث الميلادى ، كما توجد فى هذه المنطقة كهوف ومغاور كثيرة من نوع كهوف الأجراس ، ومنها ما هو عميق وواسع جداً ، وقد ورد فى بعض المراجع : وجود قناتين للمياه كانتا توصلان المياه إلى بيت جبرين : أحدهما من منطقة (دورا الخليل) من مسافة ٢٥ كم ، والثانية تأتى من منطقة تل الجديدة وإلى الجنوب من بيت جبرين - تل مرعشة" راجع " موسوعة كل مكان وكل أثر فى فلسطين" ج١/ ص ٨١- ٨٢ .

(٢) بصدد تاريخ جند فلسطين وسبب هذه التسمية ومراميها التاريخية والجغرافية انظر : كتاب "جندا فلسطين والأردن فى الأدب الجغرافى الإسلامى " للدكتور شكرى عراف (ص ١٥٥- ١٧٩) كفر قرع : دار الشفق .

(٣) " رفح : بفتح أوله وثانيه ، وآخره حاء مهملة : منزل فى طريق مصر بعد الدوارم بينه وبين عسقلان للقاصد مصر ، ... وأهلها من لخم وجذام ، وفيهم لصوصية على أمتعة الناس حتى إن كلابهم أضر كلاب أرض بسرقة ما يسرق مثله الكلاب ، ومن رفح إلى مدينة غزة ثمانية عشر يوماً " انظر معجم البلدان / لياقوت الحموى (ج٣-ص ٦٢) تحقيق : فريد عبد العزيز الجندى .- بيروت : دار الكتب العلمية .- ط١ ، ١٩٩٠ م . ويقول د. شكرى عراف: =

اللجون من ناحية ناحية الغور وعرضها من يافا[١] إلى أريحا[٢] نحو ثلاثة

= " وهى (رفح) " آخر موقع فى جند فلسطين فى الطريق إلى مصر . وبينها وبين غزة ١٨ يوماً " . وينبه عراف إلى أنه من المحتمل أن النساخ قد حرفوا كلمة "ميلين" إلى يومين" انظر كتاب " جندا فلسطين والأردن فى الأدب الجغرافى الإسلامى ص٢٠٩ .- كفر قرع : دار الشفق ، (د.ت. ن) . وراجع الموسوعة الفلسطينية ج٢ (ص٤٦٩- ٤٧٢). وورد عنها فى موسوعة كل مكان وكل أثر فى فلسطين ج٢ ص٧٢١، ما يلى: "رفيح - رفح (٠٧٩ - ٠٧٨) بلدة عربية فى جنوبى قطاع غزة . تقع فى مكان مدينة قديمة وهامة على " الطريق البحرية " فى حدود فلسطين مع مصر ، واليوم مدينة لمنطقة عدد سكانها زهاء ١١٠٠٠ نسمة، قسم منهم من اللاجئين . تاريخ رفح : ذكرت مرات عديدة فى وثائق مصرية وآشورية قديمة . وتقع فى مكان يعتبر ساحة للمعارك والصدامات بين الجيوش القادمة من مصر لغزو فلسطين أو التى تخرج من فلسطين إلى مصر. وكان الإسكندر "يناى" قد احتلها وضمها إلى مملكة الحشمونائيين . ومنحها "فومفيوس" مكانة مدينة حرة . وفى العصر البيزنطى كانت مدينة أسقفية أو مطرانية وفى عام ٦٣٤ فتحها العرب. وبعد الفتح العربى كانت توجد فيها طائفة يهودية كبيرة ، وكانت مدينة مزدهرة فى القرنين التاسع والعاشر - الميلاديين - ، ثم ضعفت مكانتها فى الحروب الداخلية والحروب بين المسلمين والصليبيين فى القرن الـ١٢. ازدهرت من جديد خلال القرن ١٢ وخربت مرة أخرى فى مطلع القرن الثالث عشر. ومنذ ذلك التاريخ هبطت أهميتها حتى العصر الحديث. وفى عام ١٩١٧ احتلها البريطانيون وجعلوا منها قاعدة لمهاجمة غزة . وفى عهد الانتداب البريطانى - كانت مدينة لمعسكرات الجيش البريطانى. الآثار القديمة : عثر فى تل رفح على آثار لسور وآثار لمقدسات أو معابد يونانية ، وفى خربة رفح التى بقرب التل عثر على أساسات لأبنية بيضاء أو مقبرة وآثار أخرى . وعلى شاطئ البحر تل أثرى ثانى وفيه آثار خربة رفح البحرية "راجع موسوعة كل مكان وكل أثر مصدر سبق ذكره .

(١) يافا : " تقع المدينة على شاطئ البحر وتعتبر ميناء عاصمة جند فلسطين كانت يافا مسورة أيام المقدسى ، كما كان لسورها بوابات حديد على البحر واليابسة ، وفيها مسجد يطل على البحر وميناؤها جيد " راجع جندا فلسطين والأردن ص٢١١ ، لشكرى عراف مصدر سبق ذكره .

(٢) أريحا : تقدم تعريفها . ورد عنها فى موسوعة كل مكان وكل أثر الآتى : " أريحا هى إحدى المدن القديمة جداً فى العالم . كانت تمج بالحياة فى العصر الحجرى المتوسط .والسبب فى تسميتها بهذا الاسم : تقول بعض الأساطير إنها سميت باسم معبد القمر (يرح) الذى كان متبعاً فيها . وتقول أسطورة أخرى ، بأنها سميت على اسم الرائحة الطيبة لأشجارها ومزروعاتها . وكانت أول مدينة احتلها يهوشع . وعند توزيع " البلاد " على بنى إسرائيل وفى عهد اليهود الحشمونائيين . وكانت مركز منطقة إبان الاحتلال الرومانى . وقدمها أنطونيوس هدية إلى كليوبترا وأعارها أغسطس قيصر إلى هوروودس، وأقام فيها الأخير قصراً =

أيام، أيضاً، وزغر ديار قوم لوط، وجبال الشراة إلى أيلة[١] كله مضموم إلى جند فلسطين، وأكثرها جبال والسهل فيها قليل كما فى المعجم[٢]، قال: وفى كتاب ابن الفقيه[٣]، سميت بفلسطين بن كسلوخيم، ابن صدقيا بن كنعان بن

= شتوياً وأبنية كثيرة أخرى . وخربت هذه المدينة إبان العصيان الكبير ضد الروم . غير أنها بنيت من جديد فى عهد أدريانوس قيصر ، وبعد خراب الهيكل الثانى كان فيها أيضاً استيطان " يهودى " وبعد الاحتلال العربى فى القرن ٧ سكن فيها يهود وطردهم العرب وخربت مدينة أريحا فى الحرب بين المسلمين والصليبيين وظلت مقفرة حتى القرن ١٩ وعندما استؤنفت الحياة فى هذه المدينة حاول بعض اليهود الاستيطان فيها مجدداً ، إلا أنهم اضطروا لمغادرتها عند اندلاع أحداث ١٩٣٦ . راجع كل مكان وأثر فى فلسطين، الجزء الأول، ترجمة ومطالعة: عيد حجاج - ط١ عمان ١٩٩٠م .

(١) أيلة : وقد كانت تسمى " ويلة " أيضاً . وأيلة اسم المكان الذى أخربه الله والتى أقيمت على أنقاضها البلدة ويلة ، وهو اسم ابنة مدين ، وقد سماها العبدرى عقبة أيلة ، وفيها آثار لمدينة أيلة . تقع المدينة على خليج يتفرع من بحر الصين ، والقصد هو البحر الأحمر وخليج أيلة كجزء من المحيط الهندى . كانت المدينة عامرة أيام المقدسى ، وكانت ميناء لجند فلسطين فى الجنوب ، كما أنها كانت مصدر غنى للحجاز " انظر: "جندا فلسطين والأردن" لشكرى عراف ص ٢١٣ .

(٢) انظر: "معجم البلدان" لياقوت الحموى ، ج٤ / ص٣١١-٣١٢ . تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى.- ط١.- ١٩٩٠ م ، بيروت : دار الكتب العلمية .

(٣) كتاب ابن الفقيه هو " كتاب البلدان " لابن الفقيه الهمدانى الذى تم تأليفه فى عام ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م . . . ومؤلفه الجغرافى كان فى الأصل ضخم الحجم يشتمل على خمسة أجزاء فى حوالى ألفى صفحة على ما يقال ، ولكنه معروف فقط فى مختصره الذى عمله على الشيرازى فى عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢م ، أى بعد حوالى مائة عام من تاريخ تأليفه ، وينقل ياقوت عن المسودة الأصلية شذرات كبيرة ، أما المقدسى فيقف من الكتاب موقف الحذر . . . ومنذ حوالى خمسة عشر عاماً اكتشفت فى مدينة مشهد [كراتشكوفسكى] مخطوطة تحوى الجزء الثانى من المسودة الكبرى لكتاب ابن الفقيه ويبدأ على وجه التقريب بالكوفة ، ولعل الدراسة والفحص الدقيق قد يسفران عن تفاصيل هامة فيه ، غير أن الفكرة العامة عن مصنفه ستستمر فى الغالب على ما كانت عليه دون تبديل . وإذا كان كتاب ابن الفقيه لا يرقى إلى مصاف عدد من مؤلفات معاصريه فى ميدان الجغرافيا إلا أنه من وجهة نظر تاريخ الحضارة يقف أحياناً على مستوى أعلى إذ يقدم لنا لوحة معبرة للنزعات والاتجاهات الأدبية للمجتمع العربى المثقف فى نهاية القرن التاسع " انظر كتاب " تاريخ الأدب الجغرافى العربى " تأليف: إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى، القسم الأول (ص١٦٢- ١٦٣)، نقله إلى العربية صلاح الدين =

حام بن نوح[١]، وقال ابن الكلبى[٢] وفى قوله تعالى ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض

= هاشم ، قام بمراجعته : إيفوريليايف ، إختارته : الإدراة الثقافية فى جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترحمة والنشر، ١٩٥٧م .

(١) تحدث الدكتور اسحاق الحسينى فى بحثه عن "أسماء فلسطين" وانتقد الروايات الواردة بهذا الصدد والتى نسبت اسم (فلسطين) إلى "فليشين بن كسلوحيم بن نبى يافت بن نوح"، أو لفلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح. أو رواية ابن الفقيه والرواية التى أوردها مجير الدين الحنبلى فى الأنس الجليل "وهى التى أوردها الطباع حيث سميت فلسطين بذلك نسبة إلى أول من نزلها وهو كيسوجين بن يقطن بن يوتان بن يافشين بن نوح" ويعلق الدكتور إسحاق على هذه الروايات منتقداً لها ومضعفاً إياها فيقول : فهذه روايات أربع متناقضة ومصحفة تصحيفاً يبعدها عن الأصل. ومن الواضح أن الأصل الذى اعتمدوه مشافهة أو نقلاً دون تدقيق هو سفر التكوين أول أسفار العهد القديم، فقد ورد فيه: "فلشيتم بن كسلوجم بن مصرايم بن حام بن نوح، والنص الأول الذى أورده ابن السائب الكلبى أقرب النصوص إليه. وينتقد الدكتور الحسينى علماءنا القدامى فيقول/ ويجوز أن نحمل علماءنا القدامى وزر التصحيف ما دمنا غير واثقين من الصورة الأصلية للأسماء كما أوردوها هم فى كتبهم. والتصحيف فى النسخ والطبع آفة نستعيذ بالله منها. ويتبين بعد مقابلة النصوص العربية السابقة بالعهد القديم أن صدقيا تصحيف صيدون، وعيفا تصحيف حشبا، وكلثوم تصحيف كسلوحيم، ويقطين تصحيف يقطان، ويوتان تصحيف ياوان، اللهم إذا أرادوا تعريب الأسماء . . . وهذا الخلط مرده عدم العناية بالأصل، وقد كان موجوداً ومتداولاً منذ القرن الثانى الهجرى على الأقل. انظر: قضايا عربية معاصرة (بحث أسماء فلسطين للدكتور الحسينى) (ص١٠٤- ١٠٥) بتصرف، مصدر سبق ذكره .

(٢) ابن الكلبى: وهو " هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى، وكنيته أبو المنذر، واشتهر بابن الكلبى . أخذ العلم بالكوفة عن أبيه - وكان من رجالاتها المعدودين - وعن غيره من فحول العلماء وأكابر الرواة المحققين مثل خليفة بن خياط ومحمد بن سعد ومحمد بن أبى السرى ، ومحمد بن حبيب . وكان المرجع فى العلم بأيام العرب ومثالبها ووقائعها وتشعبها فى البلاد . وقد اشتهر فضله وحدث بها." انظر مقدمة الأستاذ العلامة "شيخ العروبة " أحمد زكى باشا لكتاب الأصنام " لابن الكلبى ص ١٢ .- نشر الكتاب فى القاهرة فى مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣هـ=١٩٢٤ م عن النسخة الوحيدة المحفوظة بالخزانة الزكية ، نشر الكتاب ضمن سلسلة إحياء الآداب العربية . ولعل الكتاب المقصود هنا هو التفسير " تفسير ابن الكلبى " ووصفه " الداودى " صاحب كتاب طبقات المفسرين فقال : " النسابة المفسر، روى عن الشعبى ، وجماعة ، وعنه ابنه وأبو معاوية ، ويزيد ، ويعلى بن عبيد ، وخلق ، متهم بالكذب ورمى بالرفض . قال البخارى : تركه القطان ، وابن مهدى . قال مطين : مات سنة ست وأربعين ومائة . أخرج له أبو داود فى المراسيل والترمذى وابن ماجه فى =

المقدسة التى كتب الله لكم ﴾[1] هى أرض فلسطين وفى قوله تعالى : ﴿ الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾[2] قال: هى فلسطين وفلسطين أيضاً قرية بالعراق أ.هـ وقال آخرون إن فلسطين أخو دمشق، وحمص والأردن وإيلياء، وبنى كل واحد منهم مدينة، فسميت به وهى كورة الشام كما فى "القاموس" وفى "نور النبراس" هى: الرملة، وغزة وبيت المقدس وما والاها وفى النهاية ما بين الأردن وديار مصر وأم بلادها بيت المقدس، وفى «تاريخ فلسطين» للبرغوثى وطوطح: " أطلقت اليونان والرومان هذا الاسم نسبة إلى سكانها الفلسطينيين الأقدمين، الذين لم يتوطنوا إلا الساحل، ما بين يافا وغزة، وكانت فلسطين لا تشمل سوى هذه البقعة الضيقة فقط، ولبقاعها الأخرى أسماء خاصة بها، وسميت أرض كنعان نسبة إلى الكنعانيين، الذين هم أسرة سامية[3]، وكانت فى عصرهم تشمل جزءاً كبيراً من سوريا، حتى حمص وحماه وأرض الميعاد، وأقدم تاريخ لفلسطين يبتدئ من (سنة ٣٥٠٠ ق.م) بشهادة الحفريات المكتشفة أخيراً فى جازر[4] " أ.هـ وهى أرض الميعاد، ومن أرض المحشر التى تمتد من العريش إلى الفرات، وهى الأرض المقدسة التى

= التفسير . وله تفسير مشهور و" تفسير الآى الذى نزل فى أقوام بأعيانهم " و" ناسخ القرآن ومنسوخه " . انظر " طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى المتوفى سنة ٩٤٥هـ ، تحقيق : على محمد عمر - ج٢ / ص ١٤٤ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ط١ .- ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م . وذكر له أحمد زكى باشا " كتاب لغات القرآن " . فى ثبت مؤلفاته ص ٧٣ فى ملحق تحقيقه لكتاب الأصنام .

(١) سورة المائدة/ آية ٢١.

(٢) سورة الأنبياء/ آية ٧١.

(٣) الكنعانيون (١) ابن سام ، صلف الكنعانيين (سفر التكوين) ٩ : ٢٠-٢٧ ، ١٠ : ٦ ، ١٥ ، ١٩ . (٢) اسم أعطاه الإسرائيليون لفلسطين قبل الاستيلاء عليها ، فكانت الأرض الموعودة لهم من قبل الله ونهاية تنقلاتهم بعد مغادرتهم لمصر (سفر التكوين ١٢ : ٥ ، الخروج ٨٣ ، العدد ١٣ : ١٧ ، ٢٩ ، ١٤ : ٤٥ ، ٢١ :٣ يشوع ٢٢ : ١١ ، ٣٢ القضاه ١) . انظر الموسوعة العربية الميسرة مج٢/ص١٤٨٥ .

(٤) (جازر : وهو الاسم القديم لقرية " أبو شوشة " الواقعة قضاء الرملة [تبعد حوالى ٨ كم] =

بارك الله فيها، وهى مهبط الوحى، ومقر أكثر الأنبياء وقد روى ابن عساكر : " أن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات، وخص فلسطين بالتقديس "[1] وفى مصابيح السنة: مرفوعاً « اللهم بارك لنا فى شامنا، طوبى للشام، قلنا لأى شىء ذلك يا رسول الله، قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها، ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس هجرة إلى مهاجر

= إلى الجنوب الشرقى من مدينة الرملة . وتعود " جازر " إلى العصر الحجرى الحديث ، وفى العهد الرومانى ذكرت باسم "جازار" من أعمال عمواس ،.... وتحيط بها آثار كثيرة إلى جانب الآثار الموجودة داخل القرية نفسها ، وتشتمل هذه الآثار على الآبار والقاعات والقبور المنقورة فى الصخر والأبنية والمغاور)انظر الموسوعة الفلسطينية مج ١ / ص٤٧- ٤٩ . وراجع معجم بلدان فلسطين لمحمد شراب ص٩٦- ٩٧)، وراجع : كتاب " قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطانى (ص ١٧٧) ، لمحمد برهوم ومحمد خروب ، عمان : دار الكرمل ، ط١ .- ١٩٩٠م . (سلسلة كتاب صامد رقم ١٩ . " وجيزر القديمة تعرف بالتل الموجود على بعد حوالى ٢ من جنوب الكيبوتس . وتدل الأوانى الفخارية التى عثر عليها فى المكان ، على أن هذه المدينة كانت موجودة فى العصر البرونزوى ، فى القرن الرابع قبل التاريخ . وكانت تشتهر بأهميتها لوجودها عند المدخل الرئيسى من السهل إلى جبال القدس وتعتبر من جملة المدن التى احتلت من قبل يهوشع . وقد ورد اسمها فى " مخطوطات تل العمارنة " من القرن الرابع عشر قبل التاريخ . وعلى النصب التذكارى لفرعون مرنفتح ، الذى يصف احتلاله لأرض كنعان . ... وقد حدثت فى عام ١١٧٧ وفى ١١٩١ فى هذا المكان معارك ضارية بين الصليبيين والعرب ، واتخذ صلاح الدين الأيوبى من مدينة جيزر هذه مقراً لقيادته فترة من الوقت . وفيها من الموجودات الأثرية أدوات فخارية وآثار من مختلف الحقب التاريخية التى مرت على جيزر . ومن بين الموجودات الأثرية - اللوحة الزراعية أجيزر وهى من القرن العاشر قبل التاريخ ، وسور ومصرف مياه من العصر الكنعانى المتأخر ، وآثار لحصن حشمونى وغير ذلك، وفوق هذا التل يوجد قبر ولى مسلم اسمه الشيخ محمود الجزرى. " انظر موسوعة " كل مكان وكل أثر فى فلسطين " ج١ / ١٥١-١٥٢ ، ترجمة ومطالعة عيد حجاج ط١، عمان : منشورات مركز الدراسات العبرية/ الجامعة الأردنية ، ١٩٩٠ م .

(١) ورد هذا الحديث لدى ابن عساكر فى تاريخ دمشق " تهذيب تاريخ دمشق الكبير " ونصه : "عن زهير بن محمد قال: قال رسول الله ﷺ إن الله بارك العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ، يعنى التطهير . إسناد هذا الحديث منقطع " . انظر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ج١/ ص٣٥ . للإمام المؤرخ أبو القاسم ابن عساكر توفى سنة ٥٧١هـ . هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران ، بيروت : دار إحياء التراث ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

إبراهيم عليه السلام»[1] «عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده، فإن الله عز وجل توكل لى بالشام وأهلها »[2] وروى النسائى[3] مرفوعاً: «لا يزال من أمتى أمة يقاتلون على الحق، ويريع الله لهم

(١) ورد هذا الحديث فى مصابيح السنة للإمام البغوى ج٢ / ص ٥٤٢ حديث رقم (٢٨٢٢) عن ابن عمر رضى اله عنه قال : قال النبي ﷺ : « اللهم بارك لنا فى شامنا ، اللهم بارك لنا فى يمننا » قالوا يارسول الله وفى نجدنا ، قال : اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا : يارسول الله وفى نجدنا فأظنه قال فى الثالثة : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » . انظر " مصابيح السنة " للإمام الحسن بن مسعود البغوى الشافعى ، إشراف الشيخ إبراهيم رمضان .- بيروت : دار القلم (د.ت. ن) . وورد نص مشابه لهذا الحديث فى نفس الصفحة حديث رقم ٢٨٢٤ عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى للشام » قلنا : لأى شيء ذلك يارسول الله؟ قال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » . وبصدد " مهاجر إبراهيم " ورد أيضاً فى نفس الصفحة حديث رقم ٢٨٢٦ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس هجرة إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام » وفى رواية « فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ، ويبقى فى الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم ، تقذرهم نفس الله ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا » . وورد هذا الحديث فى مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ج٣ / (باب اليمن والشام) ص ٣٩٩ حديث رقم ٦٢٧١ وفى حديث رقم ٣٩٩٠ وحديث رقم ٦٢٧٣ " طوبى للشام ، قلنا لأى ذلك يارسول الله ، قال : لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها " رواه أحمد والترمذى . انظر مشكاة المصابيح / لمحمد بن عبد الله التبريزى ج٣ الصفحات ٣٩٨- ٣٩٩ - ٤٠٠ . بيروت : دار الفكر ، ط١ ١٤١١هـ = ١٩٩١م .
وبصدد أحاديث فضائل الشام : انظر الأنس الجليل (ج١/ص٢٢٦ - ٢٨٦) فقد جمع مجير الدين الحنبلى معظم الروايات فى ذلك . طبعة عمان : دار المحتسب .

(٢) ورد هذا الحديث برواية أخرى مشابهة ، فى مصابيح السنة ج٢ / ص ٥٤٢ - باب ذكر اليمن والشام وأويس القرنى رضى الله عنه حديث رقم ٢٨٢٧- " عن ابن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيصير الأمر أن تكونوا جنوداً مجندة ، جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق » فقال ابن حوالة : خر لى يا رسول الله إن أدركت ذلك قال « عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إليها خيرته من عباده ، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم ، واسقوا من غدركم فإن الله عز وجل توكل لى بالشام وأهلها » .

(٣) النسائى : أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبد الرحمن النسائى (٢١٥هـ- ٣٠٣هـ) = (٨٣٠- ٩١٥ م) صاحب السنن ، القاضى الحافظ ، شيخ الإسلام ، أصله من نسا بخراسان " انظر معجم الأعلام ص ٥٣ .

قلوب قوم، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتى وعد الله وعقر دار المؤمنين الشام»[1].

* * *

(١) ورد هذا الحديث فى كنز العمال ج١٢ ص ١٧٩ حديث رقم ٣٤٥٥٥ « . . . كذبوا الآن جاء القتال . الآن جاء القتال ، لا يزال الله يزيغ قلوب أقوام تقاتلونهم ويرزقكم الله منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وعقر دار الإسلام يومئذ بالشام ، ابن سعد عن سلمة بن نفيل الحضرمى ، وراجع الصفحات ١٧٩- ١١٨٠ – ١٨١ . حديث رقم ٣٤٥٥٦ « لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق حتى يأتى أمر الله (عن عبد بن حميد – عن زيد بن أرقم) انظر كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للعلامة المتقى الهندى ، بيروت: دار الرسالة ، ١٩٨٩م. وورد الحديث بعدة ألفاظ أخرى ومن عدة روايات انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى / ج١/ ص٩٦ حيث ورد على الشكل التالى : (لاتزال طائفة ، ناس ، عصابة من أمتى ، المسلمين ، أهل الإسلام يقاتلون على الحق ، أمر الله (ظاهرين) (حتى يقاتلوا ، يقاتل آخرهم المسيح الدجال) ، فى البخارى باب الاعتصام ١٠ ، وصحيح مسلم باب الإيمان وباب الإمارة ص ١٧٣، ١٧٦، وفى الترمذى باب الجهاد ٤ وفى السير ٣٨ وفى مسند أحمد ٣ ص ٣٤٥- ٣٤٨- ج٤ ، ص ٩٣- ٢٤٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ .

غزة وحدودها
وقدمها ومكانتها

غزة وحدودها [١] وقدمها ومكانتها [٢]

غزة مدينة قديمة، ومن قواعد فلسطين الشهيرة، نزل فيها إبراهيم الخليل (عليه السلام) وجاء ذكرها فى التوراة مراراً ، وهى إحدى الرحلتين لقريش

(١) أورد المقدسى البشارى عن حدود غزة فقال : (غزة مدينة كبيرة على جادة مصر وطرف البادية وقرب البحر ، بها جامع حسن وفيها أثر عمر بن الخطاب ومولد الشافعي وقبر هاشم بن عبد مناف) انظر أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى البشارى ط١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م ص١٤٨ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم .

(٢) بصدد مكانة مدينة غزة التى هى جزء من بلاد الشام فقد وردت عدة أحاديث فى فضائل بلاد الشام أوردها ابن عساكر فى كتابه (تاريخ دمشق) وهذه الأحاديث تختلف درجتها من حيث الصحة والضعف فمن هذه الأحاديث : (إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس) ، (وعن زيد بن ثابت قال : كنا مع رسول الله ﷺ نؤلف القرآن فى الرقاع [أى نكتبه على الرقاع وتاليفه جمعه وترتيب آياته خوفاً من النسيان – المحقق] فقال رسول الله ﷺ طوبى للشام ، فقلنا: لأى ذلك ؟ قال : إن ملائكة الرحمن –وفى رواية– ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه) ، (وفى حديث آخر برواية أخرى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ ونحن عنده: " طوبى للشام فقلنا : ما باله يا رسول الله ؟ قال: إن الرحمن لباسط رحمته عليه وعن واثلة بن الأسقع قال: " إن الملائكة تغشى مدينتكم هذه –يعنى دمشق– ليلة الجمعة ، فإذا كان بكرة افترقوا على أبواب دمشق براياتهم وبنودهم فيكونون سبعين رجلاً ، ثم ارتفعوا ويدعون الله لهم اللهم اشف مريضهم ورد غائبهم " .
انظر جميع هذه الروايات فى الجزء الأول من مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر الإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ اختصره الإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ الجزء الأول فضائل الشام وخطط دمشق تحقيق : روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع الحافظ . دمشق : دار الفكر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . انظر: (الصفحات ٥٠ – ٧٨) . وورد حديث " طوبى لمن سكن إحدى العروسين غزة وعسقلان " فى كشف النقاب عما فى غزة ومن حواليها من الأعراب للشيخ أحمد بسيسو ورقة ٤٢ من المخطوط . وذكر فيه النص المذكور حينما تحدث عن آثار غزة فى المقدمة . وراجع كما أسلفت الصفحات ٢٢٦ – ٢٨٦ من الجزء الأول من الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلى طبعة عمان : دار المحتسب .

المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿رحلة الشتاء والصيف﴾ كما قال ابن عبد البر[١] فى تفسيره[٢] وإحدى العروسين كما فى حديث ضعيف : «طوبى لمن أسكنه الله تعالى إحدى العروسين: عسقلان أو غزة» رواه الديلمى فى

---

(١) ابن عبد البر: " الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمرى القرطبى (٣٦٨- ٤٦٣ هـ) صاحب كتاب " التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد " الذى كمل طبعه فى سنة ١٤١٢هـ =١٩٩٢ م فى ست وعشرين مجلداً "٢٦" مع الفهارس العلمية . على أيدى لجنة من علماء بلاد المغرب الذين لهم عناية بنشر وتحقيق التراث العربى الإسلامى . انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء للذهبى " النسخة المحققة " مج ١٨/ ص ١٥٣ ترجمة رقم ٨٥. طبع الكتاب سنة ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م ، ط١. تحقيق: الأرناؤوط وآخرين .

(٢) لقد راجعت عدة مراجع بهذا الصدد لمعرفة أى معلومة أو إشارة عن تفسير ابن عبد البر ، وقمت بقراءة ترجمته فى عدة مصادر فلم أعثر على أى إشارة إلى تفسيره المذكور . وراجعت كتاباً قيماً عن مدرسة التفسير فى الأندلس من تأليف : مصطفى إبراهيم المشنى ، نشرت هذه الدراسة فى بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م . وحينما ذكر الكاتب الإمام ابن عبد البر لم يشر إلى تفسيره المذكور . فقد أورد الكاتب عنه فى ص (٤٩-٥٠) فقال : "ولقد بلغ ابن عبد البر مكانة عظيمة بين علماء عصره، شهد له بها ثلة من العلماء ، فقال ابن حزم: (لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه) ، وقال الضبى : (ابن عبد البر فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف فى الفقه ، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع كبير الشوخ، سمع الحديث من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها) وقال ابن فرحون: (شيخ علماء الأندلس ، وكبير محدثيها فى وقته ، وأحفظ من كان فيها لسنة مأثورة) وقال الفتح بن خاقان (أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر ، إمام الأندلس ، وعالمها ، صحح المتن والسند ، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والقاطع ، حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقات ، وجدّ فى تصحيح السقيم مع معاناة العلل) .

مؤلفاته : ألف ابن عبد البر مؤلفات كثيرة ، وفى مجالات متعددة ، دلت على مكانته العلمية وقوته ودرايته ، فصنف فى علم الحديث : (كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار) وشرح فى هذا الكتاب الموطأ على وجهه ونسق أبوابه، (كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) جمع فيه أسماء الصحابة رضى الله عنهم ورتبهم على الطبقات . وفى السير والأخلاق كتاب (الدرر فى اختصار المغازى والسير) وكتاب (بهجة المجالس وأنس المجالس) فى ثلاثة أسفار جمع فيها أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة. وكانت وفاته ٤٦٣هـ) أهـ. ونستطيع أن نؤكد أنه لايوجد كتاب فى التفسير للإمام ابن عبد البر فى التفسير، ايراد الطباع (التفسير) من خلال التمرتاشى صاحب رسالة الخير =

«مسند الفردوس[١]»، قال ياقوت الحموى فى المشترك : " غزة بلد مشهور بالشام بينه وبين عسقلان نحو فرسخين من أعمال فلسطين "[٢].

= التام هذا المؤلف لابن عبد البر، ولعله كتاب "التمهيد" لأنه فيه شرح دقيق لموطأ الإمام مالك بن أنس وهذا الكتاب"التمهيد" تناول فيه ابن عبد البر شرح أحاديث الموطأ شرحاً ضافياً يستوعب مختلف الجوانب الموضوعية المتعلقة بالحديث متناً وسنداً وفقهاً ولغة ومصطلحاً، وغير ذلك، مما جعله أكبر موسوعة حديثية فقهية، وأحله مقاماً خاصاً بين شروح الموطأ، واعتبره العلماء من المحدثين والفقهاء مرجعاً هاماً فى موضوعه، وفى طريقة شرحه وبحثه، ونهج الأسانيد، حيث رتب شرحه هذا ترتيباً معجمياً يعتمد شرح الأحاديث التى رواها الإمام مالك عن كل شيخ من شيوخه رحمهم الله أجمعين) انظر مقدمة سعيد أحمد أعراب للمجلد السادس والعشرين لكتاب التمهيد "٢٦" ص ٣ فاس: مطبعة فضالة المحمدية ١٤١٢= ١٩٩٢م. ومن الممكن أن نقرر أن التمهيد هو التفسير المقصود، والله أعلم. ونقل الطباع عن ابن عبد البر من خلال رسالة «الخير التام فى ذكر حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام» للتمرتاشى صالح بن أحمد ص ٧ (نسخة بحوزة المحقق). ولعل التمرتاشي أخطأ في اسم الكتاب.

(١) انظر : " كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب (ج٣ ص ٢٤) وورد الحديث عن عبد الله بن الزبير [حديث رقم ٣٧٥٣] " تأليف : الحافظ شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمى (٤٤٥- ٥٠٩ هـ) ومعه تسديد القوس للحافظ ابن حجر العسقلانى ، مسند الفردوس لأبى منصور شهردار بن شيرويه الديلمى .- قدم له وحققه وخرج أحاديثه فؤاد أحمد الزمرلى ، محمد المعتصم بالله البغدادى .- بيروت : دار الكتاب العربى . راجع نسخة أخرى من نفس الكتاب ولكن بتحقيق آخر بعنوان " الفردوس بمأثور الخطاب" تأليف : أبى شجاع شيرويه بن شهردار بن بن شيرويه الديلمى الهمذانى " الملقب الكيا " (٤٤٥- ٥٠٩ هـ) = (١٠٥٣ - ١١١٥ م) بتحقيق خادم السنة النبوية السعيد بن بسيونى زغلول .- (الجزء الثانى ٤٥٠)[حديث ٣٩٤٠] نشر الكتاب أيضا فى بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م . وهذا الحديث رمز له السيوطى بالضعف ، قال المناوى، وفيه إسماعيل بن عياش - وفيه خلاف عن سعيد بن يوسف ،أورده الذهبى فى الضعفاء ، وقال : ضعفه ابن معين والنسائى عن مصعب بن ثابت وقد ضعفوا حديثه أ.هـ . وفى أصل رواية الحديث أحد العروسين وليس " إحدى " العروسين . وفى رأيى أن هذا الحديث لم يروه عبد الله بن الزبير فقد وقفت حديثاً على " جامع المسانيد والسنن - الهادى إلى أقوم سنن" / لإمام الحافظ عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى الشافعى (٧٠٠- ٧٧٤ هـ) (ج٧ ص ٤٩٤- ٥٣٧) حيث يورد مرويات عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى مسنده . نشر هذا الكتاب فى بيروت: دار الفكر ، سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٤ . وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور أمين قلعجى .

(٢) انظر كتاب " المشترك وضعاً والمفترق صقعًا" (ص٣٢٤) / لياقوت الحموى .- بيروت: عالم الكتب ، ١٩٨٦، ط٢.

وفى القاموس: " غزة علم على مواضع بلد بمشارف الشام، بفلسطين مشهور، ورملة بالسودة ببلاد بنى سعد بن زيد بن مناة بن تميم، يقال لها غزة وبلد بأفريقية بينه وبين القيروان نحو ثلاثة أيام، ينزلها القوافل إلى الجزائر، وناحية من يمين عين التمر بالعراق، يقال لها غزة وبلد ببقاع الشام وأقدمها وأشهرها غزة هاشم ".

وفى "معجم البلدان" : " قال أبو المنذر غزة كانت امرأة صور الذى بين صور مدينة الساحل قريبة من البحر"[1].

وإياها أراد الشاعر:

ميت بردمان وميت بسلمان وميت عند غزات

قال أبو زيد: "العرب تقول قد غز فلان بفلان، واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه" أ.هـ[2] لاختصاص صاحبها بها واختيار تلك البقعة لاختطاطها، ويجوز أن تكون سميت باسم امرأة الملك صور.

قال فى (قاموس الأعلام التركى)[3] : " إن غزة بلدة قديمة جداً ويذكر فى التوراة أنها موجودة قبل زمان حضرة إبراهيم (عليه السلام) و(لذلك يقال إنها رابع مدينة بنيت على وجه الأرض المقدسة)[4]، حتى إن إسكندر الكبير اشتغل بحصار غزة مدة أربعة أشهر، وبعد أن صار مجروحاً فتحت بكل صعوبة، وفى المحاربات التى وقعت بين البطالسة والسلنيكين، تعدد تخريبها وصار تعميرها، وهى على تل مرتفع يوجد فيه وفى خلافه من التلال المرتفعة خصوصاً تل العجول، آثار كبيرة حتى أخرج من هيكل المشترى

(١) معجم البلدان لياقوت الحموى ج٤/ ص٢٢٩ .
(٢) معجم البلدان/ لياقوت ج٤ / ص٢٢٩ . مصدر سبق ذكره .
(٣) لم أقف على هذا الكتاب .
(٤) بصدد أسماء مدينة غزة انظر : تاريخ غزة لعارف العارف ص٧ -٩ .

المصطنع" أ.هـ[١]، وفى "جغرافية فلسطين" : "غزة مدينة قديمة قديمة جداً، وفيها آثار قديمة كثيرة بحيث أن المرء يرى فى كل ناحية منها آثاراً عديدة ذات قيمة واعتبار كلها تدل على سالف مجدها وعلو شأنها"[٢] وفى "تاريخ سوريا" : "أما مدينة غزة فهى على بعد ثلاثة أميال عن شاطئ البحر المتوسط، وهى من أقدم مدن العالم "[٣] وذكر العلامة الشيخ صالح التمرتاشى الغزى[٤] فى

(١) تل العجول : " و بالنسبة لتل العجول وما حولها من الآثار انظر بلادنا فلسطين م٢ / القسم الثانى ص١٢٩- ١٣٤ . وراجع إتحاف الأعزة ١/ ص٢٦٢ - ٢٦٣ ، وراجع ما أورده العارف فى تاريخ غزة ص٢٢- ٢٣ .

(٢) انظر جغرافية فلسطين (٩١-٩٣) / تأليف : خليل طوطح وحبيب خورى .- (د . م) مطبعة الناصرة ، ١٩٢٣م.

(٣) انظر: تاريخ سوريا الدينى والدنيوى ، للمطران يوسف الدبس .جـ ١/ ص ٣١ (بتصرف من المؤلف) طبع الكتاب في أوائل القرن، ثم أعادت طباعته وإخراجه درار نظير عبود بيروت مرة أخرى سنة ١٩٨٩م. والكتاب حوالي عشرة أجزاء.

(٤) صالح بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب، الغزى، التمرتاشى، الحنفى (٩٨٠-١٠٥٥هـ = ١٥٧٢-١٦٤٥م) فقيه، أديب، مشارك فى بعض العلوم . من تصانيفه: "العناية شرح النقاية، زواهر الجواهر النضائر على الأشباه والنظائر فى الفقه الحنفى، أبكار الأفطار وفاكهة الأخيار، شرح الألفية فى النحو". وقال عنه المحبى: " كان فاضلاً متبحراً بحاثاً وله إحاطة بفروع المذهب، أخذ عن والده ورحل إلى مصر وأخذ عن علمائها وتصدر فى ذلك الفكر بعد وفاة أبيه ونفع الناس فى الفتاوى وألف التآليف النافعة فى الفقه وغيره". انظر خلاصة الأثر للمحبى ٢/ ٢٣٩-٢٤٠. ولم يشر أى مصدر من المصادر التى ترجمت له إلى هذه الرسالة "الخير التام" وقد عثرت أثناء فهرستى لمخطوطات الجامع العمرى الكبير على الفتاوى التمرتاشية الذى ألفه والده الشيخ محمد بن عبد الله التمرتاشى المتوفى سنة ١٠٠٤هـ. وقد قام بنسخه الشيخ صالح المترجم له حيث كتب فى آخر ورقة من ورقات المخطوط: " وكان الفراغ من مقابلة هذه الفتاوى المباركة النافعة يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى ١٠٢٣هـ. والمصحح لها العبد الفقير إلى مغفرة ربه ولطفه صالح التمرتاشى العمرى الحنفى الغزى ابن شيخ الإسلام محمد مصنف متن التنوير تنوير الأبصار وشرح منح العقائد. تغمده الله تعالى بكل الرحمة والمغفرة آمين، وقابلتها مقابلة جيدة عن نسخه مصححة فى القدرة والإمكان مع بعض طلبة العلم الشريف من ذوى الفضائل والعرفان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وتوجد من هذه المخطوطة نسخة أخرى فى مكتبة الجامعة العبرية مجموعة يهوذا بعنوان فيه بعض الاختلاف وهو (الفتاوى التمرتاشية فى الوقايع الغزية) لشيخ الإسلام شمس الدين أبى صالح محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن خليل=

رسالته (الخير التام)[1] أن أول من خطها أفراشيم أو أفرايم(*) أحد أولاد يوسف

= التمرتاشي الغزي . نسخة كتبت سنة ١٢٧٤هـ على يد مصطفى بن عبد الرحمن الأزهري (٢٥٠ق). وانظر ما كتبه الطباع في قسم العائلات والأنساب عن عائلة التمرتاشي ونسبهم إلى جد لهم اسمه تمرتاش وقال عن هذه العائلة إنها عائلة قديمة بارزة فخيمة جمعت بين العلم والشرف والوجاهة والمكانة الدينية والعلمية ... وقد تفوق منهم رجال كثير بالعلم والفضل ونبوغ الرجال وظهرت كتبهم وتصانيفهم مما يدل على فريد علمهم ورجاحة فضلهم وانحصرت وظيفة إفتاء الحنفية بغزة فيهم زمناً طويلاً .... وانقرضت هذه العائلة الكريمة من غزة واندرست آثارها مع أنه كان لها دور وعقارات بمحلة التفاح وغيرها، فسبحان من لا يدوم سواه ولكن تصانيف رجالها العديدة محفوظة بدار الكتب الخديوية بمصر وطبع منها متن التنوير وغيره ولكن عظيم ذكرهم وجليل فضلهم في الكتب والتواريخ ينشر وسنى قدرهم وجميل مناقبهم عند ذوى المعارف يكرر. انظر إتحاف الأعزة قسم العائلات والأنساب (عائلة الخطيب) وترجم له الطباع في (مج ٤/ ص ٩٩/ تر ١١٧) ونعته بالعلامة الفاضل والفهامة الكامل الشيخ صالح ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد ابن الشيخ صالح ابن شيخ الإسلام محمد التمرتاشي ابن حفيد الشيخ صالح الكبير المتقدم ظهر في أواخر القرن الحادي عشر وتولى إفتاء الحنفية بعد ابن عم والده الماضي. وكان يتردد على مصر وتعلم بها وصنف فيها رسالته الخير التام في ذكر حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام وذكر فيها أنه لخصها من الأنس الجليل وإتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى للسيوطي وأنه صنفها بمصر في أيام الوزير على باشا سنة ١١٠٦ وتوفي في أثناء القرن الثالث عشر وخلف ابنه العلامة الفاضل نجم ابن التمرتاشي الغزي الحنفي . (المحقق).

(*) أفرايم: كلمة عبرية معناها «الأثمار المضاعفة» وهو يوسف، وقد ولد في مصر، وأعطاه يوسف هذا الاسم «الأثمار المضاعفة» لأنه كان الابن الثاني، وعندما بارك يعقوب ابني يوسف وتبناهما، وضع يده اليمنى التي تدل على عظمة الكرامة على رأس أفرايم مشيراً بذلك إلى أن السبط الذي يأتي من نسل أفرايم سيكون أعظم من السبط الذي سيأتي من نسل أخيه الأكبر أهـ. انظر: «قاموس الكتاب المقدس» ص ٩٠ تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون الكساندر، الأستاذ الرهيع مطر. القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٤ م.

(١) مخطوط من العام ١٦٨٧م لمؤلفه صالح التمرتاشي الغزي : وصف بيت المقدس وغزة والرملة وحدودها :يعد مخطوط "الخير التام في ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأراضي الشام" من أهم مخطوطات فضائل بيت المقدس في العصر العثماني وصاحبه شخصية فلسطينية معروفة تنتمي الى اسرة من غزة عرفت بالعلم والمعرفة، كان لها مشيخة الحنفية ، وقد ترجم لهم المحبي في خلاصة الأثر والزركلي في الأعلام وغيرها، نعرف أبرز ما جاء في هذا المخطوط عن وصف بيت المقدس ومدن فلسطين. =

= من هو مؤلف المخطوط؟ صالح بن محمد بن عبد الله بن أحمد التمرتاشي الغزى، فقيه حنفى من أهل غزة، ينتمى إلى أسرة اهتمت بالفقه الحنفى ، فشاع صيتها فى المشرق والمغرب، وكان أحد أجداده خطيباً فى مساجد غزة ، وشيخاً للحنفية ، وقد وضع الشيخ صالح التمرتاشي كتابه سنة ١١٠٦هـ.

أماكن وجود مخطوطات الكتاب: من الكتاب نسخة خطية فى مكتبة المسجد الأقصى نسخت فى العام ١١١٢هـ على يد صالح الغزى ، وعنها نقل الشيخ أمين الدنف الأنصارى نسخة أخرى فى العام ١٣٤٩هـ ، واطلعنا على وجود نسخة مهمة بخط المؤلف الشيخ صالح التمرتاشي الغزى ، وتمكنا كذلك من الاطلاع على عدد من النسخ المخطوطة فى مكتبات تركية فى إستانبول بعضها كتبت بالتركية.

سبب تأليف هذه المخطوطة : سافر الشيخ صالح التمرتاشي الغزى من غزة إلى مصر فى سنة ١١٠٦هـ وقابل هناك الوزير على باشا، وفى مجلسه هناك، سأله الوزير عن أرض الشام إن كانت مقدسة فاستخار شيخنا الله وكتب رسالة تتضمن ذكر أراضى الشام وحدودها وسبب تسميتها بذلك وذكر أراضى فلسطين وحدودها وسبب تسميتها بذلك ، ثم أهدى مخطوطه هذا بعد الانتهاء من جمعه إلى الوزير على باشا . وقد أورد المؤلف قصته هذه فى مقدمة مخطوطه سابق الذكر ومما قال: " العبد الفقير إلى عفو ربه القدير صالح بن أحمد من أبناء شيخ الإسلام محمد التمرتاشي العمرى الغزى مصنف تنوير الأبصار .. سافرت عن الأهل والأوطان وفارقت العيال والإخوان وكان غاية المراد مصر المحروسة حرسها الله تعالى وبلاد المسلمين على مدى الزمان .." وأضاف: " فكنت أسمع فى مصر كما أسمع فى بلادى أن حضرة جناب الدستور المكرم والوزير المشير المفخم مختار الدولة العثمانية ومحافظ الديار اليوسفية..حضرة مولانا الوزير على باشا بمصر المحروسة حفظه الله وأولاده ومحبيه..وكان اجتماع الفقير بحضرة جنابه صحبة..فرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية العلامة الهمام والسيد السند المقدام جناب حضرة مولانا السيد خليل أفندى الرومى المدرس بمدرسة الشيخونية..بمصر المحروسة..".

اطلاعه على مخطوطات فضائل بيت المقدس: كان لا بد للشيخ صالح التمرتاشي الغزى أن يطلع على مخطوطات سابقيه ممن دون فضائل بيت المقدس لكى يكتب فضائلها ويذكر حدودها وحدود أرض الشام، وقد اطلع على الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل للقاضى مجير الدين الحنبلى ومخطوط إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى لمؤلفه شمس الدين السيوطى وترغيب أهل الاسلام فى سكنى الشام للشيخ العز بن عبد السلام ويبدو أن شيخنا التمرتاشي تأثر بما كتبه هؤلاء فنقل منهم ما وجده مناسباً فى كتابه هذا. فضائل مدن فلسطين وحدودها: يقول التمرتاشي فى مخطوطه: "وأما فلسطين فقال فى الأنس الجليل وهى بكسر الفاء وفتح اللام.. وأول حدود فلسطين من طريق مصر، ومن مدنها إيلياء وهى مدينة القدس الشريف بينها وبين الرملة ستة فراسخ ثمانية عشر ميلاً صخاراً ووهاداً،ومن مدنها أيضاً عسقلان ولد =

الصديق (عليه السلام)[1] قلت هى موجودة قبل أفرايم المذكور، فلعله

= وسبطية ونابلس ومدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ومسافة فلسطين طولاً من رفح حتى اللجون يومان وأما بسير الأنفال فأكثر من أربعة أيام، وعرضها من يافا إلى أريحا مسافة يومين " .

حدود الأرض المقدسة: يقول التمرتاشي الغزى عن حدود الأرض المقدسة: " من القبلة أرض الحجاز يفصل بينهما جبال الورى وهى جبال منيعة بينها وبين أيلة نحو مرحلة، وسطح ايلة هو أول حد الحجاز وبينها وبين بيت المقدس نحو ثمانية أيام بسير الأنفال، ومن الشرق من بعد دومة الجندل برية السماوة وهى كبيرة ممتدة إلى العراق ينزعه عرب الشام ومسافتها عن بيت المقدس نحو مسافة أيلة، ومن الشمال مما يلى المشرق نهر الفرات على قول الحافظ شمس الدين محمد الذهبى مؤرخ الشام، ومسافته عن بيت المقدس نحو عشرين يوماً بسير الأنفال فيدخل فى هذا الحد المملكة الشامية بكمالها، ومن الغرب بحر الروم وهو البحر المالح ومسافته عن بيت المقدس من جهة رملة فلسطين يومان، ومن الجنوب رمل مصر والعريش ومسافته عن بيت المقدس نحو خمسة أيام بسير الأنفال .

فضائل مدينة الرملة : ويذكر التمرتاشى الرملة قائلاً : " وأما الرملة فهى واسطة بدل فلسطين فإنها فى أرض سهلة وهى كثيرة الأشجار والنخيل وحولها كثير من المزارع والمغارس وفيها أنواع الفواكه وظاهرها حسن المنظر وهى من جملة الثغور ، فإن البحر المالح قريب منها مسافته عنها نحو نصف بريد من جهة الغرب " .

فضائل مدينة غزة: ذكرها التمرتاشى بقوله: "من أحسن المدن المجاورة لبيت المقدس. . وهى من الثغور فإن البحر قريب منها وبها كثير من الأشجار والنخيل وحولها كثير من المغارس والمزارع وفيها أنواع الفواكه وهى من أحسن مدن فلسطين وفيها خلق كثير من سلف العلماء والصالحين وتقدم أن الإمام محمد بن إدريس الشافعى ولد بها وموضع مولده معروف يقصد بالزيارة " .

فضائل بيت المقدس : يقول صاحب المخطوط عن فضائل بيت المقدس : " وأما تسميتها بالأرض المقدسة فقد قال العلامة شيخ الاسلام أبو السعود الصمادى ، سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل هى الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وقيل هى الشام ، وسمى المسجد الأقصى بالاقصى لانه وسط الدنيا لا يزيد شيئاً ولا ينقص شيئاً ، وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أواسط الأرضين بيت المقدس وأرفع الأرضين كلها إلى السماء بيت المقدس ، وعن ابن عباس ومعاذ بن جبل أقرب السماء إلى الأرض بيت المقدس. . والقول بأن بيت المقدس وسط الأرض فإن بيت المقدس إذا اعتبر أمره وجد فى وسط الدنيا وسائر الممالك محيطة به من كل جانب. (عنوان المقال: مخطوط من العام ١٦٨٧م لمؤلفه صالح التمرتاشى الغزى ، وصف بيت المقدس وغزة والرملة وحدودها. إعداد: محمد غوشة . . دائرة الآثار الفلسطينية . الصفحات: ص١٥ . جريدة القدس، العدد ١٠٠٦٦ ربيع الثانى ١٤١٨هـ / أيلول ١٩٩٧م. الموضوع: مخطوط عن فضائل بيت المقدس فى ذكر أرض فلسطين وحدودها وأراضى الشام فى العصر العثمانى).

(١) انظر: رسالة «الخبر التام» للتمرتاشى ص ٧.

اختطها فى موضعها المرتفع المعروف، كما تقدم أو اختطها بالحجارة وسورها بالبناء الثابت، وكانت قبل أكواخاً تنتقل من موضع لآخر، فلم يختلف موضعها بعد، وإن حصل تخريبها مراراً بسبب الحروب التى كانت تتناوبها، والأمم التى كانت تتقلب عليها، بل كانت بسبب كونها همزة الوصل بين مصر والشام مسرحاً كبيراً لحروب متوالية، ووقائع هائلة كما سيأتى بيانه[1]. وحدها بما يتبعها من الأراضى والقرى، طولاً من رفح إلى يافا نحو خمسة وأربعين ميلاً، وعرضاً من ساحل البحر إلى كوفيا والبها نحو خمسة أميال، وكانت قبل فصل السبع عنها، تمتد من البحر إلى العقبة، مسيرة ثمانية أيام. وقال: فى المعجم اليونانى "غزة مدينة قديمة العهد إحدى مدن الفلسطينيين الخمس، مبنية على هضبة تبعد ٤ كيلومترات تقريباً عن البحر، وتقع فى الجهة الجنوبية الغربية من القدس على بعد ٨٥ كيلو متراً، وقد أعطى لها فى العصور المختلفة عدة أسماء ، منها إيونى ومينيوو وقسطنديا . . وهذه المدينة كانت دائماً ساحة لثوراة[2] الغزاة الفاتحين، من حين لآخر فى جميع أدوار التاريخ القديم والمتوسط والحديث، وحوصرت عدة مرات، واحتلها ودمرها اليهود والآشوريون والمصريون، والكلدانيون والفرس، واليونان والرومان

---

(١) عثر على نقش محفور على الجزء الشرقى من السور الذى يحيط بمدينة " معين " وردت بعض الأسماء المذكورة فى النقش وهى مصر وآشور بالإضافة إلى اسم جديد هو " غزة " وقد دون هذا النقش فى عهد الملك المعينى (إيل يفع ريام) حوالى عام ٣٧٠ ق .م إذا صح أن النقش السابق يرجع إلى عام (٣٤٣ ق. م) وهو يشير إلى تجارة معينية مع مصر وآشور وغزة. ولم يختلف الباحثون على أن كلمة (غ ز ت) تعنى مدينة غزة المعروفة فى جنوب فلسطين. وقد تكرر الاسم " غزة " عدة مرات فى نقش معينى ثالث محفور على لوحتين من الجرانيت تواجدت بين أطلال مدينة معين أيضاً. والنقش يذكر قيام عدة أشخاص بتقديم عبيد أو خدم إلى معبد المدينة وقد نسب كل منهم إلى البلد أو المدينة التى ينتمى إليها. منها مصر ويثرب والعلا ، ثم غزة ، استأثرت بالعدد الأكبر من هؤلاء العبيد أو الخدم ، إذ ينتسب إليها خمسة منهم ضاعت أسماء أو أجزاء من أسماء ثلاثة وتبقى اسمان هى " بايلات " و" أنى حايل " انظر: كتاب " البحر الأحمر فى العصور القديمة " مجموعة بحوث نشرت فى الدوريات العربية والأوروبية تأليف: د. عبد المنعم عبد الحليم سيد " أستاذ التاريخ القديم بجامعتى الإسكندرية وجدة " القاهرة : دار المعرفة الجامعية ط١ـ - ١٩٩٣

(٢) " هكذا فى الأصل والصواب " ثورات " .

والعرب والصليبيون، والأتراك والأفرنسيون والإنكليز، أما اليهود فإنهم لم يستطيعوا أبداً من المحافظة على سلامتها، وقد قاموا بحروب كثيرة ضد الفلسطينيين، منذ سنى شمشون الجبار[1]، (أى منذ القرن الحادى عشر ق.م حتى عهد المكابيين القرن الثانى ق.م) فيها جاهد ومات شمشون الجبار، وقد سباها أولاً الفراعنة، وأخضعها من بعدهم الآشوريون، ومثلهم الكلدانيون. وفى عام (٦٠٦ق.م) استرجعت من نخو الثانى، الذى حكم من سنة (٦١٧- ٦٠١ق.م)،ومن ثم وقعت فى يد الملك كورش من سنة (٦٠١- ٥٩٠ ق.م)، ومنها كامفنيس ابن الملك كورش جمع قواته وافتتحها عندما هاجم مصر (٥٢٢ ق.م)، أما الإسكندر الكبير[2]، فإنه بعد فتحه لصيدا هاجم غزة واستولى عليها، بعد محاصرته إياها مدة شهرين كاملين، سنة (٣٢٢ ق.م) وكانت حينئذ مدينة عظيمة، ذات مركز حصين، محاطة بسور قوى، وكان لها حارس يدعى فاتيس، وكان شجاعاً، ويقال إنه سلح الغزيين، واستأجر عدداً كبيراً من العرب، قاوم بهم هجمات الجيش

(١) شمشون " كان رجلاً صالحاً من بنى إسرائيل ذا قوة وبطش شديد بحيث لا يوثقه الحديد ، وكان يحفظ الإنجيل وهو من قرية من قرى الروم ، وكان أهل قريته يعبدون الأوثان ، ولم يزل شمشون يغزوهم وحده ويقاتلهم ويجاهدهم فى الله حق جهاده ، وكان إذا قاتل قومه وعطش يتفجر له أى حجر كان بين يديه ماء عذب فيروى منه فجاهد ألف شهر . . . . إلى آخر القصة المعروفة والمروية فى هذا الكتاب نقلا عن رواية التوراة إلا أن الاختلاف هنا عند القرمانى فى أنه لم يخصص من هم أهل المدينة حيث أنه من المتفق عليه عند المؤرخين بأن أهل المدينة هم أهل غزة قبل دخول المسحية إليهم . راجع ما كتبه بهذا الصدد القرمانى فى كتابه " أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ" ص ٧٨ .

(٢) " إسكندر الكبير " - الفاتح المقدونى الكبير - الإسكندر . وهو : إسكندر الثالث ابن فيليب ملك مقدونيا وأولمبيا ولد عام ٣٥٦ ق. م . وتعلم على يد الفيلسوف اليونانى المشهور ارسطو طاليس . وقد دخل الحرب لأول مرة عام ٣٣٨ ق . م عندما قاد جيشاً أرسله أبوه لمكافحة الثوار فى الجبال . وكان يومئذ فى السادسة من عمره . وقد جاء فى تفسير القرطبى أنه ذو القرنين الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم : ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرى) الآية ٨٢ من سورة الكهف . استولى الإسكندر على غزة عام ٣٣٢ق . م بعد حصار طويل وإن حاميتها كانت مزيجاً من العرب والفرس ، وإنه قتل فى ذلك الحصار عشرة آلاف رجل جلهم من العرب " انظر تاريخ غزة لعارف العارف . ص ٥٢- ٥٣ .

اليونانى، الذى كان بقيادة الإسكندر المتكررة الشديدة لاحتلالها. وقد كان من الصعب إدخال الماكينات الحديدية، إلى داخل المدينة بسبب ارتفاعها، وقد أبدى الإسكندر مهارة فائقة وذكاء كبيراً ، عندما أمر جنوده بالهجوم عليها فى المرة الرابعة، لاحتلالها من الجهة الجنوبية، حتى تمكنوا من اختراق السور وإدخال الماكينات والعدد الأخرى، أما قطر السور فكان على طول ٢٧ متراً، وارتفاع ٧٦ متراً، وبعد أهوال شديدة لاقاها الإسكندر من الغزيين حتى اخترقت حرابهم درعه، وجرحته فى كتفه، حتى فتحها بنفس العدة التى فتح بها صيدا، وبعد فتحه غزة أحضر الإسكندر سكاناً لها من اليونان، على حسب عادته ، ومن القرى المجاورة لها ، ومزج بعضهم ببعض، ثم بعد وفاة الإسكندر سبيت غزة[١] من القائد أنتيفوس[٢]، وكذلك من القائد

(١) " كانت غزة فى عهد (الإسكندر) أعظم مدينة فى سوريا على الإطلاق ، وقد وصفها مؤرخو اليونان بـ (المدينة العظيمة) وإن عظمتها ترجع إلى الطيب واللبان من جهة ، ووقوعها على طرق التجارة والمواصلات من جهة أخرى . أى إن غزة كانت فى ذلك الحين مدينة ذات أهمية من جهات عديده : زراعية ، تجارية ، وحربية . ولما فتحها الإسكندر وجد فى دورها ومخازنها كميات هائلة من الذخائر والمؤن ، ووجد فيها كنوزاً عظيمة ، وحلى ومجوهرات لا تقدر بثمن، ووجد فيها كميات كبيرة من الطيب ، واللبان . والمر والبخور وما إلى ذلك من المواد الغالية الثمن وأرسل قسماً كبيراً من غنائمه هدية إلى أصدقائه الكثيرين ومنهم أولمبياس ، وكليو باترا ، وإلى أستاذه ومهذبه ليونيولس الذى كان قبل فتح غزة ، يؤنبه كلما رآه يسرف فى استعمال الطيب والبخور . ولما تلقى هديته الثمينة أرسل إليه كتاباً يشكره فيه شكراً جزيلاً. وينصحه فى نفس الوقت أن يبذل كل ما وسعه ليظل مسيطراً على بلاد خصبة ذات نتاج قيم كاللبان الذى أرسله له .

ادرك الإسكندر قيمة غزة الحربية والتجارية بعد فتحها فاهتم بها أكثر من اهتمامه قبل فتحها، وبعد أن كان غاضباً على سكانها، عاد فعفا عنهم وعن اللذين هربوا من وجهه، وأمر ببناء مساكنهم التى تهدمت أثناء الحرب وإعادتها إلى سالف عزها ثم أحضر على حسب عادته من اليونان وآسيا الصغرى عدداً كبيراً من اليونانيين ليسكنوها، كما أحضر إليها عدداً آخر من سكان القرى المجاورة وسعى لمزج بعضهم بالبعض الآخر. وكان من عادة الإسكندر أنه إذا امتلك بلداً جعل عليها عمالاً من أصحابه وأرفقهم بعدد كاف من الجند. وبهذه الوسيلة ازداد التعامل بين غزة وبلاد اليونان ذلك التعامل الذى كان نشيطاً أثناء الفتح الفارسى أيضاً وأصبحت غزة مركزاً من أهم المراكز فى الشرق "انظر تاريخ غزة لعارف العارف ص٥٣- ٥٥.

(٢) أنتفوس = أنتيفلوس : فنان إغريقى من أصل مصرى (القرن ٤ ق.م) صور فيليب المقدونى =

بطليموس[1] فى عام ٩٦ قبل المسيح، من قبل ملك اليهود المدعو إلكسندروس إياتوس ١٠٦- ٧٩ ،وأعيد بناؤها فى سنة ٧ ومن الرومانيين الذين فتحوها ومنحوها إدارة مستقلة على عهد الملك أغسطوس[2]، من ٢٠ - ١٤ وقد أعطيت إلى الملك هيرودس وفى أيامه تعلم سكانها الحرف، والعلوم اليونانية، فى عام ٤٤ بعد وفاة هيرودس أصبحت مقاطعة رومانية وازدهرت بالعلوم والتجارة والعمران[3]. وقد زارها مراراً كثيرة الإمبراطور أوريانوس، (١١٧- ١٢٨) بعد المسيح الذى عمل عملة فضية رسم عليها غزة من جهة، ومن الجهة الأخرى وضع التاريخ الرومانى تخليداً لزياراته هذه، وفى ذلك العهد كانت غزة تعد من أعظم المراكز التجارية التى توحد سوريا مع آسيا الغربية، والعرب كانوا يرسلون إليها مراكبهم التجارية لنقل التجارة، وكما يروى التاريخ أن هاشماً والد جد النبى محمد ﷺ توفى بها ودفن فيها، فإن العرب كافة يحترمون ويقدسون هذه المدينة أ.هـ..

* * *

= وإسكندر الأكبر . انظر الموسوعة العربية الميسرة م١/ ص ٢٣٥ .

(١) بطليموس الأول : سوتر = المنقذ . " أحد كبار قواد الإسكندر الأكبر ، أقيم عقب وفاة الإسكندر (٣٢٣ق.م) والياً على مصر ... وعنى بجعل الإسكندرية عاصمة الحضارة الإغريقية ، فكان يدعو إليها الكثيرين من شعراء الإغريق وأدبائهم وفلاسفتهم وفنانيهم ، وأنشأ جامعة الإسكندرية ومكتبتها الكبرى ، كما أنشأ مدينة بطليموس فى الوجه القبلى ... وجعل عبادة الإسكندر ديناً رسمياً........ وأشرك معه ابنه وخليفته بطليموس الثانى (٢٨٥ق.م) . توفى (٢٨٣/ ٢٨٢ق.م) انظر الموسوعة العربية الميسرة م١/ ص ٣٧٩ .

(٢) اغسطوس= أغسطوس " أول إمبراطور رومانى . ابن بنت أخت يوليوس قيصر الذى تبناه وجعله وريثه دون علمه . اسمه أصلاً أوكتافيوس وبعد التبنى (٤٤ق.م) أكتافيانوس . انظر الموسوعة العربية م١/ص١٧٥ .

(٣) وذكروا أنه كان بوسطها ساعة كبيرة لترتيب سير أهلها وتنظيم شؤونهم اليومية فى الصباح والمساء ومن عجيب أمرها أنها كلما انقضت ساعة من النهار يظهر فيها تمثال رجل من نحاس يحمل بيده مطرقة فيضرب بها جرس الساعة ضربات متوالية على عدد الساعات الماضية من النهار إلى ست ساعات فقط . " (هـ ١ ص ٢٠ إتحاف الأعزة) .

غزة وقدم عروبتها

غزة وقدم عروبتها [١]

جاء فى كتاب الدكتور مارتن مير[٢] عن تاريخ غزة[٣]، أن صلة العرب

(١) بصدد قدم عروبة غزة انظر: مجلة الكلية العربية بالقدس، مجلة تصدرها الكلية العربية أربع مرات فى السنة ، ع٣ ج٢١٨ آيار سنة ١٩٣٨ ٢٠ ربيع أول ١٣٥٧هـ . وجاء فى بحث بعنوان "غزة فى نقوش جنوب جزيرة العرب" لمحمود على الغول ما يلى: "كانت غزة زمناً طويلاً قبل الإسلام سوقاً لتجار جزيرة العرب الوافدين إليها للتجارة مع بلدان الشام ومع مصر على حد سواء يشهد على ذلك فى فترة ما قبيل التاريخ أن هاشماً بن عبد مناف الجد الأعلى لرسول الله ﷺ مات فيها فى حدود منتصف القرن السادس الميلادى وأن عمر بن الخطاب كان يعمل فيها بالتجارة فى مطلع القرن السابع الميلادى، وكان يعمل فيها مبرطساً يكترى للناس الإبل والحمير ويأخذ على ذلك جعلاً. . . وإذا رجعنا إلى نقوش جنوب جزيرة العرب قبل الإسلام فإننا نجد غزة تذكر فى النقوش المعينية. . . حيث كان لمعين دولة فى جنوب جزيرة العرب امتد وجودها من فترة قد تصل إلى آخر القرن الخامس قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثانى أو بداية القرن الأول قبل الميلاد " أ هـ . راجع : الصفحات ٣٦٥ - ٣٧٦ من بحث الغول فى كتاب المؤتمر الدولى الثالث لتلاريخ بلاد الشام (فلسطين) المجلد الثانى جغرافية فلسطين وحضارة عمان.

(٢) مارتن مير : " البروفسور ل. أ ماير - رئيس قسم معهد العلوم الشرقية فى الجامعة العبرية وأحد كبار الخبراء فى العالم بالآثار والفنون الإسلامية ، ومحرر اللوائح السنوية التى تضم أسماء الأبحاث والمؤلفات عن الفن والآثار الإسلامية الصادرة كل سنة فى مختلف اللغات . تخصص فى بحث الرنوك الإسلامية [الدروع وأشكالها وعلاماتها] وألف كتاباً فى هذا الموضوع نشرته له دار جامعة أوكسفورد عام ١٩٣٣ وله فى هذا الموضوع أيضاً سلسة من المقالات الهامة وبحوث فى علم المسكوكات والنقود الإسلامية فى القرون الوسطى . وكتب أبحاثاً علمية أخرى عن الدراهم والنقود الإسلامية نشرتها له كبريات المجلات العلمية والعالمية. ويبحث البروفسور ماير فى فن الكتابة العربية وهو يكتب بصورة دائمية فى المجلة الجامعة [تسجيل الكتابات العربية] الصادرة بالقاهرة باللغة الفرنسية . وقد سبق له أن نشر فى مجلة الجمعية الشرقية الفلسطينية بحثاً مفصلاً عن المنحوتات [النقوش والكتابات العربية] الموجودة فى بنايات غزة القديمة [وأخرجه فيما بعد على شكل كتاب يحمل عنوان " البنايات الدينية فى مدينة غزة] وللبروفسور ماير عشرات من الكتب والبحوث الأخرى . " انظر نبذة عن المستشرقين اليهود وأبحاثهم فى الشرق الإسلامى(ص٩-١٢) . نشرة صادرة عن الوكالة اليهودية .- القدس : فبراير ١٩٤٧ - نشرة رقم ٢١. .

(٣) كتاب ماير عن غزة وهو: HISTORY OF THE CITY OF GAZA - M . A . MEYER =

بهذه المدينة ترجع إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، لأن المرجح بحسب رأى إدوارد غلازر[١]، أن قوماً من العرب المعينيين[٢] أقاموا دولة عظيمة فى شبه الجزيرة العربية، قبل قيام دولة السبأيين، وامتد نفوذهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وكانت مدينة غزة التى أسسوها على الأرجح، من أهم الأسواق لترويج تجارتهم فى البخور والبهارات، وإذا علمنا أن غزة كانت تنتهى عندها طريق القوافل من الصحراء ، ملنا إلى الأخذ برأى إدوارد غلازر عن قدم صلة العرب بهذه المدينة، إن ادوارد غلازر من كبار الرواد ، الذين ارتادوا اليمن مراراً فقد زار مأرب وآثار غيرها من المدن القديمة هناك، وأخذ معه من مأرب نفسها ومن غيرها نحو ألف نقش، بينها نقوش تشير إلى امتداد نفوذ المعينيين إلى مدينة غزة، وترددهم عليها لتفريغ حمولة قوافلهم من البخور والبهارات فيها[٣]، ويظهر من الروايات الواردة عن حروب ملوك الإسرائيليين مع الفلسطينيين، الذين كانوا فى جهات غزة أن العرب استقروا فى غزة وفيما جاورها من الأماكن فى تلك العصور

= وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات كان آخرها طبعة جامعة NEW - YORK سنة ١٩٦٦م .
وقد جاء هذا الكتاب فى مائة وثمانين صفحة (١٨٠) من القطع الكبير .

(١) إدوارد غلازر - edward glazr (١٢٧١ - ١٣٢٥هـ = ١٨٥٥ - ١٩٠٧ م) : " مستشرق ألمانى . ولد فى بوهمية ، وتوفى فى ميونخ . قام بأربع رحلات إلى اليمن ، ووصف كثيراً من أحوالها وآثارها . ونشر كتابات حميرية قديمة ، وآثاراً أخرى أفادت فى معرفة شىء عن ملوك التبابعة وملوك الحبش الذين استولوا على اليمن بعد نكبة نجران. وجمع نحو ٢٥٠ مخطوطاً من مؤلفات الزيديين، وضعت فى مكتبة برلين. كما جمع نحو ذلك فى كتابة قديمة بينها أحجار منقوشة باعها لمتحف لندن وفينا. انظر الموسوعة العربية الميسرة م١ / ص ٢٨٣ .

(٢) هكذا فى الأصل والصواب أن يقول (سموا بالمعينيين).

(٣) يقول إدوارد غلازر : " إن المعينين وجدوا فى غزة وما جاورها من البلاد حوالى فى القرن السابع عشر قبل الميلاد . وأن بنى سبأ جاءوا من بعدهم ما قتلوا ديارهم . وقد استنتج مما تقدم أن المعينيين وبنى سبأ هم أول من أنشأ غزة . وأنهم أول من احتلها من العرب الأوائل الذين وصلت إلينا أخبارهم . وقد أيده فى استنتاجه الأستاذ ماير الذى درس تاريخ هذه المدينة دراسة مطولة . ويفهم من هذا كله أن غزة العربية كانت قائمة فى هذا الوجود حوالى سنة ٣٧٥ قبل الميلاد . انظر تاريخ غزة لعارف العارف ص ١٠ .

القديمة لورود ما يشير إلى ذلك فى التوراة عن أخبار هذه الحروب، فقد جاء فى الإصحاح السادس والعشرين، من أخبار الأيام .. الثانى .. وخرج (أى عزيا ملك يهوذا) وحارب الفلسطينيين، وهدم سور جت وسور يبنى وسور أشدود وبنى مدناً فى أرض الفلسطينيين وساعده الله على الفلسطينيين، وعلى العرب الساكنين فى جور بعل . وحين تقدم قمبيز[1] ملك الفرس من غزة فى طريقه إلى مصر، قاومه العرب مقاومة شديدة، ثم سلموه المدينة وحالفوه ودخلوا فى جيشه، بدليل ما روى عن اشتراكهم مع الفرس، فى الدفاع عن مدينة غزة حين حاصرها الإسكندر الكبير اليونانى ، سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ولكثرة العرب فى الجيش الفارسى، الذى تولى الدفاع سميت الفرقة التى اشتركت فى هذه الحرب : بالحامية العربية، وحين خضعت غزة للإسكندر أخذ منها مقادير كبيرة من البخور والبهارات، وبعث بها إلى معلمه كيونيواس، فبعث إليه هذا بجواب يوصيه به بالتزام جانب الاقتصاد، فى حرق البخور إلى أن يتسنى له فتح البلاد التى تصدره . وفى بعض الروايات المذكورة فى كتاب الدكتور مارتن مير : (أن عمر بن الخطاب عاش فى أيام الجاهلية، مدة ليست قصيرة فى مدينة غزة، وأصاب فيها ثروة كبيرة، ولم يكن عمر ليختار غزة لو لم تكن فيها جالية عربية، أو لو لم تكن من الثغور التى يكثر تردد العرب عليها فى التجارة، فقد كانت تدعى ثغر الجزيرة، ومجئ هاشم جد الرسول ﷺ ووفاته فيها قبل ظهور الإسلام، يقوم دليل آخر على قدم صلة العرب بغزة، وعلى أنه كان لهم فيها جالية كبيرة، سهلت عليهم أمر فتحها فيما بعد على يد القائد عمرو بن

---

(١) قمبيز : " حكم بين (٥٢٩ - ٥٢٠ ق. م) ملك فارس القديمة ابن قورش العظيم وخليفته . غزا مصر سنة ٥٢٥ وهزم أبسماتيك٣ عند بلوزه (الفرما) ، وسحق مدينة ممفيس وأثار شعور المصريين بانتهاكه عامداً حرمة دياناتهم . فكر فى القيام بمزيد من الحملات فى إفريقيا . ولكن صدته بعض العقبات . قامت ضده فى فارس ثورة ومات فى أثناء عودته لإخمادها . خلفه ابنه دارا الأول. " انظر الموسوعة العربية الميسرة م٢ / ص ١٣٩٤ . (مصدر سبق ذكره).

العاص أ.هـ)[1] وجاء فى مجلة الكلية العربية بالقدس[2]، (وقد ترجم لنا حضرة الأستاذ الفاضل أحمد سامح الخالدى[3] مدير الكلية المذكورة نبذة قيمة عن المصادر الإنكليزية) وهى :

---

(١) راجع كتاب ماير ص٢ . The History oF GAZA CITY. P2 .

(٢) الكلية العربية بالقدس وهى أعلى المؤسسات التربوية الحكومية التى تم إنشاؤها خلال فترة الحكم البريطانى. وقد أسست فى مدينة القدس عام ١٩١٨ م. وعرفت بدار المعلمين لأن غايتها كانت إعداد المعلمين للعمل فى المدارس الابتدائية. تعاقب على إدارة الكلية العربية أساتذة أعلام منهم" خليل السكاكينى وخليل طوطح وأحمد سامح الخالدى" راجع الموسوعة الفلسطينية م٣/ ص ٦٦٠. " وبقيام الكلية العربية بدأت مرحلة جديدة فى التعليم عند العرب تؤهلهم للتعليم الجامعى ثم التدريب على التعليم فى المدارس الثانوية الأولى ." راجع مقالة فى جريدة القدس ص ١٧ بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٥م. بعنوان "بعد نصف قرن من الغياب، الكلية العربية فى القدس الشريف – درة النظام التعليمى الفلسطينى.. تصارع للولادة من جديد".

(٣) أحمد سامح ابن الشيخ راغب الخالدى ، أبو الوليد (١٣١٣- ١٣٧٠ هـ) = (١٨٩٥- ١٩٥١ م) . من رجال التربية والتعليم . فلسطينى من أهل يافا ، له عدة كتب ونشر عدة رسائل من قديم المخطوطات فى التاريخ والأدب) انظر الأعلام ١/ ص ١٣٠ . وله ترجمة مفصلة فى كتاب " من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين ليعقوب العودات ص ١٤٦- ١٤٨ . ط٢ .- القدس : دار الإسراء . ويقول محمد عمر حمادة فى ترجمته : " ... بدأ حياته التعليمية مفتشاً للمعارف للوائى يافا وغزة سنة ١٩٢٠ م ، ثم أصبح فى عام ١٩٢٥ مديراً لدار المعلمين فى القدس (الكلية العربية) فمساعداً لمدير المعارف بفلسطين . ومن أبرز نشاطاته الاجتماعية تحقيقه لمشروع اليتيم العربى ، وتأسيسه معهداً لرعاية الأيتام وتعليمهم فى قرية عمرو قرب دير عمرو قرب القدس ، وأنشأ مزرعة فى دير عمرو أصبحت مفخرة من مفاخر عرب فلسطين البنائية . كان رحمه الله مدافعاً صلباً عن عروبة فلسطين وعن الإسلام ، ومن ذلك مقالة (دفاع عن الإسلام) الذى نشرته مجلة الثقافة المصرية عدد أيار سنة ١٩٤٥ م رداً على تهجمات جمعية آسيا الوسطى الملكية فى لندن . بقى فى فلسطين حتى اغتصبها الصهاينة عام ١٩٤٨ ، فانتقل إلى لبنان فكرس حياته لمساعدة شعبه المشرد فى تعليم أبنائه ورفعهم من الذل الذى أصابهم بابتعادهم عن بلادهم ، وبقى مثابراً مجاهداً فى هذا الميدان بكل إمكانياته المادية والروحية ، فتدهورت صحته وأصيب بضعف فى القلب فتوفى فى ٢٧/ ٩ / ١٩٥١ م. بالسكتة القلبية . ترك عشرين كتاباً مابين تأليف وتحقيق وترجمة . " انظر: كتاب أعلام فلسطين " من القرن الأول حتى الخامس عشر الهجرى ومن القرن السابع حتى العشرين الميلادى . / تأليف محمد عمر حماده الجزء الأول / ص ١٨٠- ١٨٢. دمشق : دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ م.

غزة ومركزها التجاري

غزة ومركزها التجارى

"غزة أقصى مدن سوريا جنوباً، وتقع فى بقعة خصبة على حافة الصحراء، وقد كانت هذه المدينة أقصى المدن الفلسطينية المهمة الأربعة الجنوبية، وهى غزة وعسقلان[1] وأشدود[2] وعقرون (عاقر)[3] وكانت ميناء لما وراءها من البلاد والسكان، وسوقاً لجميع القبائل الرحل التى حواليه، وكما كانت دمشق أول محطة سورية على حافة الصحراء، فى طريق الذاهب إلى بلاد آشور، كانت غزة أول مدينة على حافة الصحراء فى طريق الذاهب إلى

(١) عسقلان : " بلدة قديمة بناها الكنعانيون ، ونزلها الفلسطينيون (الكريتيون) فتحها العرب سنة ٢٣هـ على يد معاوية ، واشتهرت بكثرة من نسب إليها من الحفاظ والعلماء . كانت عامرة حتى أيام الصليبيين حيث استردها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ، وعندما حاصرها الصليبيون مرة أخرى أمر صلاح الدين بتخريبها حتى لا يملكها الفرنجة عامرة ، وخربت تماماً ونقلت حجارتها ولم يبق منها شيء ، وتقع خرائبها بالقرب من المجدل . " انظر معجم بلدان فلسطين ص ٥٣٤ .

(٢) إسدود – ISDUD : قرية تقع فى شمال شرقى غزة ، كان بها محطة حديد – القنطرة – حيفا وتبعد عن يافا ٤١ كيلاً ، وتبعد عن الشاطئ نحو خمسة أكيال .. نشأت على ربوة ترتفع ٤٢ متراً عن سطح البحر ، وهى شمال غزة على نحو أربعين كيلاً . يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد وأول من سكنها " العناقيون " من القبائل الكنعانية وسموها "أشدود " بمعنى الحصن . وفى القرن الثانى عشر قبل الميلاد دخلها الفلسطينيون ، وجعلوها إحدى مدنهم الخمس الرئيسية . " انظر معجم بلدان فلسطين ص ١١٣ .

(٣) " قرية عاقر تقع على بعد تسعة أكيال جنوب غرب الرملة ، وهى تحريف " عقرون " السامية بمعنى استئصال ، تقوم على بقعة قرية " عقرون " الرومانية . ذكرها صاحب (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) وقال : إنها قرية كبيرة وبها جامع كبير ، وأهلها كرماء لهم رغبة فى فعل الخير ، ومياهها عذبة ، وليس مثل خبزهم على جادة مكة . وغلط ياقوت وسماها العقر من قرى الرملة . وينسب إليها محمد بن أحمد العقرى الرملى من رواة الحديث فى القرن الرابع . تقع القرية فى الجهة الجنوبية الغربية من الرملة ، وترتفع ٦١ متراً ، ومن زراعتها البرتقال ٢٦٩٥ دونم . " راجع معجم بلدان فلسطين ص ٥١٤ .

بلاد مصر وكانت المركز الذى يجتمع فيه الحجاج فى طريقهم إلى سينا ففيها كانوا يلتقون من جميع الجهات، ثم يتأهبون للسفر، ويسيرون جماعات وكان هؤلاء الحجاج مفيدين لأهالى غزة، وكانوا يكرمونهم لذلك كثيراً ،فكان الناس يدعونهم محبى الحجاج، حتى ولو كانوا يقصدون القدس، فإنهم كانوا يجتمعون من القبائل الرحل وغيرها من الجنوب فى غزة دون الخليل ، وكانت قوافل التجارة تجتمع فيها وتسير منها إلى سائر الجهات إلى مصر وإلى جنوب بلاد العرب. وفى أيام النبطيين(١) إلى بطرا(٢) وتدمر(٣)، وكانت

(١) النبط : نبط بالفتح ثم السكون والنبط بفتح الباء وهو المستخرج بالحفر ولعل سكونه للتخفيف فى هذا الموضع وهو شعب من شعاب هذيل ... قال ساعدة بن جويرية :

أضر به ضاح فنبطا أسالة فمر فأعلى حوزها فحضورها

ضاح - ومر - ونبط - مواضع. راجع معجم البلدان مع المشترك عليه المسمى منجم العمران م٧ / ص ٢٤٧ . " ظهرالأنباط لأول مرة فى القرن ٦ ق.م . قبائل بدوية فى الصحراء الواقعة فى شرقى ما يسمى اليوم بشرق الأردن . وفى القرن ٤ ق . م كان الأنباط قوماً رحلاً يعيشون فى الخيام ويتكلمون العربية ولا يهتمون بالزراعة وفى القرن الثالث تركوا حياة الرعى إلى حياة الاستقرار وعملوا بالزراعة وفى أواخر القرن الثانى تحولوا إلى مجتمع منظم . وأول تاريخ للأنباط يرجع إلى القرن ٢و٣ قبل الميلاد حيث نجحوا فى صد هجمات حملتين عن سوريا بقيادة أنتيغوس أحد حلفاء الإسكندر . وكانت البتراء عاصمة للأنباط . " انظر الموسوعة العربية (مصدر سبق ذكره) ١/ ص ٢٣١- ٢٣٢ .

وكان أول ذكر للأنباط فى التاريخ فى الحوليات الأشورية ، فقد ورد ذكرهم فى سجلات آشور بأنيبال فى أواسط القرن السابع ق . م باسم " النبايط " أو " الباطو " على أنهم إحدى القبائل الآرامية . كما ذكرت تلك الحوليات أيضاً " العزى " الآلهة الكبرى عند الأنباط ". راجع الموسوعة الأردنية ج١/ ص٢١٠ - الأرض والإنسان : الدكتور عبد الله الترزى وآخرون ط١.- عمان : ١٩٨٩م.

(٢) البتراء: مدينة قديمة فى شرق الأردن، قرب سفح جبل حور فى وادى موسى. كانت عاصمة للأدوميين وللنبط فيما بعد،ومركزاً هاماً لتجارة القوافل التى درت عليها ثروة كبيرة عدة قرون. تدهورت فى أواخر العصر الرومانى عندما ازدادت أهمية تدمر. وصلت إليها المسيحية فى عهد مبكر،وفتحها المسلمون فى القرن السابع عشر واستولى عليها الصليبيون فى القرن ١٢ وبنو فيها قلعة تتضمن بقايا مسرحاكبير. ومساكن ومقابر ومعبداً، وكلها منحوتة من صخر ورد اللون. راجع الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، مج١/ دار الجيل، ص٣٢٥ .

(٣) تدمر : مدينة قديمة بوسط سورية ، كانت واحة بين سورية وبابل شمال الصحراء السورية =

بيت جبرين[1] أهم محطة بينها وبين بطرا، وكانت التجارة تنقل إليها كذلك بالقوافل من العقبة، بعد أن تتصل بالسفن في مينا العقبة، ولعل تجارتها مع العقبة كانت مهمة حتى إن سترابو وبليني لم يسترع نظرهما عند الوصول إلى غزة، إلا المسافة بينها وبين العقبة أنها تساوى ١٢٦٠ ستاد يوم أى ما يقرب من ١٦٩ ميلاً بمقياس الوقت الحاضر[2].

= وشمال شرقى دمشق. وبسبب اضطراب أحوال بلاد ما بين النهرين فى القرن الأول ق.م سيطرت على التجارة بين سورية وتلك البلاد وازدادت أهميتها بعد استيلاء الرومان عليها. ويحتمل أن جرمانيكوس ضمها للإمبراطورية الرومانية فى سنة ١٧ وقد تنافست قبائل محلية للسيطرة عليها وفى القرن الثالث خضعت لأسرة سبتميوس، وكان أعظم حكام هذه الأسرة سبتميوس أودناموس الذى هزم الفرس وجعل من تدمر دولة قوية مستقلة استقلالاً ذاتياً، وتكاد تضم كل الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وبعد وفاته بسطت أرملته زنوبيا رقعة الدولة بفتح مصر وأكثر آسيا الصغرى، لكن أطماعا أثارت الإمبراطور أورليانوس الذى هومها وخرب تدمر (٢٧٣) ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. استولى عليها العرب وسحقها تيمورلنك . راجع الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، مج١/ ص٥٠٠. وأشارت الموسوعة الأثرية إلى أن اسم تدمر قديم جداً، فقد ذكر سكانها فى النقوش المسمارية فى القرن التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. انظر بالتفصيل فيما ورد عنها فى الموسوعة الأثرية العالمية، إشراف: ليونارد كوتريل، تأليف نخبة من العلماء، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد، د. زكى إسكندر، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، ط٢، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

(1) بيت جبرين : " قرية عربية تقع عند نهاية السفوح الغربية لجبال الخليل ، على بعد ٢٦ كيلاً شمال غربى الخليل ، وترتفع عن سطح البحر زهاء (٣٠٠م) ويعود تاريخ القرية إلى جبابرة العمالقة ، القبيلة التى سكنت فلسطين (قبل الميلاد) ومعنى بيت جبرين (بيت الأقوياء) . وكانت فى العهد الرومانى عاصمة لأكبر مقاطعة فى فلسطين مدة سنتين ، ثم أعيد بناؤها عام ٦٨م باسم (بيت جيرا) فتحها عمرو بن العاص بعد معركة أجنادين ، وبعد فتح غزة ، كانت تابعة لجند فلسطين ثم نزلها قوم من قبيلة جذام واتخذها الصحابى " واثلة بن الأسقع "مسكناً له .. خربت أيام الصليبيين ثم ازدهرت أيام المماليك ، وأعيد تحصينها أيام العثمانيين. " انظر معجم بلدان فلسطين ص١٨١ .

(2) ورد فى الموسوعة الأردنية ج١ /ص ٢١٠ : " ... وقد اتخذ الأنباط من البتراء عاصمة لهم، فحفروا مساكنها وهياكلها ومدافنها فى الصخر . وورثوا تجارة الأدوميين عبر المحطات الاقتصادية التى كانت مزدهرة فى مملكتهم .. وركبوا البحر الأحمر من أجل توسيع تجارتهم وعلاقاتهم . كما جددوا بناء جميع المدن والمواقع القديمة ووسعوها وأقاموا فيها القصور والهياكل حتى لا يكاد يخلو مكان مأهول ضمن مملكتهم الواسعة من أثر نبطى من البتراء =

وقد كانت غزة زمن اليونانيين بفضل وجود مينائها وقربها من البحر، مجمع تجارة ونفائس بلاد العرب والهند، فكانت تصل إليها مارة ببطرا ومن ثم توزعها بحراً إلى جميع أنحاء الروم، وكان يقابل هذا الخط من التجارة فى الجنوب خط آخر فى الشمال، يأتى من بلاد ما بين النهرين، فتدمر فدمشق فميناء عكا، حيث كان يوزع على موانئ بحر الروم[1] كذلك . وقد

= إلى وادى رم ، إلى منطقة الطفيلة إلى مادبا التى ورثوها من المؤابيين إلى جرش وبصرى اسكيشام وغيرها فى فترة اتساع ملكهم . لذلك كانت البتراء محط أنظار جميع الطامعين فى المنطقة من القوى الخارجية . فكانت هدفاً لليونانيين بعد أن سيطروا بجيوشهم على المنطقة كلها . وقد دفع الأنباط عنهم أطماع اليونان فى المرحلة الأولى عن طريق المال الذى يبذلونه لولاة اليونان فى الشام وفى مصر . ولكن أنطيوخوس الثانى عشر لم يكتف من كنوز الأنباط بالهدايا لا بل أراد السيطرة عليها كلها وإنهاء مملكة البتراء النبطية . فجيش على البتراء ، وخرج رتبال ملك الأنباط لصد الغزاة والتقاهم فى سهل مؤتة حيث قضى على الجيش اليونانى وقتل قائده . وذلك فى عام ٨٧ ق . م . ويحاول أنيجون اليونانى أن يستولى هو الآخر على كنوز البتراء . فيقوم بغزوة مفاجئة ويدخل جيشه المدينة ويسرق وينهب وينسحب فى وقت يكون فيه رجال البتراء فى أعمالهم خارج المدينة . ولكن الأنباط يلحقون باليونانيين الغزاة ويقضون عليهم ويستردون مسلوباتهم . وعندما دخلت الجيوش الرومانية سوريا تمكن الأنباط من تجنب مواجهتها عن طريق رشوة إميليوس سكواريوس الذى أرسله بومبى على رأس الحملة الموجهة إلى المملكة النبطية . وقد اعتمدوا على أسلوب آخر فى تطوير علاقاتهم السياسية وتوظيفها لحماية أمنهم هو أسلوب المصاهرة فكما زوجوا إحدى نبيلاتهم لهيرودوس الأول كذلك صاهروا هيرودوس انتيباس بتزويجه من ابنة ملكهم عبيدة الثانى . وقد شارك الأنباط فى رد الغزوة اليهودية مراراً بصلابة وسرعة وقدرة . خصوصاً عندما غزا إسكندرجانيوس بعض المدن فى شرقى الأردن مثل أم قيس وطبقة فحل وجرش وأعمل فى سكانها التقظيع والتذبيح . ولم يرد شره سوى انتصار عبيدة الأول عليه . وهكذا نرى أن سياسة المهادنة النبطية لم تكن ضعفاً ، وأن استعمالهم القوة العسكرية عند الحاجة أثبت فعالية واضحة . لذلك نرى ملكهم الحارث الثالث يقود جيشاً لمحاولة القضاء على التواجد اليهودى فى فلسطين بين عامى ٦٧و٦٢ ق . م . بعد أن كانت المملكة قد توسعت على حساب مؤاب وعمون . ولكن يبدو أن قيادة الأنباط السياسية قد طرأ عليها شىء من الضعف فى أواخر القرن الأول الميلادى وأوائل القرن الثانى ، مما أدى إلى ضعف مناعة المملكة تجاه الأطماع الخارجية ، فتمكن تراجان من البتراء وضم مملكتها إلى مقاطعة بلاد العرب الرومانية . * راجع بالتفصيل ص٢١١-٢١٤ من الموسوعة الأردنية ج١ . (مصدر سبق ذكره) .

(١) بحر الروم: "الاسم العربى للبحر الأبيض المتوسط، وهذا الاسم مشتق من اسم بلاد الروم =

كانت القبائل العربية قبل ظهور الاسلام وبعده، تجعلها محطة لها فى رحلتها إلى الشام وغزة، لا تبعد عن مصر إلا مسيرة ٨ أيام فقط، فلذلك حرص المصريون منذ ثبات إمبراطوريتهم الاستعمارية على ضم هذه المدينة إليهم، لأنهم رأوا فيها مفتاح بلاد الشرق الأدنى، وخير مركز حربى لجنودهم إذا أرادوا غزو سوريا، وزيادة على ذلك رأوا فى احتلالها ضمانة لتجارتهم، فتجد أن فراعنة القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد احتلوها، أو حاولوا وضع يدهم عليها ٤ مرات، وأول ذكر لها فى سجلات المصريين وارد إلى رسائل تل العمارنة[1]، فى رسالة من حاكمها الذى كان يحكمها باسم الدولة المصرية، ولما وقعت غزة فى يد السلوقيين ورثة الإسكندر فى سوريا، واحتل البطالسة مصر، رأوا أن احتلال غزة أمر حيوى لدولتهم، فحاولوا ذلك مراراً ولما تضعضعت دولة السلوقيين فى فلسطين، وقامت دولة المكابيين حاولوا الاستيلاء عليها أولاً فلم يفلحوا، لأن مصر كانت تحميها وتدعمها، ولكن لما تخلت مصر عن حمايتها دخلوها كما سيأتى بيانه.

= أى الإمبراطورية البيزنطية . ويطلق على هذا البحر أسماء أخرى مثل "بحر المغرب" أما اسم "أدريا" الذى كان يطلق فى الأصل على البحر الإدرياتيكى فقط فكان يطلق فى العصور القديمة المتأخرة على جزء من بحر الروم يمتد ناحية الشرق" . انظر : دائرة المعارف الإسلامية م٣ / ص ٣٧٧ . مصدر سبق ذكره .

(١) تل العمارنة : "اسم عربى للبلد الذى أقيم على أنقاض العاصمة التى أنشأها أخناتون حوالى (١٣٦٥ .ق.م) فى قلب الوادى من إقليم الأشمونيين وأسماها (أخت آتون)(أفق آتون) فجعل فيها قصره وبلاطه وجميع المؤمنين بمذهبه. وأوصى بأن يدفن فى صخورها هو وآل بيته. لم تعمر العاصمة بعد أيام بانيها وخليفته (سمنح كارع) كانت مبنية باللبن وجرت فيها الحياة حرة طليقة دون مشقة. نقلت بعض أنقاضها إلى الأشمونيين، ونقلت أجمل آثارها إلى متاحف أوروبا وبخاصة متاحف ألمانيا. ومنها رأس نفرتيتى "انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٥٤٢. ورسائل العمارنة هى: مجموعة من رسائل الود والسياسة. تبادلها قصر فرعون فى القرن ١٤ق.م. مع ملوك الشرق العربى وأمرائه منقوشة بالخط المسمارى باللغة البابلية الأشورية على قطع من الطين تعتبر من الوثائق التاريخية التى أمكن على ضوئها رسم صورة لحياة الشرق العربى وسياسته فى ذلك العهد كان عدد الرسائل فيما لا يقل عن ٦٠٠ . وهلك ما يقرب من نصفها ، ووزع ما تبقى منها بين دور الآثار فى العالم. راجع الموسوعة العربية ١/ ص٨٦٦ .

غزة والإسرائيليون

غزة والإسرائيليون [١]

لم تقع غزة قط فى ملك بنى إسرائيل، ومع أن ملكهم فى زمن سليمان وحزقيا قد توسع كثيراً، فإنه لم يصل إلى أكثر من أبوابها، ولم يدخل،

(١) ورد فى موسوعة كل مكان وكل أثر فى فلسطين ما يلى :
(عزات) = غزة مدينة عربية فى السهل الساحلى الجنوبى ، فى وسط القطاع الساحلى المسمى بقطاع غزة . فى مكان مدينة قديمة عثر على تلها الأثرى بالقرب من شاطئ البحر فى ضواحى المدينة الحالية . عدد سكان مدينة غزة زهاء (١٢٠) ألف نسمة منهم لاجئون من حرب ١٩٤٨ . وفى المدينة ميناء صغير ومشاريع صناعية قليلة . تاريخ غزة : كانت فى الزمن القديم -مدينة هامة على الأطراف الجنوبية- الغربية لأرض كنعان ، ومحطة هامة على (الطريق البحرى) من مصر إلى بلدان الشمال ، ومدينة ميناء على شاطئ البحر المتوسط ، وذكرت فى وثائق مصرية وآشورية باسم (ازت) أو (حزت) ، وذكرت فى التوراة مرات عديدة . وفى عهد الاستيطان الإسرائيلى القديم . كانت إحدى المدن الخمس للفلسطينيين القدماء . وكانت قد شملت فى منطقة بنى يهودا ، لكنها فى معظم الحقب التاريخية كانت مدينة أجنبية معادية!! وفى عهد القضاة وفى زمن الهيكل الأول -كانت مدينة فلسطينية ، وفى عهد الهيكل الثانى-مدينة هيلينية . واحتلت من قبل (آلكسندريناى) . وفى العصر الرومانى -أعلنت مدينة حرة ، وفيها شملت ضمن سيادة سوريا . وفى عهد التمرد ضد الرومان دمر المتمردون الجانب الأكبر منها . وفى العصر البيزنطى كانت مدينة هامة ومزدهرة . وفى هذه الحقبة التاريخية كانت توجد فيها أيضاً طائفة يهودية وكان أبناء الطوائف اليهودية فى جنوب (البلاد) يجتمعون فيها بخوف ووجل بعد أن منعوا من دخول القدس . وفى القرن السابع احتلت من قبل العرب واستمر اليهود فى البقاء فى غزة طيلة العهد العربى . وفى العهد الصليبى تحولت إلى مدينة محصنة . وفى عام ١١٧٠ احتلها صلاح الدين الأيوبى . وقد تحدث اثنان من الرحالة وهما الحاخام عوبدياه من (برتنوره) والحاخام مشولم من (فولتيره) عن وجود طائفة يهودية وأخرى سامرية فى غزة فى منتصف القرن الـ ١٥ . وفى عام ١٦٦٥ تحولت غزة إلى مركز روحى لحركة اليهود (الشبتايم) من قبل نتان إشكنازى (الغزاوى) ومساعده شبتاى تسفى . وفى عام ١٧٩٩ احتلت غزة من قبل نابليون ، وبقيت الطائفة اليهودية فى غزة لغاية عام ١٨١١ ، وفى عام ١٨٨٠ عادت وظهرت فيها بضع أسر يهودية . وفى الحرب العالمية الأولى احتلها البريطانيون بعد معارك ضارية . وفى أحداث ١٩٢٩ غادر غزة آخر اليهود . وفى عام ١٩٤٨ كانت قاعدة للجيش المصرى، وبعد حرب ١٩٤٨ كانت قاعدة لنشاطات المقاومة الفلسطنية =

والسبب فى ذلك راجع إلى الحماية المصرية التى كانت عليها، وفى زمن المكابيين حاول اليهود إخضاعها، فخضعت لهم المدن الفلسطينية التى شمالها مثل: أسدود وعسقلان، ولما وصلها المكابيون بقيادة يوناثان، أحرقوا ضواحيها فاضطرت غزة لفداء نفسها بالمال دون أن يدخلوها ،وأول من دخلها من اليهود (إسكندريانوس) سنة ٩٦م، فإنه انتهز فرصة انسحاب الجنود المصرية،وبعد أن حاصرها مدة سنة أقفرت فيها جميع ما حولها من الأراضى الزراعية، وتخربت تلك المدينة العامرة ودخل المدينة بالحيلة فأحرقت مبانيها ووضعت أهلها طعمة للسيف. وكان أعداء اليهود فيها الفلسطينيون والعرب فالعرب يرد ذكرهم مرتين فى تاريخ (يهوذا) الحربى وورد فى (سفر المكابيين) أن حملاتهم ضد المدن الفلسطينية كانت موجهة إلى الفلسطينيين والقبائل الرحل وفى زمن (إسكندر يانيوس) كانت غزة تتطلع للمساعدة عبر الصحراء من الملك أرنياس الغربى النبطى فى بطرا ولما غزا بمبيوس[1] سوريا آتياً من الشمال تحضر الملك أرنياس للاستيلاء على

= ضد (إسرائيل) واحتلها الجيش الإسرائيلى فى عملية (قادش) (١٩٥٦)، ومن ثم عاد الجيش الإسرائيلى واحتلها مرة ثانية فى حرب الأيام الستة . ومنذ ذلك التاريخ وغزة تحت السيطرة الإسرائيلية . الآثار القديمة : فى تل غزة (نقطة خريطة ١٠٠--١٠٠٠) اكتشف قسم من المدينة القديمة حيث توجد آثار لسور وأبنية من مختلف الحقب التاريخية وفى مبنى المسجد الكبير يوجد عامود حجرى محفور عليه اسم(حنانيا باريعقوب) بالعبرية واليونانية تحت رسم لسراج، وبوق وفاكهة كباد وشعنينة. وعلى شاطئ البحر ، إلى الجنوب من الميناء، اكتشف أرضية فسيفساء لكنيس . كما عثر فى ضواحى المدينة على قبور عليها كتابات بالعبرية واليونانية ، وكتابات سامرية وحمام سامرى . وفى المدينة يوجد قبر ينسبه العرب إلى «شمشون الجبار» الذى يسمونه(أبو العزم). انظر كل مكان وكل أثر ج٢ ، ترجمة وطالعة: عيد حجاج، ط١ عمان ١٩٩٠م/ منشورات الجامعة الأردنية-مركز الدراسات العبرية . وبصدد غزة والإسرائيليين. انظر تاريخ غزة لعارف العارف ص٣٣-٤٤ .

(١) بمبيوس (جنايوس بومبيوس ماجنوس) (١٠٦ - ٤٨ق . م) : قائد رومانى . أدى خدمات جليلة فى عدة ساحات للقتال ، مما حدا بالدكتاتور إلى السماح له بإقامة مهرجان للنصر ، على خلاف العرف ، بل منحه لقب (الأكبر) (٨١ق .م) وقبل أن يتولى القنصلية أو غيرها من أدنى المناصب العامة ، منح (٧٦) سلطة بروقنصل ، للقضاء على بقايا أتباع ماريوس فى =

القسم الجنوبى من فلسطين ولكنه اضطر للتنحى لما وصلت جيوش بمبيوس منتصرة عام ٦٤م ثم قام بومبى ضد أرنياس .. بالحرب النبطية لأنه رأى ضرورة إنقاص قوة بطرا حتى لا تكون خطراً على مستعمراته فى الشرق ولكنه اضطر لترك الحرب فى وسطها والرجوع إلى روما فأخذها عنه نائبه سكاورس الذى قام بحملة عبرالأردن فشل فيها فأعطى لأريناس حق استعادة أملاكه حتى دمشق مقابل بعض المال.

* * *

= أسبانيا . وعند عودته إلى إيطاليا (٧٢) تغض على بقايا ثورة العبيد بزعامة سبارتاكوس . ... كان بومبى قائداً ناجحًا دون أن يكون فذاً ، وكانت أخص عيوبه الغرور والجهل بالأمور السياسية . كانت حياته العامة مثلاً صارخاً للخروج على العرف والقواعد الدستورية ." انظر الموسوعة العربية ١/ ص٤٤٥- ٤٤٦ .

غزة تحت النفوذ الأوروبى

أول ذكر لغزة فى الكتب الأوروبية القديمة وارد فى هيرودتس[١]، فهو يذكر أنها تضاهى سارديس[٢] عظمة وحركة تجارية، وكما اهتم المصريون القدماء بغزة اهتم بها الإسكندر، عندما أتى مصر غازياً فحاصرها مدة ٥ أشهر، اضطرت بعدها للتسليم وقد أيده فى هذا الرأى نابليون[٣] فيما بعد، ذلك الذى قال إنها ضرورية لحكم مصر، سواء فى غزو مصر أو إدارتها ثم دخلت فى حوزة السلوقيين وزاحمهم عليها البطالسة لأهميتها لهم ، كما

(١) هيرودت : " (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م) مؤرخ إغريقى ينحدر من أسرة كريمة . ولد فى هاليكارناسوس بآسيا الصغرى ، وعاش حتى بداية الحروب البلوبونيزية ٤٣١. زار بلاداً كثيرة كانت مصر من بينها . كتب عن الصراع بين الإغريق والفرس ، ورجع فى تتبع العداء بين اوروبا وآسيا إلى أقدم العصور . كان كاتباً موهوباً ، واسع الأفق ، ذكى الفؤاد ، طلى الذوق، شغوفاً بتسجيل الطريف والغريب ، بارعاً فى الوصف ، قديراً على صياغة مايسمعه من القصص بأسلوب عذب فياض ، يستأثر بانتباه السامع فيستحوذ عليه ، وينتزع منه الإعجاب انتزاعاً . لكنه لم يوجه قدراً كافيًا من العناية إلى دقة التفاصيل ، وتورايخ الحوادث . وتحليل الأخبار ونقدها ، والتفرقة بين الحقائق والأساطير . ومع ذلك هو خليق بمكان ملحوظ فى تاريخ الإنسان والحضارة ، فهو كما وصفه شيشرون : " أبو التاريخ " لأنه أول من عالج التاريخ لا باعتباره مجموعة حكايات شائقة عن الآلهة والبشر ، بل باعتباره موضوع بحث علمى ، ولأنه هو الذى خلق فلسفة التاريخ ، وإن كانت فلسفته بدائية ترجع إلى أصداء الأفكار السائدة بين أوساط الناس فى عصره ، فهو يفسر الأحداث ، إما بتداخل النساء أو الآلهة أو هذين الفريقين معاً . " راجع الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ص١٩٢٦ .

(٢) ساردیس : " مدينة قديمة كانت عاصمة مملكة ليديا فى غرب آسيا الصغرى . استولى عليها الفرس ، وفيما بعد الرومان . هدمها تيمورلنك . كانت أحد المراكز المبكرة للمسيحية ، وشيدت فيها إحدى كنائس آسيا الصغرى السبع . كشفت الحفريات بين أطلالها عن نقوش حيثية هامة . " الموسوعة العربية ١ / ص٩٤٣ .

(٣) نابليون : " إمبراطور الفرنسيين وقائد الحملة الفرنسية الصليبية . ولد سنة ١٧٦٩ . ومات بداء السرطان سنة ١٨٢١ " انظر ترجمته فى الموسوعة العربية (ص١٨١٢ - ١٨١٣) . وانظر كتاب : حياة نابليون تأليف حسن جلال . سلسلة المعارف العامة .

أسلفنا ثم دخلت بعد ذلك تحت حكم المكابيين، (وكما ورد ذكره) ولما احتلها الرومان[١] على يد بومبى وجعلها مدينة حرة سنة ٦٢ ق.م، وفى سنة ٥٧م أعاد القيصر ألوس كابييوس بناءها فى مكان أقرب إلى مينائها من مكانها القديم، وفى سنة ٣٠م منحها القيصر إلى هيرودس، ولكن عند وفاة الأخير أُخذت من اليهود ، وأضيفت إلى الولاية السورية الرومانية[٢] .

* * *

(١) الرومان : الإمبراطورية الرومانية المقدسة- انظر : الموسوعة العربية الميسرة. مج١/ ٢١٩. روما. انظر المصدر السابق ١/ ٨٩٨ .

(٢) راجع ما كتبه العارف (ص٦٦ - ٧٢) (غزة تحت سيطرة الرومان) .

غزة والثقافة العلمية والأديان

أصبحت غزة فى القرنين الثانى والثالث للميلاد مركزاً للتجارة والحضارة اليونانية، وقد كانت فيها مدرسة من الأدباء اشتهرت برسائلها وسفرها ، كما اشتهرت مدرسة الرها بفلسفتها الصوفية العميقة، ويذكر كاتب من القرن الرابع أنه كان فى غزة مدرسة لعلوم البلاغة، وقد أدى قربها من الإسكندرية أن ألقيت فيها دراسة الأدبيات القديمة، مدة أطول من جميع مدن سوريا سواها، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن اضطرارهم كرهاً إلى التحويل إلى المسيحية، جعلهم يميلون إلى هذه الناحية من الحضارة القديمة.

* * *

غزة
وتمركز الوثنية فيها

غزة وتمركز الوثنية فيها[١]

جلب الفلسطينيون معهم عند حلولهم بغزة وغيرها من البلاد التى احتلوها جميع آلهتهم من كريت[٢]، وأصبحوا بعد ذلك يحصرونها بآلهة اليونان[٣]،

(١) انظر فصل: غزة الوثنية فى (تاريخ غزة) لعارف العارف (ص٧٣ - ٨١) وقارن مع ما ورد عند الطباع .

(٢) (كريت) : أكبر جزيرة باليونان (٨٣٨٠ كم و ٤٦٢١٢٤ نسمة تقع فى البحر المتوسط ، على بعد نحو ٩٦ كم من صلب بلاد اليونان . عاصمتها كانيا . تمتد نحو ٢٥٧كم . من الشرق للغرب وتعتبر الحد الجنوبى لبحر إيجه . وأكبر مدنها كانديا . وكريت جزيرة جبلية إلى درجة كبيرة . ترتفع إلى ٢٤٥٨ م . فى جبل أيدا . ... حضارتها المنوثية القديمة (نسبة إلى الملك مينوس الأسطورى) من أقدم حضارات العالم. وبلغت أوجها ١٦٠٠ ق. م، ثم انتهت فجأة وبصورة غامضة . وقد وجدت آثار رائعة فى كنوسوس ترجع لهذه الحضارة. استوطنها الدوريون فيما بعد ، واسسوا كثيراً من المدن المزدهرة ، ومنها كنسوس ، وسيدونيا (كانيا حالياً) . ورغم أهمية كريت باعتبارها مركزاً تجاريا ، فإنها لم تلعب دوراً هاماً فى التاريخ السياسى لليونان القديمة . استولى عليها الرومان (٦٨-٦٧ ق. م) والعرب ٨٢٦ الذين انتزعوها من الأباطرة البيزنطيين حتى استعادها نيسفورس ٢ (٩٦١) . استولت عليها البندقية ٤-١٢٠ . وتركيا سنة ١٦٦٩. أدت ثورة الكريتيين (١٨٩٦- ١٨٩٧) إلى نشوب الحرب بين اليونان وتركيا . وهزمت اليونان هزيمة تامة ، ولكن الدول العظمى أجبرت تركيا على الجلاء عن كريت سنة ١٨٩٨م . واحتلت الجزيرة حتى سنة ١٩٠٩م ، وفى سنة ١٩١٣ اتحدت مع اليونان رسمياً . (انظر الموسوعة العربية م٢ ص ١٤٥٨-١٤٥٩ . محمد شفيق غربال وآخرون . بيروت : دار إحياء التراث العربى ١٤٠٧= ١٩٨٧ م . وراجع المنجد فى اللغة والأعلام / ط ٢٥ بيروت : دار المشرق ١٩٨٦ م . القسم الثانى ص٥٨٨ . حيث أورد عنها: (... اشتهرت قديماً بمدنيتها التى انتشرت على سواحل المتوسط الشرقية .) يقول ديورانت عن هذه الجزيرة [كريت] " ... فى وسط البحر القاتم كلون النبيذ أرض تسمى كريت ، وهى أرض جميلة غنية يحيط بها الماء ، وفيها خلق كثيرون يخطئهم العد ، كما أن بها تسعين مدينة ، لما أنشد هومر هذه الأبيات ، ولعل ذلك كان فى القرن التاسع قبل الميلاد، كانت بلاد اليونان قد نسيت أو كادت تنسى ، وإن لم ينس الشاعر أن الجزيرة التى بدت له عظيمة حتى ذلك الوقت ".

(٣) " آلهة اليونان " (... وكان لكل إله من الآلهة أسطورة (mythos) اى قصة ، متصلة =

ولكن غزة وعسقلان احتفظت بالطابع القديم لهذه الآلهة، وكان لكل مدينة آلهتها فكان فى عسقلان (منلائش وتاروح الفينيقية وبكروتو) .

أما فى غزة فكان أعظم آلهتهم مارنا[1]، وهى لفظة سامية معناها مولانا،

---

* تشرح سبب وجوده فى حياة المدينة ، أو تفسر الطقوس التى تقام تكريماً له . وقد أصبحت هذه الأساطير التى نشأت نشأة تلقائية مما فى المكان ومما لدى الناس من معارف ، أو كانت من وضع الشعراء وزخرفهم ، أصبحت هذه الأساطير عقيدة اليونان الأوليين ، وفلسفتهم وآدابهم وتاريخهم جميعاً ... فمنهم آلهة السماء وآلهة الأرض وآلهة الخصب والآلهة الحيوانات ، وآلهة ما تحت الأرض وآلهة الأسلاف والأبطال ، والآلهة الأولمبية وأما (أسماؤها جميعاً فهو مما يشق على الإنسان ذكرها . " انظر : قصة الحضارة / لول ديورانت ج٦/ ص٣١٩ . وراجع بهذا الصدد كتابا مهماً وشاملاً لهذا الموضوع وهو " أساطير اليونان " تأليف: د. عماد حاتم - بيروت - لبنان : دار الشرق العربى ص. ب ١١/٦٩١٨ . حلب - سوريا ص. ب ٤١٥ . الطبعة الأولى : الدار العربية للكتاب ١٩٨٨ ، الطبعة الثانية : دار الشرق العربى ١٩٩٤ ، عدد الصفحات : ٧٠١ص . وانظر : موسوعة الأديان السماوية والوضعية مثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ويليه معجم المعبودات القديمة . تأليف : حسن نعمة، بيروت:دار الفكر ، ١٩٩٤م . وانظر : قاموس أساطير العالم لآرثر كورتل ترجمة : سهى الطريحى ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ط١ - ١٩٩٣م .

(١) مارنا : هذا هو إله المدينة نفسها . إنه الرب الأكبر الذى كانوا يلجأون إليه فى جميع الأحوال، ويظن أنه مشتق من الكلمة السريانية (ميرونا) ، ومعناها أميرنا وسيدنا ومولانا . ومعبده مارنيون كان من أكثر المعابد تقديساً وتعظيماً لدى الغزيين، إذ كانوا يعتقدون أنه (إله غزة) الذى بيده خيرها وشرها ، وكانوا يلجأون إليه فى جميع الأوقات ولاسيما فى أيام الشدة والقحط والجوع ، وكثيراً ما ذكره القديس جروم (JROME -ST) فى كتابه عن غزة . ولقد وجدت صورة هذا الإله على بعض النقود التى سكت فى عهد الإمبراطور هادريانوس ، كما سك عليها اسم غزة . وقصارى القول أن هيكل مارنيون هذا كان ينافس هيكل الإسكندرية) انظر تاريخ غزة لعارف ص٧٥. ويؤكد الشيخ عثمان الطباع أن مكان المعبد هو الجامع الكبير الآن . يقول الطباع : (... وقد كان موضع بيت الصلاة فيه هيكلاً وثنياً لعبادة الأصنام والشمس والكواكب فى عهد اليونان ثم أحرق فى عهد الروم المسيحيين أزيلت آثاره وبنى موضعه بعد تطهيره بالنار كنيسة بسعى القديس برفيريوس أسقف غزة على نفقة الملكة أفذوكسيا زوجة الملك أركاديوس). (إتحاف الأعزة/ قسم التاريخ/ مج ٢/ ص ١٠٦) . يقول الدكتور لويس موصيل :"إن غزة كانت من أكثر المدن المتعصبة لعبادة الأصنام ولاسيما عبادة الإله مرناس يحجون إلى هيكله من الأقطار المجاورة " انظر مقالة الدكتور لويس موصيل التى بعنوان "آثار قديمة للنصرانية فى غزة وضواحيها" ص٣١١ فى مجلة المشرق السنة الأولى العدد ١٥ آذار ١٨٩٨م بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٨م .

وكان مركز عبادته فى (هيكل المرنيوم)[١] وسط المدينة، وكان مركزاً لتلقى الوحى، وكانت تقدم له الضحايا البشرية كما كان الاعتقاد السائد.

ويظهر أن الفلسطينيين حاولوا أن يضحوا بشمشون[٢] على نفس المذبح، وكانت تقام فى غزة أعياد كثيرة ،أهمها (عيد الميوما)، كان يعقد فى مارس ويدوم ثلاثة أيام تكريماً لدونيسوس وأفروديت، وكان يحتفل به ليلاً، وتمثل فيه الروايات، وتقرض المشاهد الجميلة، وتقام المشاعل ولما أصبحت بعد ذلك مدينة بحرية مهمة ،صارت تعبد أفروديت البحرية[٣]، وتمثل مولد أفروديت من البحر، ولكن مارنا هو الرئيس الأكبر وحامى المدينة، وقد اكتشف تمثال منذ مدة فى تل العجول[٤]، يظن أنه تمثال مارنا وهو يشبه تمثال

(١) هيكل المرنيوم : كان فى غزة ثمانية هياكل للوثنيين ، وكان الغزيون يتعبدون آلهتهم فى هذه الهياكل . . . ومن ضمنها هيكل المرنيون وهو معبد الرب العظيم تقدم ذكره انظر تاريخ غزة ص٧٥ (المحقق) .

(٢) شمشون : وهو (شمشون بن منوا بن إلياث أحد بنى شوشم بن دان بن يعقوب حكم فى بنى إسرائيل عشرين سنة . فصارت سنو الدنيا آخر زمانه أربعة آلاف عام وأربعاً وأربعين سنة. وكانت بنو إسرائيل فى ذلك الزمان قد أتركوا من الله . فأسلمهم الله فى أيدى الفلسطينيين ، فملكوهم دهراً ، وعنفوا عليهم . وكان هذا شمشون من عظماء سبطه . وهو الذى لم يكن أحد فى قوة بدنه .) راجع كتاب " تاريخ العالم تأليف : أوروسيوس ، الترجمة القديمة (منتصف القرن الرابع الهجرى) حققها وقدم لها د. عبد الرحمن بدوى .- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت : ط١ .- ١٩٨٣ م . ص١٢١- ١٢٥

(٣) معبودة إغريقية ، إلهة الحب والجمال عند الإغريق ، " أم ايروس " وابنه " ريوس " من "هير " . ولدت من زبد البحر وتزوجت " ابفستو " يقابلها لدى الرومان الإلهة " فينوس " ولدى الفينيقيين " غستروت " . انظر ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم المعبودات القديمة لحسن نعمة ص١٤٥ مصدر سبق ذكره .

(٤) تل العجول: (تقع فى جنوبى غربى "غزة " على مساحة سبعة كيلومترات منها . نقب فيها بين عامى ١٩٣٣،١٩٣٥ ويرى بعضهم أن غزة القديمة كانت مقامة على هذا "التل". بلغت مساحتها ١٢هكتاراً (الهكتار٠٫٥ و٢ من الفدان) وقد امتدت يد التحسين فى العصر المعدنى إلى كثير من الصناعات التى كان الناس قد تعلموها ، كما تقدمت صناعة بناء المنازل والزراعة التى تعتمد على الرى وتربية المواشى وغيرها . انظر: بلادنا فلسطين / لمصطفى مراد الدباغ ج١ ص٣٦٨-٣٦٩ ط٢ .- كفر قرع : دار الهدى ، ١٩٩٢م . (: " بيت جلايم betglaim =

= وبقعتها تعرف اليوم " بتل العجول " على بعد سبعة كيلو مترات للجنوب من غزة . وكانت ميناءً له علاقات تجارية واسعة مع مصر وسوريا وجزر البحر الأبيض المتوسط وقد اكتشف فيها سنة (١٩٣٣ - ١٩٣٤) مصوغات وحلى وذهب وفير مما يدل على يسرها العظيم. نفس المصدر (ج ١/ ص ٤٤٩).

" وقد اكتشف آثار عصر البرونز فى " جارر " والخيش " المار ذكرها ، وفى تل العجول وغيرها . (ج١/ ص٣٦٨). راجع ما أورده الطباع فى (ص ٢٦٢-٢٦٣) من هذا الكتاب وهو يتحدث عن غزة القديمة " دائن " فيقول : " وبقرب القرية موقع مرتفع يعرف بتل العجول كان عنده مدينة غزة القديمة ، وسكنها الجبابرة الرعاة واتخذوها عاصمة لهم قبل المسيح بألف عام وجاء فى التاريخ أن الهيكسوس ملوك الرعاة من العمالقة شيدوا مدينة غزة بموقع تل العجول وذلك قبل دخولهم مصر وبعد خروجهم منها ، عاد قسم منهم إلى مدينتهم التى شيدوها قبل خمسة قرون ، واستخرج منها تمثال جليات وكان حولها سور عرضه متران ونصف بارتفاع ١٥٠ قدماً ونفق عند باب المدينة ينتهى خارجها طوله ٥٠٠ قدم . ثم أنشأت على أكمة مرتفعة وأحيطت بسور قوى وبرج حصين طوله ٢٧٠ متراً بارتفاع ٧٦ متراً وتكرر تخريبها وتعميرها وفى سنة ٥٧ ق. م أعاد القيصر كابيتوس بناها فى مكان جديد ، أقرب إلى ميناءها القديم وكان الملك قسطنطين أنشأ ميناءها القديمة وكان اسمها " ماجونا " وأقيم هناك قلعة حصينة وقد أرسل التمثال المذكور إلى الأستانة سنة ٣١٦ ق.م ، وقد صار فيها بعد الاحتلال [البريطانى] حفريات عميقة واستخرجوا منها آثاراً كثيرة ووجدوا بها بقايا دكاكين ودور وقبور وأسلحة ودراهم وأوانى خزفية وتماثيل وحفائر ، وكانت الوثنية بها رائجة وكذلك مدينة الدميثة القريبة منها وتعرف بخربة الدميثة بل أكثر الخرب التى تقدم ذكرها كانت وثنية ثم انقلبت إلى رومية مسيحية ثم إلى عربية إسلامية وبتلك الجهة مزار الشيخ نبهان ابن الشيخ غزار أبو ذقن .... وكان العمران متصلاً من دير الداروم إلى دير سنيد لطيب الموقع وكثرة السكان " أ.هـ. ص ٢٦٢- ٢٦٣. الجزء الأول.هـ.ط. ، تعتبر غزة القديمة من أكبر مدن فلسطين الجنوبية . كانت مدينة المرحلة الثانية من هذا العصر هذه تبدو على شكل منظم ومنسق ، فالأبنية منسجمة مع بعضها ، وقد تقيدت بالخطوط التى رسمتها امتدادات الشوارع ، وتم من خلال الأجزاء التى تم التنقيب عنها الكشف عن شارع يمتد من الشرق إلى الغرب ، ويقابله شارع آخر يمتد من الشمال إلى الجنوب . وكانت الضواحى أكبر من مثيلاتها من مجدو وغيرها من المدن الأخرى ، وقد جاء نسق تنظيم المنازل والمعبد وكذلك المستودعات كل حسب الوظيفة التى تقوم بها كل منها . انظر كتاب " جنوبى بلاد الشام تاريخه وآثاره فى العصور البرونزية / للدكتور خير نمر ياسين ، منشورات لجنة تاريخ الأردن - سلسلة الكتاب الأم فى تاريخ الأردن ص١٤٩. وفى ص ١٣٣ يقول الكاتب عن المكتشفات التى اكتشفت من الأدوات والأوانى - الجعلان والمرمر ، أدوات القاشانى، الأدوات المعدنية. الجعلان: مع أن =

زفس اليونانى، وكان حوله من الآلهة زفى[١] ونيقوفارس[٢] وأبولو[٣] وأفروديت[٤]، وغيرهم لأنهم كانوا يعتقدون أنه أبو الإله والنير، وقد كانت ديانة مارنا خصماً عنيفاً للمسيحية، قارعتها مدة طويلة، وأول شخصية مسيحية فيها هو " هيلاريون " ، الذى درس فى الإسكندرية، واعتزل فى مكان قرب غزة، وتمكن من شفاء أبناء امرأة رومانية مسيحية، فاشتهر أمره وصار الناس يميلون إلى حياة العزلة، وتمكن آخر مسيحى من سبق أحد أتباع (مارنا)، بعد أن كاد يفشل فى سباق الخيل، وادعى أن ذلك بمساعدة القديس (إينا ليكوس)، فرأى الناس أن النزاع هو بين الدينين المختلفين لا بين الأشخاص، وقد جعل (قسطنطين) ميناءها ميوما مستقلة ،لأن غالب عمالها مسيحيون، وسواد غزة الأعظم وثنيون وسماها (قسطنطينة)، وجعل لها أسقفًا، ولكن (جوليان) الجاحد ألغى هذا الامتياز، وجعلها تابعة لغزة،

= الجعلان منسوبة إلى مصر، غير أن ما عثر عليه فى هذه البلاد من جعلان يفوق ما عثر عليه فى مصر . إن ما يميز أشكال هذه الجعلان بالإضافة الى أنها مصرية الطابع ، كونها متأثرة بالمدرسة الفنية السورية الحيثية ، فالرداء المنقوش على هذا الجعل هو الرداء السورى الحيثى الحورى . المرمر : (الألباستر) أ . هـ.

(١) زفى : زفى معبود يونانى ، وهو نفسه زيوس . انظر: معجم المعبودات القديمة ص٢١٥ .

(٢) وردت نيكس فى معجم المعبودات ص٢٨٦ وهى معبودة إغريقية ، وهى ربة الليل ، المحبت كلاً من " أثيرا " و"هيميرا" و" تمسيس " .

(٣) ابولو : Apoll معبود يونانى ، إله النور والفنون والجمال عند اليونان ، ويعتبر اجمل آلهة الميثولوجيا القديمة . انظر : معجم المعبودات ص١٣ .

(٤) أفروديت: إلهة الحب والجمال والاخصاب، ابنة زيوس من ديونا وزوجة إله الحدادة هينا يستوس. ولكنها أحبت إله الحرب فأنجبت منه أروس إله الحب. كانت تسمى قبرس وكوتيريا لأن عبادتها انتشرت بهاتين الجزيرتين وكانت تعبد أيضاً فى أثينا وكورنثه، ويقال إنها هى المعبودة الشرقية (عشتروت) جاءت عبادتها إلى اليونان متأخرة وكانت تسمى أيضاً بانديموس أى إلهة الخلق أجمعين. وعندما قدم لها باريس التفاحة التى اختلفت عليها الربات كافأته على ذلك بأن وهبته أجمل امرأة فى العالم هلينا التى من أجلها نشبت حرب طروادة فكان لزاماً على أفروديت أن تقف إلى جانب الطروادين فى هذه الحرب تسمى فينوس عند الرومان. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، مج١/ ص١٧٧.

وجعلت الإدارة قسماً بين أهل البلدين، وإن ترك لأهل ميوما الحرية فى شؤونهم الدينية، ولكن لما ازداد (جوليان) جحوداً وكفراً، تقوى أتباع (مارنا) وبدأوا يتعسفون مع المسيحيين قتلاً وتشتيتاً، وبقى مارنا ويسوع يتنافسان فى شوارع غزة، إلى أن أتى لها لأسقف (بريفريوس) سنة ٤٠٢م، وقد تلقى الغزيون محبته بالتحقير ولوثوا طريقه، وكانوا يشتمونه حتى أتت مدة قحط فدعا الوثنيون مارنا ليمطروا وقدموا له الضحايا ، فلم يمطروا. ثم دعا المسيحيون يسوع ودعوا، وخرجوا بعد ذلك إلى آثار القديسين إلى الخارج فلم يعودوا، إلا وقد أمطروا ولكن الغزيون قفلوا الأبواب وتركوهم خارج سور المدينة للمطر، ولكن مع ذلك فقد انضم كثير منهم إلى الديانة المسيحية، ثم شدد الغزيون فى معاملة المسيحيين، فتمكن (برفيريوس) من استصدار أمر إمبراطورى بإغلاق معابد غزة، وبعد نزاع أخضعت غزة بالقوة، وهدمت هياكل العبادة القديمة، وكان ذلك سبباً فى جعل الغزيين يلتفتون إلى الأدب (كما أسلفنا) لتعلقهم بهذا الأثر فى الحضارة القديمة، بعد أن منعوا ديانتهم فازدهرت مدارسها، ورحل لها الطلاب من أثينا، واستمدت الفرس بعض معلميها منها أ.هـ. وقد انتشرت فى عهد اليونان بغزة اللغة اليونانية، حتى صارت اللغة الرسمية، وكانت قبلها اللغة الآرامية، وكثرت مدارسها وظهرت ثقافتها وحضارتها، وأنجبت عدداً كثيراً من الفلاسفة والعلماء، وبقيت مدارس غزة محتفظة بكيانها وقيمتها العلمية أجيالاً، حتى إن طلبة المدارس فى أثينا بالقرن الخامس للميلاد كانوا يتركون مدارسهم ويأتون لمدارس غزة لإتمام تحصيلهم بها .

* * *

انتشار الوثنية فى البلاد [1]

لما كانت نفوس البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ميالة إلى الشهوات والغواية، تسير بعواصف الفتن أينما سارت وتجرى مع تيار الجهالة والضلال أينما توجه، لانصراف عقولهم عن النظر والتدبر، وبعدهم من التفهم والتفكر، بذلك استفحل الجهل والهوى، وخيم على الأمم فى تلك العصور المظلمة، فانتشرت الديانة الوثنية فى البلاد شرقاً وغرباً، من بعد عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) وظهرت عبادة الأصنام والأوثان التى كانوا يتخذونها من النحاس والفضة والذهب والرخام والحجارة، فى جميع المدن والقرى، وشيدت بيوت الآلهة ومعابد ضخمة حتى مع كثرة الأنبياء والرسل ووفرة العلوم والحكمة، وكابدوا مع تلك الأمم أشد العناء وتحملوا فى سبيل إصلاحهم وجهادهم أفدح البلاء، وحل بالجاحدين عظيم النكال، وقد كانت الديانة الوثنية اليونانية بفلسطين قبل المسيح(عليه السلام)، وكل آلهتها يونانية إلا (عشتروت)[2]، فإنها سامية كما كانت الديانة النبطية فى جنوب فلسطين، وكانت أكثر انتشاراً من غيرها ومن آلهتها بعلمين[3] و(دوزراره) إله الشمس، و(بلاس) (هرافليس) (وبيت راس) (ارتميس)[4] واشتهرت بذلك قرية (بعلين) (وبيت دراس).

---

(١) انظر ما ورد فى تاريخ غزة للعارف (٧٣ - ٨١) (غزة الوثنية) .

(٢) عشتروت : هى بعلة الفينيقية الآلهة الام وربة الحب والخصب والحرب ، عرفت عبادتها فى كل المناطق الفينيقية . نفس المصدر ص٢٤٥ .

(٣) بعليين : Baalet ورد فى معجم المعبودات بعليت معبودة فينيقية والاسم يعنى " سيدة " نفس المصدر ص١٨٢ .

(٤) ارتميس : Artemis معبودة يونانية ، كانت تعبد فى مدينة افوس ، إلهه العيد العذراء المنهمكة بشئون الحيوانات . نفس المصدر ص١٣٨ .

وقد كان (بعل)[1] أكبر أصنامهم، وله المقام الأكبر ومعبود جمهور العالم ويدعى (هيليوس) وهو معبود الساميين والبابليين والكنعانيين، وقد اتخذ الفلسطينيون المعابد العظيمة والهياكل الضخمة لآلهتهم وأكبرها (داجون)[2] وبه اشتهر قرية (بيت دجن) (وجليات) وهو(جالوت) ووجد صنمه(بتل العجول)، ولا زالت الوثنية تنتشر فى البلاد على توالى الأمم والشعوب الذين كانوا يغزونها ويتغلبون عليها، حتى أصبحت غزة وفرضتها (ميومة) ، وكان عندها عمران لسكن بحارتها مركزاً للديانة الوثنية، وفى عهد الإمبراطور هادريانوس شيد فى البلاد هياكل كثيرة، حيث كان يكره المسيحية كما كان يكره اليهودية، وقد حارب اليهود مدة ثلاث سنين، وتغلب عليهم سنة ١١٥م، وفتك بهم وقتل وأسر منهم، وقتل وباع من بقى فى سوق العبيد، وكانت غزة فى عهده تحتوى على ثمانية هياكل وهى:

١- هيليوس بعل: إله الشمس وهو معبود الجميع كما تقدم[3].

٢- مارينون معبد الرب العظيم وكانوا يلجأون إليه فى الشدائد ورسمت صورته واسم غزة على النقود.

٣- أبولون إله النور وهو معبود السلوفين أدخلوه معهم عند احتلالهم.

٤- أفروديت الزهرة: إله الجمال وهو عشتروت عند الفينيقيين وفينوس عند الرومان وقد ينصب على صورة امرأة عارية كما شوهد فى حفريات عسقلان.

---

(١) بعل : Baal معبود كنعانى يقابله دوموزى فى أرض الرافدين ، وبعل إله سامى مشترك ، لكل مدينة بعلها الخاص بها ، ولم تطلق هذه التسمية على إله معين ، إنما كانت كلمة بعل تعنى السيد ، وما زالت حتى اليوم الكلمة مستعملة وتعنى الزوج باللغة العربية . نفس المصدر ص١٧٨ .

(٢) داغزن : Dagon معبود فينيقى يرمز إلى الزراعة لقب ب " بعل " . نفس المصدر ص٢٠٥.

(٣) هيليوس : Helios معبود سورى ، عبد فى مدينة حمص ، كان إله الشمس فيها ، وهو كذلك معبود يونانى ، وعبد كذلك فى تدمر وفى روما . انظر : معجم المعبودات ٢٩٥ .

٥- هيكانه وايكافى إله القمر وهو تمثال امرأة ظاهرة العورة[١].

٦- هيربون[٢] وايروس[٣] إله البطولة ويسمى جونو وجوبتر عند اليونان زقس المشترى.

٧- يتخانون وتنجى إله الحظ والسعد عند الرومان، وهو صورة امرأة نقش وجهها ورأسها بتاج على النقود القديمة.

٨- برسينون[٤] [٥] إله الخضار، وقد يصور أعلا الإله على صورة إنسان وأسفله سمكة، وبقى ذلك إلى أن جاء زمن الملك قسطنطين، فانتشرت به الديانة المسيحية فى الغرب والشرق، وأزاح الاضطهاد عن المسيحيين، ثم جاء الملك تيردوسيوس، فانتصرت به العقيدة الأرثودكسية انتصاراً باهراً، ثم فى زمن ولده الملك أركاديوس، ظهرت المسيحية فى البلاد ظهوراً تاماً، وأمر

---

(١) هيكاتى : Hikati معبودة رومانية ، ومن أسمائه كذلك " تريكيا Trivia " كربة لمفترق الطرق . انظر : معجم المعبودات ص٢٩٧ .

(٢) هيربون : Hyperion يونانية ، زوجة " لشيوس " ، وهى الابنة الوحيدة من بين أخواتها والتى لم تذبح زوجها ليلة الزفاف كما فعلت أخواتها . نفس المصدر ص٢٩٥ .

(٣) إيروس : Eros معبود يونانى " ابن " كروتوس " وحّده الرومان مع " كيوبيرا " ولد مع السماء والأرض ، وأخيراً جعلته النصوص ابناً لـ " افروديت " والملازم لها. يمثل "إيروس" الحب وهو يصور شاباً يخلق الحب بين الناس والأرباب بقوسه وسهمه، زوجته هى "سايكى" . نفس المصدر ص٦٦٨ .

(٤) برسينوس : ورد فى معجم المعبودات Perseus معبود إغريقى ابن " زيوس " من "دانائى" زوجته هى " اندرميدا " وأولادها " السيوس ، افقرون ، الكتريون ، الكمبى ، برسس " ويعتبر برسيوس هو الحبر الاسطورى . نفس المصدر ص١٧٦ .

(٥) " وفى تاريخ رئيس اللاتين ، قد كان بغزة قبل المسيح وبعده ثمانية هياكل وثنية حملها إليها وأقامها بها الفلسطينيون واليونان والروم عدا عما كان بقراها من الآلهة وبيوت الأصنام كما أن الفينيقيين بسوريا الشمالية اختصوا بآلهة العشتروت واختص الكنعانيون بسوريا الجنوبية أى فلسطين بعبادة " داجون الإله الأكبر وأقاموا له الهياكل فى أسدود وعسقلان وغزة وفيها دك شمشون هيكله كما هو مذكور فى التوراة ، وفيها هيكل كان يعرف باسم هبروبون ويقال ابروبون ولهبدا . " (هـ . ١ ص ٢٦ . اتحاف الأعزة) .

بهدم الهياكل الوثنية بغزة، وكان ذلك فى سنة ٤٠١م كما سيأتى[1].

وكانت البلاد المصرية وثنية إلى عهد القيصر غستوس الرومانى، حيث ولد المسيح (عليه السلام) فأصبحت تتوالى النقم من قياصرة الروم على النصارى قتلاً وتعذيباً وتشريداً، حتى زمن القيصر دقلديانوس، فأغلق كنائسهم وأسرف فى قتلهم لسببين سياسى ودينى، وكان نظام حكومته يرمى إلى التشديد فى تقديس الإمبراطور وإكباره الدينى، وأصبح أشبه بإله يعبد كما تعبد الآلهة، ويقدم له القرابين، وكان الرومان يعتبرون المسيحيين خارجين على الدولة والدين الرسمى، عندهم ولم يكن لهم بد من الضرب على أيديهم ابتغاء رجوعهم إلى الوثنية والانقياد والخنوع، كما أسرف بعض الأباطرة المسيحيين فى اضطهاد الوثنيين والتنكيل بهم حين أصبحت المسيحية ديناً رسمياً لأباطرة الرومان، وفى سنة ٣٨١م صدر قرار بتنصير جميع رعايا الإمبراطورية، فأغلقت ببلاد مصر الهياكل والمعابد ولاقى الوثنيون بمصر ما لا يقل هولاً مما لاقاه المسيحيون قبلهم ومن ذلك يعلم أن الوثنية توغلت فى البلاد الشامية والمصرية توغلاً فظيعاً، وتغلغلت فى قلوبهم تغلغلاً عميقاً ،بل انتشرت فى سائر الأقطار، وتواطأت عليها الأمم علماؤهم وعامتهم وملوكهم وسوقتهم وخيم ظلام الجهل والضلال عليهم حتى صار الكثير من الرسل والمصلحين يحاول عبثاً فى سبيل إقناعهم وهدايتهم

وإذا البينـــات لم تغن شيئاً	فالتماس الهدى بهن غباء
وإذا أضلت العقول على علم	فمـــاذا تقوله النصحـــاء

وقد شيدوا لها الهياكل الضخمة، والمعاهد الفخمة والمعابد الكبيرة، والأنصاب البارزة على أشكال شتى ،وجعلوا لها الأسماء والألقاب، ونسبوا لها الأفعال والتأثيرات، ورتبوا الأوقاف والسدنة والطقوس الوثنية ويكثرون

(١) قارن مع ما ورد فى تاريخ غزة للعارف (ص٧٣ - ٧٥) عن هياكل العبادة .

من الزخارف وإيقاد الشموع والبخور عندها، ويحتفلون فيها ويقيمون المواسم والأعياد لها، ويصلون لها ويتمسحون ويطوفون بها ويتقربون إليها بالقرابين والضحايا والنذور والهدايا، ويتحاكمون إليها ويقسمون بها، وإذا انتقلوا لقطر آخر أو غزوا بلاداً حملوها معهم، وحملوا غيرهم على عبادتها والتقرب إليها، ولم يكتفوا بالآلهة الكبرى المنصوبة فى تلك الهياكل الكبيرة، بل كانوا يتخذون أصناماً صغيرة يتقربون إليها فى بيوتهم، ويطوفون بها عند خروجهم منها ورجوعهم إليها، ويقيمون النصب فى الجنائن والبساتين والمتنزهات، ومن يُجب البلاد يجد كثيراً من آثار الوثنية القديمة ظاهراً، بها حتى أن حكومة الاحتلال[1] أتت بدائرة الآثار تظهر بحفرياتها ما أخنى عليه الزمان، وتنشر ما أخمده الدين الصحيح والعرفان، وإليك أسماء القرى التى اشتهرت ببيوت آلهتها إلى الآن :

(بيت لاهيا)، (بيت حانون) ، (بيت جرجا) ، (بيت طيما) ، (بيت عفا)، (بيت دراس) ،(بيت شيت) ، بقضاء غزة (بيت دجن) ، (بيت نوبه)، (بيت سوس)، (بيت جمال)، (بيت جز) ، (بيت نباله)، (بيت كوفه)، (بيت فار)، بقضا يافا (بيت أومر) ، (بيت نتيف)، (بيت كاحل)، (بيت جبرين) ، (بيت أولا)، بقضا الخليل (بيت شفه) ، (بيت عنان)، (بيت سوريره) ، (بيت إكسا) ، (بيت محير) ، (بيت تول)، (بيت نقولا)، (بيت ريما) ، (بيت دقو) ، (بيت صفافا)، (بيت لقيا) ، (بيت سراب)، (بيت عور)، (بيت إللو) (بيت ريما) (بيت ساحور)، (بيت فجار) (بيت لحم) ، (بيت جال)، بقضاء القدس، وقس على ذلك سائر البلاد فى الأقطار والممالك والأمصار فى عصور الشرك والجهالة والغى والضلالة مع الظلم البالغ والعتو والتمرد والعسف الشديد ولكن الله تعالى جعل دمارهم وتنكيلهم وحلول عاجل نقمته بهم أعظم عظة لمن يأتى بعدهم ﴿ **وما كان**

---

(١) يقصد الانتداب البريطانى .

ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ [١].

كم دولة بفنون الظلم قد فنيت،

وراح آثارهم في عكسهم ومحوا

وجاء من بعدهم مَنْ يفرحون بها،

وقال سبحانه : (حتى إذا فرحوا)[٢]

* * *

(١) سورة الأنعام آية ١٣١ (والآية هي : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ .

(٢) سورة الأنعام آية ٤٤ والآية هي ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذتهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ .

غزة
وتغلب الغزاة عليها
وتغلب الأمم فيها

غزة وتغلب الغزاة عليها وتغلب الأمم فيها

حين كثرت الأمم وسرت إليهم الحضارة، تاقت إلى التوسع فى البلاد، والانتشار فى أراضيها ومرابعها، سيما عند القحط والطوفان والعوادى التى كانت تتناوب البلاد وتتنازع البقاء وكانت بلاد الشام وفلسطين مطمح أنظار الأمم والقبائل والشعوب ، وهذا ما حملهم على تكرار الغزو والتغلب على البلاد، سيما مدينة غزة كثيرة المزارع والمراعى، ومصالح البر والبحر والزراعة والتجارة، ونقطة الاتصال بين البلاد المصرية والشامية، والجزيرة العربية والموانئ الهندية، لذلك تقلبت الأمم عليها فى سائر العصور والأجيال الأولى، ومنهم المعينيون من العرب ومن سكان القسم الجنوبى من الجزيرة، وكانت أمة عظيمة أسست فيها دولة كبيرة، امتدت إلى شواطئ البحر المتوسط، وشواطئ خليج العجم سنة ٣٧٥٠ ق.م ،وكانت عاصمتها أولاً: «معين» شرقى صنعاء، وهم أول من نزل غزة وتملكها من العرب، وكان لهم عز وشكيمة وسطوة، حتى أهملوا الحرب والفروسية وانهمكوا فى التجارة، فتغلب عليهم السبائيون وغزاهم ملوك سبأ، وزال بذلك مجدهم وعزهم واستقلالهم. وهؤلاء أيضاً من سكان القسم الجنوبى من الجزيرة، تغلبوا على المعينيين وملكوا غزة وما جاورها. ثم نزلها وتملكها العويون، وأقاموا بها وبالقرى التابعة لها، حتى جلاهم منها الكفتاريون، جاءوا من الجنوب واكتسحوا بلادهم وأرجعوهم إلى الشمال، وقيل: إنهم جاءوا من كريت، واحتلوا القسم الجنوبى من فلسطين ، وأنشأوا بها المدن والقرى وقد تملكها قوم من الحيثيين من نسل كنعان، فأتى الكفتوريون وتغلبوا عليهم وأخذوها منهم، واتحدوا مع الفلسطينيين، وصارت غزة إحدى مدنهم الخمس، وهى (غزة)، و(أشدود) ، و(أشقلون)، و(عقرون)، و(جات) ، وفى المصادر

اليونانية. ثم استوطنها العناقيون وهم العماليق، ذوو الشدة والبأس فى الحروب، كما استوطنها المديانيون والآدميون[١] والعموريون والكنعانيون، وكانت غزة ذات كيان عظيم ومركز كبير، عندما احتلها الكنعانيون وتغلبوا على ساكنيها العموريين، وحملهم على غزوها والهجرة إليها قحط بلادهم من الجزيرة العربية حوالى سنة(٢٥٠٠ ق.م)، قيل إن سور المدينة القديم أنشئ فى عهد الكنعانيين، وعثروا فى الحفريات بموقع «تل العجول» على مدينة كنعانية من عهد الهيكسوس، وكان عندهم إتقان ومهارة فى البناء وقطع الحجارة الضخمة، وأكثر مدنهم محاطة بالأسوار، ولهم عناية ودراية بغرس الأشجار، سيما الزيتون وتربيتها وكانت تخوم الكنعانيين من صيدون إلى جرار (تل جمه)، التى كانت عاصمة (أبيمالك)[٢] ملك الفلسطينيين إلى غزة[٣]، وحاربوا بنى إسرائيل سنة (١١١٨) ق.م، وصدوهم عندما أرادوا عبور فلسطين، وبقيت الحرب قائمة بينهم إلى (سنة ١٠٠٠ق.م)، ولتفرق كلمتهم تمكن الإسرائيليون منهم، ودمروا مدنهم وكانت مائة وثمانى عشرة مدينة، ثم بحرب داود وابنه سليمان كان القضاء على الكنعانيين والعموريين معاً، وقد ذكرت أخبارهم فى العهد القديم ،وفى الإصحاح الثانى من سفر صفنيا : (لأن غزة تكون متروكة وأشقلون للخراب، وأشدود عند الظهيرة

---

(١) الآدميون : (أدومايا : ازاء ضغط النبط اتجه الادومايون غرباً واستقروا بالاقليم المجدب الواقع جنوبى جوادايا (القرن الرابع ق.م.) ومنذ ذلك الوقت غرب ذلك الاقليم باسم أدومايا . قهرهم ضاهير كانوس وأرغمهم على اعتناق اليهودية . فصلهم بومبى ٦٣ق.م عن جودايا وفتحت أدومايا لهرود . (٤٠ ق.م) وفى بداية عهده حاول نبيل من الأدومايين أحياء دينهم القومى ولكنه فشل لتعصب جموع الأدومايين للدين اليهودى . انظر : الموسوعة العربية الميسرة مج١/ ص١٠٤ .

(٢) اسم عبرى ومعناه «أبو ملك» والأب «ملك» وقد ورد اسمًا للملك فى فلسطين، عاش فى عصر إبراهيم. انظر: «قاموس الكاب المقدس» ص ٢٣ (مصدر سبق ذكره).

(٣) انظر بهذا الصدد " بشأن المكتشفات الأثرية فى تل العجول " فى: بلادنا فلسطين ج١/ ص٣٦٨ (تقدم ذكرها) .

يطردونها، وعقرون تستأصل ويل لسكان ساحل البحر أمة الكريتين كلمة الرب عليكم يا كنعان أرض الفلسطينيين[1] إنى أخربك بلا ساكن ويكون ساحل البحر مرعياً بآبار للرعاة وحظائر للغنم وفيها ، وذهب يهوذا مع أخيه شمعون وضربوا الكنعانيين سكان صفاة وحرموها وأخذ يهوذا غزة وتخومها وأشقلون وتخومها وعقرون وتخومها) وفيها (أن هوشع بن إيلة ملك إسرائيل ضرب الفلسطينيين إلى غزة من برج النواطير إلى المدينة المحصنة، وفى سفر عاموس هكذا قال الرب من أجل ذنوب غزة الثلاثة والأربعة لا أرجع عنهم لأنهم سبوا سبياً كاملاً لكى يسلموا إلى أدوم فأرسل ناراً على سور غزة فتأكل قصورها وأقطع الساكن من أشدود وماسك القضيب من أشقلون وأرد يدى على عقرون فتهلك بقية الفلسطيتيين، وقد كانوا حوالى سنة ١٤٠٠ ق.م تغلبوا على الحيثيين وأخضعوهم، واحتلوا بلادهم ثم

---

(١) الفلسطينيون : بلاد تقع على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . سميت فى التوراه كنعان ، قبل أن يغزو يشوع الذى خلف موسى فى قيادة بنى إسرائيل -أرض الميعاد . وفلسطين هى الأرض المقدسة عند اليهود الذين يعتقدون أن الله عاهدهم أن يهبهم إياها وهى أيضاً الأرض المقدسة عند المسيحيين لأنها وطن المسيح وعند المسلمين ، لأن بها المسجد الأقصى الذى يلى المسجد الحرام قداسة . تضم فلسطين من المزارات : بيت المقدس ، بيت لحم / والناصرة ، وحبرون، ولم يكن لها حدود معينة لحقبة طويلة ولكنها شملت دائماً المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الأردن ، وتاخمت مصر فى جنوبها الغربى . يبدأ التاريخ المفصل لفلسطين بتاريخ العبرانيين وفى ١٠٠٠ ق. م كانت مملكة العبرانيين قد توطدت أركانها على يد شاول وداود . واستقرت ببيت المقدس . وبعد حكم سليمان انقسمت المملكة إلى دولتين : دولة إسرائيل . ودولة يهوذا اللتين دمرتهما آشور وبابل (ح ٧٢٢ و ٥٨٦ ق. م) ثم غزا الفرس فلسطين . وكونوا بها مملكة تحت رعايتهم . وغزا الإسكندر فلسطين فى القرن ٤ ق.م . وفى القرن السابع دخلت فى حكم العرب . وفى القرن ٩ امتلكها الفاطميون وتوالت على فلسطين الحملات الصليبية واستولت الحملة الأولى على بيت المقدس وأقيمت مملكة بيت المقدس سنة ١٠٩٩ التى عمرت أقل من مائة عام . خلص العرب الأماكن المقدسة من أيدى الصليبيين . ولكن الصهيونيين الذين ملأت قلوبهم نعرة متطرفة من حب الاستعمار وطرد الوطنيين الأصليين لم يدخلوا فلسطين إلا فى أوائل القرن ٢٠ . انظر بتوسع : الموسوعة العربية الميسرة مج٢/ ص١٣٠٩ .

تحولوا عنها بغارة المصريين عليهم تحت قيادة رعميس الثالث ثم عادوا حتى تمكنوا من احتلال سهل فلسطين إلى الساحل من جبل الكرمل، إلى غزة وكانت عاصمة ملكهم (أم الجرار) وهى جرار المذكورة فى التوراة بقرب (تل جمه) وكان الإسرائيليون يسكنون الجبال وكانت الحرب بينهما على اتصال . وذكر فى أسفار التوراة عنها شيئاً كثيراً [١] وفى سفر القضاة : «وعمل بنو إسرائيل الشر، فدفعهم الرب ليد مديان وكان المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون وينزلون عليهم ويتلفون مزروعاتهم وغلة أرضهم، إلى غزة ولا يتركون لهم قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً، وبقى ذلك مستمراً إلى حوالى القرن الحادى قبل المسيح وكان (داجون) معبودهم الأكبر».

وقد تغلب على غزة العمالقة ومنهم الهيكسوس، ملوك الرعاة وملوك البادية، قبل دخولهم مصر وشيدوا مدينة غزة بموقع(تل العجول)[٢]. وبعد أن تغلبوا على مصر وملكوها مدة خمسة قرون، تحالفوا مع المصريين على أن يخرجوا منها إلى حيث شاؤوا، وكانوا يوم خروجهم مائتين وأربعين ألفاً ونزل بعضهم (تل جمه) وبعضهم (تل الفارعة)، وقسم منهم تغلغل فى بلاد سورية ، وقسم منهم عاد إلى مدينتهم غزة التى شيدوها أولاً، وكان حولها سور عرضه متران ونصف بارتفاع ١٥٠ قدماً، ونفق عند باب المدينة ينتهى خارجها طوله ٥٠٠ قدماً، ووجد بحفرياتها آثار يرجع تاريخها إلى سنة (١٤٥٠ ق.م).

ومن العمالقة الجبابرة الذين نزلوا غزة، وقد روى الكتاب المقدس بأنهم أضروا بعيون الإسرائيليين، بعد ما تغلبوا عليها ووتوطنوها، وجاء يشوع لغزة

---

(١) بصدد ما ورد عن غزة فى التوراة انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص ٦٥٧ ـ ٦٥٨) مصدر سبق ذكره.

(٢) تل العجول : تقدم ذكرها وهى مدينة غزة القديمة. انظر: بلادنا فلسطين للدباغ (ج١/ ص٣٦٨ - ٣٦٩) .

وأحاط بها وحاصرها، فلم يظفر بها لحصانتها، ولم يبق أحد من آل عناق في كل بلاد بني إسرائيل خلا غزة وكوش وأشدود، وبعد حين فتح آل (يهوذا) البلد، غير أن الفلسطينيين استرجعوها وأخضعوا الإسرائيليين بعد أن كانت لهم الغلبة بها.

وكان الغزاة يقيمون فيها، أيام شمعون النبي (عليه السلام)، وكانوا يحملون السلاح ألف شهر، حتى يعدوا من الغزاة العباد، وكانوا يقتاتون من (ثمر الجميز)، وكان غالب الأشجار بها، وكان يحمل في كل سنة مرة ، فدعا الله(شمعون) فظل يحمل في كل سنة سبعاً إلى يومنا هذا، ويسمى بالجميز الغزى، وكان يأتي في كل سبت على شاطئ بحر غزة، ويجمع المرضى وأصحاب العاهات ويدعو لهم ويمسح عليهم فينتفعون بذلك ،كما ذكره التمرتاشي، في رسالته الخير التام[1] وفي "جغرافية فلسطين ": (ذكرت غزة بسفر التكوين وإليها جاء شمشون وعمل أمراً مدهشاً وقد غضب الله عليها وصارت بعيدة من وجه الرب).

وذكر الثعالبي " أن شمشون أعطى قوة في البطش، وكان قومه يعبدون الأوثان وكان يغزوهم ويجاهدهم وحده يصيب منهم ولا يقدرون منه على شيء، فاحتالوا عليه بواسطة امرأته، حتى أوثقته بشعر رأسه، وبعثت إلى قومه فأخذوه وأوثقوه بسلاسل من نحاس، ونزلوا به إلى غزة وأوقفوه للناس، وكان فيهم جميع أقطاب الفلسطينيين، فأخذ بعمودين من عمد البيت، فجذبهما جميعاً وقال بي وبأعدائك يا رب فانهار على من فيه ،

(١) الخير التام في ذكر حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام . ذكر الزركلي بصدد هذه الرسالة معلومات قيمة فقال بعد أوراد ترجمته : (... له ميل إلى التاريخ . من تصنيفه :(بلاد الشام - خ) رسالة صغيرة في ١٥ صفحة بخطه ، كتبها سنة ١١٢٧ واعتمد في أخبار فلسطين على(الأنس الجليل وإتحاف الأخصا) رأيتها في السليمانية(المجموع ٥٣٩٨) انظر الأعلام للزركلي ج٣ ص١٨٨ . راجع النص المذكور في المخطوط ق ١٣ (نسخة بحوزة المحقق).

وهلكوا جميعاً فكان الذين أماتهم فى موته أكثر من الذين أماتهم فى حياته".

وفى السنة الخامسة من ملك " رحبعم " ابن سليمان (عليه السلام) زحف " شيشاق " -ملك مصر- إلى بيت المقدس فهرب "رحبعم" واستباحها شيشاق وضرب عليهم الجزية، ثم دفعوه ومنعوه ، فأقام " بنو داود " فى سلطانهم على "بنى يهوذا" "وبنيامين" "ببيت المقدس"، و"عسقلان"، و"غزة"، و"دمشق"، و"حلب"، و"حمص" ، "وحماة"، وما إلى ذلك من أرض الحجاز، وملك الأسباط بنواحى "نابلس" و"فلسطين" أ.هـ. وفى"لب التاريخ"[(١)] : " أن " شيشاق " لم يقتصر على ملك مصر، بل غزا بلاد فلسطين ، وسار من مصر إلى القدس فى جيش مؤلف من ستين ألف فارس، وكثير من المشاة ، و١٢٠٠ عجلة، فاستولى على جميع قلاع فلسطين ودخل مدينة القدس وسلب أموال القصور " الملوكية " حتى الدروع " السليمانية " المصنوعة من الذهب، وكان من الوثنيين ومن أهل القرن التاسع ق.م فناب غزة وأهلها من ذلك ما ناب غيرها. قال: "إن ملك مصر" مريرع " (من الأسرة الأسوانية) حارب بلاد الشام الجنوبية فتغلب عليها، وإن الملك "نقركارع" بعده حارب العرب الرحالة الوافدين من آسيا، وانتصر عليهم وذلك فى الألف الرابعة قبل الميلاد، وإن ملوك الرعاة من العمالقة وفدوا على مصر من جهة آسيا الجنوبية واستولوا على الوجه البحرى، ثم تغلبوا على بلاد مصر بأجمعها وحكموها مدة (٢٥١ سنة)، وفى هذه المدة وفدت السيارة بيوسف ابن يعقوب (عليه السلام) وإن الملك "رمسيس " حارب "الأثيوبيين " جنوباً والحيثيين شمالاً ، وهم قوم يسكنون أرضاً واسعة على الشاطئ الأيسر من نهر الفرات، وكانوا ذوى

---

(١) انظر : لب التاريخ (ج١/ص٦٠ - ٦٢) وهناك بعض الاختلافات فى النقل تصرف بها الطباع .

سطوة على عدة طوائف من آسيا، وتحالفوا على غزو المصريين، وأشرك رمسيس ولده " سيتى " الأول فغزا عدة غزوات ، كالشام والعراق انتصر فيها، وفتح بلاداً تمتد من جنوب الشام إلى أرمينيا ، ووضع عليها حكاماً من مصر، ثم جاء عصر " شيشاق " المتقدم واليونان الصقليين.

وقد احتل الأشوريون غزة فى سنة(٧٣٤ ق.م)، وبقيت تحت أيديهم إلى عام (٦٠٩ ق.م)، إلى أن جاء ملك مصر "تيخر الثانى" بجيشه الجرار وأعادها إلى المملكة المصرية ، وطارد الأشوريين إلى الفرات بعد أن احتل جميع فلسطين وسوريا ، ثم تخلى عنها وانسحب منها فعادت إلى حكم الآشوريين البابليين. ثم أراد " نبوخذ نصر" أن يتمكن من فلسطين، فسبى اليهود وأقصاهم عنها إلى العراق، وانتدب ابنه "بختنصر " لذلك، وأمده بجيش كبير فاحتل البلاد، واحتل فى طريقه غزة، ثم احتل مصر وقتل ملكها[1]، وفى منجم العمران[2] : عند ذكر " أشدود[3] " ويقال: سدود التابعة

---

(١) وذكر فى «البحر الزاخر» أن إسكندر ابن ملكة مصر كليوباتره حاصر بطليموسية (عكا) حصاراً شديداً فارسلوا يطلبون مساعدة أخيه بطليموس لامروس فتوجه إليهم بنفسه وكانوا وعدوه بان يجعلوه ملكاً عليهم فلما تغيرت نياتهم وعقد معاهدة مع أخيه كما أن امه كيلوباتره عاهدته بأن تقرأ فيه بقواها؛ ليضمها إلى قوه ويطرد لاثروس من فلسطين فعزم لاثروس على إنزال البلاء به وقسم جيشه قسمين الأول لحصار عكا وكان حانقاً عليها ، والثانى تقدمه بنفسه قاصدا الإسكندر ، دمر لاثروس أهل غزة بقوة كبيرة من العساكر ووقعت بينهما واقعة دموية على شواطئ نهر الأردن قتل فيها نحو ثلاثين ألفاً من عساكر إسكندر خلاف الجرحى والأسرى وجاءت كليوباتره بعساكرها الشديدة لمحاربة لاثروس ونزلت فى فينيقيا وكان توجه لمهاجمة مصر ، فردته عساكرها فرجع وعسكر فى غزة ففقدت أمه فتوجه إلى قبرص وخلصت البلاد من شر ولديها المذكورين ، وكانت عهدت بمملكة قبرص لولدها الأصغر إسكندر حتى لا يتحد عليها مع أخيه لاثروس . " (هـ. ١ ص ٣١) إتحاف .

(٢) انظر: " منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان " جمعه ورتبه السيد محمد أمين الخانجى . ط١ ، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م . على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه . طبع فى مطبعة السعادة بمصر.

(٣) انظر : " منجم العمران " (ج١/ص ٢٨١ - ٢٨٢) . مصدر سبق ذكره .

لغزة، وهى إحدى مدن فلسطين الخمس المتحدة بين غزة ويافا، وكانت ذات حصون صناعية وطبيعية منيعة جداً، ولم يتمكن الإسرائيليون من الاستيلاء عليها إلى زمن " الملك عزيا " فإنه دك أسوارها وبنى مدناً فى أرضها، ولما رجع اليهود من السبى بكتهم " نحميا " على مساكنتهم " الأشدوديين " واتخاذهم نساء أشدوديات حيث بذلك اختلط لسانهم وكانت الأهمية لأشدود لوقوعها بين فلسطين ومصر ، وهى النقطة المهمة والمقصودة، فى محاربة الأشوريين والمصريين فحاصرها " ترنان " قائد جيوش " سرجون " ملك أشور سنة (٧١٦) قبل الميلاد ، وافتتحها عنوة ثم أخذها ملك مصر بعد حصارها ٢٩ سنة وكان ذلك الحصار الذى لم يسبقه نظير شاهداً كبيراً على حصانتها ومناعتها، ثم بعد مدة من الزمان حمل عليها " يوناثان" ، وأحرقها وأحرق القرى التى حولها وهياكلها كلها، وبقيت بعد ذلك خربة مدة من الزمان إلى أن استولى عليها الرومانيون، فأعيدت وصلح حالها، ثم لازالت بين خراب وعمار إلى الآن ، وهى الآن قرية صغيرة وبها بعض الآثار القديمة أ.هـ " ، وناب غزة بذلك ما نابها

وذكر فى " تاريخ السبع[1] " : (أن العموريين قد كان لهم فى فلسطين خمس مدن كبرى،هى : أورشليم، وحبرون، ولاخيش ، (تل الحسى أو تل دوير)، وعجلون ، (خربة عجلان) ويرموث، (عراق المنشية) ، وأن: الأشوريين لم يستردوا سطوتهم فى البلاد إلا بعد موت سليمان، تغلب الملك " تيفلان بيلازر " على بنى إسرائيل واستولى على بلادهم (سنة ٧٣٤ ق.م)، ومن هنا سار نحو منازل الفلسطينيين فافتتح عسقلان وغزة، ثم أخضع فريقاً من أمراء العرب وملوكهم، وفى سنة (٧٢٠ ق.م) مشى "سرجون البابلى" بجيوشه إلى جنوب فلسطين فأخضع الفلسطينيين، و" بنى

(١) انظر : تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف . ص١٠٢ مطبعة بيت المقدس (طبع قبل النكبة) .

يهوذا "وغلب "سبافون" - ملك مصر- وأخذ منه الجزية كما أنه أسر "حانون " - ملك غزة -، فى موقعة جرت بينهما، ثم تغلب الفرس على غزة فى عهد الملك" قمبيز " ابن "كورش "، ثم اتحدوا مع الغزيين وحاربوا معهم الإسكندر المقدونى، قيل : إن احتلالها وتغلبهم على فلسطين كان(سنة ٥٢٥ ق.م)، ومن آثارهم فى البلاد، : الهوايات التى حفروها والصهاريج التى أتقنوها وهى على متانتها إلى الآن.

ثم تغلب اليونان وغزا " بختنصر"[١] القدس مرة بعد أخرى، حتى خربه وشتت بنى إسرائيل فى البلاد ،واستمر خراباً سبعين سنة ثم عمَّره "أردشير بهرمن" ملك الفرس،وهو "كيرش "أو "كورش " عند اليهود، ثم تراجعت إليه وصارت تحت حكم الفرس، لما تغلبت اليونان على الفرس، صارت بنو إسرائيل تحت حكمهم إلى أن ذبحوا يحيى، وقتلوا زكريا عليهما السلام .[٢]

---

(١) " كان نائباً لهراسيف ملك الفرس وسار بالجيوش نيابة عنه وفتح البلاد ثم غزا العرب فقصده معد بن عدنان بطوائف من العرب مسالمين فأحسن إليهم وأنزلهم شاطئ الفرات وبنوا موضع معسكرهم وسموه الأنبار وأتى دمشق فصالحه أهلها وصالحه بنو إسرائيل بالقدس ثم غدروا فسار إليهم وقتل وسبى وخرب ، ومن سلم هرب إلى مصر فكتب يطلب من ملك مصر إرسالهم إليه ، فسار إلى مصر وسبى أهلها وقتل ملكها ، ثم سار إلى المغرب وخرب البلاد وسبى ، ثم عاد إلى فلسطين والأردن فقتل وسبى . " تاريخ ابى الفدا). (جـ١ ص ٣٢ إتحاف الأعزة).

(٢) " والمعجب كل العجب فى هذا الشعب العاتى الشرير والعنصر الغضوب . . . المتجرأ على محاربة مولاه وإيذاء رسله وقتل أنبيائه ويصر على غيه وعصيانه وبغيه وعدوانه وانحرافه عن الخير والسداد وميله إلى الشر والفساد حتى توعدهم الله بعقابه ، ورفع الجبل فوقهم وقضى عليهم بالتيه فى الأرض أربعين سنة فاختلفت أحوالهم وخارت قواهم ولم يغيروا ماهم عليه ، وكبرت الأحداث والمعاصى فيهم بعد موت موسى وهارون عليهما السلام ، وقتلوا نبيهم أشعيا فحذرهم أرميا من عقوبة الله الشديدة وأنه يسلط عليهم من يقتلهم ويسبى ذراريهم ويستعبدهم ويخرب مدينتهم فلم ينتهوا فأوحى الله إليه: لأقيضن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيراناً ويضل فيها ذو الرأى وحكمة الحكيم ولأسلطن عليهم جباراً عاتياً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل، وعساكره مثل قطع السحاب يهلك بنى إسرئيل وينتقم =

= منهم، فلم يتحذروا ولم يرجعوا بل قتلوا نبيهم أرميا وتتابع فتكهم بأنبيائهم حتى قتلوا سبعين نبياً فى يوم واحد ، فسلط الله عليهم " هراسف" - ملك بابل - وأرسل جنوده أولى البأس الشديد البواسل بقيادة " بختنصر " فغزا بنى إسرائيل فصالحه ملكهم " يهوفاشيم " ولم يحاربه ودخل تحت طاعة ملك بابل وغدروا به ، فغزا بختنصر مرة أخرى وبعث إليهم الجيوش مع وزيره " بنوزرذان " فسار إليهم وشدد الحصار على القدس وعلى ملكها " صدقيا " واستمر مدة سنتين ونصف حتى أخذها بالقوة والسيف وأخذ " صدقيا " أسيراً وأخذ معه جملة كثيرة من بنى إسرائيل وهو على ما نقل أول من سمى بنى إسرائيل " اليهود " لأنهم هادوا عن الاستقامة والسداد إلى المكر والغدر والفساد وأحرق القدس والبيت الذى بناه سليمان وهدمه وأباد بنى إسرائيل قتلاً وتشريداً وفتكاً وتنكيلاً وهرب منهم جماعة إلى الحجاز . وقد بين الله ذلك بقوله ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولَتَعلُنَّ علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ (الإسراء الآيات ٤ - ٨) ، ثم بعد خرابه بسبعين سنة عمره بعض ملوك الفرس وتراجعت إليه بنو إسرائيل وعادوا لمعاصيهم وفسادهم حتى ذبحوا يحيى وقتلوا زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم "جوديس" من ملوك بابل بقائده العظيم "بنوزادان" وحلف إن ظهر بهم ليقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكره ولما دخل بيت المقدس وجد فيها دماً يغلى فقال لهم ما شأن هذا الدم فقالوا دم قربان لم يقبل، فأخبرته عجوز منهم بأنه دم يحيى فقال لانتقمن له وذبح منهم على ذلك الدم سبعين ألفاً حتى سكن وخرب بيت المقدس والهيكل وأمر أن تلقى فيه الجيف ثم عاد من بقى منهم وبذرة المفسدين الضالين أفسدوا خل إذ لا يكون من الخل العسل فعادوا بلؤمهم لإفسادهم وعصيانهم وبغيهم وعدوانهم وإقدامهم على استباحة المحرمات وتمالئهم على السوء والمنكرات فغضب الله عليهم ولعنهم وضربهم بالذلة والمسكنة وجعل منهم القردة والخنازير وسلب عنهم نعمه وصب عليهم نقمه بطعنهم فى عيسى عليه السلام وقذفهم لأمه الطاهرة وتآمرهم على قتله وإزراء الحاكم عليه فالتجأ إلى ربه وطلب منه، وتضرع إليه أن لا يسقيه الكأس المرة ولا يمكنهم منه كما فعلوا بالأنبياء من قبله فاستجاب له ورفعه إليه، ثم سلط عليهم بعد رفعه بأربعين سنة "هيرودس" ملك الروم فأوقع بهم قتلاً وأسراً ونهبا وخرب القدس وأحرق الهيكل ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ثم عمره بعض ملوك الروم وسماه إيليا يعنى بيت الرب ، ثم إن الملك " أسفيا نوس " وجه ابنه طيطس إلى بيت المقدس وأحرقه وقتل بنى إسرائيل غضباً للمسيح . . . . . وفى كشف الآثار فى قصص أنبياء بنى إسرائيل يبعض علماء البروستانت أن قسطنطين العظيم الذى كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة تقريباً أمر بقطع آذان اليهود وإجلائهم إلى أقاليم مختلفة ثم أمر =

= ملك الملوك الرومى فى القرن الخامس من القرون المسيحية وأخرجهم من الإسكندرية التى كانت مأمنهم من مدة ، وكانوا يجيئون إليها من كل جانب يستريحون فيها وأمر بهدم كنائسهم ومنع عباداتهم وعدم قبول شهاداتهم وعدم نفاذ وصيتهم ولما ظهر منهم بغى ما لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم وقتل كثيراً منهم وسفك الدماء بشدة ارتعد به جميع يهود هذا الإقليم ثم أجلاهم من مملكته آخر الأمر وهيج ولاة الممالك الأخرى على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة ، فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم والاضطهاد من آسيا الى أقصى حدود أوروبا ثم كلفوا فى مملكة أستانبول أن يقبلوا الأمة المسيحية فإن أبوا يكونوا محبوسيين وإن أبوا يجلون من أوطانهم وصار مثل هذه المعاملة معهم فى مملكة فرنسا فكانوا ينتقلون من إقليم إلى إقليم ولايحصل لهم موضع قرار ولم يحصل لهم الأمن فى آسيا الكبرى أيضاً بل قتلوا بها فى كثير من الأوقات كما قتلوا فى ممالك الإفرنج .. ودبر ملوك فرنسا فى حق اليهود أمراً وهو أنهم كانوا يتركون اليهود إلى أن يصيروا متمولين بالكسب والتجارة ثم يسلبون أموالهم ولما صار قلب أوك سطس ملكاً أخذ ديون اليهود التى على المسيحين وأبرأ ذمتهم من الباقى ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته . وقد ثبت من التواريخ أن اليهود أجلوا من مملكة فرنسا سبع مرات وعدد اليهود الذين أخرجوا من مملكة أستانبول لا يقل عن مائة ألف وسبعين ألف بيت وفى مملكة النمسا قتل ونهب كثير منهم ونجا منهم قليل وهم الذين نصروا ومات كثير منهم بأن سدوا عليهم أبوابهم ثم أهلكوا أنفسهم وأزواجهم وأموالهم بالإغراق والإحراق وقتل غير المحصورين منهم وسلب وجار دوجان وهنرى الثالث من ملوك إنكلترا أموال اليهود مراراً حتى فضلوا الجلاء والخروج من مملكته وأجلى منهم أكثر من خمسة عشر ألفاً فى غاية العسر وقدر البابا قوانين شديدة فى حق اليهود. أ .هـ وما ذلك إلا لشدة خبيثهم وفحش إفسادهم وعتوهم إذا قدروا على الشر وإيقاع الضر والأذى أو آنسوا فى أنفسهم الشريرة قوة حتى إنهم حين أسر بختنصر من المسيحيين ثمانين ألفاً اشتروهم منه وقتلوهم عن آخرهم وهذا اللؤم لا نظير له فى أصناف البشر وكذلك حالهم مع العرب ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ (آل عمران:٧٥) ، ولما قاتل الفرس الروم وغلبوهم على بلادهم وملكوا بيت المقدس كان اليهود حين رأوا غلبتهم من أكبر أعوانهم حتى إنهم كانوا أكثر قتلاً وفتكاً من النصارى من الفرس وهدموا الكنائس ثم لما سار هرقل إلى بيت المقدس وقاتل الفرس وشمروا بغلبته عليهم استقبله اليهود وسألوه أن يكتب لهم عهداً ففعل فلما احتل بيت المقدس شكى إليه النصارى وذكروا ما صنعه اليهود بهم وطلبوا منه أن يقتلهم فقال كيف وقد كتبت لهم عهداً بالأمان؟ فقالوا له إنك حين أعطيتهم الأمان لم تدر ما فعلوا من قتل النصارى وهدم الكنائس وقتلهم قربان إلى الله تعالى فأجابهم وقتل من اليهود حول بيت المقدس وجبل الخليل مالا يحصى كثرة وصار النصارى يصومون جمعة كاملة فى أول صومهم للملك هرقل غفراناً لنقضه العهد وقتل اليهود وكما بزغ فجر الإسلام وبعثة النبى ﷺ إلى كافة الأنام تخوفوا منه وأضمروا إيقاع الضر به كما فعلوا بمن قبله من الأنبياء، فدسوا له السم فى ذراع الشاة التى =

= أهدوها إليه ، وصنعوا له السحر ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وما أسلم منهم غير أفراد لو أسلم عشرة من اليهود لأسلم اليهود ثم صالحوه تقية وعاهدوه وعاقدوه وبعد غزوة أحد ذهب كعب بن الأشرف بأربعين من أحبارهم وكبارهم وتعاقدوا وتعاهدوا مع أربعين من المشركين على حرب النبى ﷺ ونقضوا عهده والميثاق وخانوا وغدروا ودبروا الكيد له وهموا بإلقاء صخرة عليه فأعلمه الله بذلك وصانه من كيدهم وشرهم وخبثهم ومكرهم وأمره بحربهم وإجلاءهم من ديارهم وأنزل فيهم الآيات الكثيرة وبين فظائعهم وأعمالهم النكيرة ومنها قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا عَتَوا عَن مَّا نُهُوا عَنهُ قُلنَا لَهُم كُونُوا قِرَدَةً خَاسئينَ. وإذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبعَثَنَّ عَلَيهِم إلى يَومِ القيَامَةِ مَن يَسُومُهُم سُوءَ العَذَابِ إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العقَابِ وإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحيم﴾ (الأعراف:١٦٦-١٦٧) ، فحاربهم ونكل بهم وأمر أولا بقتل كعب بن الأشرف سيد بنى النضير وقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن يحملوا ما يشاؤون حمله من أمتعهتم وأخشاب بيوتهم فصاروا يخربونها بأيديهم لأخذ خشبها وأعانهم المسلمون على ذلك ونزل فيهم قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذى أخرجَ الَّذينَ كَفَرُوا من أهلِ الكتَاب من ديَارهم لأول الحشر ، مَا ظَنَنتُم أن يَخرجوا وظَنُّوا أنَّهم مَانعَتُهُم حُصُونُهُم منَ اللَّه فَأتَاهُم اللَّهُ من حَيثُ لَم يَحتَسبُوا وقَذَفَ فى قُلُوبهم الرُّعب يُخربُونَ بُيُوتَهُم بأيديهم وأيدى المُؤمنينَ فَاعتَبرُوا يَا أُولى الأبصَار ولَولا أن كَتَبَ اللهُ عليهم الجَلاء لعذَّبهم فى الدُّنيا ولَهُم فى الآخرة عذاب النَّار﴾ (الحشر:٢-٣). وهاجم خيبر وبنى قريظة وفتحها وقتل سيدها " حيى بن اخطب " ودك حصونهم وشتت جمعهم واستخرج من حصونهم ومستودعاتهم آلات الحرب التى كانوا يعدونها لبغيهم وعدوانهم من سيوف ورماح ودروع ومجانيق وغيرها ولم يبق منهم بأرض المدينة إلا من دان منهم للجزية بشروط وعهود ، ثم فى زمن عمر رضى الله عنه خالفوا الشروط ونقضوا العهود والمواثيق فأجلاهم عن آخرهم فذهبوا إلى أريحا وأذرعات وشتتوا فى البلاد ولم تقم ولن تقوم لهم قائمة بغضب الله عليهم بسوء سرائرهم وخبث سيرهم وأخلاقهم كأسلافهم ولايأتى من الحنظل غير الحنظل ولايميل إليهم إلا من كان على شاكلتهم أو يطمع فيهم ومن الناس من يؤازرهم ليتخلص من شرهم وذكر ابن القيم فى "إغاثة اللهفان" أنهم يقولون فى صلاتهم من العشر الأول من كل سنة يا إلهنا وإله آبائنا أملك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى نسمة إله إسرائيل قد ملك ومملكته فى الكل متسلطة وسيكون الله تعالى الملك وفى ذلك اليوم يكون الله واحداً واسمه واحداً ويعنون بذلك أنه لا يظهر الملك لله تعالى إلا إذا صارت الدولة لليهود الذى هم صفوته وأمته وشعبه المختار . أما ما دامت الدولة لغير اليهود فإنه سبحان وتعالى خامل الذكر عند الأمم مطعون فى مملكته مشكوك فى قدرته وهم ينتظرون المسيح الذى وعدوا به ليعيد مجدهم ويشيد ملكهم وهم فى الحقيقة ينتظرون مسيح الضلال الأعور الدجال فهم أتباعه وهلاكه وإياهم بفلسطين وإلا فمسيح الهدى عيسى يقتلهم ولا يبقى منهم أحد كما يقتل عباده من النصارى ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية . أهـ بنوع من التصرف . " (هـ ٢ من اتحاف الأعزة ص ٣٢) .

وفى" الخطط "[1] تغلب " إسكندر المقدونى" اليونانى على " دارا " ملك العجم ، ودخلت جميع ممالكه تحت حكمه، حتى استولى على جميع البلاد الشامية، وسلمت له المدائن الحصينة مثل : صيدا ، وصور، وفلسطين، حتى وصل غزة، فاستعصت عليه لمناعتها وقوة بأس حاميتها، وكانت من العرب فقاومت أشد المقاومة، فحاصرها حصاراً شديداً، وكان يتولاها قائد من أشهر الفرس وهو خصى، يقال له: "باتيس" كان يحكم البلد ويخفر القلعة، فاستخدم " الإسكندر الكبير" كل آلات الحصار المعروفة يومئذ، والكبش الحديدى الذى استعملوه فى فتح "صور"، وبنى المهندسون أبراجاً مقابل حصون المدينة، وجرح بالوقعة الدموية التى قاتلها المحاصرون. ثم بعد حصار طويل دام شهرين أو أربعة أو خمسة أخضعت"غزة " مهاجمة بعد أن قتلت كل جنودها ، ولم يبق فيها محارب، كما رواه " أوريان " المؤرخ، ودخلت جنود" إسكندر الفاتح" غزة، وفتكوا بأهلها واستعبدوا منهم عشرة آلاف، وربط " باتيس" الخصى وراء مركبة الإسكندر، فجرته الخيول حتى مات[2]. وفى "تاريخ الدبس" : (وحملته ثورة حنقه على أن يعامل" باتيس" وجنده وأهل مدينته بقسوة عظيمة، لا معذرة له فيها فأبسل بحد السيف ألفى رجل، وباع البقية ونساءهم وصغارهم، وأرسل أكثر ما غنمه فى غزة إلى أمه" أولمبيا" وإلى أخته "قلوبطرة"، وإلى بعض أصحابه "خمسمائة قنطار "من البخور ومثلها من "المر" إلى حاكم "مكدونيا" وأوصاه أن لا يضنى لها على الآلهة أ.هـ.
وفى" تاريخ سوريا" : (وبعد أن فاز الإسكندر بالنصر، عزم على المسير إلى مصر، فزحف بجنده والنصر حليف حسامه، والمدن تفتح له أبوابها حتى مدينة غزة، وكانت حصناً حصيناً يتأمرها "باتيس" الفارس، وكان قد جمع

---

(١) انظر خطط الشام : محمد كرد على ج١/ ٩٢ . دمشق ، ١٩٢٥ . المطبعة الحديثة بدمشق .
(٢) راجع ما كتبه العارف فى تاريخ غزة (ص٥٢ - ٥٤) .

جيوشاً مستأجرة وأذخر الذخائر والمؤن وزاد بتحصين المدينة وأبى تسليمها، فأقام بحصارها شهرين، فامتنعت عليه ثم فار، ودخلها عنوة وظل أهلها يحاربون، حتى ماتوا عن آخرهم وأسر منه عشرة آلاف، وأخذ باتيس وتعبت أباهمه، وربط في مركبة حربية ، وجر حتى هلك وتقدم منها إلى مصر واستولى عليها وصارت في قبضة اليونان، وأسسوا فيها " الدولة المقدونية" ثم" الدولة البطليموسية"وبقيت في حكمهم نحو ثلاثة قرون، وكان ابتداء ذلك في سنة (٢٣٢ قبل الميلاد) . وحيث أن الحروب كانت تتوالى، والخصومات لا تنقطع بين ملوك سوريا ومصر، وغزة همزة الوصل بينهما ، وهي الطريق المسلوكة لهما، لذلك كانت مسرح (الحروبات) الهائلة، ومحط الجيوش الفاتكة وممر المتحاربين ومرمى المتناضلين، تكررت ويلاتها وتعدد تخريبها، سيما في الحروب التي وقعت بين البطالسة والسلفيكيين، مما أسرع بها إلى الخراب في المرة الأولى قبل المسيح بمائة سنة لكنها نهضت من أنقاضها ، وقامت من كبوتها وعادت لحالتها غير أنها بطيئة التقدم والرقي في كل دور من أدوارها . أما الأنباط فقد خلفوا الأدوميين، وشيدوا لهم ملكاً وكانت عاصمتهم البتراء موقع " وادي موسى " حينما كان البطالسة في مصر والسلوقيين في سوريا يتناحرون، وقد امتد سلطانهم من العقبة إلى غزة وحدود مصر ثم عم حوران والعراق، وآخرهم مالك الثالث بن مالك الثاني بن الحارث، وفي عهده فقد الأنباط استقلالهم وزالت مملكتهم بعد أن نازعهم التدمريون[1]، سنة (١٠١م) بتعضيد

---

(١) " نسبة إلى تدمر عاصمتهم وهي مدينة قديمة بينها وبين حلب خمسة أيام سميت باسم تدمر بنت حسان ابن أذينة بن السجيدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وهي من عجائب الدنيا وبقيت بعدهم تحت حكم الرومان إلى أن فتحها صلحاً خالد بن الوليد رضي الله عنه حين مر عنها في طريقه من العراق إلى الشام وقد كانوا تحصنوا بها منه فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال يا أهل تدمر لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم ولأرجعن إليكم وأدخلن مدينتكم وأقتل مقاتلتكم وأسبي ذراريكم فلما ارتحل بعثوا إليه وصالحوه على ما رضي به ثم خرجوا عن طاعة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فسار =

الرومان، وانضمامهم إليهم ثم تلاشت بالرومان دولتهم، قل ﴿ **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾[١] .

* * *

= إليهم بجيشه وحاربهم وفرق الخيل عليهم تدوسهم وهم قتلى فطارت لحومهم وعظامهم من سنابك الخيل وما مكث أياماً حتى أقبل عبد الله بن على العباس فقتل مروان وفرق جيشه واستباحه وأزال الملك عنه وعن أهل بيته فى خلفتهم الدولة العباسية ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ سورة آل عمران آية ٢٦ . (هـ١ ص٣٣ إتحاف الأعزة) .

(١) سورة الأعراف آية (١٢٨) . وليس فى الآية (قل) (المحقق) .

غزة فى عهد الرومان

غزة فى عهد الرومان [1]

ملكت الدولة الرومانية بلاد مصر والشام من سنة (٣٠ ق.م)، وكانت عاصمتهم "روما "ثم " أنطاكيا " ، ثم "بيزنطة" وهى" القسطنطينية" ، وكانوا مجوساً وثنيين يعبدون الكواكب والأصنام[2]،وفى مدة القيصر "أكتافيوس" أمر عامله بمصر "بطرينوس" بغزو بلاد العرب فغزاها بجنود رومانية فانتصرت أولاً ، ثم انهزمت ، ولم تتمكن من فتح بلاد اليمن، وكانت نصب أعينهم ومطمح أنظارهم لكثرة خيراتها، كما أن "إسكندر يانيوس" قبل ذلك غزا فى سنة(٩٦ ق.م) غزة وحاصرها سنة كاملة، ثم فتحها وخربها، ثم أعاد الرومان بناءها وشيدوها، كما عمروا بيت المقدس وسموه " إيلياء" "أى بيت الرب"

ثم تولى الملك" أغسطس" وفى مدته ولد عيسى (عليه السلام) وكان "يوليوس" ملكاً على فلسطين، وحاكم اليهود بالقدس " فيلاطوس" "هيردوس"وهو آدومى الأصل، واعتنق الديانة اليهودية، وكان يحب التقاليد الرومانية، وهو الذى حكم على عيسى بالصلب، وقتل بعض حواريه،

(١) بصدد التعرف بصورة وافية على حضارة الرومان انظر : " تاريخ العالم " تأليف : السير جون أ. هامرتن ترجمة إدارة المعارف العمومية مكتبة النهضة المصرية (المجلد الثالث والرابع). وراجع : " قصة الحضارة " ، تأليف : ول ديورانت المجلد التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر . مصدر سبق ذكره . وراجع : الدراسة المهمة التى كتبها الدكتور أسد رستم بعنوان : " الروم فى سياستهم وحضارتهم ، ودينهم ، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب " (جزءان) نشرت ضمن مجموعة الدكتور أسد رستم رقم (٢٣ - ٢٤) فى بيروت ونشرتها المكتبة البوليصية ، سنة ١٩٨٨ طبعة ثانية منقحة.

(٢) قال أبو الفدا" إن الروم كانت تدين بدين الصابئة ويعبدون أصناماً على أسماء الكواكب. . . " (هـ١ ص ٣٤ إتحاف الأعزة). وانظر: المختصر فى أخبار البشر لأبي الفداء بن شاهنشاه بن ديوب، تعليق: محمود أيوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، ١٤٦/١.

وخرج على المكابيين فقضى عليهم وقتل آخر ملوكهم. ثم قام الملك "طيوطوس" بعد رفع المسيح بأربعين سنة، فغزا بيت المقدس ، وأوقع باليهود وقتل وأسر ولم ينج منهم إلا من هرب، ونهب القدس وخربها وأحرق الهيكل، وأحرق كتباً كثيرة ،وخلت القدس من اليهود ، وتشتتوا فى أقطار العالم، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك، وجاء بعده الملك "ذومطيتوس" وتتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم، وفى سنة(٦٦ م) قامت الحرب بين الرومان واليهود ،فذبح الرومان عدداً كبيراً من اليهود فى أكثر المدن وقتلوا فى "قيساريه" ٢٠ ألفاً وفى "بيسان" ١٣ ألفاً وفى " عكا" "وعسقلان" ٤ آلاف . ثم تغلب اليهود وأحرقوا"عسقلان" وغزة، فداهمتهم جيوش الرومان مع الجيوش العربية ، وكانت حلفا لها بقيادة ملكها الحارث ، وكانت الغلبة للرومان وحلفائهم العرب سنة (٧٠م)، قال فى "لب التاريخ" : (وفى سنة ٣٨١ م تدين الملك "طيودوسيس" بدين المسيح (عليه السلام) وأمر باتباعه فى جميع أنحاء ممالكه، وأمر بمحو الديانة الجاهلية، وهدم الهياكل والمعابد المصرية، وبموته انقسمت المملكة الرومانية بين ولديه إلى مملكتين: غربية وعاصمتها روما وملكها "أنوريوس بن طيودوس "، وكان منها إيطاليا وبريطانيا وأسبانيا وأفريقية الشمالية عدا مصر، وكانت اللغة الغالبة فيها اللاتينية، وشرقية وعاصمتها القسطنطينية وملكها "أركاديوس بن طيودوس"، ومنها ولايات آسيا إلى الفرات، ومصر وقسم آخر إلى أوروبا واللغة الغالبة فيها اليونانية ، ومن ذلك العهد انتهى الدور الجاهلى وقد اجتهد فى تقوية دين المسيحية، وتوطيد دعائمه ونشره فى سائر البلاد، كما اجتهد أولاده من بعده، ومع ذلك ظل بغزة ثمانية هياكل وثنية، حتى القرن الخامس، فأرسلت الملكة " أفذوكسيا "[1] امرأة " أركاديوس" أمراً بهدمها، وبناء كنائس مسيحية عوضها، وفى مكانها كما سنراه مفصلاً.

(١) أفذوكسيا: إمبراطورة بيزنطية فى القرن الخامس الميلادى. انظر: الموسوعة الفلسطينية جـ٢/ ص٩٣.

استطرد حسن الإيراد

ذكر " ابن خلدون " فى تاريخه أنه فى أيام "ديقلاديانوس "، خرج قسطنطين على ابن عمه ونائبه" ،بيزنطية" وآسيا ورأى " هيلانه"، وكانت تنصرت على يد أسقف الرهاة، فأعجبته وتزوجها وولدت له " قسطنطين" بانى" القسطنطينية" المدينة المشهورة، وكان فى مكانها قبلها مدينة صغيرة تسمى " بيزنطة"، وكانت أمه صالحة فأخذت بدين المسيح لثنتين وعشرين من ملك " قسطنطين" ابنها، وجاءت للقدس وسألت عن مكان الصليب، فوقفت عليه وترحمت وسألت عن الخشبة التى صلب عليها بزعمهم، فأخبرت بما فعل اليهود فيها، وأنهم دفنوها وجعلوا مكانها مطرحاً للقمامة والنجاسة والجيف والقاذورات، فاستعظمت ذلك فاستخرجت تلك الخشبة فطهرتها وطيبتها ووشتها بالذهب والحرير، ورفعتها عندها للتبرك بها، وأمرت ببناء كنيسة هائلة بمكان الخشبة تزعم أنها قبره، وهى التى تسمى لهذا العهد " قمامة"، وخربت مسجد بنى إسرائيل، وأمرت بأن تلقى القاذورات والكناسات على الصخرة التى كانت عليها القبة التى هى قبلة اليهود ،إلى أن أزال ذلك عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس، أ.هـ فكان يقال لتلك الكنيسة " كنيسة القمامة"، فحرفوها " بالقيامة" فهى تعرف بذلك إلى الآن .، وقال فى موضع آخر جاءت " هيلانه" أم الملك " قسطنطين " لزيارة بيت المقدس وبنت الكنائس فى البلاد، وسألت عن موضع الصليب، فأخبرها الأسقف " مقاريوس" أن اليهود أهالوا عليه التراب والزبل، فأحضرت الكهنوتية وسألتهم عن موضع الصليب، ورفع ما هنالك من الزبل، ثم استخرجت ثلاثة من الخشب وسألت أيتها خشبة المسيح؟ فقال لها: "الأسقف علامتها أن الميت يحيى بمسيسها ويعافى ذو العاهة لوقتها إذا

مسها" فصدقت ذلك بتجربتها واتخذوا ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب وبنت على الموضع كنيسة القمامة، وأمرت الأسقف مقاويوس ببناء الكنائس، وكان ذلك سنة (٣٢٨) من ميلاد المسيح (عليه السلام)، وكان "قسطنطين ابن " قسطنطينش" على دين المجوسية، وكان شديداً على النصارى، ثم جنح إلى دين النصرانية وأظهر ديانة المسيح، وجاهد الفرس حتى غلبهم على كثير من ممالكهم، وخرجت أمه الملكة "هيلانة " لطلب آثار المسيح، وبنت الكنائس فى البلدان، ورجعت وهلك "قسطنطين" لإحدى وثلاثين سنة، من ملكه وملك بعده ابنه قسطنطين أ.هـ.

قال فى" أعلام النبوة " وقد كان النصارى قبل تنصر الملك قسطنطين، على دين صحيح فى توحيد الله تعالى، ونبوة عيسى (عليه السلام) ثم اختلفوا فى عيسى بعد تنصر" قسطنطين"، وهو أول من تنصر من ملوك الروم أ.هـ ومن آثاره بغزة ميناؤها القديمة ففى" تاريخ سوريا" وكانت غزة ذات ميناء مشهورة اسمها " ماجونا " ، فصلها الملك " قسطنطين" ثم أعاد " بوليانوس" الجاحد ضمها، فدكها أهل غزة للأرض يعنى لقوة أهالى البلاد وتضافرهم على الديانة المسيحية[1]، لقيام الدولة الرومانية بها، وحمل أهالى المملكة عليها، وتقهقر الفرس واضمحلال قوة اليونان وانقراض اليهود وإقبال العرب ومحالفتهم للرومان[2] قال فى " خلاصة تاريخ كنيسة

---

(١) " واعتنق أهلها الديانة المسيحية قبل غزة سنة ٣٣٣ق. م .

(٢) انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، شحادة خورى ونقولا خورى، القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥، ص٨- ٩، والنص : " وقد تكاثر عدد المسيحيين إذ ذاك فى قيسارية التى كان قد بناها هيرودس الملك فأصبحت مركز الديانة المسيحية كما كانت طبرية مركز الديانة اليهودية وغزة مركز الديانة الوثنية ... أما المدن الشهيرة فى فلسطين آنئذ فكانت: يافا التى حصنها وسبسيان بعد تدميرها من تيطس ابنه، وعسقلان، وغزة وميومه فرضتها- وكان أكثر سكانها من اليهود، وبيت لحم، والفثروبلس (بيت جبرين)، وبانياس، وسبسطية، وعكا، ونيكوبلس (عمواس)، وذيو قيصرية (صفورية) واسكثوبلس (بيسان) .. وبيلا وجرش وفيلادلفيا (عمان) وبصرى ، وبطره (وادى موسى) وغيرها. وكان المسيحيون مع قلة عددهم مضطهدون من اليهود والوثنيين معًا.. " .

أورشليم الأرثوذكسية" :" وقد كان مركز الديانة المسيحية إذ ذاك فى "قيسارية"، التى بناها الملك " هيردوس "، كما كانت " طبرية " مركز الديانة اليهودية، وغزة مركز الديانة الوثنية، أما المدن الشهيرة آنئذ فى فلسطين، فكانت "يافا" التى حصّنها، و"بيسان"بعد تدميرها من تيطس ابنه "وعسقلان"، "وغزة"، " وميوما" فرضتها وكان أكثر سكانها من اليهود و"بيت لحم" و "بيت جبرين" و "بانياس" و "سبسطية" و "عكا" و"عمواس" و" صفورية" "وبيسان " وبيلا " " وجرش " " وعمان" "وبطرة وادى موسى"، وغيرها وكان المسيحيون لقلة عددهم مضطهدين، من اليهود والوثنيين معاً ، ولا زالوا فى اضطهاد إلى أن تنصر الملك "قسطنطين" واشتهر القديس " إيلاريون"، الذى ولد من أبوين وثنيين فى يافا بقرب غزة سنة (٢٩٠ م)، وأنشأ منسكاً بين غزة وميوما "دير الداروم"[(١)]، فكان أقدم دير أسس فى ذلك الوقت فاهتدى به الكثير من الوثنيين وقبائل من العرب برمتها الذين كانوا يقطنون جنوبى "غزة"[(٢)]، " وتنصر أهالى ميوما (خربة المنية)، سنة (٣٣٤) فسر بهم الملك "قسطنطين" وشرف مدينتهم فسماها "قسطندية" نسبة إليه"[(٣)] ،وأسقفها "بقلنيس" ومنها "زخريا" البطريك الخطيب الشهير فى القرن السادس، وهدمت بغزة الهياكل الوثنية، وبنت كنيسة عظيمة على نفقة الملكة " أفذوكسيا "، مكان

(١) دير الداروم وما جاء عنه فى معجم البلدان لياقوت الحموى ج٢/ ص٤٨١ - ٤٨٣ .

(٢) " انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، نقله الطباع بتصرف، ص١٠، والنص: " ولبثت الكنيسة فى اضطهاد مستمر من عهده إلى أن تنصر قسطنطين الملك. وفى هذه الأثناء اشتهر القديس ايلاريون الذى ولد من أبوين وثنيين فى تافاثا بقرب غزة سنة ٢٩٠ والتصق بالقديس انطونيوس فى الأسكندرية فتعلم منه طريقة التوحد وأنشأ منسكاً بين غزة وميومة فكان أقدم دير أسس إلى ذلك الوقت فاهتدى بوعظه وسيرته الكثيرون من الوثنيين وقبائل برمتها من العرب الذين كانوا يقطنون جنوبى غزة أيضاً والتف حوله ألفا ناسك". مصدر سبق ذكره.

(٣) انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص١٤، مصدر سبق ذكره .

هيكل "مارنا" سنة ٤٠٧ "[1]، وكانت أعظم كنسية فى ذلك الوقت، وتشتت الوثنيون وتنصر الكثير منهم، وكان " بولس" أسقف (انتيذون) (خربة البلاخية) الواقعة بقرب غزة ، أما أسقفية غزة فتركت لليونان لأن أهالى غزة كانو يونان وثنيين فتنصروا، وظلوا محافظين على لغتهم على الرغم من محاولات خلفاء الدول العربية طمس وقلب لغتهم وجنسيتهم ثم قال فإن كانت جنسية أهالى فلسطين لاحقة بلغتهم، فهم آراميون أثناء حكم ملوك "أشور وبابل" عليهم حينما كانت لغة البلاد كلها أرامية ويونانية أثناء حكم الدولة اليونانية وبالأحرى " المكدونية "، التى نشرت اللغة اليونانية فى البلاد وعممتها ، وعربية منذ الفتح العربى إلى الآن، نحو ثلاثة عشر قرناً سادت فيها اللغة العربية سيادة تامة أ.هـ.

ومن ملوك الرومان طيباريوس، وهو الذى بنى مدينة (طبرية) بفلسطين، قيل: ورفع المسيح (عليه السلام) فى مدته ومنهم" تيودوسيسوس"، وبعده قسمت المملكة بين ولديه الملك " أركاديوس " وقد انتصرت العقيدة الأرثوذكسية انتصاراً باهراً، والملك" جوستنيان" وإليه يعزى أكثر الأبنية والحصون التى شيدت فى فلسطين، وكان لهم فيها ثلاثة عشر موقعاً محصناً، وهى "غزة" و "عسقلان" و "يافا" وبيت جبرين وبيت لحم و "بانياس" و "سبسطية" " وبيسان" و" عمواس" و" عكا" و" عمان" و" جرش" و" بصرى "، وقد كانت البلاد صبغت فتح "الإسكندر المكدونى" سنة (٣٣٣ ق.م) بصبغة يونانية، وتغلبت لغة اليونان ومعبودتها الوثنية بها حتى تغلب عليها اليونان، وسار إليها" بومبى" بجيوشه ففتحها ومنح استقلالاً ذاتياً للمدن اليونانية بشرقى الأردن على أن تقبل بمراقبة الحاكم الرومانى فى سوريا وفلسطين فى مقابل هذه الحقوق والامتيازات، وظلت الهياكل الوثنية بغزة إلى مدة الملكة " أفذوكسيا" زوجة الملك" أركاديوس"

---

(١) المرجع السابق ، ص١٩ .

المذكور، وواصل القديس " برفيروس " أسقف غزة السعى لتطهير البلاد من الوثنية . إليك ما جاء فى كتاب الشماس " مرقس " المؤلف قبل الإسلام باللغة اليونانية[1] فى ترجمة أسقفها المذكور وعرَّبه" وهبة صروف" وطبع بالقدس سنة(١٩٠٠ م) قال فيه: : (إن غزة مدينة من أعمال فلسطين، تتاخم أرض مصر، وهى ليست من المدن الحقيرة، بل مدينة شهيرة كثيرة السكان، وكانت عبادة الأوثان زاهرة فيها نامية بين سكانها، يهيمون فيها متهوسين بها، ولما سمع رئيس كهنة المدينة المقدسة" إيرايليوس" باسم "برفيريوس البار وبسيرته" استدعاه وسامه قساً بلهفة واهتمام عظيم، وأناط به حراسة عود الصليب، وبعد ثلاث سنين من سياسته قساً توفى " إيناس"، أسقف مدينة غزة، ولم يقم فى كرسى أسقفيتها إلا زمناً قصيراً متخلفاً عن أسقفها" إيرنيون" الذى توفى أسقفاً عليها، وحصل جدال بين المسيحيين بغزة فيمن يقيمونه أسقفاً، فتوجه فرقة منهم إلى رئيس الأساقفة (أو المطران) "بقيسارية"، وكان إذ ذاك " يوحنا" فلما حضره وفد غزة وطلب إليه أن يعطيهم أسقفاً قادراً على مصادمة عبادة الأوثان، قولاً وفعلاً فألهم بانتخاب "برفيريوس" المغبوط أسقفاً، فبعث إليه وسامه اسقفاً على غزة بالرغم عنه ووجهه إليها مع الوفد الذى أتى منها، وكابدوا دون الدخول إليها مشقات وأكدار كثيرة، وذلك لأنه بالقرب من مدينة غزة على الطريق قرى كثيرة لعبدة الأوثان، فوضع أهلها على كل الطريق عمداً وأكداساً من الشوك والعوسج، وصبوا على الأكداس أوخاماً وأقذاراً حتى لا يستطيع الإنسان اجتيازها، ثم توجهوا إلى" دار الأسقفية " التى كان الأسقف "إيرينون" السابق ذكره قد بناها، والكنيسة المدعوة" إيرين " (أى السلام) وقد دعيت بذلك لأحد سببين: أحدهما أنه لما استولى "إسكندر المكدونى" على هذه المدينة، اتبع رأى مستشار له فانكف فى هذا المكان عن القتال فسمى إيرينى (سلماً أو

(١) لم أقف على هذا الكتاب.

سلاما)، فبنى إيرنيون الكنيسة فيه والثانى مجانسة اسمها لاسم بانيها إيرينون ولم يزل عليها هذا الاسم إلى الآن، وأما الكنيسة القديمة وكانت غربى المدينة وخارجها ،فبانيها على ما قيل "إسكليباس" الأسقف الكلى، وكان أكثر بيوت غزة مبنياً بالطوب، وأكثر سكانها من اليونان الوثنية، والمسيحيون بها مستقلة وكابدوا عذاباً كثيراً من عبدة الأوثان، وكانوا لا يسمحون لهم بنوال وظائف مدنية، بل يعاملونهم معاملة خدام لا غير. وإذا رأى برفيريوس فظائع عبدة الأوثان تجرى كل يوم بدا له أن يرسل إلى بيزنطة متضرعاً إلى الملك فى هدم هياكل الأصنام، وكانت لم تزل موجودة فى غزة، لا سيما الهيكل المعروف بالمارنى، فظهر الأمر الملوكى بإقفال وتعطيل معابد الأصنام فى مدينة غزة، متوعداً أعيان أهاليها بقطع رؤوسهم إن لم يقابلوا الأمر بالطاعة والتنفيذ، ثم سافر برفيريوس ويوحنا أسقف قيسارية إلى رودس ، ومنها إلى عاصمة الملك طالبين هدم معابد الأصنام، حيث أن الأمر لم ينفذ، ثم توصلوا إلى الملك غراتيانوس وهواركاديوس بن الملك تيودروسيوس، والملكة أفذوكسيا وصادف، أنه ولد له ولد سماه باسم أبيه بعد دعائهم وتضرعهم له، وكتبوا عريضة طلبوا لها زيادة عن كسر الأصنام، وهدم معابدها منح امتيازات، وإقطاعات للكنيسة وللمسيحيين فإنها كانت فى حالة الفقر والحاجة، وساعدتهم الملكة على تنفيذ ذلك، وكانت قبل ولادتها وعدتهما أيضاً ببناء كنيسة، وفوض ذلك إلى رجل أرثوذكسى صحيح الاعتقاد حار الإيمان من أعضاء دار الندوة يدعى كينيجيوش، وأوصته الملكة بأن يهدم كل هياكل الأصنام ويستأصلها من الأساس، ويحرقها بالنار وأمرت بإحضار نقود وقالت لمعلم الأسقف برفيريوس، خذ هذين القنطارين، وابنِ الكنيسة المقدسة التى نذرت واعدة ببنائها فى وسط مدينة غزة، وإن احتجت إلى دراهم غيرها فأعلمنى، أرسل اليك حالاً وابنِ نزلاً أيضاً (فندقاً أو مضافة وربما يعنى به الدير) وهو خان الزيت المجاور لها، نتقبل فيه الذين يقصدون

مدينتك، وتقوم بنفقتهم ثلاثة أيام وحازوا إنعامات كثيرة، وسافروا منها إلى جزيرة رودس، ومنها أبحروا حتى بلغوا ساحل غزة المدعو ميوما، ودخلوا المدينة باحتفال، ثم هجم الحاكم والأمير والرؤساء والجنود والأغوات والمسيحيون، وهدموا ما فى غزة من هياكل الأصنام العمومية وكان عددها ثمانية أصنام لبعل الشمس، وأفروديتى، الزهرة، وزفس، المشترى، وأيكاتى القمر، وأبولون، وكورى، وإيروس، وتينجى ، وكانت أصنام كثيرة فى البيوت والقرى لا يمكن حصرها بالضبط لان شياطينها رأوا لين عريكة أهل غزة وسهولة انقيادهم، فانتفعوا من حسن نيتهم وملأوا مدينتهم وضواحيها ضلالاً، وكان أهلها يتحملون ذلك عن شدة بساطتهم وطيب قلوبهم، فكانوا متى انتقلوا إلى الديانة المسيحية يصيرون أتقياء ذوى غيرة حارة . أما الجنود فقد هجمت مع مسيحى المدينة وسواحلها وعلى معابد الأصنام وتعسر عليهم هدم هيكل مارنا، وتحطيم ما فيه من الأصنام، فجاؤوا بقطران وكبريت وشحم خنزير، وخلطوه وطلوا أبوابه النحاسية وأعطوها النار فاستمر يتأجج بالنار، حتى احترق بما فيه، وبعض الأصنام طرح فى الأوخام والأقذار. وقد وجدت فيها كتباً مملوءة شعوذة، وخرافات كان يعتبرها عبدة الأوثان مقدسة، ومنها كانوا يتعلمون إجراء فروض ديانتهم وفظائعهم، فأصاب كتبهم هذه ما أصاب آلهتهم، وانضم إلى رعية المسيح فى تلك السنة نحو ثلاثمائة شخص، ومن ذلك الحين صار المسيحيون يزدادون فى العدد كل عام، ولما ساد الهدوء فى المدينة أخذ برفيريوس والشعب المسيحى، يفكرون ببناء الكنيسة فى مكانه، وكان قد عين للبناء مهندساً أنطاكى الوطن اسمه: "رفونس" الماهر فى صنعته، وعلى يده تم البناء كله. فأخذ رفونس قطعة جبصين، وخط مكان الكنيسة طبق الرسم المرسل من الملكة أفدوكسيا، وتم تنظيف المكان وحفره فى أيام قليلة، وكان قد أعد ما يلزم للبناء من حجارة فخمة عظيمة قطعت من جبل شرقى المدينة يدعى أريوماتوس، ومواد غيرها

وكان البناء يتقدم يوماً عن يوم، إذ كان الجميع يشتغلون فيه برغبة ،ولم تكن الأجرة تضيع على أحد.

وفى السنة التالية أرسلت الملكة أفذوكسيا الأعمدة التى كانت وعدت بها، وهى اثنان وأربعون عموداً كارستيا (نسبة إلى مدينة كارشوس من شبه جزيرة أبيافى بلاد اليونان)، كلها كبيرة وبديعة ولما وصلت إلى مينا غزة ظهرت رغبة الشعب المسيحى ونشاطه فى نقلها كعادته، فهرع الجميع رجالاً ونساء وشيوخاً، إلى الساحل وأحضروا مركبات نقل، وصاروا يضعون عليها كل عمود بمفرده ويجرونه إلى باحة الهيكل، إلى أن نقلوها كلها فوضعت فى بناء الكنيسة، وتم البناء فى خمس سنوات فدعيت بالكنيسة الأفذوكسية، فاحتفل برفيريوس بتدشينها يوم أحد الفصح احتفالاً عظيماً باهراً، لم يضن عليه بالنفقة بل جمع كل الرهبان فكانوا نحو الألف، وكثير من الاكليركيين والعلمانيين والأساقفة وقضى كل أيام الفصح بسرور وبهجة، وكانت أجواق المرتلين تطرب الأسماع بالأناشيد أ.هـ باختصار ونوع تصرف. قلت: وقد رسم على أحد الأعمدة المذكورة صورة تاج الملك أركاديوس وعليه رسم بوق وسكين كان الرومان يفعلون ذلك تذكاراً لانتصارهم على اليهود وتقدم أنهم اضطهدوهم وقتلوهم وأسروهم وهدموا هيكلهم وفعلوا بهم ذلك غير مرة، كما أنه لم يوضع من العمد غير أربعين والاثنان مع ما بقى من أدوات البناء بنى به فى ذلك العهد كنيسة المقبرة المسيحية الموجودة إلى يومنا هذا، وقد دفن فيها الأسقف برفيريوس، وقبره بها إلى الآن وعليه تاريخ وفاته سنة ٤٥٠م، وذكر مرقس فى ترجمته أنه أقام على أسقفيته خمساً وعشرين سنة، إلا أياماً إلى وفاته فى ٤ من شهر ديستروس سنة ٤٨٠م من تاريخ أهل غزة وهو تاريخ المكدونين ١٠هـ وهو يوافق ٢٩ شباط سنة ٤٢٠م، وهو اليوم المكرس لذكراه فى الكنيسة الشرقية والغربية ويؤيده تاريخ كنيسة أورشليم[١]،

(١) انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص١٨-١٩، مصدر سبق ذكره .

وقد ازدهرت الديانة المسيحية فى البلاد بعد ذلك، وكثرت المعابد لاضمحلال الوثنية، وتقلص ظلها ولذا قال فى المعجم اليونانى[١]، اشتهر فى غزة فى القرنين الخامس والسادس بعد المسيح مدرسة كبيرة للخطابة، كان من أعظم معلمها المدعو شيوفيلكتوس سيموكاتس، وفيها هياكل مسيحية قديمة جداً ذات أهمية تاريخية الأرخيولوجيه، وفيها هيكل قديم باسم القديسين أستفانوس، وسرجيوس مبنى على شكل صليب يرجع عهده إلى القرن السادس بعد المسيح، بيزنطى الشكل بناه على ما يقال الملك يوستنايوس العظيم، (وهو أركاديوس المتقدم ذكره وهيكله) ويعتبر من أعظم المبانى التى شيدت على أيام هذا الملك، فى فلسطين وسوريا وغيرها من البلاد فى سنة ٤٠١م، أرسلت الملكة أفذوكسيا مهندساً من أنطاكية، مع رسم لبناء كنيسة عظيمة فى (وسط مدينة غزة)، وهى التى قامت بجميع مصاريف البناء الذى زينته بأعمدة من المرمر والرخام الخاص وغيرها، من المواد ذات القيمة والأهمية التى أرسلتها من القسطنطينية لإتمام بناء هذه الكنيسة، وقد كان هيكل القديسين «سرجيوس» و «أستفانوس» مرصعاً بالفسيفساء، (المزاييق) والإشارات اليونانية البيزنطية القديمة بعضها نقش من الذهب، والآخر من الفضة وغيرها من الرخام، وداخل الهيكل المذكور وعلى جدرانه من جميع الجهات، توجد صور متعددة لأشجار تفاح، وعنب وانجاص وخوخ ورمان وطيور وصورة لنهر النيل، وهو يصب داخلهما ويسقيها، وفى هذا الهيكل اكتشفت أيضاً صورة تابوت الشهادة وأيقونات عن حياة المسيح الطفولية وعن بعض أعماله وعجائبه وصلبه وآلامه وموته وقيامته، واكتشف أيضاً فى غزة آثارات كثيرة قدمية العهد مهمة جداً من الوجهة التاريخية، فى جهة المدينة المؤدية إلى البحر أ.هـ[٢].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) "وكان فى غزة كنائس بيزنطية عديدة منها كنيسة القديس سرجيوس وكانت فى شمالها لمدينة قرب السوق وكنيسة القديس أسطفان وبانيها الأسقف مارقيانوس وكانت فى سوق المدينة. (هـ ١ ص ٤٠ . إتحاف الأعزة) .

الأديرة ودير الداروم

الأديرة ودير الداروم

وكما كثرت الكنائس فى ذلك العهد، كثرت الأديرة (جمع دير) وهو بيت كبير، يتعبد فيه الرهبان، ولا يكاد يوجد فى المصر الأعظم، إنما يكون فى البلاد الصغيرة، والقرى والصحارى ورؤوس الجبال، وإن وجد فى المصر كان غير خاص بالعبادة، وإنما يكون نزلاً للمسافرين، وداراً للضيافة، وقد ذكر فى معجم البلدان عدداً كثيراً منها ببلاد العرب[١]، والعراق ومصر والشام وغيرها لانتشار الديانة النصرانية فى هذا الدور ،وإقبال الناس على العبادة والتنسك، والتحق بهم من العرب خلق لا تحصى، ثم توسعوا فى الأديرة، حتى صارت حصوناً ومعاقل، وتسمى بأسمائها كثير من البقاع والقرى، وتقدم عن تاريخ كنيسة أورشليم[٢]، أن اشتهر القديس إيلاريون[٣]، الذى ولد من أبوين وثنيين فى (تافانا) بقرب (غزة)[٤] سنة ٢٩٠م وأنشأ منسكاً بين (غزة وميوما) (واشتهر بدير الداروم)، فكان أقدم دير أسس إلى ذلك الوقت، فاهتدى به الكثير من الوثنيين ، وقبائل من العرب، برمتها الذين كانوا جنوبى، (غزة) كما تنصر أهالى (ميوما) سنة ٣٣٤، وهو هيلاريون الذى

(١) بصدد الأديرة، هناك كتاب بعنوان «الديارات» للشاشى، نشرة كوركيس عواد فى بغداد. (المحقق).

(٢) انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص١٠، مصدر سبق ذكره .

(٣) هو نفسه هيلاريون الذى سبق ذكره .

(٤) بصدد الآثار النصرانية فى غزة ، انظر : مقالة بعنوان :

" آثار قديمة للنصرانية فى غزة وضواحيها " للأب الدكتور لويس موصيل" .

مجلة المشرق، السنة الأولى العدد ٥ - (ص٢١١-٢١٦) . آذار ١٨٩٨م. مجلة كاثوليكية تصدر مرتين فى الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم "تحتوى مباحث علمية وأدبية وفنية" . بإدارة آباء كلية القديس يوسف لصاحب امتيازها الأب لويس شيخو اليسوعية. مطبعة الآباء اليسوعيين الكاثوليك سنة ١٨٩٨م. خلاصة: (قد رحل الدكتور لويس موصيل نزيل كليتنا =

تقدم ذكره عن المصادر الإنكليزية، وإنه اعتزل فى مكان قرب، (غزة) وجرى على يده شفاء أبناء امرأة رومانية، فاعتقده الناس، واشتهر أمره واهتدى به كثير، واجتمع عنده نحو ألفى ناسك، وقضى من العمر ثلاثاً وستين سنة فى التنسك والعبادة ، وتوفى سنة ٣٣٣م عن ثمانين سنة. ويوجد فى الدير المذكور الموجود الآن بقرية: "دير البلح" قبر عليه حجر، كتب فيه باليونانية (إيلاريون) وكتابة طمس بعضها، وقد اجتهد المرحوم (أحمد زكى باشا)[1] فى تعريبها، فدلت على أن إنساناً أقام أثراً وقبراً على نفقته، لتخليد ذكرى رجل اسمه (أبوللو دورو) والمراد به هذا القديس، ولكنه لم يهتد للحقيقة وأطال فيما كتبه فى جريدة الأهرام للرد على المسلمين والمسيحيين فى اعتقادهم، أنه(إيليا أوبليا المعروف بالخضر) إلى أن قال: (والحق الذى لا ريب فيه هو الذى حرره أمير العلماء وعالم الأمراء العلامة صاحب السمو (عمر طوسون)[2] بأن من المسلم به عند الجميع وخاصة عند المسلمين، أن (الخضر) - (عليه السلام) ليس له قبر مطلقاً لا فى الإسكندرية ولا فى غيرها) ، وأنا أقول : ولا فى (دير البلح) ولا بأسفل صخرة (القدس) ولا بجامع دمشق، ولا بمدينة (السلط) ولا بنواحى (بعلبك) وشرق (الأردن)،

= القديس يوسف اليسوعية- حالاً إلى غزة وفقد مراراً آثارها وزار ما يحاورها من البنايات القديمة فتمكن بذلك أن يكتشف على عدة أمكنة ذكرت فى التوراه والتواريخ القديمة وتراجم أولياء الله لم يقف قبله على حقيقة بعضها أحد من المستشرقين . فعرض علينا أبحاثه لنشرها فى مجلتنا فلبينا بكل طيب خاطر إلى سؤاله بتنسيق مقالته وهل كلها فوائد . ل.ش.) .

حول مرفأ غزة انظر :

THE PORT OF GAZA AND EXCAVTIONIN PHLSTA - BY DUNCAN MACKENIE M.A.PN.D

PALSINE - EXPLORATIN - FUNDLONDON QUARTELY - STAEMENT FOR 1918 CAS - PAJ 73 - 87 - 1 - E

(١) تقدمت ترجمته فى مقدمة الكتاب (ص ٣).

(٢) عمر طوسون : عمر بن طوسون بن محمد سعيد بن محمد (١٢٨٩ - ١٣٦٣هـ = ١٨٧٢ - ١٩٤٤) مؤرخ باحث من الأمراء السابقين بمصر . انظر معجم الأعلام ص٥٤٨ .

وإنه خرافة ينشرها الذين يصطادون الدنيا بحبائل الدين، ومن ذلك يظهر أنه غلط وتحريف بيقين. والداروم بالميم ويقال : الدارون بالنون، اسم لذلك الموقع فى عهد الروم، وبنى فيه قلعة عرفت (بقلعة الداروم)، والباب الجنوبى (لغزة) يعرف الآن بباب الدارون، لكونه موصل لها كباب (الخليل) (بالقدس) قال فى معجم البلدان[1] : (والداروم) قلعة بعد (غزة) للقاصد إلى (مصر) الواقف فيها يرى البحر، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى سنة ٥٨٤ هـ، وغزاها المسلمون فى سنة ثلاث عشرة، وملوكها فقال زياد بن حنظلة.

ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها   شد الخيول على جموع الروم
يضربن سيدهم ولم يمهلنهم   وقتلن فلهم إلى داروم

ويقال لها : الدارون أيضاً، وينسب إليها على هذا اللفظ (أبو بكر الداروني)، روى عنه (أبو بكر الدينورى) بالبيت المقدس سنة ٣٠٨هـ وينسب إليها الخمر، قال إسماعيل بن يسار[2]:

كأننى يوم ساروا شارب سجلت   فؤاده قهوة من خمر داروم
إنى وجدك ما عودى بذى حور   عند الحفاظ ولا حوض بمهدوم

ثم صار به قرية كثر فيها النخيل، فعرفت بقرية (دير البلح)، وبالقرب منها موضع يعرف (بتل العجول)، وكانت فيه مدينة بسور اكتظت بالأبنية والسكان، فى عهد الوثنيين الهيكسوس، قبل تملكهم (مصر) وبعدها،

---

(١) انظر : معجم البلدان ج١(ت . د) (ص٤٨٣ - ٤٨٤) تحقيق فريد عبد العزيز الجندى مصدر سبق ذكره .

(٢) إسماعيل بن يسار النسائى، ت سنة ١٣٠ هـ، شاعر، أصله من سبى فارس، اشتهر بشعوبيته وشدة تعصبه للعجم، يفتخر بها فى شعره على العرب. كنيته: «أبو فايد». انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى (١/ ٣٢٩). وانظر «الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى» (٤/ ١٦٢٢) طبعة دار الشعب، طبعة كاملة فى ١٩٦٩م بإشراف إبراهيم الإبيارى.

ويوجد فيه أصنام وآثار قديمة، حتى استخرج منه صنم قيل : إنه (جليات) المشهور، وللآن تجرى فيه الحفريات، وتكتشف منه آثار قيمة من عهد الهيكسوس قبل الميلاد بنحو ألفى عام فإنهم شيدوا مدينة خاصة بهم، كما أنشأت ميناها قريباً منها وسموها غزة أيضاً. وكان عمران غزة وبساتينها ممتداً من دير الداروم إلى (دير سنيد) ولذلك قيل عنها: (أولها دير وآخرها دير) وبالجملة فقد كانت غزة فى عهد الرومان الوثنيين والروم المتنصرة، مدينة حصينة عظيمة زاهرة بعمرانها، وتقدمها فى العلم والمدينة والتجارة والصناعة والزراعة وكثرة السكان، حتى قيل إن عددها بلغ (ستمائة ألف)، ولم نظفر بإحصاء صحيح ،وقد ازدهرت بكثرة غرس الأشجار المفيدة لحياة البلاد، مثل الزيتون والنخيل، والعنب والتين، مما يؤكل رطباً ويدخر جافاً، فكانوا يقتاتونه فى سنى المحل وأوقات الحصار والشدائد، فلذلك كانوا يصفونها بالمدينة الفيحاء، العزيزة الغنية الجميلة الحصينة العامرة الجامعة بين الزراعة، والتجارة والصناعة، والعلم والحضارة ومرافق البر والبحر، يعيش فيها الكبير والصغير والغنى والفقير.

* * *

غزة وسكانها

غزة وسكانها

قد يغلب على (غزة) فى القرون السابقة كثير من الأمم، والقبائل والشعوب على اختلاف أجناسهم وعناصرهم، ومنهم (المعينيون)، و(السبائيون)، و(العويون)، و(الكفتاريون)، و(العمالقة)، و(المديانيون) و(الآدميون)، و (العموريون)، و (الكنعانيون)، و (الفلسطينيون)، و(الإسرائيليون)، و(السامريون)، و(الأشوريون) و(الفرس)، و(اليونان)، و(الأنباط)، و(الرومان)، وأكثرهم من العرب كما تقدم، وكانوا يشاركون الأمم الأخرى فى البلاد سيما فى (غزة) وما جاورها كغيرها من بلاد فلسطين، كيف وهى جزء من بلاد الشام ،وكانت مطمح أنظارهم ومحط ترحالهم في سائر العصور، حتى غلبوا عليها وتملكوا بها، وكان لهم فيها الحظ الأوفر، وسكنها من عرب اليمن والحجاز قبائل لا تحصى، وكان لهم فى الحروب وصد الغارات الحملات المشهودة والبأس الشديد.

وتقدم عن (الخطط)[1]، أنهم سكنوا بلاد الشام، يعنى قبل الإسلام بنحو ألفين وخمسمائة عام، وأن حامية (غزة) عند حصار(الإسكندر المكدونى)، كانت من العرب، ولكثرة (العرب الحمرية) بها وبضواحيها ، سميت (بحمراء اليمن)، حتى ملأوا مدنها واحتلوا أراضيها الواسعة، وتوطنوا قفارها الشاسعة. قال ابن خلدون فى تاريخه: (وغزة) من مواطن جرم طى ولها بطون كثيرة وقبائل متعددة، وكلها كانت مساكنها ببلاد (غزة) وجرم هو جامعة البطون كلها، وهو: ابن زبان بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن

(١) انظر: خطط الشام لمحمد كرد على (ج/ ص ٢٠ ـ ٢١). مصدر سبق ذكره.

سبأ، وهذا جرم قضاعة. وأما جرم طى فهو: ابن عمرو بن الغوث بن طى ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، بن سبأ بن يعرب ابن قحطان وقال فى"سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب"[١]: "بنو جذيمة" بطن من جرم طى، ومساكنهم ومن انضم إليهم من قومهم جرم ببلاد (غزة) من الشام القدرة والعاجلة والعبادلة والأحامدة، وبنو بهى وبنو جميل وبنو تمام وبنو شبل وبنو وضيعة وبنو سهيل وبنو رغود وبنو عيس وبنو الحريس وبنو هرماس، وبنو مقدام بطون من جذيمة، من جرم طى مساكنهم مع قومهم جرم ببلاد (غزة). وبنو قمران وآل أحمد وآل محمود، وآل عوسجة وبنو كور، بطون من جرم طى وبلادهم مع قومهم جرم بلاد غزة أ.هـ[٢] وقال أيضاً: " بنو جابر بدمرى من بلاد (غزة)"[٣] وقال الحمدانى: "هم الحريث" وهم جماعة نهد بن بدران، والحريث هؤلاء : "بطن من جذام" مساكنهم بدمرى من بلاد (غزة) ويقال لبنى جرم الثعالب وبطون جرم كثيرة، كانت كلها ببلاد (غزة) ومن حلفاء الهزيليين فخذ من بَلى، ومنازلهم شرقى غزة، فوق الجمامة، وبَلى بنوه بطن من قضاعة، وهو ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة أ.هـ" وفى "تاج العروس": "وبنو درماء" أولاد عمرو بن عوف بن سلامان بن ثعل الطائى، ودرماء أمهم وهم بالشام بقلعة الداروم، وما يجاورها وفى "كشف النقاب" أما التياها فهم عدة بطون يجمعها لفظ تياها، وليس بينهم قرابة، وقيل لهم تياها لإنهم سكان تيه بنى إسرائيل، كما فى بعض الجغرافيات، أو لإنه لم يلحقهم أحد من النساب بقبيلة مشهورة، وإن زعموا أنهم فرقة من بنى هلال، تاهو منهم وهم ظاعنون لبلاد المغرب، ومن حلفاء التياها فخذ من عقبة، وجدهم المنسوبون إليه هو عقبة بن محرمة،

(١) "سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب"، أبو الفوز محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ص٥٤ .

(٢) سبائك الذهب ص ٥٤.

(٣) نفس المصدر ص ٥٤.

ابن حرام بن جذام، وهو أخو لخم وعم كندة وجزام بطن من كهلان" قال "الحمدانى" : ويقال إنهم من ولد يعفر، بن مدين بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) أ.هـ. " وفى المعجم لياقوت الحموى " وأهلها يعنى (رفح)[1] من لخم وجذام قال "المهلبى" : ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق، ولها وال برسمه معونة من الجند، ومن (رفح) إلى (غزة) ثمانية عشر ميلاً وعلى ثلاثة أميال من رفح من جهة غزة، شجر جميز مصطف من جانبى الطريق عن اليمين والشمال، نحو ألف شجرة، أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين، وهناك منقطع رمل الجفار، ويقع المسافرون فى الجلد، وهو أول الرمل خراب الآن أ.هـ. وكانت قريش أيضاً فى ذلك العهد تقصد (غزة) للمرعى، والتجارة وأقام بها وتوطنها كثير، منهم بنو عامر بن لؤى، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، قال ابن عبد البر فى تفسيره: "رحلة الشتاء والصيف غزة إحدى الرحلتين" وقال ابن خلكان فى ترجمة أبى اسحق الغزى" (وغزة) إحدى الرحلتين المذكورتين فى كتاب الله العزيز" واتفق أرباب التفسير أن رحلة الصيف بلاد الشام ، ورحلة الشتاء بلاد اليمن ، وقد كانت قريش فى متاجرها تأتى إلى الشام فى فصل الصيف ، لأجل طيبة بلادها فى هذا الفصل، وتأتى اليمن فى فصل الشتاء لأنها بلاد حارة لا تستطيع الدخول إليها فى فصل الصيف [2] وقال ابن هشام فى أوائل السيرة[3] : " أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف، هاشم جد

---

(١) رفح : منزل فى طريق مصر ، بعد الداروم ، بينه وبين عسقلان يومان ، للقاصد مصر . وهو أول الرمل خرب الآن ". انظر : بلدانية فلسطين العربية لمرمرجى الدومينيكى . ص١٣٦ طبعة بيروت : عالم الكتب ١٩٨٧م .

(٢) انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبى العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) (١/ ٦٠ ـ ٦١) حققه د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة. وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٧)

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (مصححة ومعدة إعداداً جديداً) (ص ٥٦) ، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط ١٩٩٥م.

النبى ﷺ" قال ابن اسحق[1]: ثم مات هاشم (بغزة) من أرض الشام تاجراً وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى المطلب، وبنى عبد مناف جميعاً، وكان أولهم هلاكاً هاشم[2] (بغزة) من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم

---

(١) ابن إسحق (٠٠٠-١٥١هـ = ٠٠٠ - ٧٦٨م) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدنى، من أقدم مؤرخى العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية ، هذبها ابن هشام، زار ابن إسحاق الأسكندرية سنة ١١٩هـ، وسكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١هـ، وقد كان مرجعاً فى السير والمغازى، وإن تضاربت الأقوال فى جرحه وتعديله، إلا أنه يعد من أقطاب رواة التاريخ، وقد تحدثت كتب كثيرة عن سيرته. انظر : - السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى، بيروت: دار إحياء التراث العربى، ط٣، ١٩٧١م، ١/م-ن . -تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى، اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٦، ٣/٥٠٣-٥٠٧ . -معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف اليان سركيس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ١٦٢٨/٢. -الاعلام لخير الدين الزركلى، بيروت: دار العلم للملايين ، ط٩، ١٩٩٠م، ٢٨/٦ .

(٢) هاشم : ترجم له الطباع فقال : (السيد هاشم بن عبد مناف) (جد النبى ﷺ) واسمه عمرو وإنما قيل له هاشم لإنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه وقد أصابتهم لزبة وقحط فرحل من مكة الى فلسطين فاشترى منها الدقيق فقدم به مكة فأمر به فخبز له ونحر جزوراً ثم اتخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز وإنه أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام الروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشى الأكبر فاختلفوا بذلك الى أرض الحبشة وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة فاختلفوا بذلك الى العراق وأرض فارس وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير فاختلفوا بذلك الى اليمن فجبر الله لهم قريشاً فسموا المجبرين وولى هاشم بعد أبيه عبد مناف السقاية والرفادة وقال وهب بن عبد قصى:

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... وأعيا أن يقوم به ابن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات ... من أرض الشأم بالبُرِّ النقيض

فأوسع أهل مكة من هشيم ... وشاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكللات ... من الشيزى وحائرها يفيض

وأول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم مات بغزة من أرض الشام ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد ثم مات نوفل سلمان من طريق العراق ثم مات المطلب برمدان من أرض اليمن وكان الرفادة والسقاية بعد هاشم الى أخيه المطلب وبعدها انتقلت الى عبد المطلب بن هاشم واسمه شيبة الحمد كما فى الطبرى، وفى شرح المواهب اللدنية عن المنتقى كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم ، وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا فى السراء ولا فى الضراء ، وكان =

المطلب بردمان من اليمن، ثم نوفل بسلمان من العراق، وذكر القصيدة ومنها:

يَا عَيْنُ جُودِى وَأَذرِى الدَّمع وَأنـهَمِرى
وَابْكِى عَلَى السِّرِّ مِنْ كَعْبِ الْمُغِيرَاتِ
يَا عَيْنُ وَاستمطرى[1] بِالدَّمْـع وَاحْتَفِلِى
وَابْكــِى خَبِيئَةَ نَفْسِى فِى الْمُلِمَّاتِ
وَابْكِى عَـلَى كلِّ فَيَّاضٍ أخِى ثِقَـة
ضَخْمِ الدَّسِـيعَة وهـاب الجزيلات
ثُمَّ انْدُبِى الْفَيْضَ وَالْفَيَّـاضَ مُطَّلِباً
وَاسْتَخْــرِطِى بَعْدَ فَيْضَاتٍ بِجَمَّـاتِ

= يحمل ابن السبيل ويؤدى الحقائق، وكان نور رسول الله ﷺ فى وجهه يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر إلا قبل يده ولا يمد بشىء إلا سجد إليه أ.هـ قال ابن هشام هلك هاشم ابن عبد المطلب بغزة من أرض الشام تاجراً فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب ابن عبد مناف وكان هاشم ذا شرف فى قومه وفضل وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته وفضله قال ابن الأثير ومات هاشم بغزة وله عشرون أو خمس وعشرون سنة، وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى بنى عبد مناف جميعاً وذكر القصيدة ومن جملتها :

وهاشم فى ضريح وسط بلقعه   تسفى الرياح عليـه بين غزات

وهى غزة واحدة كأنه سمى كل ناحية منها باسم البلدة وجمعها على غزات وصارت من ذلك الوقت تعرف بغزة هاشم لأن قبره بها لكنه غير ظاهر ولا يعرف ولقد سألت عنه لما اجتزت بها فلم يكن عندهم منه علم ذكره ابن خلكان وتبعه فى شرح القاموس وتقدم نقد ذلك وذكرت ترجمة أخرى له فى المزارات بالجزء الأول - سيرة ابن هشام ١/ ١٢١.

(١) هكذ فى الأصل والصواب (واسحنفرى) كما وردت فى سيرة ابن هشام (ج١/ ٢٦٧) وهى بمعنى أديمى ، واسحنفر المطر كثر أو الكثير الصب الواسع (انظر تاج العروس للزبيدى ج٣/ ص٢٦٠) طبعة بولاق . وراجع القصيدة كاملة فى سيرة ابن هشام (ص٢٧١- ٢٧٥) تحقيق: طه عبد الرؤوف .- بيروت : دار الجيل . ووردت فى تحقيق آخر لسعيد اللحام (ج١/ ص ١٢١- ١٢٦) .

وَأَبْكِى لكِ الْوَيْلُ مَـا كُنْتِ بِاكِيَةً
لِعَبْـــدِ شَمْس بِشَرْقِىِّ الثنِيَّـــاتِ
وَهَاشِمٍ فِى ضَرِيحٍ وَسَطَ بلقَعَـةٍ
تَسفِى الرِّيَاحُ عَلَيــه بَيْنَ غَـزَّاتِ
وَنَوْفَلٍ كـانَ دُونَ القوْمِ خَالِصَـتِى
أمْسَى بسَلْمَانَ فى رَمْسٍ بِمـَومَاتِ
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُم عُجْمـاً وَلاَ عَـرباً
إذَا أسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أُدْمُ المَطِيـــــاتِ

وصارت من ذلك الوقت تعرف (بغزة هاشم)، لأن قبره بها وفى "أعلام النبوة" : "وبات هاشم بغزة من أرض الشام، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف أ.هـ." يعنى بذلك أنه قررها وحافظها، وإلا فذلك كان من قبله، وفى "تاريخ ابن خلدون" : " ويقال إن هاشم بن عبد مناف أول من سن الرحلتين للعرب، فى الشتاء والصيف، وهو غير صحيح، لأن الرحلتين من عوائد العرب فى كل جيل، لمراعى إبلهم ومصالحها، لأن معاشهم منها، وهذا معنى العرب أ.هـ" لكن ليس مرادهم ذلك، بل المراد أنه أول من سن الرحلتين للتجارة، وكان الكثير من العرب عموماً وقريش خصوصاً يأتون (لغزة) وغيرها للتجارة، ويقيمون بنفس المدينة وما حولها، أما أرباب الإبل والمواشى، فكانوا ينزلون بضواحيها وأراضيها الواسعة للمرعى.

وممن أتى (لغزة) عبد مناف قبل ابنه هاشم، وتوفى بها كما ذكره ابن هشام، وكانت بنو عامر بن لؤى ترحل إليها فى الجاهلية، وتقيم بها وفيها موضع يعرف بحارة بن عامر لحد الآن،وكذلك بنو عبد شمس بن عبد مناف

وبه موضع يعرف بهم، يقال له جورة الشمس اختصاراً، والأصل جورة بنى شمس أو عبد شمس، لكونهم كانوا ينزلون فيه، ورحل إليها عبد الله والد النبى ﷺ مع قومه للتجارة مراراً، وفى آخر مرة من رحلته إليها ورجوعه منها، مرض فى طريقه فتخلف مريضاً بالمدينة عند أخواله بنى عدى بن النجار، وتوفى عندهم، وتوطن بلاد الشام كثير من قبائل معد وقريش، وأزهرت بهم أرجاؤها وازدانت بلادها، ولذلك قال أحمد بن المدبر الكاتب، كما ذكره ياقوت الحموى فى "معجمه" من قصيدة :

وكم بالشام من شرف وفضل ... ومرتقب لذى بر وبحر

بلاد بارك الرحمن فيها، ... فقدسها على علم وخبر

بها غر القبائل من معد، ... وقحطان ومن سروات فهر

أناس يكرمون الجار حتى، ... يجر عليهم من كل وتر[1]

---

(١) يقول الشيخ عثمان الطباع فى نفس الورقة معلقاً فى الحاشية : " قال فى "صبح الأعشى" أن عرب الشام عدة بطون من عدة قبائل وفى التعريف: إنهم جل القوم وعين الناس لا عناية للملوك إلا بهم ولا مبالاة بغيرهم . مآل الفضل منهم هم الذين فى نحر العدو، ولهم العديد الأكثر والمال الأوفر ، وأميرهم فى البلاد الشرقية والشمالية شرف الدين عيسى بن مهنا، وقد صاروا الآن أهل بيتين ، بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى وهم فى جوار الفرات ثم نزلوا غوطة دمشق الشام والإمارة الآن فى بيت مهنا بن عيسى أمير آل الفضل ومنهم قار بن مهنا ثم محمد نعير بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل ابن ربيعة ، ومنهم فضل بن عيسى بن مهنا وغسان بن مهنا وعنقا بن مهنا ووادره مكى بن موسى بن مهنا ومحمد بن حيار بن مهنا وعلى وسليمان بن مهنا، وأما بيت فضل فمنهم معيقل بن فضل وأخوه سيف وأبو بكر وآل مرا ومنازلهم بلاد مهران وبنو مهدى ومنازلهم ببلاد غزة وأميرهم فى البلاد القبلية شهاب الدين أحمد بن حجى، وأما بقية عرب الشام نحو زبيد المرج وزبيد حوران وزبيد الأحلاف وخالد حمص والمسارمة وغزية فقد تقدم ذكر أنسابها فى الجزء الرابع" . أ. هـ . قال المقريزى فى البيان والإعراب: "وجرم قضاعة ينزلون من الشام ببلاد غزة والداروم مما يلى الساحل إلى بلد الخليل -عليه السلام- ومنها العاجلة والظمأنة المسعوديين والعبادلة وبنو تمام وبنو جميل ومنهم بنو مقدام ومن بين غور آل ماذر وبنو غوث وبنو مهنا بها وبنو خولة وبنو هرماس وبنو عبس وبنو سهيل وأراضيهم الداروم وكانوا سفراء=

عراقة العرب فى البلاد

يعلم المطلع على ما تقدم، أن أكثر السكان فى البلاد قبل المسيح وبعده، من اليونان الوثنيين، وبعد تنصر الدولة الرومانية وحملها الرعايا على الديانة المسيحية، أصبحت أكثرية السكان من المسيحيين الروم واليونان، وقد خالطتهم العرب وشاركتهم فى المدن فى الدور الأول والثانى، واستقلت بالأراضى الشاسعة والفيافى الواسعة، لما فيها من الكثرة والعصبية، والشجاعة والجرأة، وما عندها من المجد والشمم، وقد عرفت ما ظهر منها من الملوك، الذين دوخوا الأمم وتوغلوا فى أقطار الأرض مثل العمالقة[1] ،

= بين الملوك وجاورهم قوم من بنى فهيد ثم اختلطوا بهم ومن جرم قضاعة بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف وفيهم جرم بجبلة وجرم عاملة وأما جرم من طيئ فإنها تنزل بأرض مصر ، ومنهم من نزل الشام أ.هـ . ومنهم عجمى ويقال سمجان وقمران وجيان فلما فتح السلطان صلاح الدين بلاد غزة جاءت ثعلبة وطائفة من جرم إلى مصر وستة من طىء نزل بفلسطين والداروم قريباً من غزة وكثروا هناك واشتدت وطأتهم وصعب أمرهم فبعث الوزير الناصر للدين الحسن البازوريمن سنة ٤٤٢ هـ يسند عليهم لمصر وأقطعهم البحيرة أ . هـ . وتقدم ويأتى زيادة على ذلك. (هـ. ط. ص ٤٤).

(١) العمالقة : عمالقة العرب ، وخاصة أهل شمالى الحجاز مما يلى شبه جزيرة سيناء . فتحوا مصر باسم الشاسو (البدو أو الرحل) ويسميهم اليونان " هكسوس " وأصل لفظ العمالقة مجهول والغالب أنه منحوت من اسم قبيلة عربية كانت مواطنها بجهات العقبة أو شمالها . كان البابليون يطلقون عليهم اسم ماليق أو مالوق ، وأضاف اليها اليهود لفظ (عم) بمعنى الشعب فقالوا عم ماليق أو عم مالوق ، فقال العرب عماليق أو عمالقة ثم اطلقوه على طائفة كبيرة من العرب القدماء . كان العمالقة على علاقة بالكنعانيين والأموريين والإسرائيليين . وعلى الرغم من أن علم الأثنواوجيا اليهودى يجعلهم فرعاً من الأدوميين ويربطهم بقبيلة إفرايم، فإنه يصورهم باعتبارهم أعداء للإسرائيليين نهب العمالقة الشعب اليهودى فى أثناء هروبه من مصر واندسوا بينه وهاجموه ، ولكنه انتصر عليهم بزعامة يشوع . وكان العمالقة جزءا من الجيش الذى جرده إيجلون ملك مؤاب لمضايقة إسرائيل . انظر : الموسوعة العربية الميسرة - إشراف محمد شفيق غربال مج٢/١٢٣٦ .

والسبائيين[1] والكنعانيين والفلسطينيين. وقحطان أول من لبس التاج وملك أرض اليمن، وإن الملك تسلسل فى ذريته، وامتدت مملكتهم إلى العراق، ومنهم المناذرة ثم ملوك جرهم وكندة والأزد، ومنهم الغساسنة ببلاد الشام، وكانت المناذرة عمالاً للأكاسرة على عرب العراق ، كما كانت الغساسنة عمالاً للقياصرة على عرب الشام نحو (ستمائة عام)، وكانت العرب لهم الساعد القوى والحليف الصادق الوفى، وقد نصروهم على أعدائهم، وقاموا معهم فى مواقع كثيرة، وكانوا يثقون بهم ويعتمدون عليهم لما طبعوا عليه، وعرفوا به من الصدق والإخلاص والوفاء والنجدة والشجاعة، وعدم الغدر والخيانة إلى ظهور الإسلام، ووقوع الحرب بين الفرس والروم، فكان المسلمون يرون أن الروم أهل الكتاب أقرب إليهم من الفرس المجوس فيسرون لغلبتهم ونصرهم، ويساؤون بقهر عدوهم لهم وكسرهم، حتى أنزل الله فى عزيز كتابه ﴿ **الم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**﴾[2] لصدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من توقع غلبة الروم على فارس، ولكونهم أهل كتاب، ولكون المشركين بمكة كانوا يفرحون بغلبة الفرس، حتى قالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والروم أهل كتاب، وقد أظهر إخواننا على إخوانكم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم . فقال أبو بكر - رضى الله عنه - إلى المشركين :

---

(١) السبائيون : دولة ظهرت فى شرق اليمن ، فى المنطقة المعروفة الآن باسم صرواح وأرب ، فسميت البلاد باسمها وإليها تنسب الحضارة ، واللغة ، والديانة السبئية ورد ذكرها فى التوراة فى قصة زيارة بلقيس ملكتها لسليمان فى القرن ١٠ ق.م استمرت حضارة السبئيين فى فترة طويلة ، ورغم انتقال العاصمة إلى مناطق أخرى بقيت لبلاد سبأ أهميتها ، طالما كان سد مأرب يؤدى وظيفته ، وظلت لعاصمة مأرب مكانتها ، كمركز ثقافى وتجارى هام فى جنوب الجزيرة العربية . حتى قبيل ظهور الإسلام عندما تهدم السد ولم يهتم أحد بترميمه حتى الآن. الموسوعة العربية الميسرة مج١/ ص٩٥٦ .

(٢) (الروم: آية ١-٥) .

(أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، فوالله ليظهرن الروم على فارس) وتحققت الآية الكريمة وتلك النبوة الباهرة، قال فى "روضة الصفا" : "غدر الروم بملكهم وقتلوه، فهرب ابنه إلى (خسرو ملك الفرس)، فجهز معه ثلاثة رؤساء مع عسكر عظيم، فدخلوا بلاد الشام وفلسطين وبيت المقدس، وأسروا من فيها من الأساقفة وغيرهم، واستولوا على (الإسكندرية)، وبلاد النوبة إلى أن وصلوا إلى نواحى(القسطنطينية)، وأكثروا الخراب، ثم جمع هرقل (وهو آخر ملوك الروم) عسكره وتوجه من قسطنطينية إلى نصيبين، فجهز (خسرو) اثنى عشر ألفاً فكسرهم هرقل، وقتل منهم تسعة آلاف مع رؤسائهم، فغلبت الروم فارس، وجاء الخبر إلى مكة، ففرح المسلمون، وكان ذلك من الآيات الباهرة الشاهدة بصدق النبوة أ.هـ". ثم جاء الإسلام فقضى على الدولة الفارسية قضاء تاماً، وفى حديث ضعيف : « فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً،والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن أهل صبر، وأهله لآخر الدهر، هم أصحابكم ما دام فى العيش خير »[1] ويروى الامام أحمد عن النبى ﷺ أنه قال : «أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة[2]» والشدة تحتمل ما لم تفحش، وتصل لدرجة العسف والإرهاق، وإلا فالعرب أباة الضيم يثور ثائرهم وتقوم قيامتهم، فلا يجوز هضم حقوقهم فى البلاد، وهم أهل التاريخ المجيد والحق الطبيعى من مئات السنين قبل الفتح الإسلامى وبه صار لهم بها حق شرعى، لا يحق لدولة الانتداب أن تعبث به، وهى ما احتلتها إلا بموآزرة العرب لها، بعد عهود ووعود ومواثيق ، وإن العرب يستكينون لمن حالفهم وصدقهم، فإذا نقض العهد وخالف الوعد وخان الذمة والميثاق ،وسامهم الضيم والعسف، فقد استفز شعورهم وحرم ولاءهم

(١) الحديث : انظر كتاب كنز العمال ج١٢/٣٠٣ حديث رقم ٣٥١٢٧ .

(٢) (انظر كنز العمال-ج١٢-٣٠٣- حديث رقم ٣٥١٢٧٧)- ورد بلفظ " أشبه الناس عليكم الروم وإنما هلكتم مع الساعة " كنز العمال ١١/ ١٢٤ ، حديث رقم ٣٠٨٧٢ .

وإخلاصهم، وثار عليه ثائرهم وإن ضعفوا عنه تربصوا به الدوائر، كما وقع في العصور الماضية والحوادث الغابرة، ولذلك قال شاعرهم صفي الدين الحلي[١]:

سل الرمـاح العوالى عن معالينا — واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا

وسائل العرب والأتراك ما فعلت — فى أرض قبر عبيد الله أيدينا

لقـد سعينا فلم تضعف عزائمنا — عنما نروم ولا خابت مساعينا

يا يوم وقعة زوراء العراق وقـد — دِنّا الأعادى كما كانوا يدينونا

بضمر مـا ربطناهـا مسومـة — إلا لنغزو بها من بات يغزونا

وفتية إن نقل أصغو مسامعهم — لقولنا أو دعوناهم أجـابونا

قوم اذا اختصموا كان فراعنة — يوماً وإن حكموا كان موازينا

تدرعوا العقل جلباباً فإن حميت — نارُ الوغى خلتهم فيها مجانينا

اذا دُعوا جاءت الدنيا مصدقة — وإن دَعواْ قالت الأيام آمينـا

إن الزرازير لما قـام قائمهـا — توهمت أنها صـارت شواهينا

ظنت تأتى البزاة الشهب عن جزع — وما درت أنه قد كان تهوينا

ذلوا بأسيافنا طول الزمـان فمنذ — تحكموا أظهروا أحقادهم فينـا

لم يُغنهم مـا لنا عن نهب أنفسنا — كأنهم فى أمـان من تقاضينا

أخلوا المساجد من أشياخنا وبغوا — حتى حملنا فأخلينـا الدواوينـا

ثم انثنينا وقد ظلت صوارمنا — تميس عجباً وتهتز القنـا لينا

---

(١) صفى الدين الحلى : عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم السنبسى الطائى صفى الدين الحلى (٦٧٧ - ٧٥٠هـ = ١٢٧٨ - ١٣٤٩م) شاعر عصره ولد ونشأ فى الحلة بين الكوفة وبغداد . انظر معجم الأعلام ص٤١٨ .

وللدمـــــاء على أثوابنا علق بنشره عن عبير المسك يغنينا

إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً أن نبتدى بالأذى من ليس يؤذينا

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

لا يظهر العجز منا دون نيل مُنى ولو رأينا المنايا فى أمانينا

فكيف يجوز أن تهضم حقوق العرب، وتهاجم بالبغى والعدوان والضيم والهوان فى عقر دارهم، وهم أصحاب الحق الطبيعى والشرعى فى بلادهم، ولهم التاريخ المجيد والجهاد المتواصل والنضال الشديد، فى قمع البغاة الجائرين على الأوطان ودفع الجناة المتمردين فى كل زمان، وقد ذكر أهل التاريخ أنه توطن فلسطين من العرب أقوام أقوياء، وأجيال أشداء، ذووا قومية وعصبية ومجد وحضارة مثل: (الكنعانيين) و (الحيثيين) و(اليبوسيين)، و(الفينيقيين) و(الفلسطينيين) وغيرهم، كما أن الهيكسوس الذين تسنموا عرش (مصر) فى الألف الثانية قبل الميلاد، جاءوا إلى جنوب فلسطين وبنوا فيها مدينة (الخليل) -(عليه السلام) وفى عهد(تحوطميس) كانت فلسطين مقاطعة تابعة لمصر وظلت كذلك عدة قرون.

وقدم إبراهيم وعشيرته من (أور الكلدانيين)، نحو الحدود السورية ومنها انحدروا إلى (النجب) فى جنوب فلسطين وأصابهم قحط فغادروها إلى مصر سنة (١٤٠٠ ق.م)، ولما جاء رعمسيس استعبدهم واستخدمهم فى بناء الهياكل والقصور، حتى تسنى لهم الحرب فى سنة (١٢١٥ ق.م) وعادوا إلى الصحراء مرة أخرى وتاهوا فيها أربعين عاماً مات فى خلالها موسى (عليه السلام) وأخيراً جاءوا إلى شرق (الأردن) وأخذوا يقتربون نحو فلسطين، وهاجموا مع يشوع الكنعانيين العرب، واستولى على قسم من بلادهم، وبقى القسم الأكبر من البلاد فى أيدى السكان الأصليين من كنعانيين وفلسطينيين وفينيقيين وغيرهم، وبعد فتوحات الإسكندر، أصبحت

فلسطين يونانية، ثم فى(عام ٦٣ ق. م) وقعت فلسطين فى أيدى الرومانيين، الذين أذاقوا اليهود مر العذاب وقتلوا أكثرهم وأسروا الباقى منهم وخربوا (القدس) والهيكل سنة (٧٠ ق . م)، وحرم الملك هادريان على اليهود دخول (القدس)، وفى أيام قسطنطين حل بهم بلاء عظيم وسامتهم الكنيسة سوء العذاب، وكان من طوطس ما كان، ثم دخلت بالفتح العمرى فى حكم العرب، وقد ملك المسلمون أقاصى البلاد، ودانت لهم العباد، وانتشر العرب بها وتوطنوا فيها، وكل يوم يزدادون، ولم يبق فى بلاد الشام من حدود العراق إلى حدود مصر مركز من مراكز الروم إلا أخذوه واستولوا عليه وذلك فى سنة ١٩ هـ، واستقروا وتناسلوا وكثروا، وهذا مما يؤيد قضية فلسطين، رغما عن التخيلات الفاشلة والمحاولات الباطلة، التى تريد حكومة الانتداب إرغام العرب على قبولها، بعد أن أخذت البلاد بحالة اقتصادية، وشددت عليها فى الضرائب والمكوس والمغارم، وأرهقتها بالقوانين الجائرة والأنظمة الشديدة، حتى تمكن اليهود بشتى الوسائل من تملك (٧٥٣٨٩ دونم)، من سنة١٩٤٣ م إلى سنة ١٩٤٦ م، خلاف الأراضى التى تملكوها من الاحتلال لغاية هذا التاريخ، وخلاف الأراضى التى يشتريها العرب من العرب، لحساب اليهود بواسطة الوكالات اليهودية، وقد ساعدتها الحكومة وميزتها بالوظائف والالتزامات، وروجت منتوجاتها وبضائعها، وسهلت لهم المهاجرة، وفتحت الباب لهم على مصراعيه ،وأغدقت على بلداتهم ومدارسهم من أموال فلسطين فى كل سنة، مبالغ وافرة تجبى من العرب . وغضت طرفها عن الأسلحة التى يجلبونها من الخارج، وعن أوراق النقد التى يزيفونها[1]، واليهود مع ذلك لا يعترفون لها ولا يشكرونها، بل يرومون أن تكون لقحتهم آلة مسخرة لهم، ما دامت الوزارة البريطانية تتمشى على السياسة الصهيونية، وقد أصبحوا يبارزونها الحرب، ويقتلون رجالها وضباطها

---

(١) " وينشرونها على أنها أوراق نقد دولية " (هـ . ط . ص ٤٧) .

وجندها وينسفون ويدمرون مراكزها ويضعون الألغام فى ثكناتها ودوائرها، وتحت سيارات عساكرها وقطرها، مما أزهقت به أرواح لا تحصى[١]، وهى لحد الآن لم تستعمل معهم شيئاً من الشدة والقسوة، التى كانت تستعملها مع العرب عند ثورتهم وإضرابهم[٢] للمطالبة بحقهم[٣]، فليسجل التاريخ هذه الأفعال الفظيعة، وهذا الاستخزاء العجيب المخل بكرامتها، والمذهب لهيبتها، وهذا الكيد يدبره اليهود لأهل فلسطين من عشرات السنين، جرأهم على ذلك ما يشاهدونه من جور المستعمرين، وعسف البغاة المتغلبين، وقد استيقظ المسلمون من غفلتهم، وتنبهوا من رقدتهم فى مشارق الأرض ومغاربها، وقاموا يطالبون بحقوقهم المهضومة وحريتهم المغتصبة، ويبذلون فى سبيل ذلك الأموال والدماء، ولا غرابة إذا كان اليهود تؤلف المنظمات الصهيونية[٤]، المؤلفة من خمسين إلى خمسة وسبعين ألف رجل مسلحون

---

(١) انظر: كتاب " هاغناة إتسل ليحى " العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة ١٩٢٧ - ١٩٤٨ (ص٢٥٠ - ٢٥٧) د. محمود محارب ، بيروت ١٩٨١م .

وجاء فى الكتاب ص٢٥٠ : " فى ظهيرة ١٢ تموز (يوليو) ١٩٤٦ حدث وفق خطة أعدها عميحاى ياغلين عن إتسل وساهم فيها إسحاق ساديه عن الهاغناه ، انفجار فى فندق الملك داوود فى القدس أدى إلى انهيار القسم الجنوبى منه وإلى وقوع خسائر كبيرة فى الأرواح ، وحسب الخطة وضعت مواد ناسفة زنتها ٣٥٠كغ فى سبع جرار للحليب مع جهازين للتفجير أحدهما خاص بالتوقيت. بحيث يحدث الانفجار عقب مضى نصف ساعة على تشغيل الجهاز، والآخر معد لإفشال أية محاولة لإبعاد المواد المتفجرة عن المكان أو حل جهاز التفجير " إلى آخر الحادثة فى الصفحات ٢٥٠ - ٢٥٧ الفصل بعنوان " عملية فندق الملك داود وانعكاساتها على العلاقة بين التنظيمات " . وذكر هذه الحادثة مناحم بيغن فى كتابه " التمرد " حيث ذكر خطة نسف فندق الملك داود بالتفاصيل راجعها من كتاب التمرد (ص٢٦١ - ٢٨٢) . نشر الكتاب فى بيروت.

(٢) يقصد بإضراب ٣٦ .

(٣) بصدد اضراب ١٩٣٦ انظر : وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطانى والصهيونية (١٩١٨ - ١٩٣٩م) (ص٢٧٤-٢٨٨) جمع وتصنيف الدكتور عبد الوهاب الكيالى . بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ط٢ - ١٩٨٨م . وتاريخ فلسطين الحديث له أيضاً .

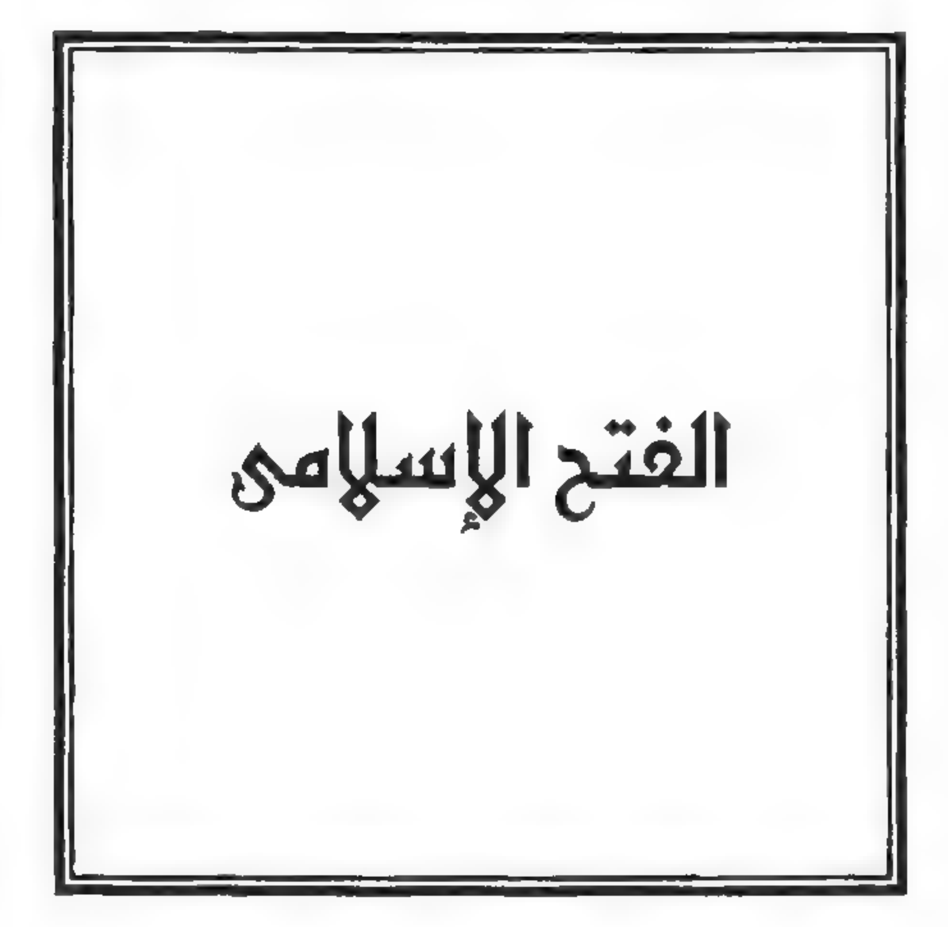
(٤) انظر كتاب " هاغناة إتسل ليحى " تأليف : محمود محارب . ص٢٧٣ .

بأسلحة من الطراز الأول، بما فيها الأتوماتيكية ومدافع الهاون، التى أنتجتها معاقلهم السرية وفرقهم الميكانيكية، وليس ذلك ضد من فتكوا بهم وشردوهم بل ضد أهالى فلسطين[١]، مع أنهم ما استطاعوا الرجوع إليها، والعيش فيها باطمئنان، إلا بفضل تسامح الدين الإسلامى، فانضووا تحت راية الإسلام، يجرى من تحتها العدل والسلام، فإن لم تعمل الدول المسيطرة على العالم على قمع العدوان والبغى والصدام، وإلا فعلى السلام السلام (هـ ٧)[٢].

* * *

(١) " وحكومة الانتداب التى ساعدتهم " هـ ٦ . ط (ص ٤٨) .

(٢) " قد أرسلت حكومة الانتداب لجان للتحقيق ١٩ مرة تسكيناً للعرب وتخديراً لأعصابهم ولم تتغير بفلسطين سياستها الجائرة وإدارتها الخاطئة مما اضطر الجامعة العربية التى انضم فيها سائر الدول العربية ورفعوا برأى الإنكليز قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة رجاء أن يوجد منها العدل فإذا الهيئة مسخرة باع الأكثر منها ضمائرهم بأموال اليهود وبالضغط والتهديد وافقت ٣٣ دولة على تقسيم فلسطين وعبرت عنهم الجرائد بعبيد الذهب وبالغوا فى الطعن فيهم وهم الكتلة الأمريكية - أوراغواى- غواتيمال- وفنزويلا وبلاد بيرو - وبنما نيكا راغوا - أكوادور كوستاريكا - شيلى البرازيل - بوليفيا - براغواى - الفلبين - أوكرانيا - بولندا - تشيكوسلوفكيا. الكتلة البريطانية - جمهورية الدومنيكان - الكتلة السوفيتية - روسيا البيضاء - استراليا - كندا - جنوب أفريقيا - فرنسا - بلجيكا - الدنمارك - هولندا - إسلندا - السويد - النرويج ليبريا - لوكسمبرغ - موناكو.أ. وبقى منها على الحياد عشرة : الصين - الأرجنتين - شيلى - كولومبيا - سلفادور - الحبشة - هندوارس - المكسيك - يوغسلافيا - بريطانيا أما أنصار الحق الذى خالفوا هذا القرار فهم: تركيا - ومصر - والمملكة السعودية- واليمن - والعراق - وسوريا - ولبنان - وأفغانستان - وإيران - والهند - وباكستان - ركويا - واليونان . وقال أرباب السياسة إن هذا القرار لا يجوز ولا يمكن تنفيذه ويختنق فى مهده بل إنه ولد ميتاً ، ولذلك يضطر العرب إلى القتال لأنه الطريق الوحيد لحل القضية والمحافظة على عروبة فلسطين التى ستظل عربية -إن شاء الله- إلى الأبد وعلى أثر ذلك قامت المظاهرات فى سائر البلاد والعواصم العربية شرقاً وغرباً واستعدت للدفاع عن فلسطين الدامية وإنقاذها من بين مخالب الأعداء بالنفس والمال وفى مقدمتها سوريا ولبنان والعراق ونجد والحجاز واليمن ومصر وشرقى الأردن والغرب والسودان والأتراك حكومة وشعباً والدروز والأكراد والهند وباكستان، وانضم إليهم عرب البوادى وابتدأت المناوشات بين العرب واليهود بفلسطين وغيرها وتألفت الجيوش وتنظمت الحملات واندفع الجمهور للتطوع والبذل السخى والتبرع مما يبشر بحسن النتيجة وبلوغ غاية الأمل الذى عجزت عنه الدول ، ويحق الله الحق ويزهق الباطل ولو كره الكافرون . هـ.ط ٧ : ص ٤٨ .



الفتح الإسلامى

الفتح الإسلامى

بما وقع من التطورات، وحصل من التغلبات فى البلاد العربية والعجمية، بتلك القرون الغابرة والعصور المظلمة، أصبح الناس فى فوضى من الدين والأخلاق، واستفحل البغى والغى، واختل نظام الأمم من النواحى الدينية والسياسية والاجتماعية، وصار العالم فى أشد الحاجة لمصلح عظيم ومنقذ حكيم، فبعث الله النبى المنتظر، والرسول الأعظم سيدنا محمد (ﷺ) العربى الهاشمى القرشى، من جبال فاران[1] قلب الجزيرة العربية سنة (٦١١م)، فقام يدعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وصدع بما أمر به، وقرع الرؤساء والأبطال، وصرع أولى الألباب بآياته البينات وبراهينه العقلية، فأوذى وعودى وهو ثابت صابر ومجد مثابر، إلى أن هاجر من (مكة) إلى (المدينة) سنة (٦٢٤م)، وأذن له بالجهاد فى سبيل الله، بمن اتبعه من المهاجرين والأنصار، فجاهد حق الجهاد، وكان النصر حليفه والحق رائده والعدل بغيته ،وراسل الرؤساء والملوك والأمراء، فى سائر الجهات والأقطار، فتواردت عليه الوفود وترادفت البعوث والرسل، وانتشرت دعوته وتوغلت فى العالم شريعته، وظهر الإسلام ظهوراً تاماً، لم يسبق له نظير، وفى السنة الثانية، من الهجرة كانت غزوة بدر، وفيها فرضت الزكاة وصيام شهر رمضان، وفى الثالثة غزوة أحد، وفى الرابعة غزوة بدر الكبرى، وغزوة بنى النضير، وفيها حرمت الخمر، وفى الخامسة غزوة الأحزاب وبنى قريضة والحديبية، وفى السادسة فرض الحج لبيت الله الحرام، وفى السابعة غزوة خيبر، وفى الثامنة فتح مكة وغزوة حنين، وفى التاسعة غزوة تبوك، وهى

---

(١) "جبال فاران : بعد الألف راء وآخره نون ، كلمة عبرانية معربة . وهى من أسماء مكة قيل : هو اسم لجبال مكة. انظر: معجم البلدان ج٤/ ص٢٥٥-٢٥٦ . مصدر سبق ذكره. بتصرف.

غزوة العسرة، وفى العاشرة حجة الوداع، وفيها أعلن النبى ﷺ تحريم الربا.

قال فى خطط الشام[١]: " وفى السنة الحادية عشرة من الهجرة، ضرب الرسول ﷺ على الناس بعثاً إلى الشام، وأمر عليه أسامة بن زيد ندبه إلى "بلاد البلقاء" و" أذرعات" و" مؤتة " وفى رواية: (أمره أن يوطئ الخيل تخوم " البلقاء" و" الداروم" وأن يبلغ " يبنى " و" أسدود " من أرض فلسطين حتى قدمت البعوث إلى الشام فى خلافة أبى بكر وعمر، فاستنفر أبو بكر جميع العرب للجهاد، فسارعوا إليه وعقد لواء ليزيد بن أبى سفيان، ولواء لشرحبيل بن حسنة، ولواء لعمرو بن العاص، على ثلاثة آلاف رجل لكل أمير، ولم يزل يمدهم حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة، ثم تتام جمعهم أربعة وعشرين ألفاً، وسار "خالد بن الوليد "من العراق ، و" أسامة بن زيد " و" أبو عبيدة بن الجراح " مدداً للمسلمين، وأول وقعة كانت بين العرب والروم بقرية من قرى (غزة)، يقال لها داثن[٢] (لعلها دميت المعروفة الآن بخربة دُميث) سنة ١٢هـ، كانت بينهم وبين بطريق (غزة) فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً، فهزم الروم وتوجه فى طلب ذلك البطريق[٣]، فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطين جمعاً للروم، فأوقع بهم وقتل عظيمهم، وأهم وقائع العرب التى انهزم فيها الروم شر هزيمة وقعة

---

(١) انظر : خطط الشام لمحمد كرد على ج١،ص١١١ . وهناك اختلاف فى النص فى خطط الشام، وقد تصرف الطباع فى النص.

(٢) داثن : هى داثن أولها دال مهملة ثم ثاء مثلثة ثم نون . مكان داثر ، ويبعد عن غزة قرابة (١٩كيلاً) . عندها أوقع المسلمون بالروم . وكانت أول حرب بينهم حدثت زمن أبى بكر ، الذى أرسل عمرو بن العاص . فى ثلاثة آلاف رجل ، اجتاز بهم أيلة وهاجم " بلى " و"سعد هذيم " من بطون قضاعة ، فوجه إليهم هرقل أخاه ثيودوروس ، أو تذراق كما يسميه العرب ، وجرى اللقاء عند داثن أو الداثنة فى أواخر عام ١٢هـ . ذكرها ياقوت (ناحية قرب غزة) ويقال للموقعة أيضاً عربة وداثن . انظر : معجم بلدان فلسطين ص ٣٦٧ .

(٣) بطريق : لفظ من العهد الرومانى ويقصد به القائد الحاذق بالحرب ، أصبح عندهم فيما بعد لقباً عسكريا أطلق على كبار القادة من الأمراء ، يقابله لقب رئيس عند العرب المسلمين ، =

اليرموك ، واليرموك مدينة ونهر وفي "المعجم"[١]: " واد بناحية الشام، في طرف الغور يصب في نهر الأردن، ثم يمضي في البحيرة المنتنة. وقدم خالد مدداً وكان الفتح يومئذ على يده وكانت من أعظم فتوح المسلمين، وباب جاء بعدها من الفتوح، لأن الروم بالغوا في الاحتشاد، وقتل منهم فيما يزعمون ما يزيد على مائة ألف أ.هـ."[٢]

وهي الوقعة الفاصلة، وكان بعدها الاستيلاء على " القدس" و"دمشق" وما والاهما، ثم على "حمص" و"حماة" و"حلب" وما في أكنافهما، وشهد اليرموك ألف صحابي، منهم مائة من أهل بدر، وتوفي أبو بكر -رض- قبل فتح اليرموك بعشر ليال. وكانت وقعة اليرموك في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وكان جيش المسلمين ٣٦ ألفاً وقيل ٤٠ ألفاً سوى ستة آلاف مع (عكرمة)، وكان الروم ٢٤٠ ألفاً منهم ٨٠ ألف و٤٠ ألف مسلسل للموت و٤٠ ألف مربوط بالعمائم لئلا يفروا و٨٠ ألف راجل وحرض القسس والرهبان على القتال شهراً، فجمع خالد بن الوليد المجاهدين وخطب فيهم ،فقال : (إن هذا اليوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، وأخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم ،فإن هذا يوم له ما بعده، فإن رددناهم اليوم إلى خندقهم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا اليوم وبعضنا غداً، حتى تتأمَّروا كلكم، ودعوني أتأمر اليوم فأمّروه، ثم خرج، فحملت الروم حملة أزالت المسلمين عن مواقعهم، وقاتل خالد وجرجة بعد أن أسلم قتالاً شديداً حتى

= جمعه : بطارقة ، والبطرق مرتبة دينية عند النصارى . انظر : معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية / مصطفى عبد الكريم الخطيب ، ص٨٠ - ٨١ .

(١) " المقصود معجم البلدان لياقوت الحموي ج٥/ ص٤٩٧ .

(٢) اليرموك : " واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ، ثم يمضي به إلى البحيرة المنتنة " انظر معجم البلدان : لياقوت الحموي: ج ٥ / ص ٤٩٧(طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق فريد عبد الخالق) .وراجع بلدانية فلسطين ص٣٢٩ .

قتل جرجة وشهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجالهم فانهزم الفرسان، وتركوا الرجالة، فاقتحموا فى خندقهم، فاقتحمه عليهم، وتجلل القيفار وجماعة من أشرافهم برانسهم، فقتلوا متزملين ،وهزمت الروم وهلك معظم جيشهم، وأصيب من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة بن أبى جهل وابنه عمرو، وعمرو بن سعيد وأبان بن سعيد، والطفيل بن عمرو وجندب ابن عمرو، وجاء البريد وهم فى القتال بموت أبى بكر، وتأمير أبى عبيدة فبلغوه خالداً، فكتم الأمر حتى انتهى القتال، ومن كلامه حينما قيل ما أكثر الروم، وأقل المسلمين قوله" (ما أكثر المسلمين، وأقل الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان)[١]. ثم ساروا جميعاً إلى (فلسطين) مدداً لعمرو بن العاص، وهو مقيم بالعربة، واجتمعت الروم (بأجنادين) وكانت مدينة بين (الرملة) (وبيت جبرين) قال فى "المعجم"[٢] أجنادين موضع معروف بالشام من نواحى (فلسطين) اجتمع عسكر الروم به (وبغزة) و(بيسان) وفى كتاب أبى حذيفة : " إن أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين، وكانت به وقعة بين المسلمين والروم مشهورة ، لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣هـ"، قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر» وقال (ابن الأثير) :"سار عمرو

---

(١) : " وفى الفتوحات الإسلامية للسيد محمد دحلان : " وأسلم فارس الروم جرجة على يد خالد بن الوليد وعلمه الإسلام واغتسل وصلى ركعتين وقاتل الروم مع خالد قتالاً شديداً حتى قتل جرجة آخر النهار وكان مع المسلمين فى وقعة اليرموك كثير من النساء فقاتلن فى ذلك قتالاً كثيراً وكان أبو سفيان بن حرب يقاتل ويحرض المسلمين على القتال ويقول: الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله وأصيبت إحدى عينيه فى ذلك اليوم فصار أعمى لأن عينه الأخرى أصيبت فى غزوة الطائف فجاءوا بها إلى النبى ﷺ وسأله ان يدعو الله ويردها له؟ فقال له: «إن شئت دعوت الله وإن شئت خيرا منها فى الجنة» فرمى بها وقال: خيراً منها فى الجنة . أ .هـ - هـ . ط (ص ٥٠)

(٢) (أجنادين بالفتح ، ثم بالسكون ، ونون وألف ، وتفتح الدال فتكسر معها النون ، فيصير بلفظ التثنية ، وتكسر الدال، وتفتح النون بلفظ الجمع ، وأكثر أصحاب الحديث يقولون: إنه بلفظ بالتثنية ومن المحصلين من يقوله بلفظ الجمع : وهو موضع معروف بالشام من نواحى فلسطين . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموى ج١ / ص ١٢٩ . مصدر سبق ذكره .

بالمسلمين ونزلوا بأجنادين، والتقوا بالروم يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣هـ، فظهر المسلمون وهزم المشركون وقتل " تذراق " أخو هرقل و" القبقلان" وكان الروم مائة ألف سرب هرقل، وكان بحمص أكثرها، وتجمع الباقى من النواحى فهزموا جميعاً، وقتل المسلمون منهم خلقاً، وأبلى خالد بن الوليد بلاءً حسناً، وهرب هرقل من حمص إلى أنطاكية، ثم لحق بالقسطنطينية وقال وداعاً يا سوريا وداعاً لا لقاء بعده، واستشهد رجال من المسلمين منهم : الفضل بن العباس وقيل مات فى طاعون عمواس، وعبد الله بن أبى جهم وعبد الله بن الطفيل وغيرهم، وسار المسلمون بعد أن فرغوا من أجنادين إلى فحل، من أرض الأردن، ونزلت الروم (بيسان) فبثقوا أنهارها، وهى أرض سبخة ،فلما غشيها المسلمون (ولم يعلموا بما صنعت الروم) وحلت خيولهم ولقوا فيها عناء، ثم سلموا ونهضوا منها إلى الروم بفحل ، فهزمت الروم ورحلت حيارى لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم إلى الوحل فركبوه، ولحق أوائل المسلمين بهم، وقد وحلوا فركبوهم ، وما يمنعون يد لامس فكانت الهزيمة فى " فحل" ، وكان مقتلهم فى " الردع" وذلك فى ذى القعدة سنة ١٣هـ ثم فتحت مدينة غزة صلحاً وقيل عنوة فى سنة ١٥هـ فى خلافة عمر ابن الخطاب -رض- فتحها "عمرو بن العاص " وقيل "معاوية" وكان "علقمة بن مجزز " قد حصر "القيفار" بغزة وجعل يراسله، فلم يأته أحد مما يريد، فأتاه كأنه رسول " علقمة" ، فأمر القيفار رجلاً أن يقعد له فى الطريق ، فإذا مر قتله ، ففطن علقمة فقال: إن معى نفراً يشركونى فى الرأى، فانطلق فآتيك بهم ، فبعث القيفار إلى ذلك الرجل أن لا يعرض له، فخرج علقمة من عنده ولم يعد له ، وفعل كما فعل عمرو "بالأرطبون " لما احتال عليه بنفس هذه الحيلة، ونجا من القتل ، ولما دخل أرطبون إيلياء فتح "عمرو" غزة وقيل كان فتحها فى خلافة أبى بكر ، كما فى تاريخ ابن

الأثير[١] وقال فى موضع آخر ،قصد عمرو بن العاص فلسطين، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بتفرقهم ، فكتب إلى يزيد بن أبى سفيان، بأن يدفئ ظهورهم بالرجال، وأن يسرح معاوية إلى قيسارية (مدينة كانت من أمهات المدن، كثيرة الخير والأهل على ساحل بحر الشام من فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وهى خراب وحدث بها قرية صغيرة)[٢] وكتب إلى عمرو بصدم "الأرطبون" ،وإلى علقمة بن مجزز بصدم "القيفار" ، وكان فى غزة ولما انتهى عمرو من أجنادين ، ترك أهل إيلياء ببيت المقدس محصورين وأخذ يتمم فتح فلسطين وقراها ، ففتح غزة وبيت جبرين واللد ويافا ونابلس ومرج عيون، وقيل إن يافا فتحها معاوية أ.هـ" وفى خلال ذلك بعث يزيد بن أبى سفيان أخا معاوية إلى قيسارية بأمر عمر - رضى الله عنه - فسار بجيشه إليها وحاصرهم بعد أن هزمهم، وبلغت قتلاهم فى الهزائم ثمانين ألفاً، وفتحها آخراً. قال فى الخطط[٣]: ولم تعص فى (فلسطين) إلا قيسارية وفتحها معاوية سنة ١٩هـ بعد أن حوصرت سبع سنين ، وبلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفاً، وكملت فى هزيمتهم مائة ألف، وكانت (قيسارية) من أعيان أمهات المدن، وكانت مقاتلة الروم الذين يرزقون فيها مائة ألف، ويهودها مائة ألف، وسامرتها ثمانين ألفاً، وكان

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير . ج٢/ ص٤٩٧-٤٩٨ . ذكر فتح قيسارية وغزة وفتح بيسان ووقعة اجنادين . بيروت : دار صادر ١٩٧٩ .

(٢) قيسارية : فى منطقة حيفا . قال عنها المقدسى البشارى : " ليس على بحر الروم أجل ولا أكثر خيرات منها . تفور نعماً ، وتتدفق خيرات طيبة الساحة ، حسنة الفواكه عليها حصن منيع، وروض عامر ، قد أيسر عليه الحصن . شربهم من آبار وصهاريج . ولها جامع حسن. وقال عنها ياقوت الحموى : قيسارية بلد على ساحل بحر الروم تعد من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن ، واسعة الرقعة ، طيبة البقعة . كثيرة الخير والأهل . وأما الآن كذلك . هى بالقرى أشبه منها بالمدن . انظر : بلدانية فلسطين العربية ص٢٦٨-٢٦٩ لمرجرجى الدومنيكى . مصدر سبق ذكره .

(٣) خطط الشام لمحمد كرد على ج١/ ص١١٨ .

علقمة بن مجزز على "غزة" وفيها القيفار من بطارقة الروم، وكان فيها قبلة البطريق صليب، بن حنا صاحب "غزة" ولاوى بن حنا. ثم زحف عمرو إلى الأرطبون، وكان "بأجنادين" فانهزم منه إلى بيت "المقدس" وبعد انهزامه فتح عمرو "غزة" و"رفح" و"عسقلان" و"يبنى" و" يافا" و"اللد" و" الرملة" و" بيت جبرين" و" عمواس " وسائر مدن الأردن وفى "العقد الفريد" لما فتح عمرو "قيسارية" سار حتى نزل "غزة"، فبعث إليه علجها أن ابعث إلىّ رجلاً من أصحابك أكلمه ، ففكر عمرو وقال ما لهذا أحد غيرى، فخرج حتى دخل على العلج فكلمه كلاماً لم يسمع مثله قط ، فقال حدثنى هل فى أصحابك أحد مثلك؟ فقال: إنى هين إذ بعثوا بى إليك، وعرضونى لما عرضونى له، ولا يدرون ما تصنع بى، فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب إذا مر بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه فخرج فمر برجل من نصارى غسان، فقال: يا عمرو أحسنت الدخول فأحسن الخروج ، ففطن عمرو لما أراده، فرجع للعلج فقال له: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى، فأردت أن آتيك بعشرة منهم، تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد، فقال صدقت، اعجل بهم، وبعث إلى البواب أن خلِ سبيله، فخرج عمرو وهو يلتفت حتى اذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبداً، فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج، قال له: أنت هو؟ قال : نعم على ما كان من غدرك أ.هـ"[1] وفى

---

(١) " وفى الفتوحات الإسلامية اجتمع عسكر الروم بغزة وأجنادين وبيسان وسار عمرو إلى الأرطبون ومن معه وكان بأجنادين ، وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً وكان قد وضع جنداً عظيماً بإيلياء والرملة ، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر. قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، يعنى عمرو بن العاص ، فانظروا عم تنفرج. فقاتله بأجنادين قتالاً شديداً وأمده عمر بالجند حتى كثرت القتلى بينهم ، وانهزم الأرطبون إلى إيليا ، ونزل عمرو بأجنادين وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس الأرطبون فدخلها فأرسل له عمرو رجلاً يتكلم بالرومية بكتاب فلما دفعه إليه . قال: والله لا يفتح شيئاً من فلسطين بعد أجنادين فقال له وزراؤه : من أين علمت هذا ؟ فقال: رجل صفته كذا وكذا، وذكر صفة عمر بن الخطاب =

الخلاصة[١] " استولى عمرو بن العاص على (عسقلان) و(غزة)، وذكر فى مجلة الشرق فى سنتها الثانية أن أول مدينة فتحت من قبل العرب فى (فلسطين) (غزة) واستشهد لذلك بأقوال بعض المؤرخين، إنه كان وقتئذ يسكن فى جنوب (غزة) قوم من قبائل العرب المتنصرين، وكان قد أصابهم من قبل ولاة الروم عسف وجور فى المعاملات، فالتجأوا إلى عسكر المسلمين ودعوهم إلى فلسطين، فلبوا دعوتهم وزحفوا على (غزة) فى ٤ شباط سنة (٦٣٤م)، وظفروا بجيش الروم، وفتحوا المدينة، وبعد أيام قليلة أتموا فتح بقية مدن فلسطين، وقد زحفوا عليها بسبعة وثلاثين ألف مقاتل بقيادة أبى عبيدة بن الجراح ،وكسروا الروم باليرموك شر كسرة، وتوغلوا فى البلاد واستولوا على مدن فلسطين الواحدة بعد الأخرى بلا قيد ولا شرط أ.هـ "،

ولما بلغ الخبر إلى أهل "عكا" و"طبريا" و"البلقا" و"صيدا" و" بيروت " و"جبلة" و"اللاذقية" أتى كبراؤهم إلى أمير الجيش أبى عبيدة بن الجراح، وأصلحوا أمرهم معه على مال لا يحصى، وقد فتحت "دمشق" سنة (١٤هـ) وظلت (القدس) محاصرة، فتوجه إليها أبو عبيدة وبقى على حصارها أربعة أشهر، فطلب منه بطريقها (صفرونيوس) أن يكون الخليفة هو المصالح لهم، فأخذ عليهم المواثيق بذلك، وكتب إلى عمر -رضى الله عنه- فخرج من المدينة وافتتح (بيت المقدس) سنة (١٦هـ) صلحاً ـ وكتب لهم بذلك كتاباً صورته، (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمر ابن الخطاب ،لأهل (بيت المقدس) إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم، لا تسكن ولا تخرب، إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً، وأشهد شهوداً)، ثم إنه دخل المدينة وزار كنيسة القمامة وأقام هناك عشرة أيام، ألقى فى أثنائها أساس مسجد على شكل هيكل سليمان (عليه السلام) وهو المسمى

= - رضى الله عنه - فكتب عمرو إلى عمر يقول له : إنى أعالج عدواً شديداً وبلاداً ادخرت لك فسار عمر من المدينة إلى بيت المقدس . أ . هـ . " (هـ .ط (ص٥٢) .

(١) انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية. ص ١٠ (مصدر سبق ذكره).

بمسجد عمر، وكان ذلك سنة ست عشرة كما فى "لب التاريخ"[1]، وفى "الخلاصة" زحف العرب على مدينة إيلياء وحصروها مدة أربعة أشهر، وكانت حاميتها لا تزيد على العشرة آلاف، ورأى البطريرك "صفرونيوس" تسليمها لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فحضر الخليفة فاستقبله هو وحاشيته استقبالاً فخماً، وسلمه مفاتيح المدينة فدخلها هو وقواده، وزار كنيسة القيامة، وجلس فى ساحتها، وحان وقت الصلاة فسأل البطريرك مكاناً يصلى فيه، فأجابه هذا مكانك فصل، فلم يقبل، وتنحى إلى الجنوب وصلى على درج كنيسة قسطنطين، حيث جامع عمر الآن، ولما فرغ من الصلاة قال للبطريرك، إنى لو أقمت الصلاة فيها لوضع المسلمون عليها الأيدى، وإنى لآبى أن أمهد السبيل لحرمانكم منها، وأنتم أحق وأولى، وأعطاه صكاً وعهداً، وطلب منه أن يريه مكاناً ليبنى فيه جامعاً للمسلمين، فأراه مكان هيكل سليمان، حيث الصخرة الكبيرة، وكانت قد علتها الأقذار التى هناك، فجعل الخليفة ينظفها بذاته فاقتدى به المسلمون، حتى رفعوا جميع الأقذار، وأمر حينئذ بتشييد الحرم[2]، فبنى، وأمر علقمة بن مجزز على نصف فلسطين الجنوبى وقاعدته إيلياء، وعلقمة بن حكيم، على النصف الآخر وقاعدته الرملة، وعاد إلى الحجاز سنة ٦٣٨م، ثم قسمها العرب إلى ولايتين شمالية وعاصمتها طبرية، وجنوبية وعاصمتها الرملة أ. هـ" وكان على "الساحل" عبد الله بن قيس، وعلى "الأردن" معاوية، وعلى "دمشق" يزيد بن أبى سفيان، وعلى "قنسرين" خالد بن الوليد وعلى "حمص" أبو عبيدة ولما مات يزيد جعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية، فاجتمعت له دمشق والأردن، ومات عمرو وهو على ذلك وأبو عبيدة على حمص وقنسرين، ثم استعفى من عثمان فى مرضه فأعفاه، وضم حمص وقنسرين إلى معاوية، ومات عبد الرحمن بن علقمة

(١) انظر : كتاب لب التاريخ ج٣/ ص٩-١٠ . تأليف محمد أفندى غنيم ، ط١ القاهرة المطبعة الحسنية ١٣٢٨هـ .

(٢) انظر : حادثة " الفتح العمرى " فى الأنس الجليل ج١/ ص٢٤٤-٣٢٥ .

وكان على فلسطين، فضم عثمان عمله إلى معاوية فاجتمع الشام كله لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان) قال المؤرخ "غستاف لوبون"[(١)] لما دخلت العرب الشام، كانت رومانية منذ سبعمائة سنة، فأبانوا عن تسامح مع كل مدن الشام،ولذلك رضى السكان بسلطتهم مختارين، وانتهت بهم الحال إلى أن أطرحوا النصرانية، وقبلوا دين الفاتحين وتعلموا لسانهم"، وقال دى تورى: إن الخطر الذى اندفع من الشام من جهة الفرس على يد الامبراطور هرقل، عاد فداهمها من جهة جزيرة العرب، ولكنه كان فى سلامتها من الانحلال والاضمحلال، وذلك أن العرب هاجمتها،وقد أصبحت العرب أمة برسولهم فزعزعوا أركان المملكة الرومانية،وفى سنة (٦٣٦م) فتحت (دمشق) وبعد سنتين فتحت (القدس) ولم تدخل سنة (٦٣٩) حتى فتح (الشام) كله، وساد فيه السلام بدل الخصام، فمن آمن عصم دمه وماله، ومن لم يؤمن دفع الجزية،ومن اعتصم فى الجبال تركه الفاتحون وشأنه أهـ" ، قال فى الخطط[(٢)]

---

(١) غوستاف لوبون : " ولد غوستاف لوبون فى منطقة النورماندى عام (١٨٤١) ومات فى باريس عن عمر طويل عام (١٩٣١) . وكان ذا روح موسوعية من حيث البحث عن المعرفة. له عدة مؤلفات منها : (والنص فى حضارة العرب ص١٦٨ ترجمة : عادل زعيتر . ١٩٤٥م . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .

١- حضارة العرب (١٨٨٤) وأعادت الشركة الوطنية للطباعة والتوزيع فى الجزائر سنة ١٩٦٩م (٤٩٤ صفحة)

٢- حضارت الهند (١٨٨٧) .

٣- الحضارة الأولى (١٨٨٩) .

٤- القوانيين النفسية لتطور الشعوب (١٨٩٤) .

٥- سيكولوجية الجماهير (أى علم نفسية الجماهير) ١٨٩٥ م.

٦- سيكولوجية الاشتراكية (أى تحليل الاشتراكية من وجهة نظر نفسية)

٧- الأراء والعقائد (١٩١١)

٨- الثورة الفرنسية وسيكولوجية الثورات . هذه هى بعض عناوين كتبه الأساسية التى تزيد عن الخمسين كتابا ماعدا المقالات . انظر مقدمة كتاب سيكولوجية الجماهير (ص١٣-١٤) - ترجمة وتقديم هاشم صالح . لندن : دار الساقى ، ١٩٩١م .

(٢) خطط الشام لمحمد كرد على ج١/ ص١١٦ مصدر سبق ذكره .

"ولما فتحت بلاد (الشام)، وكانت أشبه بنصف عربية، بمن حكمها من الغسانيين فى الجنوب والوسط ،والتنوخيين فى الشمال من عمال الروم، ومن كان ينزلها من القبائل والبطون العربية فى أرجاء (تدمر)، و (الفرات) و(غزة) و(سينا) وكان خمر غزة مشهوراً فى (فرنسا)، على عهد الملك (كونتران) فى القرن السادس للميلاد، وفى "الخلاصة" وكانت لغة البلاد وقتئذ مختلفة، فاليونانية كانت سائدة فى الأرياف، والعربية فى عبر الأردن وجنوبى غزة، والآرامية فى أواسط البلاد ويتدرج ضعف كل لغة بالنسبة إلى بعدها عن مركز سيادتها.

* * *

طاعون عمواس

على أثر هذا الفتح العظيم، حدث وباء مريع فى فلسطين، وهو الطاعون المشهور بطاعون عمواس سنة ١٨هـ، وفتك بالعرب والمسلمين فتكاً ذريعاً، وطمع بسببه العدو فى بلاد الشام، حيث مات فيه خمسة وعشرون ألفاً منهم الأمير (أبو عبيدة بن الجراح) ودفن (بغور بيسان)[١] عند قرية تسمى (عماد)[٢]، كما فى طبقات الشعرانى[٣]، ولذلك كثرت قبور الصحابة والمجاهدين بفلسطين[٤]، وسائر بلاد الشام ثم اتخذوا لهم المشاهد والمزارات[٥]، احتراماً لهم وتذكاراً لأعمالهم المجيدة، فإنهم ورثوا العرب عزاً وذخراً ومجداً طائلاً وفخراً، ووطدوا لهم البلاد طولاً وعرضاً شرقاً وغرباً، توطنها أسلافهم من أحقاب غابرة، وقرون ماضية، بعد أولئك الأبطال الفاتحين، والأقيال المجاهدين، فكيف يستهين الوارث بتراث أسلافه ويفرط المالك بما به حياته؟ وكان فيه منبته ومسقط رأسه، وقد اكتظت بلاد

(١) غور بيسان : أوله طبرية ثم يمتد على بيسان حتى إلى زغر وريحا إلى البحيرة المنتنة ... وهو وخم شديد الحر غير طيب الماء ، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر ، ومن قراه أريحا . انظر : معجم بلدان فلسطين ص٥٧٢ .

(٢) عماد : أو عمود وادى فى منطقتى صفد وطبرية ، يصب فى بحيرة طبرية . وواد آخر فى منطقة النقب ، وهو واد جاف . انظر : معجم بلدان فلسطين ص٥٤٥ .

(٣) انظر: الطبقات الكبرى للشعرانى المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار تأليف : أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى الشافعى المعروف بالشعرانى ج١/ص٢٢ . ترجمة أبو عبيدة الجراح رقم ٢١٠ . نشر الكتاب فى بيروت: دار الجيل سنة ١٩٨٨م .

(٤) انظر بهذا الصدد البحث الذى كتبه الأستاذ الباحث فهمى الأنصارى بعنوان: " تراجم مقبرة مأمن الله " فى القدس الشريف صدر عن قسم إحياء التراث الإسلامى سنة ١٩٨٦م .

(٥) قام الباحث الدكتور شكرى عراف بكتابة موسوعة حول المشاهد والمزارات ومقامات الأولياء فى فلسطين .

الشام والعراق ومصر والعجم بعد الفتح الإسلامى، فى القرون الأولى بوفود العرب، من سائر قبائل الجهات البعيدة والأقطار الشاسعة ، وعمروها بالزراعة والتجارة والصناعة والمبانى الفخمة والآثار العظيمة.

* * *

آثار الإسلام فى البلاد

آثار الإسلام فى البلاد

بعد الفتح الإسلامى أنشأ المسلمون فى البلاد آثاراً عظيمة وعمارات قيمة من جسور وحصون، وقلاع ، وثكنات، ورباطات، ومدارس، وزوايا، ومساجد، أثرها ظاهر إلى الآن، منها المسجد الأقصى، والصخرة المشرفة، قال فى دليل الحرم[1] : وسنة ٦١٤م اكتسح الفرس البلاد، فخربوا بيت المقدس وقضوا على ما فيها من المعابد والكنائس، لكن جيوش المسلمين لم تلبث أن فتحت بيت المقدس سنة ٦٣٧م، بحضور الخليفة الثانى سيدنا عمر -رضى الله عنه-، فلما دخلها ذهب توا إلى مكان الحرم الشريف، وأزال ما كان فيه من الأقذار، ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان ، وحيل بينه وبين الحرمين الشريفين، لقيام خصمه إذ ذاك عبد الله بن الزبير أمر بإنشاء المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فى بيت المقدس ورصد لذلك خراج مصر سبع سنين، ووكل على العمارة أبا المقدم "رجاء بن حيوة الكندى"[2]، و"يزيد بن سلام "[3]، وكان الفراغ من العمارة "سنة ٧٢هـ" ، وبقى من المال

(١) انظر : كتاب " دعوة عامة من المجلس الشرعى الإسلامى الأعلى فى فلسطين لعمارة الحرم القدسى الشريف " ويليها (دليل الحرم الشريف) ص٢٠ ، طبع الكتاب فى مطبعة بيت المقدس سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٧ م وهو من ضمن الكراسات التى كان يصدرها المجلس الإسلامى الشرعى الأعلى فى فلسطين .

(٢) " رجاء بن حيوة بن جرول الكندى (... - ١١٢هـ) = (... - ٧٣٠م) شيخ أهل الشام فى عصره " . معجم الأعلام ص٢٦٧ . (ورد فى دليل الحرم زيادة عما نقله الطباع ... وكان من العلماء الأعلام) . ص ٢١ .

(٣) ورد عنه فى دليل الحرم (... وكان مولى لعبد الملك من أهل بيت المقدس ويقال إن عبد الملك ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التى هى شرقى قبة الصخرة (قبة السلسلة) فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها وبقيت بعد الفراغ من عمارة الحرم ...) انظر دليل الحرم الشريف ص ٢١ . مصدر سبق ذكره .

مائة ألف دينار فأمر بها "عبد الملك" جائزة "لرجاء" و" يزيد"، فكتبا إليه : " نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلاً عن أموالنا، فاصرفها فى أحب الأشياء إليك"، فكتب إليهما: " بأن تسبك وتفرغ على القبة "[١]، وفى الرحلة القدسية للنابلسى[٢] : " بنى قبة الصخرة[٣] عبد الملك بن مروان فى أيام فتنة ابن الزبير، لما منع عبد الملك أهل الشام من الحج خوفاً من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة له، فكان الناس يقفون يوم عرفة بقبة الصخرة إلى أن قتل ابن الزبير اهـ[٤] قال فى المعجم[٥] : " وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقى، نحو القبلة أساسه من عمل داود طول الحجر عشرة أذرع وأقل، منقوشة مؤلفة صلبة وأتم بناءه سليمان، وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صفار حسان وشرفوه ، وكان أحسن من جامع دمشق ، لكن جاءت زلزلة فى أيام بنى العباس فطرحته ، إلا ما حول المحراب، فلما بلغ الخليفة خبره ، أراد رده مثلما كان ، فقيل له تعيا ولا تقدر على ذلك فكتب إلى

---

(١) ورد زيادة فى دليل الحرم : " فسكبت وأفرغت عليها فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب وهيئا لها جلالاً من لبود توضع من فوقها فإذا كان الشتاء ألبستها لتكنها من الأمطار والرياح والثلوج " . انظر : دليل الحرم الشريف ص٢١ .

(٢) انظر : " الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية " للشيخ عبد الغنى النابلسى ص٢٩ وهذا النص اقتبسه النابلسى من كتاب حياة الحيوان للدميرى . نشرت رحلة النابلسى ضمن سلسلة رحلات فى ديار الشام لأحمد سامح الخالدى سنة ١٩٤٦ فى يافا . شركة الطباعة اليافية المحدودة وقد تصرف الخالدى فى الرحلة وصاغها بأسلوبه .

(٣) بصدد التفصيلات الأركيولوجية والمعمارية المعتمدة على الآثار والمصادر التاريخية رجع ما كتبه كريزويل فى كتابه " الآثار الإسلامية الأولى " ص٣٣-٦٦ . نقله إلى العربية عبد الهادى عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو . دمشق : دار قتيبة ، ط١ - ١٩٨٤م .

(٤) راجع النص فى الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية ص ١٣٤ للشيخ العارف عبد الغنى النابلسى الحنفى المتوفى سنة ١١٤٣هـ ، تحقيق ودراسة: أكرم حسن العلبى ، بيروت : دار المصادر ، ١٩٩٠م.

(٥) انظر : معجم البلدان لياقوت الحموى ج٤/ص٥٦٤ ، وراجع ما ورد عن المسجد الأقصى بتوسع فى بلدانية فلسطين ص٣٣٣-٤٠٤ ، وفى الطبعة المحققة ج١/ص٣٤٨ - ٣٤٩ .

أمراء الأطراف والقواد يأمرهم أن يبنى كل واحد منهم رواقاً، فبنوه أوثق وأشد صناعة مما كان ،ولا زالت ملوك الإسلام تنشئ فيه الأبنية الجسيمة، وتعمر بجواره المدارس الضخمة، حتى وصل إلى الحال التى هو عليها الآن، وفيه من الآثار التى يقدسها المسلمون الصخرة المشرفة التى عرج منها النبى ﷺ إلى السماوات العلى ليلة الإسراء والمعراج، ولذلك كنس عمر بن الخطاب عند الفتح القمامة عنها بردائه، وطهرها من الأخباث والأنجاس كما ذكره المسعودى فى تاريخه: " ومنها قبة المعراج، وهى عن يمين الصخرة، فى حصن جامعها ومنها محراب النبى ﷺ وهو بجانب قبة المعراج المذكورة، ومنها أثر القدم الشريف الذى أثر فى الصخرة "

قال فى " الرحلة القدسية "[1] : " ومعلوم الآن أن موضع القدم أعلى الصخرة، فهو فى جانب منها مرتفع، وقد جعلوا على هذا المكان شكل خزانة من الفضة لها قبة صغيرة، ثم جعلوا على ذلك شبكة من النحاس الأصفر لها باب يفتح للزائرين، ومنها باب النبى ويسمى باب المغاربة، وهو الباب الذى دخل منه النبى ﷺ ومنها محل البراق، وهو على يمين الخارج من باب المسجد، الذى عند جامع المغاربة تنزل إليه بدرج طويل قليل العرض، ربط به براق النبى ﷺ ليلة الإسراء، وبه حلقة كبيرة فى الحائط، يقال : " ربط البراق" بها ا هـ، ومنها مقام النبى ﷺ وجبريل -عليه السلام- كما فى المعجم قال: " ويدخل المسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً منها: باب النبى ﷺ ، وباب الحطة ، وباب الرحمة ، وباب محراب مريم، وباب الأسباط، وباب بركة بنى إسرائيل ، وباب إبراهيم -عليه السلام-، وباب الهاشميين، وباب الوليد، وباب أم خالد، وباب داود -عليه السلام-، وفيه من المشاهد: محراب مريم وزكريا ويعقوب والخضر، ومقام النبى،

---

(١) انظر: الرحلة القدسية للنابلسى ص ٢٩ .

وجبرائيل، وموضع المنهل والنور، والكعبة، والصراط، ونعته بما يطول ذكره، ومنها الجامع الأموى بدمشق . قال فى لب التاريخ[١] : " وفى مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان بنيت المبانى الفاخرة، وفتحت الفتوحات الهائلة، وبنى الجامع الأموى[٢] وزاد فيه جزءاً من كنيسة "ماريوحنا" بعد أن أرضاهم بما شاؤوا سنة ٨٦هـ، ولم يتمم بناءه بل أتمه أخوه سليمان، ويقال إن جملة ما أنفق على بنائه أربعمائة صندوق، فى كل واحد منها ثمانية وعشرون ألف دينار، وبنى المسجد النبوى ووسعه، وأدخل فيه الحجرات النبوية، وله عمارات وإصلاحات بالمسجد الأقصى، كما نقل عن ابن عساكر، وتعمير وإقامة المساجد الكبيرة العمرية فى البلاد، وبالجملة فآثار الإسلام فيها جليلة شاهرة، وتقدمت بهم تقدماً سريعاً بالعلم والحضارة والمدنية الصحيحة، والحكم الباهر والعدل الزاهر والدين العمرانى الاجتماعى والشريعة السمحاء، ولذلك تيسرت لهم الفتوحات المدهشة، واعتنق الإسلام كثير من الروم واليهود والمشركين ونصارى العرب، والفرس واليونان والقبط والترك، والعجم والديلم والحبش، والسودان والبربر، وفتحت بلاد الروم والفرس والقبط والترك والأندلس، وما وراء النهر والهند والصين، وامتدت فتوحاتهم إلى قسم من بلاد فرانسا " قال صاحبنا أمير البيان الأمير شكيب أرسلان: "وللعرب غارات على فرنسا وشمالى ايطاليا وقلب سويسرة واستيلاء على أسبانيا وفى أثناء ما كانوا يكتسحون أراضى فرنسه، ويجتاحون شمالى ايطاليا وبلاد سويسرا، كانت منهم عصابة حاكمة فى صقلية وجنوبى إيطاليا ، وفى

(١) انظر : " لب التاريخ " ج٢/ ص٣٨ - ٣٩ . مصدر سبق ذكره .

(٢) الجامع الأموى : انظر ما جاء عنه بالتفصيل فى الكتاب الذى كتبه الأديب الكبير على الطنطاوى بعنوان : " الجامع الأموى فى دمشق " وصف وتاريخ . نشر الكتاب فى جدة دار المنارة سنة ١٩٩٠م ، والكتاب يحتوى على ست وتسعين صفحة ومزود بالرسوم التوضيحية .

جميع البلاد التى احتلها العرب طويلاً وقصيراً، كانت لهم آثار، وقد وجد العرب فى أفريقية أمة تسكن جبال الأطلس اسمها البربر اشتهرت بصعوبة المراسى، وحب الحرية والاستقلال، وكان بعضهم يهوداً وبعضهم نصارى، وبعضهم وثنيين، ولهم لسان خاص بهم، ومنهم من يتكلم بلغة تقرب من العربى والعبرى، والفينيقى فسواء كان هؤلاء البربر بقايا شعوب جاءت من أرض كنعان وفينيقية، أو كانوا قد رحلوا من اليمن، فهذا التشابه فى اللغة والبداوة كان عاملاً كبيراً فى استقرار دولة العرب فى أفريقية ،وأعان البربر العرب فى فتوحاتهم ومغازيهم وذلك فى سنة ٧١٠ م . ٩١هـ"[١].

* * *

(١) راجع : " تاريخ غزوات العرب " - فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط / للأمير شكيب أرسلان ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٣٥٢ هـ .ص٢٨ .

غزة وما وقع فيها من الحوادث والحروب

غزة وما وقع فيها من الحوادث والحروب

حيث كانت غزة من أمهات مدن فلسطين، فقد حصل منها العصيان على معاوية، قال فى خلاصة التاريخ: " وعصت فلسطين على معاوية خمس سنوات تحت قيادة "فاضل بن قيس" ، وأعفى "يزيد"[١] السمرة من المرتبات مكافأة لجاسوسيتهم، أثناء زحف العرب على فلسطين، ولما تولى الخلافة "الوليد بن عبد الملك " ، عين أخاه سليمان عاملاً على فلسطين، وجعل مقامه فى الرملة، ومن ذلك ارتفع شأنها ،حتى صارت عاصمة فلسطين[٢]، وفى مدة هارون الرشيد حدثت مجاعة عظيمة فى فلسطين، فهجرها الكثير من أهلها، واستمرت مع ذلك القبائل الأهلية بين قبائل العرب، فهدموا مدينة غزة وعسقلان وسرفيه "لعلها السوافير" وبيت جبرين ا.هـ " .

وبهذا الخراب والاضمحلال، تأخرت عن مكانتها السابقة ، وأصبحت بليدة من أعمال الرملة، كما اضمحلت سكانها وتمزق شملها ، بعد أن كانت غزة فى ذلك العهد تعرف " بمملكة غزة المحروسة" ، كما أدى الفساد والفتن والانقسام والتفرق إلى اضمحلال الدولة الأموية، بعدما ملكت نيفاً وتسعين سنة[٣]، ولكن بعض الأمويين وهو عبد الرحمن الداخل صقر

---

(١) يزيد الأول بن معاوية ت رجب سنة ٦٠هـ. انظر: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة للمستشرق زامباور، أخرجه د. زكي محمد حسن بك، أحمد حسن محمود، القاهرة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١م.

(٢) انظر بهذا الصدد كتاب " مدينة الرملة للدكتور جودة " .

(٣) انظر بهذا الصدد البحث القيم الذى كتبه المستشرق الألمانى يوليوس فلهارزون بعنوان "الإمبراطورية العربية " . نقله إلى العربية د. عبد الهادى أبو ريدة طبع فى القاهرة .

قريش[1] فر إلى الأندلس، وأقام لهم دولة بها دامت نحو ثلاثة قرون، وكذا الحال فى الدولة العباسية التى قامت بعدها، فإن التنازع والتفرق أدى إلى وهنها وانقراضها، وكانت الأمراء والعمال تتغلب بذلك على الدولة، وتظهر العصيان، فتصبح المملكة الواحدة إمارات مستقلة ومقاطعات متعددة، قال فى الخطط[2] : "وفى سنة ٤٠٤ هـ أمر الحاكم الفاطمى ملك مصر" باروح التركى " الملقب علم الدولة[3] على جيوشه ولقبه أمير الأمراء وولاه الشام، وسيره إليها، فسار إليها بأهله وأمواله فى قافلة من التجار، فاعترضهم ظاهر غزة " المفرج بن دغفل بن الجراح"، وأولاده فأوقع بهم وحاز جميع ما كان معهم، وأخذ باروح أسيراً وقتله، وسار ابن الجراح إلى غزة ودخلها وأباح للعرب نهبها[4]، وصادر الأموال وافتقر هناك جماعة بذلك، وأقام الدعوة لأمير مكة "أبى الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى"، وأسماه أمير المؤمنين، ولقبه الراشد لدين الله، وضرب السكة باسمه، واستحوذت العرب على

(١) صقر قريش: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش ويعرف بالداخل الأموى (١١٣-١٧٣هـ= ٧٣١-٧٨٨) مؤسس الدولة الأموية فى الأندلس وأحد عظماء العالم. راجع: معجم الأعلام، تأليف: بسام عبد الوهاب الجابى، ط١/ ص٤٠٨ .

(٢) انظر : خطط الشام لمحمد كرد على ج١/ ص٢٤ .

(٣) علم الدولة : " من الألقاب المركبة ، والعلم : الراية وقد أضيف اللفظ إلى كلمات أخرى من ألقاب الأمراء والوزراء " الألقاب الإسلامية للباشا ص٤٠٦ (بتصرف) .

(٤) " ثم دخلت غزة فى سنة ٢٦٤ هـ تحت حكم أحمد بن طولون الذى استولى على بلاد الشام وحكم من مصر إلى الفرات ، ثم دخلت فى سنة ٣١٦ تحت حكم محمد بن طغج الإخشيدى، وجرت حروب بينه وبين الخليفة العباسى محمد بن رائق فى الفرما وفى العريش، وكانت نتيجتها أن ترك الخليفة للإخشيد مصر حتى الرملة بفلسطين وملحقاتها وذلك سنة ٣٢٩هـ، ثم دخلت تحت حكم الدولة الفاطمية حيث أرسل المعز الفاطمى صاحب المغرب إلى مصر جيشه مع جوهر الصقلى القائد، وسير كتيبة مع جعفر بن فلاح إلى الشام فاستولى على فلسطين كلها وجبى أموالها، ثم ملك الشام بعد فتن وحروب سنة ٣٥٩هـ . ثم جاء العزيز بن المعز الفاطمى إلى فلسطين عندما ثار عليه مفرج بن الجراح أمير بنى طى وسائر عرب فلسطين وجهز العساكر لمحاربته بقيادة يلتكين التركى إلى الرملة واجتمع إليه العرب من قيس وغيرهم ولقى ابن الجراح فهزمه" . ا.هـ (هـ . ط. ص ٥٧)

جنوب الشام من الفرما[1] إلى طبرية، وحاصروا حصون السواحل[2] مدة طويلة، لم يمكنهم أخذ شيء منها، واستدعى ابن الجراح "أبا الفتوح" من مكة، فسار إلى الشام، ووصل إلى الرملة ودخلها راكباً فرساً، ونزل فى دار الإمارة بها وجلب معه أموالاً كثيرة من الحجاز، فأكلها العرب وحجزوا عليه، وأشرف على ضعف أمره ،وقد كان الحاكم بأمر الله بذل أموالاً جسيمة " لحُسان بن المفرج "، فأشار على أبى الفتوح بالرجوع إلى طاعة الخليفة العلوى، وأوصلوه إلى مأمنه، وكتب إلى الحاكم يعتذر إليه فقبل عذره ووصله وأحسن إليه ،وحصل الشام فى أيدى بنى الجراح، وأقاموا متغلبين عليه، وعظم عسفهم ومصادرتهم للناس، واستقل المفرج فى الشام سنتين وخمسة أشهر، ولم يرسل الحاكم إليه عسكراً، ثم سير القائد " على بن فلاح" الملقب قطب الدولة[3] فى جيش كبير، وكوتبت الجيوش فى دمشق والسواحل، وسارت العساكر نحوه من الجهتين ،فاتفق موت ابن المفرج،

---

(١) " قال أهل السير : كان الفرما والإسكندر أخوين بين كل واحد منهما مدينة وسميت باسمه، وهى مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقى تنيس على ساحل البحر عن يمين القاصد لمصر، وهى كثيرة العجائب غريبة الآثار، وكان بها مقطع الأبلق فغلب عليه البحر ونخلها من العجائب فإنه كان يمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر البلدان، ويكون منه ما يقارب متراً والبسرة تزن نحو عشرين درهماً وقد استولى عليها البحر والرمال وأصبحت فى خبر كان " (هـ ١ . ط ص ٥٨) .

(٢) " وهى الرباطات التى أنشأها العرب على السواحل منها الرباط الذى كان بساحل غزة يقيم فيه الجند لمراقبة سفن الروم التى كانت تأتى حاملة أسرى المسلمين الذين كانوا يأسرونهم من الثغور فكانت الناس تهرع إلى الرباط لإنقاذ الأسرى من سفن الروم بالفداء، وكانوا يأخذون عن كل ثلاثة أنفار مائة دينار فإذا وقفت السفينة الرومية نهاراً قرعت الأجراس، وإن وقفت ليلاً أضاءت صاريها ليعلموا وصولها وتضاء منارة الرباط وليعلم الناس بذلك ويأتون بالدنانير لفداء أسراهم وإنقاذ رجالهم . " هـ . ط (٢) ص ٥٨ .

(٣) قطب الدولة أطلق على الأمير نصر فى سكة بتاريخ ٣٩٩ من أيلك ، وكذلك نعت به على بن جعفر بن فلاح ٤٠٧هـ ، وقد لقب أتابك سنجر محمد زاده الغزنوى بقطب الدولة والدين . انظر : الألقاب الإسلامية للباشا ص٤٣١ - ٤٣٢ .

واتصل بأولاده قصد العساكر لهم، فذهبوا مع العرب إلى البرية وتخلوا عن الرملة وغيرها من البلاد، التى غلبوا عليها وفى سنة ٤١٥ هـ افتتح حسان بن المفرج بن الجراح أمير الطائيين مدينة الرملة، وأتى عليها حرقاً ونهباً وأسراً، وفى سنة ٤١٩ هـ "مات سنان بن عليان " أمير الكلبيين، وكان محاصراً مدينة دمشق، فدخل ابن أخيه "رافع بن أبى الليل بن عليان" إلى الظاهر، فاصطنعه وعقد له الإمارة على الكلبيين، وسير معه عسكراً وانضمت إليه العساكر المقيمة فى الشام، واجتذب إليه جماعة من العرب وقصدوا بأجمعهم حرب حسان بن المفرج بن الجراح، وورد إليه صالح بن مرداس وبنو كلب لمعاونته وتصافوا للحرب على نهر الأردن، فى موضع يعرف بالأقحوان سنة ٤٢٠هـ وقتل صالح ومعه علم حسان، وانهزم العرب بأسرهم بعد قتله إلى الجبال، وقتل منهم جماعة وتخلوا عن البلاد التى كانوا بها، واستعادها أصحاب السلطان، وكان الخليفة العباسى فى ذلك العصر القادر بالله أحمد ابن المقتدر، وكانت بلاد الشام بأسرها لسلطان مصر الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله من الملوك الفاطميين الشيعة[١]، والمعز هو الذى استولى على مصر وأسس بها الدولة الفاطمية[٢] ، ولما انتظم له الأمر سير

---

(١) " وهم الذين أسسوا دولة إسلامية شيعية ، أول ظهورها فى تونس عام ٢٩٧هـ /٩٠٩م على يد خليفتها الأول " أبو محمد عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق الملقب بالمهدى . نسبتها إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ باعتبار أن خلفاءها يعتبرون أنفسهم من أولاد الحسن والحسين ولدى على منها ، اتسع نفوذ الدولة الفاطمية على حساب الدولة العباسية فاشتملت رقعتها على مصر والشام واليمن والحجاز ، وكادت لفترة من الوقت أن تسيطر على العراق وتدخل بغداد . كانت القاهرة عاصمتها بعد المهدية ، بلغ عدد خلفائها ١٤ خليفة من أشهرهم المعز لدين الله أبو تميم معد ، الذى فتحت فى أيامه مصر وبنيت القاهرة ، ومن أشهر قادتها جوهر الصقلى ، الرومى ٣٨١هـ/ ٩٩٢م انتهت مدتها بوفاة الخليفة العاضد أبو محمد عبد الله سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م . انظر : " معجم المصطلحات والألقاب التاريخية " تأليف : مصطفى عبد الكريم الخطيب ص ٣٣٥ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ .- ١٩٩٦ م .

(٢) (١) خطط الشام (٢) البحر الزاخر (٣) لب التاريخ و تاريخ ابن خلكان قال: "وكانت سيرته =

جيشاً عظيماً إلى الشام وملكها بعد حرب ، وبعد انقراضهم تغلبت عليه الدولة السلجوقية مدة عشرين سنة ٤٣٠ هـ، إلى أن حصلت الحروب الصليبية، ولم يخل الجو لملوك السلاجقة بالشام ،حتى خرج عسكر الصليبيين إلى الأرض المقدسة، وكانت البلاد في هرج ومرج يتطاحن فيها امراؤها ويمزق بعضهم بعضاً، والقطر نهب أيدى ملكشاه وأخيه تنش بن ألب أرسلان، والمماليك أمراء الدولة آق سنقر وبزان وطغتكين وغيرهم، ويصعب على عرب الجزيرة إنجاد البلاد لبعد المسافات، وبغداد مهد العرب مشتغلة بنفسها، وقد أثخن بنو سلجوق فى جيش قسطنطينة، وضايق الأمير برسق الروم حتى قدر عليها فى كل سنة حمل ثلاثمائة ألف دينار للسلطان، وثلاثين ألف دينار له جزية، فخاف ملك القسطنطينة على مملكته من هجوم المسلمين عليها، فكتب يستنهض ملوك أوروبا لتخليص المملكة اليونانية مما يتهددها[1] . وعمت خرافة الدنيا المسيحية، واعتقدوا أن الدنيا فرغت ولم يبق إلا القليل، وازدحمت الكنائس بالنادمين، وصار توسيع المعابد القديمة وأنشئت معابد أخرى، وكثرت قوافل الزوار إلى الأرض المقدسة ،وكان خراب القبر الشريف، وانتهاك حرمته بواسطة الحاكم بأمر الله، فى أول القرن الخامس فسبب رجفة من الغضب فى عموم أوروبا، وجعل فى أفكارهم النهوض لتخليص المدينة المقدسة من أيدى المسلمين، وكان الحاكم بأمر الله[2]

= من أعجب السير فى التحريم والتشريد والمنع والنهب ثم رجع عن ذلك وأمر ببناء ما هدم من الكنائس ورد ما أخذ من أحباسها. "هـ (١) ط ص ٥٩ .

(١) " فيها تغلب السلطان ألب أرسلان على بلاد الشام وفتح الرملة والقدس وما يجاور ذلك ما عدا غزة وعسقلان ثم خرجت الشام من ملكهم فأغار ملكشاه بن ألب أرسلان على القدس ونهب أموالهم واستعبدهم وقتل منهم ثلاثة آلاف ثم سار إلى غزة فقتل من كان فيها وذلك فى حدود سنة ٤٧٠هـ . وبقى النزاع بين السلاجقة والفاطميين . " هـ. ط ص٥٩ .

(٢) " الحاكم بأمر الله (٣٧٥ هـ -٤١١هـ) =(٩٨٥- ١٠٢١) منصور بن نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) ابن إسماعيل بن محمد العبيدى الفاطمى ، أبو على : متأله غريب =

جباراً عنيداً لم يل مصر بعد فرعون شر منه، حاول أن يدعى الألوهية، وكان فاسقاً ظالماً سفاكاً للدماء، قتل كثيراً من أماثل أهل دولته وغيرهم صبراً، واضطهد اليهود والنصارى وأحرق معابدهم بالديار المصرية، وبأمره هدمت كنيسة القمامة فى القدس سنة ٤٠٨ هـ، وسنة ١٠٠٩م أمر النصارى أن تحمل فى أعناقهم الصلبان، طول ذراع ووزن خمسة أرطال، وأن تحمل اليهود قرامى الخشب كذلك، ليعرفوا مما حملهم على الاستغاثة منهم بأهل أوروبا، وسبب ذلك التذمر منه ومن دولته بل من دول الإسلام أجمع، حتى بعد ما

= الأطوار، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. ولد فى القاهرة وتوفى فيها سنة ٩٨٥هـ . " راجع الأعلام للزركلى ج٧ ص ٣٠٥- ٣٠٦ . وراجع معجم الألقاب والأسماء المستعارة فى التاريخ العربى الإسلامى.- تأليف الدكتور فؤاد صالح السيد ص٨١ حيث ضبط اسمه ووفاته فأورد التالى: "الحاكم بأمر الله (٣٧٥هـ- ٤١١هـ) = (٩٨٥- ١٠٢١م) منصور بن نزار (العزيز بالله) بن معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل المنصور بنصر الله بن محمد (القائم بأمر الله) العبيدى الفاطمى ، القاهرى ولادة وإقامة ووفاة ، أبو على : الخليفة الفاطمى السادس . (٣٨٦- ٤١١) / ٩٩٦- ١٠٢١م) . خطب له على منابر مصر والشام وإفريقية والحجاز . أعلنت الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧ هـ فى مساجد القاهرة ، وتحول لقبه - فى هذه المدة على الأرجح - إلى الحاكم بأمره . وقام بدعوته محمد بن إسماعيل الدرزى وحسن بن حيدرة الفرغانى ، وكادا يفشلان فظهر حمزة بن على بن أحمد سنة٤٠٨ هـ ، فقويت الدعوة عند شيعة الحاكم . اختفى فجأة فى سفح جبل المقطم قرب القاهرة ، ويقال إن أخته " ست الملك " دست له رجلين اغتالاه وأخفيا أثره . لقب بالحاكم بأمر الله ولقب خلال دعوى تأليهه وربوبيته بالحاكم بأمره .) أ.هـ معجم الألقاب ص٢٣٥. وعن هذه الألقاب التى كانت معروفة آنذاك فى عهد الدولة الفاطمية انظر : " الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار " تأليف د. حسن الباشا (ص ٦٥- ٧٣)القاهرة : الدار الفنية ، ١٩٨٩م . حيث أورد الباشا نشأة هذه الألقاب بالتفصيل معتمداً فى ذلك على المصادر التاريخية بجميع أشكالها . وراجع بصدد الدولة الفاطمية فى عهد الحاكم بأمر الله كتاب : الحاكم بأمر الله (خليفة ، وإمام ، ومصلح) تأليف : د. عارف تامر .- بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ط١ .- ١٩٨٢ص٢٨-١٠٣ . وبصدد سلسلة نسب الفاطميين وخلفائهم راجع : كتاب " طبقات سلاطين الإسلام " تأليف استانلى لين بول " ط١ .- ١٩٦٩، بغداد : مطبعة البصرى . (ص ٦٨-٧١). وانظر : " معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى " للمستشرق زامباور ترجمة وإخراج د/ زكى محمد حسن بك وحسن أحمد محمود وآخرون .- الجزء الأول (ص ١٤٤- ١٥٠) وأورد فيه أن الحاكم بأمر الله اختفى سنة ٤١١هـ ، فى ٢٧ شوال .

فتح السلجوقيون أورشليم سنة ١٠٧٦م وعاملوا المحلات المقدسة بالاحترام، وساعدوا قوافل الزوار وحموهم، ولكن تغافلوا عنهم فى فترات من الزمن فلاقى بعض الزوار شيئاً من الشدة والعنف، إلى أن توجه سنة ١٠٩٤م السائح المشهور بطرس الناسك لزيارة أورشليم، وهو زاهد فقير متمسك بدينه شديد التعصب فقامت عليه قيامة الغضب، مما شاهد عليه إخوانه من الظلم والشدائد المحيطة بهم، من ظلم الحكام وأعوانهم[١]. فعاد برسائل من بطريق الجريق إلى البابا أوريانوس[٢] الثانى، يستغيث به وبالعالم المسيحى فى

(١) " يجدر التنبيه إلى نقطة أساسية بصدد الحروب الصليبية والعوامل والأسباب التى وراءها – لم تكن الأسباب ظلم الدول الإسلامية للرعايا المسيحيين (أهل الذمة) بل الأسباب أكبر من ذلك وأعقد فقد كانت " الحروب الصليبية " التى شنها الغرب الكاثوليكى على الشرق العربى الإسلامى فى المنطقة العربية تستهدف مكاسب عديدة منها ما هو معلن ومنها ما هو خفى ويمكن فهمه من استقراء الظروف التاريخية . ففى المحل الأول كانت الحملة تستهدف استرداد الأراضى المقدسة من المسلمين ، وحماية طرق الحجيج المسيحى . بيد أنه من الواضح أيضاً أن البابا رأى فى مثل هذه الحملة فرصة لتوحيد كنيستى الشرق والغرب (اللتين كانت قد تباعدتا تماماً منذ الشقاق الكبير الذى حدث سنة ١٠٥٤م) تحت زعامته ، بحيث يتم تكريسه زعيماً للعالم المسيحى بالشكل الذى يدعم موقفه فى مواجهة الإمبراطورية . كذلك كانت البابوية ترغب فى توظيف الميول الحربية لفرسان الغرب ، الذين لا يكفون عن الاقتتال ، فى خدمة غرض عام يفيدهم ، ولا سيما أن حركة السلام التى ترعاها الكنيسة كانت قد لقيت تجاهلاً تاماً من جانب بعض أهم مؤيديها . ويمكن أن نلاحظ فى هذا الصدد أن سادة الأراضى التى تم استردادها من مسلمى الأندلس فى غضون القرن الحادى عشر قد صاروا أفصالاً إقطاعيين تابعين للبابا فى روما، وهو ما يعنى أن البابوية كانت تسعى إلى أن تكون الأرض المقدسة ، بعد أخذها من المسلمين ، تابعة للبابا . ومن ثم تكون هذه الحرب المقدسة تعبيراً عمليا عن زعامة البابا الروحية للعالم المسيحى ، وهى زعامة كانت تمثل ركنا جوهرياً من أركان وجود البابوية ذاتها . كما أن الحرب المقدسة يمكن أن تجتذب شعوب الشمال الأوروبى إلى علاقات أكثر تواطداً مع البابوية .

..... والحقيقة أن العامل الدينى كان موجوداً بشكل ما ، ولكنه كان نابعاً من تدين عاطفى يقوم على التعصب المقيت ، ولم يكن تديناً عقلانياً حقيقياً . ذلك أن الجو المحموم الذى أشاعته الدعاية المسعورة ضد المسلمين ، والتى أكدت جهود البابوية والمبشرين الجوالين من أمثال" بطرس الناسك " نيرانها . انظر كتاب رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية ، للدكتور قاسم عبده قاسم .– القاهرة : دار الموقف العربى ، ١٩٨٣م . ص ١٠ –١٢ بتصرف .

(٢) " الصواب أوربانوس " وليس أوريانوس بالياء . انظر الكتب المعتمدة لتاريخ الحملة الصليبية =

خلاصهم وخلاص القبر المقدس من ظالمهم، وفتح فلسطين وكان التعصب الدينى يومئذ على أشد حالاته فى الغرب ،ومعظم حكوماته تدين بدين البابا وتخضع لسلطانه القاهر، فأوعز إلى أمم النصرانية فى الغرب، ليهبوا كلهم إلى إنقاذ القبر المقدس. ولقد تأثر البابا أوريانوس الثانى بشكاوى الزوار، وحرض المسيحيين على حمل الصليب فى مجمع دينى عظيم، واشترك بهذه الحملة كثير من إيطاليا وانكلترا وفرانسا والألمان واللورين، وتجرأ بطرس الناسك فى أن يخطب للصليب، أو الحرب المقدسة فى عموم فرنسا وإيطاليا، ويحرض برنسات أوروبا على حمل السلاح، لأجل المدافعة عن آخر حصن النصرانية فى آسيا، حتى صار إعلان الحرب المقدسة ونذر الألوف من سائر الدرجات والأعمار فى كافة الأنحاء، من أجل القبر الشريف حتى أن العباد رموا سبحهم وحملوا السلاح، وباع الأشراف قصورهم وأملاكهم فى هذا السبيل، والتحقوا بالحرب، وقد أحصى المؤرخون عدد الذين صاروا تحت

= من وجهة نظر المؤرخين المعاصرين للحملة مثل : " تاريخ الحروب الصليبية " الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، صنعه باللاتينية وليم الصورى - رئيس أساقفة صور (١١٣٠ - ١١٨٥ م) . نقله إلى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار . بيروت : دار الفكر ، ط١.- ١٩٩٠م . ج١ ص ٧ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٧٦، ٥٧٨ . وراجع كتاب "الحروب الصليبية الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان كتبت أصلاً بالإغريقية والسريانية والعربية واللاتينية " اختارها وترجمها وحققها وقدم لها الدكتور سهيل زكار .- دمشق : دار حسان للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م . انظر ص ٥ من ج١ وله أيضاً موسوعة أخرى فى تاريخ الحروب الصليبية حيث يعمل الدكتور زكار فى تاليف وتحقيق وترجمة موسوعة تاريخية تحت عنوان "الحروب الصليبية" وقد انجز حتى الآن ستة وعشرين مجلداً من إجمالى المجلدات التى استغرقتها الموسوعة والتى من المتوقع أن تبلغ الخمسين وقد أنجز جزاه الله عن الإسلام وتراثه كل خير - تحقيق كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى (أحمد بن يحيى بن جاب المتوفى سنة ٢٧٩ ، كاملاً فى سبعة عشر مجلداً فيها أربعة خاصة بالفهارس. انظر : مجلة أخبار التراث العربى من أجل تنسيق الجهود القائمة حول تحقيق التراث ونشره . العددان ١٧، ٧٢ مجلد ٦ عدد ذي الحجة ١٤١٦ هـ رجب ١٤١٧ هـ مايو - ديسمبر ١٩٩٦ م - القاهرة .معهد المخطوطات العربية ص ٥٢ -٥٣ أخبار المحققين والباحثين .

الصليب من رجال ونساء، بستة ملايين وبعد سنتين ونصف مضت فى المصائب الهائلة والجلاد العنيف، استولى الصليبيون على القدس سنة ٤٩٢هـ و١٠٩٣م.

* * *

الحروب الصليبية
والأسباب الحاملة عليها

الحروب الصليبية والأسباب الحاملة عليها[(١)]

علم مما قدمنا أن الأسباب الحاملة لدول الغرب وشعوبها لتلك الحروب

(١) " بصدد الأسباب والعوامل التى كانت وراءها الحروب الصليبية انظر كتاب : " الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامى فى العصور الوسطى" . (جزآن) تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦ . ط٤ يورد د. عاشور ص ٢٥ من الجزء الأول البواعث والأسباب التى وراء الحملات الصليبية، فيورد الباعث الدينى (ص٢٥ - ٣٠) والباعث الاقتصادى (ص٣٠- ٣٢) والباعث الاجتماعى (ص ٣٢- ٣٤) والباعث السياسى (ص٣٤ - ٣٦) . ويقول د. زكار : " الحروب الصليبية هى ملحمة عسكرية وصراع سياسى وعقائدى واقتصادى لم يشهد التاريخ له مثيلاً أبداً " انظر : " الحروب الصليبية " د. سهيل زكار - ج١ ص ٧ .

وراجع كتاب: " فصول بيليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية " للدكتور محمد مؤنس أحمد، ط١، صدر عن مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ص ٢٩٨.

فى هذا الكتاب نجد المئات بل الآلاف من أسماء الكتب والمراجع والمصادر الأساسية فى الحروب الصليبية، حيث قسم الباحث كتابه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر، وجمع فيه مجموعة ضخمة من أسماء المصادر والمراجع من وجهات نظر متعددة أوربية وأمريكية وفرنسية ولاتينية وإسرائيلية [حيث أن اليهود لديهم اهتمام كبير جداً بتاريخ المملكة الصليبية اللاتينية فى بيت المقدس ـ على حد تعبير مؤرخيهم ـ فالمفارقات عجيبة بين التجربة الصليبية والتجربة الصهيونية، ويدرك مؤرخى الصليبيات فى الجامعة العبرية ـ التى هى من أهم المؤسسات لدراسة الصليبيات فى العالم ـ أن المصير نفسه سيكون للتجربة الصهيونية مهما حاول قادتها تلاشى الأخطاء التى وقع فيها قادة الحملة الصليبية (المحقق).] وأعود إلى الكتاب الذى سبق أن ذكرته فهو مهم جداً ومفتاح لأى دارس عن "ظاهرة تاريخية عرفها تاريخ الغرب الأوربى فى العصور الوسطى، هذه الحملات التى خرجت تحت راية الصليب وبتحريض من البابوية الكاثوليكية وتحت قيادتها، بهدف الاستيلاء على المنطقة العربية عامة وفلسطين والأراضى المقدسة على نحو خاص، شغلت الناس فى أوربا بشكل مباشر على مدى مائتى عام من أبناء الغرب الأوربى. كما أن جرحها شمل منطقة جغرافية شاسعة شملت أوربا بأسرها إلى جانب العالم العربى كله مشرقه ومغربه، ولأنها كانت تجديداً تاريخياً للغرب الأوربى الكاثوليكى، فإن الكتاب والشعراء المؤرخين سودوا ملايين الصفحات وأراقوا أطناناً من الحبر فى تسجيل أحداثها وتصوير شخصياتها وتحديد أهدافها وتحليل مجرياتها. ص ٧ من الكتاب المذكور آنفاً.

الصليبية لفتح فلسطين، بل والبلاد الإسلامية إنما هو تخوف الروم على المملكة اليونانية المرتبطة بدول الغرب من مهاجمة العرب لها، واكتساح الدول الإسلامية لبلادها، وجاءت شكاوى بعض الزوار محركة لذلك ، وكان بطرس الناسك أعظم مهيج لشعوب الغرب ، وبلاده لما قام به من الدعاية الدينية، والطريقة المثيرة إليه من تهويل واضطهاد قبر المسيح والمسيحيين، واحتقار دينه وامتهان زواره، وأنهم يكبلون بالحديد، ويلاقون مر العذاب لعلمه بمزيد تعصبهم الدينى وشدة انقيادهم للبابا، وكثر منه البكاء والعويل وتكرر الإلحاح منه، ومن الرهبان الذين أغراهم وهيجهم، حتى صار أهل الغرب فى تلهف لزج نفوسهم فى غمار الحروب، وصار الشرق كأنه وطنهم الذى يحن إليه، سيما بعد تهييج البابا وإلقائه الخطب المؤثرة، فى الممالك والمدن، ومنها قوله فى مؤتمر مدينة " كليرمون "[١] بفرانسا فى شهر نوفمبر سنة (١٠٩٥م) : "أيها المسيحيون إن تلك الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها، وتلك المختصة بفادينا، وذاك الجبل الذى تألم عليه ومات من أجلنا، وذلك الضريح الذى تنازل لأن يدفن فيه ضحيته للموت، كلها أصبحت ميراثاً لشعب غريب، وغاب كل بهائها الأصلى، وهياكلها قد خربت وأشعة نورها تحولت إلى ظلام حالك، وهى تستحق الندب والبكاء الشديد، ولم يعد لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية، والمشرق الذى هو المهد، والينبوع المقدس لإيماننا لم يعد مشهداً إلا لاحتقارات أعمال المسلمين، وجهات آسيا الأكثر ثروة وغناء، قد التحقت بالظلام، وأنطاكية[٢]

(١)-كليرمون- فيران: مدينة (سكانها ٩٣٦٩٥نسمة) ، ش ق فرنسا. العاصمة التاريخية لمقاطعة أوفيرن . تكونت ١٧٣١ باندماج كليرمون ومونفيران مركز لصناعة المطاط (إطارات السيارات) ترجع كليرمون إلى العصر الرومانى . أعلن فيها البابا أربان ٢ الحروب الصليبية لأول مرة . الموسوعة العربية الميسرة/ مج٢ ص١٤٧٦ .

(٢) أنطاكية : مدينة (٣٨٥, ٣٠ نسمة) ج. تركيا على نهر العاصى عند سفح جبل سيلبيوس ، أنشأها سلوقوس الأول (ح ٣٠٠ ق. م) تقع عند ملتقى الطرق الممتدة من الفرات إلى البحر =

وأفسس[1] ونيقية[2] قد صارت مدن الإسماعيليين، والأتراك قد مدوا ولايتهم إلى حدود أبواب القسطنطينية[3]، ومن هناك ذراع هؤلاء الشعوب يتهدد بأن يستولى على كل ممالك الغرب إن كنيسة المسيحيين قد وضعت رجاها مسنداً إلى شجاعتكم، إنى اجتزت الجبال وحضرت لكى أنذركم بكلام الله وسط

= المتوسط ، ومن البقاع إلى آسيا الصغرى ومن ثم صارت من أهم المراكز التجارية فى العالم . أصبحت بعد انتشار المسيحية مقراً لبطريركية ، وبها ثلاثة بطاركة للمذاهب الملكانية والمارونية واليعقوبية . سقطت فى قبضة الفرس سنة ٥٣٨م وفتحها العرب ٦٢٧م . وخضعت للإمبراطورية البيزنطية (٩٦٩ - ١٠٨٥م) وللسلاجقة الأتراك (١٠٨٥ - ١٠٩٨م) . استولى عليها الصليبيون (١٠٩٨) وأصبحت إقطاعاً فى مملكة بيت المقدس اللاتينية تحت حكم بوهمند الأول وخلفائه ، واستولى عليها المماليك المصريون ١٢٦٨م والعثمانيون ١٥١٦م انتقلت إلى سوريا ١٩٢٠م لكنها أعطيت لتركيا ضمن سنجق الإسكندرونة (١٩٣٩) تشغل أنطاكية اليوم جزءاً من المدينة القديمة وما زالت بقايا من أسوارها وقناطرها ومسرحها وقلعتها باقية ، كشفت الحفائر فيها عن فسيفساء رائعة . انظر : الموسوعة العربية الميسرة مج١/ ص٢٤٥ .

(١) أفسس : ميناء ، مدينة إغريقية قديمة على شاطئ آسيا الصغرى الغربى ن كانت أعظم المدن الأيونية وثرواتها مضرب الأمثال عندما ضمت إلى الإمبراطورية الفارسية أزدادت أهميتها واتسع نطاق تجارتها ، استمر أزدهارها فى العصر الهيلينستية وعندما خضعت لروما (١٣٢ ق.م) كانت تحتل الصدراة بين مدن ولاية آسيا ، كان أهم معالمها معبد أرقميس الذى كان يعتبر إحدى عجائب العالم القديم ، أصبحت أفسوس فيما بعد أحد مراكز المسيحية وزارها القديس بولس . انظر : الموسوعة العربية الميسرة . تأليف محمد شفيق غربال مج١/ ص١٧٩ .

(٢) نيقية : مدينة قديمة بآسيا الصغرى ، أسست فى القرن ٤ ق.م . كانت مركزاً تجارياً مزدهراً فى ظل الحكم الرومانى ، ومقراً لمجمعين كنسيين (٣٢٥-٧٨٧) وظلت مزدهرة خلال العصور الوسطى . استولى عليها الصليبيون (١٠٩٧) وأصبحت (١٢٠٤)مركزاً لإمبراطورية نيقية. راجع :الموسوعة العربية الميسرة- مج٢-ص١٨٦٧ .

(٣) القسطنطينية : عاصمة الإمبراطورية البيزنطية . . والإمبراطورية العثمانية سابقاً . سميت باسم قسطنطين الذى أنشأها بموضع بيزنطة (بيزنتيوم) القديمة وجعلها العاصمة الجديدة للأمبراطورية الرومانية (٣٣٠) شهدت القسطنطينية ما شهدته الإمبراطورية البيزنطية من مجد وتقلبات ، حتى أصبحت تلك الإمبراطورية قاصرة تقريباً على المدينة وضواحيها لم ينجح ممن حاولوا حصارها إلا ثلاثة : جيش الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤ وميخائيل الثامن ١٢٦١ والسلطان محمد الثانى ١٤٥٣م . أقيمت المدينة على سبعة تلال على البوسفور . انظر بتوسع : الموسوعة العربية الميسرة/ محمد شفيق غربال مج٢/ ص١٣٨٠-١٣٨١ . وانظر ما أورد عنها ياقوت الحموى فى معجم البلدان ج١/ ص٣١٧ - ٣٢٠ ، الطبعة المحققة .

بلادكم. لقد آن الزمان الذى تحولون فيه ضد الإسلام، تلك الأسلحة التى اتخذتموها حتى الآن، ضد بعضكم لأخذ الثأر لأنفسكم عن الإهانات ضد البشر، بل عن الإهانات الصادرة ضد الله . والحرب المقدسة الآن ليست لأخذ مدينة واحدة فقط، بل هى لأخذ أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تحصى، فهذه الأرض المقدسة كما قالت التوراة : "تفيض لبناً وعسلاً . . . " فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم فالملك الشرقى يكون لكم قسماً وميراثاً، وإذا قتلتم فلكم المجد لأنكم تموتون فى المكان الذى مات فيه يسوع المسيح، ثم أعطاهم علامة الفداء صليب الخلاص[1]. ومن ذلك يعلم أن من الأسباب لتلك الحروب النكراء، والحملة الشعواء الطمع والجشع، وحب التغلب على البلاد لابتزاز ثروتها، والاستيلاء على خيراتها، وامتصاص دمها والاستئثار بالحياة، والتناحر على حب الذات ، وشجعهم

---

(١) " أيها الإخوة الاحباء : إنه فى ظل الظروف الملحة ، قدمت أنا أوربان ، المتوج بمشيئة الرب بتاج التثليث ، الحبر الأعظم للعالم أجمع ، إليكم يا عباد الرب ، بمثابة رسول لأنبئكم بالأوامر الربانية . . . . . عليكم وبكل سرعة أن تأخذوا المساعدات إلى إخوانكم فى المشرق ، التى طالما وعدتموهم بها إنهم بحاجة ملحة إليها . إن العرب والتركمان فى المشرق قد حاربوهم ، وتوغلوا فى الأراضى الرومانية (البيزنطية) عميقاً حتى البوسفور ، وهم يتوغلون الآن أعمق من ذى قبل فى أراضى هؤلاء المسيحيين ، لقد أبادوهم سبع مرات فى المعركة ، فقتلوا منهم من قتلوا ، واخذوا عدداً كبيراً من الأسرى ، ودمروا الكنائس ، واجتاحوا أراضى المملكة ، وإذا لم تتصدوا لهم الآن ، فإنهم سيمدون سلطانهم أعمق وسينشرونه فوق العبيد المخلصين للرب . لهذا السبب أتوجه إليكم بالرجاء والتحريض - وإنه أنا ليس الذى أتوجه إليكم ويحرضكم ، بل الرب على لسانى أنا نائب المسيح - أتوجه إلى الفقير منكم والغنى وأسالكم أن تتسارعوا نحو طرد أبناء الشر هؤلاء من المناطق المقطونة من قبل إخواننا ، وأن تقدموا المساعدة فى وقتها المناسب إلى عباد المسيح ، إننى أخاطب جميع هؤلاء الحضور ، وأعلن نفس الشىء إلى جميع الغياب ، لكن اعلموا أن المسيح هو الذى يخاطبكم ويصدر لكم الأوامر . . . . إن جميع الذين يذهبون إلى هناك ويفقدون حياتهم فى البر أو البحر أثناء الرحلة أو خلال المعركة ضد الكفار ، سيتم غفران ذنوبهم بالحال ، وإننى أمنح هذا من خلال السلطة المضفاة علىَّ من قبل الرب ". لقد فجر هذا الخطاب قيام ما يعرف باسم الحروب الصليبية . راجع كتاب الحروب الصليبية للدكتور سهيل زكار - ج١(ص ٥-٧) .

على ذلك وجود القحط الشديد ببلاد أوروبا فى سنين متتابعة، حصلت بها مجاعة عظيمة، وفشت فيهم البطالة واللصوصية، وصارت بلادهم لا تتحملهم، وأصبحت فى أعينهم كأنها منفى، مع ما يسمعون به عن بلاد فلسطين وآسيا، من كثرة الغنى والخيرات، ووفرة الأرزاق والبركات، وحسن الموقع، وطيب الماء والهواء، واعتدال الحر والبرد، وجعلوها حرباً دينية وغشّوا تلك الشعوب، مع أن دينهم والمسيح لا يجيز تلك الحروب النكراء، والحملات الشعواء التى ساعد عليها الجهل، والأوهام الدينية والسياسية ومصلحة البابوية، وكان فى الإمكان اجتنابها والسلامة من ويلاتها وأخطارها التى عادت عليهم بالوبال والقهر والغضب ؛ وانقلبوا بالخسران شر منقلب .

* * *

نبذة عن الحروب الصليبية

قد أطال فيها المؤرخون من العرب والإفرنج وأفردت بالتأليف، والمقام يستدعى ذكر ما وقع منها فى فلسطين، قال فى الأنس الجليل[١] : " وقع الخلاف بين السلاطين السلجوقية، فتمكن الأفرنج فى البلاد وانزعج المسلمون فى سائر ممالك الإسلام غاية الانزعاج، بسبب أخذ بيت المقدس واستيلاء الأفرنج على أكثر بلاد السواحل فى أيام الخليفة المستعلى بأمر الله وكان الآخذ لهذه البلاد بردويل الأفرنجى، ثم فى سنة ٥١١ هـ، وقيل فى سنة ٥١٤ هـ قصد الديار المصرية ليأخذها، فانتهى إلى غزة ودخلها وخربها وأحرق مساجدها ،ورحل عنها وهو مريض فهلك فى الطريق قبل وصوله إلى العريش، فشق أصحابه بطنه ورموا حشوتها هناك، فهى ترجم إلى اليوم ورحلوا بجثته إلى القدس، ودفنوها بكنيسة القمامة وسبخة بردويل هى التى فى سبخة الرمل، مما يلى العريش منسوبة إلى بردويل المذكور، والحجارة الملقاة هناك والناس يقولون هذا قبر بردويل وإنما هى الحشوة "[٢] ا. هـ[٣].

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل / لمجير الدين الحنبلى . جزآن . طبع لأول مرة فى القاهرة فى المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٣هـ . وطبعة أخرى فى عمان سنة ١٩٧٢ نشرته مكتبة المحتسب . وهناك فهارس لهذا الكتاب للطبعتين القديمة والحديثة قام بعملها فريق من الباحثين فى مركز الأبحاث الإسلامية فى القدس . جاء هذا الفهرس فى ٤٦٦ صفحة من القطع المتوسط . نشر سنة ١٩٨٨م فى القدس .

(٢) انظر : الأنس الجليل ج١/ ص٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٣) " قال فى النجوم الزاهرة : "وهو الذى بيت المقدس وعكا وعدة حصون من السواحل ثم قصد الملك بردويل الإفرنجى مصر ودخل الفرما وكانت مدينة فى حصون مصر القديمة وأحرق جامعها ومساجدها فأهلكه الله قبل أن يصل إلى العريش (وهى مدينة من ثغور مصر) فشق أصحابه بطنه وجروه ورموا حشوته هناك بالسبخة المعروفة بسبخة بردويلى فهى ترجم إلى اليوم ودفنوه بالقمامة ." هـ.ط ص٦٢ .

وقد كان زحف الصليبين على بيت المقدس فى سنة ١٠٩٩م وكان الحاكم عليه "افتخار الدولة"، من قبل الخليفة المستعلى بأمر الله، قد أمر ببناء ما تهدم من السور، فهجموا بالأبراج الخشبية التى جمعوا أخشابها من سقوف منازل القرى المجاورة للمدينة، التى هدموها لهذه الغاية تحت قيادة "غودفر" الذى صار ملكاً على القدس، ومات بها سنة ١١٠٠ وشقيقه بودوين[1] الذى صار ملكا على القدس، بعد أخيه ومات قرب العريش سنة ١١١٨م وهو الذى حرف اسمه إلى البردويل، وبغدوين ودخلوها فى ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢هـ الموافق ١٥يوليو سنة ١٠٩٩م بعد حصار أربعين يوماً، وفتكوا بالمسلمين فتكاً ذريعاً، وصاروا يقتلون الرجال والنساء، والكبار والصغار، والبنين والبنات، وقتلوا فى داخل المسجد ما ينوف عن سبعين ألفاً، من المجاورين، وفيهم العلماء والزهاد والعباد، حتى كانت الجثث ملقاة فى الأزقة والأسواق، وأخذوا من المسجد نيفاً وأربعين قنديلاً، من الفضة زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم، و١٥٠ قنديلاً من الصغار وتنوراً من الفضة زنته أربعون رطلاً شامياً، وغير ذلك مما لايحصى والتجأ اليهود بكنيس حيهم، فحرقوا جميع الحى والكنيس بمن فيها واستمر الذبح فى المسلمين سبعة أيام، حتى صارت خيولهم تخوض فى الدم إلى ركبها، فى نواحى جامع عمر وهدموا المساجد وقبر الخليل، وأحرقوا المصاحف وجعلوا الصخرة والمسجد الأقصى مأوى لخنازيرهم، ومربطاً لدوابهم وخيولهم، وموضعاً لأقذارهم ووضعوا الصليب الكبير المذهب فوق قبة الصخرة المشرفة[2].

قال فى خطط الشام[3]: " ونزل الإفرنج فى سنة ٥٠٢ على طرابلس،

---

(١) ورد فى المصادر التاريخية بلدوين .

(٢) بصدد تاريخ القدس فى الفترة الصليبية . انظر المفصل فى تاريخ القدس للعارف ص١٤٧ - ١٦٥ .

(٣) انظر : خطط الشام ج١/ ص٢٩٢ (ونقل الطباع منه كثيراً مع التصرف) .

وحاصروها أربعة أشهر فشمل اليأس أهلها لتأخر الأسطول المصرى، ثم ملكوها بالسيف، ونهبوا ما فيها، وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها، وحصل فى أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب دار علمها، وما كان فى خزائن أهلها ما لا يحد ولا يحصر، ونزل بأهلها أشد البلاء، وسار إلى بغداد رجل من أشراف الهاشميين فى حلب بجماعة من الفقهاء والصوفية والتجار وأنزلوا الخطيب فى جامع السلطان عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الإسلام من الفرنج ومنعوا الناس من الصلاة وفعلوا فى الجمعة التالية مثل ذلك فأوعز السلطان إلى الأمراء المقدمين بالتأهب للمسير إلى الجهاد، وتقدم الأمراء لإنجاد البلاد وإنقاذ المسلمين منهم صاحب الموصل آق سنقر البرسقى، ووصل اليه الأمير أحمد بن الكردى فى عسكر كثيف، و"الأمير قطب الدين سقمان " من بلاد" أرمينية"[1] و "ديار بكر"[2] وصاحب "همدان"[3]، ووصل إليهم صاحب دمشق، ومعه رجال حمص وحماه وسائر المعاقل الشامية، فلم ير منهم عزيمة صادقة فى جهاد ولا حماية بلاد، وكانت الدولة الفاطمية فى أواخر أيام ضعفها وهرمها، لا ينتظر منها أن تعمل عمل الشباب، وقد أنجدت الدول المجاورة للشام نجدات مهمة، على بعد المدى

---

(١) أرمينية : " مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان " انظر بتوسع ياقوت الحموى معجم البلدان ج١/ص١٩٠ الطبعة المحققة . ورد عنها فى الموسوعة العربية : " هضبة يتراوح ارتفاعها بين ١٨٢٨ و ٢٤٣٧ متراً ، وكانت تقوم فى هذا الإقليم مملكة آسيا الصغرى " . انظر الموسوعة العربية ج١/ ص١٢٣ .

(٢) ديار بكر : مدينة (٦٣١٨٠ نسمة) ف. تركيا الوسطى ، على نهر دجلة حيث يصبح عندها صالحاً للملاحة ، مركز تجارى تشمل موضع أميدا القديمة . انظر : الموسوعة العربية الميسرة / مج١/ ص٨٢٧ .

(٣) همدان : مدينة (١٠٣٨٧٤ نسمة) بغربى إيران على سطح جبل القند . اسمها عند الآشوريين (هجماتانا) ، وعند الإغريق (اكباتان) ، وكانت قاعدة مملكة ميديا القديمة توفى بها الرئيس على بن سينا . وهى مركز تجارى . تشتهر منطقتها الجبلية بالآثار البرونزية التى تنسب إلى إيران قبل الإسلام بعدة قرون . انظر : الموسوعة العربية الميسرة / مج٢/ ص١٩٠١ .

وقلة المواصلات والصلات، وأبلى جند التركمان والأكراد مع عرب الشام والموصل البلاء الحسن ،ولكن القوى القادمة على البلاد كانت عظيمة جداً، لا قبل لهم بدفعها وكان موقف المسلمين موقف المدافع لا المهاجم ، وقد حرص الفرنج أن يستولوا على قرى حلب والبقاع وحوران والبلقاء فى الأكثر ليتقووا بغلاتها، لأن معظم القرى فى فلسطين كانت ساحات حرب، لا تقوم بإطعام جيوشهم وعلى الجملة فإن أمراء المسلمين فى هذا الدور لم يتلكأوا فى الحقيقة عن تخليص بلاء المهاجمين عن الشام وقاتلوا فانهزموا، وهزموا وطاولوا، وراوغوا وهادنوا وعاهدوا، وقاربوا وسددوا، ولكن الشام والجزيرة ومعهما العراق ومصر، على قلة لا تستطيعان دفع جيش مؤلف من أكثر أمم أوروبا، وأنى لقطر صغير أن توازى قوته قوة قارات كبيرة، ومن أين لأمراء صغار لا تربطهم رابطة سياسية وإدارية، أن يقفوا فى وجوه ملوك من ورائهم دول قوية غنية، مع قوة وتأثير البابوية، وناهيك بها من قوة فى ذلك العصر المظلم، ولكن قوة العسف والجور وصولة الضلال والباطل، لا تستقر دعائمها ولا يطول أمدها" ا.هـ "[1] . وقد قيل إن الحملة الأولى كانت مليون محارب ومحاربة، ربما هلك نصف مليون من الرجال وفى سنة ١٠٩٦ م سافر من فرنسا ستون ألفا، وبعدهم سافر " بطرس الناسك" بأربعين ألفا، ، ثم سافر مأتا[2] ألف من غير قائد ولا دليل ولا ذخيرة فهلكوا فى طريقهم، وفى صيف سنة ١٠٩٩م استحوذ الجيش على فلسطين الشمالية والوسطى فى طريقه إلى " أورشليم" ، وكان يبلغ تسعمائة ألف، لم يبق منه إلا أربعون ألفاً، وهلك الباقى فى الوقائع، ومن الجروح والأمراض التى أصابتهم ومن إسرافهم فى الموبقات .

---

(١) خطط الشام ج١/ ٢٩٢ (بتصرف من الطباع) .

(٢) هكذا فى الأصل والصواب " مائتا " (المحقق) .

وتوجوا أعظم وأعقل قوادهم " جو دفرى " المتقدم، وبعد انهزام سلطان مصر بقيادة الأفضل، أمير الجيوش[1] الذى سار لخلاص أورشليم، بالقرب من "عسقلان" قامت المملكة المسيحية بفلسطين نحو مائة عام ، أنشأوا فيها أربع إمارات، "القدس" ، و"أنطاكيا" ، و"الرها"، و"طرابلس"، قسمت إقطاعاً على الفرسان الغربيين، وضمت المدن الكبرى فى الساحل إلى مستعمرات أوروبية[2] .

ولما رأى معظم الصليبيين أوفوا بنذرهم، رجعوا إلى أوروبا وتركوا "جود فرى" مع ٣٠٠ من الخيالة و٢٠٠٠ من المشاة للمحافظة، وكانت مملكته قاصرة على "أورشليم" و"يافا"، ونحو عشرين قرية من القرى المحيطة بهم، وكانت مملكتهم فرنساوية اللغة والشرائع والعوائد، ثم امتدت فتوحاتهم من الحدود المصرية إلى الفرات ولم يبق للمسلمين من جميع فتوحاتهم الشامية غير "دمشق" و"حلب" و"حمص" و"حماه"، وكان موضع هذه المملكة بين الجماهير الكثيرة، والبلاد الواسعة التى يقطنها المسلمون فى الجهة الشرقية مهددا بعظيم الخطر، لأن جميع قوتهم العسكرية لا تزيد عن أحد عشر ألفاً، ومع ذلك وقع الخلاف بين فرسان الشفاء وفرسان الهيكل، وانفضحت المملكة بفساد هؤلاء العساكر، وصاروا عرضة للأخطار، وكانوا لفجورهم وفساد أخلاقهم لا يخشون عاقبة سلوكهم، وماهم عليه من الغى والبغى والعار، قال ياقوت :" وبقى المسجد الأقصى والبلاد المقدسة فى أيديهم إحدى وتسعين سنة حتى استنقذه منهم الملك الناصر صلاح الدين

---

(١) أمير الجيوش لقب من الألقاب العسكرية الفاطمية . انظر بتوسع الألقاب الإسلامية للباشا (ص١٩٠ - ١٩٢). وراجع أخباره فى "الأخبار السنية فى الحروب الصليبية" ص ٤٧ .

(٢) بصدد التقسيم الإدارى للبلاد أثناء وجود الصليبيين. انظر المصادر المشار إليها سابقا (مصادر الحروب الصليبية) .

يوسف بن أيوب[1] فى سنة ٥٨٣ هـ، وقد كتب إليه شاب أسير ببيت المقدس هذه الأبيات :

يا أيها الملك ، الذى   لمعالم الصلبان نكس
جاءت إليك ظلامة   تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طُهرت   وأنا على شرفى منجس

فكانت حاملة له على فتح بيت المقدس، وقد مضت تلك المدة، والإفرنج يعيشون بفلسطين، ويستحلون بلاد الإسلام من جهة مصر تارة، ومن جهة بلاد الأتراك والعجم والمغرب تارة أخرى؛ حتى ظهر الملك نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى[2] فغزا الإفرنج من ناحية أنطاكية سنة ٥٤٤؛ وقتل "البرنس " صاحب أنطاكيا؛ ثم غزاهم غزوة أخرى فهزمهم وقتل وأسر وكان فيهم "البرنس الثانى" ؛ ومدحه الشعراء على جهاده وهمته، حتى قال القيسرانى الكاتب[3] من قصيدة :

هذى العزائم لا ما تدعى الغضب   وذى المكارم لا ما قالت الكتب

(١) صلاح الدين الأيوبى . يوسف بن أيوب بن شاذى ، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى ، الملقب بالملك الناصر (٥٣٢ - ٥٨٩هـ = ١١٣٧ - ١١٩٣م) من أشهر ملوك الشام . انظر معجم الأعلام ص٩٦٢ . وبصدد حروب صلاح الدين وجهوده فى توحيد الصفوف وتحقيق الأمل المنشود والوحدة الإسلامية بين مصر والشام انظر كتاب: " السلاطين فى المشرق العربى" معالم دورهم السياسى والحضارى السلاجقة الأيوبيون (١٠٥٥-١٢٥٠= ٤٤٧-٦٤٨) د. عصام محمد شبارو (ص١٣٣- ١٧٢) .

(٢) نور الدين بن محمود زنكى: هو محمود بن زنكى (عماد الدين) ابن آقسنقر ، أبو القاسم ، نور الدين ، الملقب بالملك العادل (٥١١ - ٥٦٩هـ = ١١١٨ - ١١٧٤م) ملك الشام وديار الجزيرة ومصر . وهو أعدل ملوك زمانه وأجلّهم وأفضلهم .وكان يتمنى أن يموت شهيداً ، فمات بعلق " الخوانيق " فى قلعة دمشق فقيل له الشهيد . انظر: معجم الأعلام ص٨١٧ .

(٣) القيسرانى الكاتب: خالد بن محمد بن نصر بن صغر القرشى المخزومى ، أبو البقاء ، موفق الدين ، ابن القيسرانى (... - ٥٨٨هـ = ... ١١٩٢م) وزير أعيان الكتاب . أصله من قيسارية الشام . انظر : معجم الأعلام ص٢٣٧ .

وهذه الهمم اللاتى متى خطبت تعثرت خلفها الأشعار والخطب

ما زال جدك يبنى كل شاهقة حتى بنى قبة أوتادها الشهب

أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة فوآد رومية الكبرى لها يجب

ضربت كبشهم منها بقاصمة أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب

طهرت أرض الأعادى من دمائهم طهارة كل سيف عندها جنب

ولا زال يتابع الحرب فيهم ويتوغل فى البلاد؛ التى استحلوها والنصر حليفه؛ والنجاح ظهيره وفى سنة ٥٤٨هـ ملك الفرنج مدينة عسقلان؛ بتغافل مصر عن تحصينها وإمدادها، واختلاف الأهواء بها، وكانوا يقصدونها كل سنة ويحاصرونها فلا يجدون لتملكها سبيلاً، وطمعوا بعدها فى دمشق، فتهيج نور الدين لطرد الفرنج عن عسقلان، ولم يكن له إليها سبيل إلا باستيلائه على دمشق، فملكها من صاحبها مجير الدين انز بن محمد بن بورى بن طغركين أتابك سنة ٥٤٩هـ، وملك أمنع قلاع حلب، "تل باشر"، و"حصن يشذر بقرب حماه"، وفى سنة ٥٥٨هـ قصد تخليص طرابلس، فجمع عساكره فكبسهم الإفرنج على غرة وهزموهم، وراسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح، فلم يجبهم لعذرهم وترك عند "حصن الأكراد" مَنْ يحميه؛ وفتح نور الدين "قلعة جعبر" و"حارم" وقلعة "بانياس" فى سنة ٥٦٤ هـ سير عسكراً كثيراً إلى مصر وجعل عليهم "الأمير أسد الدين شيركوه ابن شاذى"، وقد تمكن منها الإفرنج وجاروا على المسلمين، فتوفق فى غزوته وملك مصر، وذلك بعدما أرسل "الخليفة العاضد" يستغيث بنور الدين؛ وملك أسد الدين مصر نحو شهرين ونصف؛ وتوفى سنة ٥٦٤هـ؛ وتولى بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى؛ وكان قد سار معه؛ وفى سنة ٥٦٤هـ سار صلاح الدين من مصر؛ فأغار على أعمال "عسقلان"

و "الرملة" وهجم على "ربض[١] غزة " فنهبه وقاتل الفرنج وهزمهم[٢] .

وفى سنة ٥٦٧هـ قطعت الخطبة للخليفة العاضد العلوى، وأقيمت للخليفة العباسى المستضيئ بنور الله بأمر السلطان نور الدين؛ وكان صلاح الدين يتخوف منه لنفرة حصلت بينهما، لكنه لم يقصده؛ وكان يتلوم عليه فى تقصيره فى حرب الأفرنج؛ حتى جهز لقصد مصر فعاجلته منيته فى ١١ شوال سنة ٥٦٩هـ ؛فاستقل صلاح الدين بعده فى بلاد مصر والشام والحجاز فى سنة ٥٧٠هـ، وجعل أخاه "الأكبر شمس الدولة تواران شاه " نائباً على دمشق، وأخاه "أبا بكر العادل" على حلب، وكان أعطاها لأخيه الأصغر "تاج الملوك بورى"، لكنه مات عند فتحها، وابن أخيه " تقى الدين عمر بن شاهنشاه على بن أيوب" على حماه، وابن عمه "ناصر الدين محمد ابن أسد الدين شيركوه" على حمص، وبعد وفاة أخيه شمس الدولة، جعل أبن أخيه "عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه" على دمشق، وأعانه أولاً أبوه "نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه"[٣] وخاله "شهاب الدين الحارمى"، وأخوه العادل وأولاد إخوته وابن أخته " محمد بن لاجين" وأولاده، وفى أيامه حصل زلازل وآيات سماوية، من خسوف وكسوف

---

(١) الربض : فى اللغة ما حول المدينة ، جمعه : ارباض ، شاع هذا الاصطلاح فى العصر الإسلامى فى الأندلس للدلالة على الضاحية خارج المدينة . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية (ص٢٠٤ - ٢٠٥) مصدر سبق ذكره.

(٢) يقول ابن القلانسى فى تاريخ دمشق ص٥٠٣ : " ... ودخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة أولها يوم الأربعاء ، مستهل المحرم ، والطالع للعالم الجوزاء ، وفى العشر الثانى من المحرم منها وصل الأمير الأسفهلار أسد الدين شيركوه رسولاً من نور الدين صاحب حلب ، إلى ظاهر دمشق " . وانظر كتاب " تاريخ دمشق ٣٦٠ - ٥٥٥هـ تصنيف الرئيس الأجل مجد الرؤساء أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى المعروف بابن القلانسى ٤٧٠هـ - ٥٥٥هـ = ١٠٧٧ - ١١٦٠م .- تحقيق : د. سهيل زكار . دار حسان للطباعة والنشر دمشق ١٩٨٣م .

(٣) بصدد الأيوبيين راجع ما جاء فى معجم الأنساب والأسرات الحاكمة (١٥٠ - ١٥٥) حيث أثبت أسماء جميع الحكام بمختلف المناطق التى حكموها إن كان فى دمشق أو حلب أو مصر .

طويل، واحمرار فى السماء، وظلمة ورياح شديدة، وقحط وغلاء وموت ووباء، وحروب وغارات شديدة من الإفرنج، على بلاد سوريا وفلسطين.

قال ابن الأثير: " وفى سنة ٥٧٩ فتحت حلب بقيادة " تاج الملوك بورى"، أخو صلاح الدين الأصغر، وطعن فى ركبته، فجاء صلاح الدين يعوده، وقال له هذه حلب أخذناها وهى لك، فقال ذلك لو كان وأنا حى، والله لقد أخذتها غالية، حيث تفقد مثلى فبكى وأبكى[١]، وكان له مع الإفرنج قرب "بانياس"[٢] وقعة عظيمة، قاتلهم هناك قتالاً شديداً، حتى هزمهم شر هزيمة، وأسر منهم عدداً كثيراً منهم " ابن برزان"، صاحب الرملة ونابلس وصاحب[٣] طبرية، وأخو صاحب جبيل وصاحب جنين، ومقدم الداوية[٤] والإسبتارية وغيرهم، من مشاهير فرسانهم وطواغيهم، والأول فدى نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، وإطلاق ألف أسير من المسلمين، ونقبوا الحصن وخربوه، وأطلقوا من كان فيه من أسرى المسلمين، وأمر بهدم الحصن إلى الأرض وكان عرضه تسعة أمتار.

* * *

---

(١) ومما قاله بعض الشعراء عند فتحها :

وفتحتم حلباً بالسيف فى صفر ... مبشراً بفتوح القدس فى رجب

وقد تحقق ذلك فقال بعض الشعراء فى قصيدة :

هذا الذى كانت الأيام تنتظر ... فليوف لله أقوام بما نذروا

(هـ. ط ص٦٦).

(٢) بانياس : اسم لقرية أو بلدة قرب دمشق ، تحت الجبل الذى فى غربى دمشق ، يرى عليه البلح وفيها الليمون والاترج. انظر : بلدانية فلسطين ص٤٢.

(٣) اشتهر لقب الصاحب فى عصر الأيوبيين ، وهو من الألقاب الدالة على الوظيفة دلالة خاصة". راجع بتوسع ما ورد عنه فى الألقاب الإسلامية للباشا ص٣٦٧ - ٣٧٦ .

(٤) مقدم الداوية : مقدم بمعنى قائد . لم يستعمل كلقب فخرى إلا فى حالة الإضافة إلى ياء النسب (المقدمى) وكان يطلق على مقدمى الألوف من الأمراء فى عصر المماليك . وقد دخل فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل (مقدم الجيوش) (ومقدم العرب) . انظر : الألقاب للباشا ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

وقعة حطين الفاصلة

في شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٣ ركب السلطان صلاح الدين بجيشه، وتقدم إلى الإفرنج وقد جمعوا جيوشهم وخيولهم وعدتهم، وصاروا يقاتلون ويتوجهون نحو طبرية لشدة ما لحقهم من العطش، فصدهم عن مقصدهم، وطاف بنفسه على المسلمين يحرضهم؛ فحمل عليهم حملة منكرة، وتكررت الحملات عليهم، وأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بمحيطها، وقتلوا منهم كثيراً، فارتفع من بقى من الإفرنج إلى تل بناحية "حطين" بين "طبرية"[١]

(١) طبريا : مدينة تقع فى الشمال الشرقى من فلسطين، على شاطئ بحيرة طبريا الغربى، على بعد عشرين كيلاً إلى الجنوب من مصب نهر الأردن فى بحيرة طبرية . بنيت عام (٢٢م) وسميت باسم (طيباريوس) الإمبراطور الرومانى: وفتحها شرحبيل بن حسنة سنة ١٣هـ، وصارت عاصمة (جند الأردن) وزاد من أهمية مدينة طبريا أنها كانت تقع على طريق القوافل بين دمشق ومصر، وكانت تلك الطريق تبدأ من دمشق وتمر بالكسوة، و"فيق" و"طبرية" و"اللجون" و"قلنسوة" و"اللد" و"أسدود" و"غزة" و"رفح" وبعد بناء "خان يونس" فى القرن الثامن الهجرى، أصبحت مركزاً من مراكز القوافل، قبل "رفح" . وكانت الدراهم الطبرانية العتيقة العملة النقدية التى تعامل بها عرب الجاهلية فى تجارتهم مع الرومان. وفى سنة ١٥هـ ضرب خالد بن الوليد الدراهم الإسلامية لتحل محل الدراهم الطبرانية. وفى سنة ٣٠هـ أرسل الخليفة عثمان مصحفاً إلى طبرية. ومن أشهر معالمها الحمامات المعدنية على بعد كيلين إلى الجنوب من المدينة. بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٥م (١١٣١٠) نسمة واحتلها الأعداء سنة ١٩٤٨م وأجلوا سكانها، بمساعدة القوات البريطانية المرابطة فيها. وهدم الأعداء أحياء طبرية العربية وأقاموا فى مسجدها الجنوبى (جامع الجسر) متحفاً محلياً . وينسب إليها عدد من العلماء باسم "الطبرانى" على غير قياس، للتمييز بينه وبين من ينسب إلى غيرها باسم "الطبرى". ومن أشهر هؤلاء العلماء سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى (٢٦٠-٣٦٠) صاحب المعجم الكبير فى أسماء الصحابة والمعجم الأوسط فى غرائب شيوخه، والمعجم الصغير فى أسامى شيوخه. انظر: معجم بلدان فلسطين، صنفه: محمد محمد شراب، لدار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٩٨-٤٩٩. ويذكر ماير بعض البنايات الأثرية الموجودة فى مدينة طبريا منها على سبيل المثال: قبة صغيرة تعرف بمقام السيدة سكينة (وتعرف محلياً باسم الست سكينة). انظر: البنايات الدينية فى إسرائيل، ل. ماير، ص٣٩.

و"عكا" فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات، ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم، وأخذ المسلمون صليبهم الأعظم "صليب الصلبون"، والقتل والأسر فى فرسانهم ورجالهم قد أخذ مأخذه[1] والملك على التل بنحو مائة وخمسين فارساً، وتتابعت الهجمات من الفريقين حتى انهزم الإفرنج وسقطت خيمة الملك وأسروهم عن بكرة أبيهم، وفيهم "الملك جفرى" وأخوه البرنس أرناط صاحب الكرك، ولم يكن فيهم أشد عداوة للمسلمين منه، وكثر القتل والأسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسروا واحداً، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً، ولما فرغ المسلمون منهم، نزل السلطان صلاح الدين بخيمته، وأحضر ملك الفرنج و "البرنس أرناط" صاحب الكرك، وأجلس الملك إلى جانبه، وقد اشتد به العطش، فأمر له بماء مثلج فشرب وأعطى فضله صاحب الكرك، فقال صلاح الدين إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذنى، فينال أمانى، ثم قرعه بذنوبه وقال كنت نذرت مرتين إن ظفرت به أن أقتله، الأولى لما غدر ونهب القفل الذى مر عنه، والثانية لما أراد المسير إلى مكة والمدينة وتوعد بهدم الآثار المقدسة، واستخف بالنبى ﷺ وقام إليه بنفسه وضرب عنقه، فسحب برجله وأخرج من الخيمة فارتعدت فرائس الملك، فسكَّن السلطان جأشه وأمنه، ثم عاد صلاح الدين إلى "طبرية" ونازلها حتى تسلمها بالأمان وملك المدينة مع القلعة ثم فتح "عكا" و"صور" و"صيدا" و"بيروت" و"جبيل" و"تبنين" وعدة حصون و"حيفا" و"الناصرة" و"قيسارية" و"صفورية" و"معليا" و"الشقيف" وغيرها من البلاد المجاورة "لعكا" قال فى الأنس الجليل : " وأول ما فتح قلعة الداروم على حدود مصر خلف"غزة"، وكان منها مضرة كبيرة بسبب مناعتها واستيلاء الإفرنج عليها، ونزل بظاهر "عسقلان" سنة ٥٨٣ هـ، وأشار عليه الأمراء والأكابر بخرابها للعجز عن حفظها، فشرع فى هدمها يوم الخميس

(١) حبذا لو قال: «وقد أخذ القتل والأسر فى فرسانهم ورجالهم مأخذه». (المحقق).

١٩ شعبان سنة ٥٨٧ هـ، فنقض أسوارها وهدم منازلها وحصل لأهلها مشقة زائدة، وباعوا أمتعتهم بأبخس الأثمان وتشتتوا فى البلاد، ثم رحل السلطان منها إلى" يبنى "، وتفرق الإفرنج، والسلطان بعساكره فى أثرهم حتى أجلاهم فى سنة ٥٨٨، وكان بمدينة "أرسوف" معركة شديدة سنة ٥٨٧ انتهى الحرب فيها بانتصار المسلمين، وفى سيرته بعد فتح "حلب" و"الكرك" و"طبرية" و"عكا" و"صيدا" و"صور" و"بيروت" تفرق عساكره فى بلاد الساحل، فأخذوا "حيفا" و"نابلس" و"قيسارية" و"صفورية" و"الناصرة" ثم قصد "عسقلان" وتسلم فى طريقه "الرملة" و"يبنى" وتسلم أصحابه "بيت لحم" و"بيت جبرين" و"النطرون "[1] و"غزة" و"الداروم" وغيرها – بغير قتال، وإنه فتح "القدس" فى يوم الجمعة من شهر رجب سنة ٥٨٣، وقد نزل بالجانب الغربى وأخذ العساكر فى نقب الصور مما يلى وادى جهنم ، ولما رأى المحاصرون ما نزل بهم، وظهرت لهم أمارات فتح المدينة، وداخلهم الرعب من كثرة الجيوش المقاتلة، "وقدرت بستين ألفاً مع من توارد عليه من مصر والشام من أهل العلم والصوفية" فاستكانوا وطلبوا الأمان وسلموا ودخلوها وأصواتهم مرتفعة بالدعاء والتكبير والتهليل، وأزيلت من الحرم النواقيس والصلبان والأقذار، والأوخام وصليت الجمعة، وكان فتحاً عظيماً ويوماً مشهوداً، ولكن الذين خرجوا بالأمان من القسس والرهبان وغيرهم، وصلوا إلى بلاد الأفرنج يستغيثون ويطلبون استرجاع بيت المقدس، وحملوا معهم صورة المسيح ،مضروبة مجروحة فحشدوا حتى النساء ومن لم يستطع الخروج، استأجر من يخرج عنه أو يعطى مالاً، وخرجوا براً وبحراً واجتمعوا "بصور" و"عكا" فنازلهم صلاح الدين بعساكره، وحمل المسلمون عليهم

---

(١) النطرون: حصن بين بيت المقدس والرملة كان مما فتحه صلاح الدين فى سنة ٥٨٣هـ = ١١٨٧م. انظر: أهل العلم والحكم فى ريف فلسطين. لأحمد سامح الخالدى ص ٧٤.

فقتلوهم عن آخرهم، ثم جاءهم المدد، فأخذتهم سيوف الله من كل جانب ثم جاءتهم نجدة كبيرة عن طريق القسطنطينية، فمات الملك الألمانى فى طريقه، ووقع الوباء فى عسكره ، وكانوا نيفاً وأربعين ألفاً، وما وصل منهم "عكا" غير ألف، فعادوا إلى بلادهم فغرقت المراكب بهم وقتل من بقى من الأفرنج "بعكا" و"صور" واشتد الغلاء عليهم، حتى وصلت غرارة الحنطة أكثر من مائة دينار صورى، ثم جاء ملك الأفرنسيس " فيليب" بعساكره وخمسة شوانى من ملك الإنكليز، مشحونة بالعساكر فانكسرت وغنم ما معها، ثم تكاثرت الأفرنج وملكوا "عكا" وتحصنوا بها، فسار صلاح الدين إلى "عسقلان" وخربها[1] لئلا يتحصنوا بها، ومضى إلى "الرملة" فخرب حصنها وخرب كنيسة" اللد"، ثم نازل ملك إنجلترا بيت المقدس فصب عليه البلاء ورجع مهزوماً ، ثم حصلت هذه مع الأفرنج، وأمر السلطان بإحكام أسوار "بيت المقدس" وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك، وأرصد له الأوقاف، ثم عاد إلى "دمشق" وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً فرح الناس به فرحاً عظيماً لطول غيبته وذهاب العدو عن البلاد، ثم مرض أياماً وتوفى بها سنة ٥٨٩هـ، وخلف سبعة عشر ولداً، وولى بعده أكبرهم "الأفضل نور الدين"، ولم يخلف فى خزائنه غير دينار واحد صورى وأربعين درهماً ناصرية، وقد كان عالى القدر، رفيع الجناب، طيب السيرة

---

(١) "تم تخريبها وإلا فأصل التخريب لها وقع قبل ذلك وقد حصل ما كان يتخوفه فإن الملك ريكاردوس سار بالمعسكر الصليبى سنة ٥٨٨هـ إلى عسقلان وشرعوا فى تعمير ما هدمه السلطان صلاح الدين من أسوارها ، وكان الملك يحثهم على ذلك ويطوف عليهم حتى مل بعض أمرائهم من التعب وقالوا ما أتينا من بلادنا لنبنى المدن - بل لتخليص القدس من أيدى المسلمين ، وغضب الدوك دى برغونيا وخرج هو وعساكره الفرنساويين تحت سنجق الصليب وامتنع الأمير ليو بولدوس هووجيه النمساوى عن الشغل وقال : إنى لست حداداً ولا نجاراً ولا بناء ثم إنه سحب عسكره وخرج بغضب عن معسكر الصليبيين" كما ذكره الحريرى فى كتاب الحروب الصليبية.هـ.ط ص ٦٨ .

والسريرة، ومدحه شعراء عصره، وقد بذل جهده -رحمه الله وطيب مثواه- فى تلك الحروب وواصل الجهاد فى فتح البلاد وإزالة الظلم والاضطهاد، ولم تكل همته ولم تفتر عزيمته، ولكن الجيوش كلت وضعفت عن المدن الساحلية، بما فيها غزة، فاحتلها " ريكادوس قلب الأسد "، ثم أعطاها إلى فرسان الهيكل الذين تعهدوا بحفظها، وجرت المعاهدة بينهما والهدنة مدة ثلاث سنين سنة (١١٩٣م)، وقضت شروط المعاهدات التى نفذت بحذافيرها بتجريد "غزة" من حصونها ووسائل الدفاع التى بها.

وقد كان الصليبيون أعادوا بناء القلعة التى كانت فيها مهجورة، لاستيلاء الخراب عليها، ثم أعاد " بلدوين الثالث " قسماً من سورها حينما احتلها سنة ١١٤٩م، وأنشأ فيها حصناً لمراقبة المخفر المصرى، ومنع تعدياته على الأراضى التابعة لمملكة القدس؛ ثم تمم أخوه " آلماريخ آمورى " إنشاء المدينة، وتحصينها وشهد بها إلى فرسان الهيكل؛ فبنوا فيها كنيسة القديس يوحنا، ثم فى سنة ١١٧٠ م عندما هاجم صلاح الدين "غزة" هدم قسماً من المدينة؛ وهدم الأحياء المجاورة لها؛ ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على قلعتها التى كان يدافع عنها "ميلون دى بلاوزى"، لأنها كانت حصينة ولذلك كانت غزة تدعى "دهليز الملك"، ثم بهذه المعاهدة تجردت من حصونها، وناب غزة فى تلك الحروب ما نابها من دمار آثارها وهلاك رجالها وتشتيت أسرها، وذهاب رونقها وضعف أهميتها التجارية والحربية، وصارت "الداروم" بمكانتها الأولى، وتوفى صلاح الدين بعد ذلك بقليل، ورجع الإفرنج واحتلوا بلاد الساحل، وتجددت الحروب والغارات وتوافدت الجيوش وترافدت النجدات، ثم خرجوا على دمياط وتملكوها، فجاهدهم الملك العادل "أبو بكر بن أيوب" وأولاده، الملك الأشرف "موسى" والملك المعظم "عيسى" و "الملك الكامل محمد"، وأخذوا ملوكهم رهائن، ومنهم " فليب

ملك فرانسا " ونائب البابا صاحب رومية، وملك عكا وكندريش، وأحضروا عند الملك الكامل محمد، وكان بمجلسه أخواه المذكوران وكثير من ملوك الإسلام، فأنشد صفى الدين الحلى[1] قصيدة، يهنئه بالنصر والظفر ومنها:

"أعبـــاد عيسى إن عيسى وحزبه   وموسى جميعاً يخدمون محمداً"

ثم استولى الأفرنج على "بيت المقدس" وغيرها فحاربهم الملك المعظم عيسى، ابن الملك العادل سنة ٦١٦ هـ، واستظهر بخراب سور "القدس" وقال نحن لا نمنع البلدان بالأسوار، إنما نمنعها بالسيوف والأساورة، قال فى شذرات الذهب: " خرب الملك المعظم سور "بيت المقدس" خوفاً من الفرنج أن تملكه، وتتحصن به، فشرعوا فى هدمه أول المحرم سنة ٦١٦ هـ، وضج لذلك الناس وتخوفوا، وخرج النساء والمخدرات، والبنات والشباب والشيوخ والعجائز إلى الصخرة والأقصى فقطعوا شعورهم، وخرجوا هاربين إلى "الكرك" و"دمشق" و"مصر" ومات خلق كثير من الجوع والعطش، ونهبت أموالهم التى تركوها فى بيوتهم، وبيع قنطار الزيت بعشرة دراهم ورطل

(١) " صفى الدين الحلى (٦٧٧-٧٥٠ هـ = ١٢٧٨ -١٣٤٩ م)

عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم العبسى الطائى : شاعر عصره ولد ونشأ فى الحله (بين الكوته وبغداد) واشتغل بالتجارة ، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها، فى تجارته ، ويعود إلى العراق. وانقطع مده إلى أصحاب ماردين، فتقرب من ملوك الدولة الأرتقية، ومدحهم، وأجزلوا له عطاياهم. ورحل إلى القاهرة سنة ٧٢٦ هـ، فمدح السلطان الملك الناصر. وتوفى ببغداد وله ديوان شعر - ط " و" العاطل الحالى - ط " رسالة فى الزجل والموالى، و" الأغلاط - خ" معجم للأغلاط اللغوية ، و. درر النحور - خ" وهى قصيدة المعروفة بالأرتقيات، و"صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء - خ" و"الخدمه الجليله - خ" رسالة فى وصف الصيد بالبندق. وللشيخ على الحزين المتوفى سنة ١١٨١ كتاب " أخبار صفى الدين الحلى ونوادره وأشعاره" مواضع ترجمته فى: الدرر الكامنة ٢ : ٣٦٩ وفوات الوفيات ١: ٢٧٩ وآداب اللغة ١٢٨:٣ والنجوم الزاهره ١٠ : ٢٣٨ وفيه وفاته فى ذى الحجه ٧٤٩ و : S Brock. ٢ ١٩٩ والذريعه ١ : ٣٣٧ ونزهة الجليس ٢٠١:٢ وانظر شعراء الحله ٣: ٢٧٠ - ٢٩١ الأعلام لخير الدين الزركلى ص ١٧ وراجع كتاب تاريخ الأدب العربى تأليف عمر فروخ ص ٣ الصفحات ٧٧٢ -٧٧٣ -٧٧٤ -٧٧٥ . ط ٥ سنة ١٩٨٩ م.

النحاس بنصف درهم أ.هـ" ثم توجه إلى قلعة الطور فخربها، حتى ألحقها بالأرض لتعذر حفظها، ثم استولى الأفرنج على "بيت المقدس" وغيرها، فحاصرها وفتحها الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى سنة ٦٣٧، وجرت معهم وقعة فى "بيت حانون" قرب "غزة" كسرهم فيها " الأمير المجاهد الغازى شمس الدين سنقر" ، المماثل للركاب الملكى الكاملى العادلى فى ١٠ ربيع الثانى سنة ٦٣٧ هـ[1] ، وبنى هناك مسجداً أسماه مسجد النصر، دفن عنده من استشهد من أصحابه فى تلك الوقعة، كما هو مكتوب على بابه، ثم غدر الفرنج ونقضوا العهود ورجعوا للبلاد، فاستدعى الملك الصالح ابن الملك الكامل أيوب الخوارزمينى، وبنى عمه لمحاربة الأفرنج، فساروا إلى "غزة" سنة ٦٤٢هـ وانضموا إلى العساكر المصرية، وقاتلوا الأفرنج، وعسكر الشام، وكانوا اتحدوا معهم بظاهر "غزة" فهزموهم واستولى "الملك الصالح أيوب" على "غزة" والسواحل، وفتح القدس وقطع رؤوس الكهنة، وخرب القبر المقدس وألقى الرعب فى قلوب الأهلين .

وارتدوا على أعقابهم خاسرين، بعد أن خسروا ثلاثين ألف قتيل، وذبح قائد كبير وأسر قائد آخر، واستولى المصريون على جميع فلسطين وخرب الخوارزميون سهول "عسقلان" ووادى الأردن، وهجم الملك الصالح شرقى الأردن،واستولى على مدنه وتسلم "الكرك" واستعاد "عسقلان" و"طبريا" .

وقد تجند الخوارزميون، واخترقوا سوريا إلى أن احتلوا القدس، وساروا إلى أن بلغوا "غزة"، فحاربوا الصليبيين عند أسوارها، وأنجدوا العساكر المصرية التى سيرها الملك الصالح، بقيادة الأمير المجاهد " ركن الدين بيبرس

---

(١) " وفى سنة ١٢٣٩ م قامت معركة بين الصليبيين والمسلمين بجوار غزة وانكسر فيها الصليبيون وشتت شملهم ، وخسروا عدداً كبيراً من جنودهم وثلاثة من قوادهم كما أسر عدد كبير من الأمراء والأعيان " هـ . ط ص ٦٩ .

البندقدارى "، وكان من أكبر مماليكه، فانهزم الصليبيون، فتبعوهم حتى استولوا على "غزة" و"القدس" باسم الملك الصالح، وهلك الصليبيون عن آخرهم . وجاءت نجدة لمن بقى منهم فى البلاد، فوجدوا الحرب قد انتهت ودارت الدائرة على إخوانهم الصليبيين، فأخذهم الوهن والحزن الشديد، ثم سافروا كلهم إلى بلادهم بأمان بعد هدنة ومعاهدة، وكم هادنوا وعاهدوا وصالحوا ورحلوا، ثم غدروا ونقضوا وخانوا، ورجعوا وقابلوا العفو والاحسان والتسامح والإنعام، بالقسوة والعنف والفتك والانتقام، وقد سجل التاريخ لدول الغرب تلك المظالم والفظائع والهمجية، والجشع الشديد والحيف المرير، كما شهد به مؤرخو الأفرنج، ففى تاريخ سوريا " لمارك سمنون " كان فى الإمكان اجتناب وقوع الحروب الصليبية، وساعد على حدوثها الجهل والأوهام الدينية والسياسية ومصلحة البابوية، وكانوا فى كل بلد يدخلون، يقتلون أهله ويخربون عمرانه ويحرقون كتبه ومتاعه وأشجاره، ومن ذلك هام الناس على وجوههم فى البرارى، ومنهم من فر إلى مصر بحالة رثة، ونزل الفرنج بعدما عاثوا فى البلاد تمثيلاً وسبياً وحرقاً، وهدماً ونهباً واحتلوا أكثر البلاد واحتاروا معظم الثغور. وقال "ميشو" : "ارتكبوا أنواع الهمجية والتعصب الأعمى، الذى لم يسبق له نظير، حتى كانوا يكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالى البيوت والبروج، ويجعلونهم طعاماً للنار، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض، ويذبحون فوق جثث الآدميين، ودام الذبح فى المسلمين أسبوعاً، حتى قتلوا منهم "كما اتفق على ذلك مؤرخو الشرق والغرب" سبعين ألفاً، ووضعوا النار فى المذبح الذى لجأ إليه بنو إسرائيل، وأهلكوهم كلهم بالنار أ.هـ".

ثم عادوا إلى بلاد الشام وفلسطين، فجرت حروب " الملك الظاهر، ركن الدين بيبرس العلائى الصالحى " صاحب الفتوحات الشهيرة والانتصارات

الظاهرة، فحشد جيشاً كبيراً لمحاربة الصليبيين والتتر وسار من "مصر" بعساكره الجرارة وجيوشه المظفرة فى سنة ٦٦٣هـ وسنة ١٢٦٥م بسبب نقضهم العهود وخياناتهم المتكررة وغدرهم الفظيع بالبلاد وملوكها من قبله، ولذلك لم يتساهل معهم ولم تأخذه فيهم رحمة، وقد كان يسير جيشاً إلى "عكا" فاقتحم أبوابها ثم سار بنفسه إليها وحاصرها من جهة البر، وانقضوا على الصليبيين بعد أن هدموا الأبراج، وفتحوا الأبواب وفرقوا جمعهم، وشتتوا شملهم وقتل منهم عدداً كبيراً، وألقى كثير منهم أنفسهم فى الخنادق، وامتلأت أيدى الجيش بالأسرى والغنائم، وفى الحملة من السنة المذكورة ارتد التتار عن البيرة ، فسار إلى "قيسارية" واستمر الهجوم خمسة أيام، فاضطر أهلها إلى تسليمها، ثم هدمت أسوارها رغم تحصينات لويس التاسع لها، ثم أرسل جيشاً إلى "عتليت" و"حيفا" أوقع التخريب فيهما ثم حول وجهه نحو قلعة أرسوف وهاجمها غير أن سكانها الفرسان الهوسبتاليين دافعوا عنها دفاع الأبطال، مدة أربعين يوماً، وكان الحماس الدينى فى نفوس الفقراء والدراويش، حتى النساء الذين تجمعوا لحفر الخنادق تحت الأرض، قد بلغ أشده وفى النهاية اضطر " بيبرس " للمفاوضة مع الحامية، وأمنهم على حياتهم ثم أكرههم على العمل فى تخريب حصونهم بأيديهم. وما كان الظاهر ينازل الصليبيين مضحياً بكل ما لديه من عدد وعدة فى سبيل التنكيل بهم، إلا لتعديهم على ما ليس لهم وعدم وفائهم وتتابع غاراتهم على ممتلكات الدولة المصرية.

وفى سنة ٦٤٤هـ و١٢٦٦م، أغار "بوهمند السادس" ملك "أنطاكية"، على مدينة حمص، فأرسل إليها "بيبرس" قوة لنجدتها، ثم سار بكل ما لديه من الجنود، ولما وصل إلى غزة سير جيشاً إلى ناحية حمص فأغاروا على الأفرنج ثم سار نحو عين جالوت، وأرسل بعض الأمراء فى عدة من العسكر

لغزو صور وصيدا، ثم سار إلى عكا وأقام بها حتى قدم إليه العساكر محملين بالغنائم، فرحل معهم إلى صفد وكانت فى ذلك الوقت احدى معاقل الفرسان الداوية، وظلت الحرب عليها قائمة، حتى اضطر رئيس الدواية إلى التسليم بعد حصار دام ثلاثة أسابيع، على أن يؤمنهم حتى يرحلوا إلى عكا سالمين، وعاهدوه على الخروج بغير سلاح فلم يلبثوا أن نقضوا الأمان ونكثوا العهد فأخذ ما معهم ثم ضرب أعناقهم على تل بالقرب من صفد، وخرب القلعة التى بها وفى السنة التالية أعاد بناءها؛ واشترك فى ذلك بنفسه؛ وكتب على أسوارها عبارات تدل على انتصاراته؛ وتغلبه على الصليبيين وهدمها، وقبل أن يعود إلى مصر أغار على بلاد "صور" و"طرابلس" و"عكا" و"يافا" وخرب قلعتها، و"الرملة" و"اللد" وغيرها من البلاد، وعلى الرغم من أن النصر كان حليف بيبرس فإنه لعدم انقطاع المدد من أوروبا وللتفرغ لصد غارات المغول، عقد الصلح مع صاحب "صور" وملك "قبرص" لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، كما شرحه محمد جمال الدين سرور فى سيرته وبالجملة فإنه أكثر من الجهاد، وثابر بحزمه على فتح البلاد وبطش بالصليبيين ، ودفع عادية المغول وغزا الإسماعيلية ، والأرمن وخرب بلادهم وأباد خضراءهم ، وأنشأ الحصون والمدارس والمساجد والعمارات الضخمة فى بلاد "مصر" و"الشام" و"الحجاز" وله بغزة أعمال كبيرة ومكتبة[1] وأوقاف ضخمة ، وكان حريصاً على نشر الفضيلة بين رعيته، وألزم بطانته ورجال حاشيته بأداء الصلاة في أوقاتها ، ومنع المنكرات وقطع المسكرات ، وخرب بيوتها وأغلق محال البغاء ، وكان يسير بنفسه فى شوارع القاهرة ليقف على أحوال رعيته، ومنع النساء من التزى بزى الرجال والخلاعة والتبرج، كما اضطهد المغنيين والمغنيات وأرباب الملاهى فضاقت بهم السبل وقل كثيراً

(١) مكتبة الجامع العمرى، حيث كانت تسمى سابقاً " مكتبة الظاهر ".

عددهم، واستراحت البلاد من شرهم، ومفاسدهم وقد أشاد شعراء عصره بقصائد مدائحه، ومنهم الشيخ جمال الدين ابن الخشاب، ومن شعره فيه قوله مخاطباً له مع حسن الالتفات :

قصد الملوك حماك والخلفاء ... فافخر بأن محلك الجوزاء

أنت الذى أمراؤه بين الورى ... مثل الملوك وجنده أمراء

ملك تزينت الممالك باسمه ... وتجملت بمديحه الفصحاء

وترفعت لعلاه خير مدارس ... حلت بها العلماء والفضلاء

يبقى كما يبقى الزمان وملكه ... باق له ولحاسديه فناء

كم للفرنج وللتتار ببابه ... رسل مناها العفو والإعفاء

وطريقه لبلادهم موطأة ... وطريقهم لبلاده عذراء

دامت له الدنيا ودام مخلداً ... ما أقبل الاصباح والإمساء

وكانت وفاته "بدمشق" من يوم الخميس ٧٢ محرم سنة ٦٧٦هـ، ودفن بالمشهد الذى أعده إليه ولده الملك السعيد -رحمه الله وطيب مثواه- ثم فى سنة ٦٨٨ سار الملك المنصور قلاوون الألفى بعساكره إلى "طرابلس" فنازلها ونصب عليها عدة منجنيقات ولازمها بالحصار، واشتد عليها القتال، حتى فتحها فى ٤ ربيع الثانى ودخلها عنوة، فهرب أهلها إلى الميناء، فنجا بعضهم فى المراكب، وقتل أكثرهم وسبيت ذراريهم، وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة، ثم عاد إلى "مصر"، وكان فى عزمه فتح مدينة "عكا" فعاجلته المنية وتوفى سنة ٦٨٩ هـ.

ثم سار " الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون " فى سنة ٦٩٠هـ، بالعساكر المصرية لفتح "عكا" وأرسل إلى العساكر الشامية، فتنزلوا

عليها واشتد القتال والحصار، وتكاثر المسلمون وحملوا على الصليبيين، حتى فتحوها عنوة فى يوم الجمعة ١٧ جماد الآخر سنة ٦٩٠هـ، وقتلوا من بها كما أنهم استولوا عليها من السلطان صلاح الدين فى يوم الجمعة ١٧ جماد الآخر سنة ٥٨٧هـ ، وقتلوا من بها "وذلك من غريب الاتفاق، وإن طالت المدة بين الوقعتين" وألقى الله الرعب فى قلوب الصليبيين الذين ببلاد الساحل، وأخلوها وهرب جميعهم منها، فأخلوا "صيدا" و"بيروت" و"صور" و"عتليت" و"طرسوس" وتسلمها " الشجاعى " وتيسر لهذا الملك من التوفيق والسعادة ما لم يتيسر لغيره من فتح البلاد الصليبية، بغير قتال وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية وانقرضت دولة الصليبيين من الشام والسواحل، بعد أن أشرفوا على أخذ الديار المصرية، والبلاد الشامية بأسرها، وكان انقطاع الأفرنج وزوال تغلبهم على بلاد الإسلام والسواحل فى سنة ٦٩٠هـ، وابتداء تغلبهم على بلاد الإسلام وتسلطهم على مملكة مصر والشام من سنة ٤٩٠هـ، لم تنقطع الغارات والحروب فى تلك المدة التى بلغت مائتى عام، لحق البلاد وأهلها منتهى الخراب والدمار وغاية الوبال والبوار، وجنوا بذلك على العالم الإسلامى والعربى جناية كبرى، وأقاموا فى النوع الإنسانى والجنس البشرى المذابح النكراء، مما يتبرأ منه المسيح وسائر الأديان والشرائع[1]، وأوجب غضب الرب عليهم وسبب خسرانهم وجلب أحزانهم، ودارت الدائرة عليهم وعادت سهام مكايدهم فى نحورهم، وتجرعوا مرارة قسوتهم وبغيهم وفجورهم. وإليك ما جاء فى " خلاصة

(١) انظر بهذا الصدد: كتاب: "التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية" للشيخ محمد الغزالى.
ومما يجدر التنبيه له أيضاً هو أن عقدة الصليبية ظلت كامنة فى صدور الغرب الأوربى حتى وقتنا الحاضر وإن تعددت الحملات بمختلف أشكالها. وكان أشدها وأنكلها ما حدث للمسلمين فى الأندلس، ولا يخفى على أحد له أقل دراية بالتاريخ ما قامت به الكنيسة من أعمال فظيعة من ذبح وقتل وحرق بالمئات والآلاف، وأصبح معروفاً لدينا ما أحدثته "محاكم التفتيش" التى من خلالها اضطر المسلمون إلى تغيير لغتهم وهويتهم، ولذلك سموا بالموريسكيون. (المحقق).

تاريخ كنيسة أورشليم"[1] : " أنه سنة ١٠٩٧ م جندت ممالك الغرب ما عدا "جرمانيا" و"أسبانيا" أربعمائة ألف جندى، فاخترقوا بلاد الروم ووصلوا إلى أنطاكية، فحاصروها ٨ أشهر وقلت ذخائرهم فى حصارها، فصاروا يأكلون لحوم الخيل والكلاب ولحاء الشجر والأعشاب، فمات كثير منهم بالجوع والبرد، وأخيراً فتحوها عنوة وقتلوا كل من لم يقبل النصرانية من أهلها، ففاجأتهم قوة قدمت من بغداد، وحاصرت المدينة ثم فك الصليبيون الحصار العنيف، فقتل من الفريقين عدد لا يحصى، ومات الكثير من الوباء، ثم توجهوا إلى أورشليم، فوصلوا إليها سنة ١٠٩٩ م ودخلوها عنوةً، وقتلوا من أهلها سبعين ألفاً، ولجأ كثيرون إلى الحرم الشريف، فذبحوهم فيه عن آخرهم ذبح الأغنام، وأخذت اليهود قسطهم من هذه المجزرة التى دامت سبعة أيام، فجمعوهم فى كنيسهم وأحرقوهم، وأمروا من بقى حياً من العرب أن يجمعوا جثث موتاهم كوماً، ويحرقوها بالنار ففعلوا، وبعد ذلك قتلوا هؤلاء أيضاً وهى قسوة يتبرأ منها الدين المسيحى الذى يدعون أنهم إنما جاءوا لنصرته، فضلاً عن أنها جعلت روح العداوة والانتقام تتأصل فى قلوب المسلمين، ضد مسيحى البلاد التعساء، فسببوا ضرراً عظيماً لهم، لم يكن أخف وطأة من أضرار ملوك الروم، فلو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجومات ملوك الروم المتواترة وغزوات الصليبيين المتعددة وفظائع أولئك ، وهؤلاء بمسلمى البلاد، لعاشوا إلى جانب إخوانهم المسلمين عيشة راضية، لا يتخللها نكد ولا كدر ... و سنة (١١٨٤م) شرعت جنود حاكم الكرك

(١) انظر: خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية: شحادة خورى ونقولا خورى، القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥، ص٦٩، والنص كالتالى: " ... جندت ممالك الغرب، ما عدا جرمانيا وإسبانيا أربعمائة ألف جندى سنة ١٠٩٧ فاخترقوا بلاد الروم ووصلوا أنطاكية فحاصروها مدة ثمانية أشهر وقلت ذخائرهم فى حصارها فصاروا يأكلون لحوم الخيل والكلاب ولحاء الشجر والأعشاب فمات خلق كثير منهم بسبب الجوع والبرد القارس، وأخيراً فتحوها عنوة وقتلوا كل من لم يقبل النصرانية " .

تعيث فساداً فى البلاد، فاعترضوا قافلة من المسلمين ذاهبة إلى الحج، فقتلوا منها من قتلوه وأسروا من أسروه ولما بلغ ذلك صلاح الدين الأيوبى سخط جداً، ونادى فى جوامع مصر وسوريا بالجهاد ، فلبوا نداءه والتف حوله ٨٠ ألف جندى فزحف على فلسطين وحاصر "الكرك" ففتحها عنوة وأسر حاكمها المذكور وابنه، إلا أن قلعتها ظلت محاصرة، وزحف على "طبرية" .. فجمعوا جموعهم وهجموا على "طبرية" وفى مقدمتهم " ملك القدس غوردون "، والمطارنة والرهبان؛ واشتد القتال بين الفريقين فى ٥ تموز سنة ١١٨٧م، فدارت الدائرة على الإفرنج وكسرهم المسلمون شر كسرة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا ملكهم وقوادهم ومطارنتهم؛ واستولوا على برج "طبرية"، وبش فى وجه ملك القدس وأكرمه وقطع رأس حاكم "الكرك"، وقتل فرسان مار يوحنا والفرسان الهيكليين، ودانت له "عكا" و"حيفا" و"نابلس" و"سبسطية" و"قيسارية" و"يافا" و"الرملة" و"بيت جبرين" وغيرها من مدن فلسطين وسلمت "عسقلان" بنصيحة ملكهم، الذى كان مرافقاً له، ثم رحلت إلى "بيت المقدس" وفتح الأفرنج له الأبواب فى ٢ تشرين الأول ١١٨٧ م بعد أن حكموها ٨٨ سنة متوالية، وأمنهم على أرواحهم رحمةً بهم، بعد أن أقسم على فتحها عنوةً والفتك بهم انتقاماً لدماء المسلمين عند استيلائهم عليها... وكان عددهم فيها يربو عن[1] المائة ألف، عدا الأرثوذوكسيين[2] العرب والمسلمين واليهود؛ وكان عدد المسلمين بها لا يقل عن خمسة آلاف، وأزال صلاح الدين من الصخرة والحرم الشريف كل أثر للصليبيين، وحول مقام البطريركية إلى خانقاه للصوفية، ودير القديسة حنة إلى مدرسة للشافعية، تعرف بالصلاحية، وكنيسة مريم المجدلية إلى

(١) " الصواب يربو على " وليس عن كما هى فى الأصل (المحقق) .

(٢) " الصواب الأرثوذوكسيون " وليس الأرثوذكيين.

مدرسة تعرف بالمأمونية، ثم استولى الملك الظاهر بيبرس على فلسطين سنة (١٢٦١م)، وحاصر قلعة "صفد" ودخلها عنوةً، وقتل كل من فيها من الأفرنج، ودمر مدينة "الناصرة" وفتح مدينة "عكا" و"قيسارية"، وعرض صاحب "يافا" عليه الصلح، فأجابه أن قد حان الوقت الذى يجب أن يؤخذ فيه بثأر المسلمين من الأفرنج، ودخل مدينة "القدس" ورمم قبة الصخرة، وعمر مقام النبى موسى سنة ١٢٦٩م، وكان بموضعة دير القديس "أقتيموس"، وقاوم التتار وصد هجماتهم عن سوريا وفلسطين، ونقل الخلافة العباسية من العراق إلى مصر وخلفه السلطان "قلاوون" فحاصر "طرابلس" الشام، وفتحها عنوة فقتل أهلها وهدمها سنة ١٢٩٤م، لكى لا يطمع الأفرنج فى الاستيلاء عليها مرة ثانية بعد أن لبثت فى أيديهم ١٨٥سنة، وزاد فى أوقاف الصخرة المشرفة، وحرم الخليل فوقف عليها أعشار نواتج عدة بلاد فى جبل القدس والخليل؛ وخلفه ولده " خليل الأشرف " ففتح "عكا"عنوة وحرقها وقتل من فيها ليلاً، فلجأ أهلها إلى المراكب فغرق أكثرهم، وسمع أهالى "صور" و"صيدا" و"بيروت" بما صار فى "عكا" فسلموا بلادهم بلا قتال، فهدم أسوار هذه المدن وحصونها، وزالت دولة الصليبيين زوالاً تاماً أ.هـ باختصار قال فى لب التاريخ[1] : "وقد عمر صلاح الدين المساجد والمدارس التى خربتها يد العدوان؛ حين دخول الأفرنج البلاد؛ وهدم كل ما صنعوه من الكنائس سوى كنيسة القمامة ،اقتداء بعمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وأنشأ قلعة الجبل وسور القاهرة " وفى " تاريخ فلسطين " مكث " لويس ملك فرنسا " أربع سنوات فى فلسطين، وهو يحصن "قيسارية" و"يافا" مخافة أن يأخذها منه الوطنيون؛ ولم تحدثه نفسه بمهاجمة "القدس" وأخيراً رجع إلى فرنسا مخذولاً ، ولم تقم للصليبيين بعد

(١) انظر : لب التاريخ (جـ١/ ص٣٩) مصدر سبق ذكره .

ذلك قائمة، لأنهم مكثوا في البلاد بعد أن فتح القدس الأخير أذلاء غرباء ضعفاء إلى سنة ٦٩٠هـ، حتى سلموا البلاد وودعوها الوداع الأخير ، بعد أن دامت حروبهم قرنين، وهم القوم الأشداء البواسل الذين عضدتهم أمم أوروبا أجمع، فلم يظفروا بما أملوا وظلت البلاد عربية، وانتهت روايتهم بالخسران أ.هـ.

* * *

التتر وغاراته فى البلاد

التتر[1] وغاراته فى البلاد

وهم جنس من الترك من جبال طمعاج؛ من نحو الصين يعبدون الشمس، ولا يحرمون شيئاً ولا يحصون كثرة وحصل فى بلادهم قحط وجوع شديد، وقد علموا أنّ الحروب الصليبية، والغارات الأجنبية أنهكت قوى الملوك التى كانت فى طريقهم، سيما ملوك البلاد العجمية والعراقية والشامية والمصرية، فحملوا حملة منكرة؛ وأغاروا إغارة فظيعة، فخارت قوى السلطان خوارزم شاه، وتقهقروا أمامهم، قال فى الخطط: " وما كفى البلاد الإسلامية ما حل بها حتى خرج التتار فى سنة ٥٩١هـ من بلادهم مغيرين على بلاد الإسلام بقيادة ملكهم جنكيزخان، وكانوا لا يدينون بدين وينتحلون المجوسية، فأفسدوا البلاد وأضروا بالعباد؛ ونهبوا وسلبوا وقتلوا كثيراً؛ واستولوا على "سمرقند" و"بخارى" و"خوارزم" و"الرى" و"همدان"، وقصدوا بلاد خراسان حتى مات جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ ، فقام ولده تولى خان من بعده؛ حتى هلك وقام بعده ولده هولاكو، قال فى الخلاصة :" وفى سنة ١٢٤٤م

---

(١) التتار : اسم يطلق على شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا بزعامة المغول فى القرن ١٣ وهم جاءوا من شرق وسط آسيا ووسط سيبيريا وبعد أن انحصرت موجات غزوهم نحو الشرق ظل التتار يسيطرون على كل روسيا وسيبيريا . وظلت إمبراطوريتهم (إمبراطورية الجحفل الذهبى) حتى أواخر القرن ١٥ حين تمزقت إلى خانات عديدة مستقلة . سقطت فى أيدى الأتراك العثمانيين والقيصر إيفان ٤ . ومع ذلك ظلت سيبيريا تعرف بلاد التتار وظلت القرم تعرف كذلك ببلاد التتار الصغرى مدة طويلة . وعند انتهاء القرن ١٦ ، كان تتار روسيا قد وصلوا إلى درجة عالية من الحضارة . ولم يحتفظ بحياة البداوة منهم إلا أقليات صغيرة ، ويظهر التأثير التتارى فى كل تاريخ روسيا . وفى سنة ١٩٣٩ كان هناك حوالى ٤,٣٠٠,٠٠٠ تتارى فى الاتحاد السوفيتى سابقاً. وهم يتكلمون لغة من أصل تركى. ويعتنق معظمهم الإسلام. ويؤلفون معظم سكان جمهورية التتار السوفيتية . ولكن أغلبيتهم يعيشون متفرقين فى شرق روسيا وغرب سيبيريا . انظر : الموسوعة العربية الميسرة / مج١/ص٤٩٠ .

غزا جنكيزخان فلسطين ودخل القدس وعاث فى البلاد فساداً؛ ونهبوا وسلبوا ودمروا وقتلوا، وتفرق أهلها أيدى سبأ وفر جماعة منهم إلى "يافا" فدقوا لهم الأجراس، فظنوا أنها إشارة من إخوانهم الذين ظلوا بالقدس، بجلاء التتار فعادوا إليها وكان عددهم سبعة آلاف، فقبضوا عليهم وقتلوهم بأجمعهم، وهدموا مدينة "بيت لحم"، وكان أهلها كلهم مسيحيين، وجرت معركة فى سهول "غزة" لبثت يومين فقتل فيها من الأفرنج وحلفائهم ثلاثون ألفاً، وانقضَّ ملك مصر على التتار، فاتحد مع قهارمة سوريا وطردوهم من البلاد أ.هـ» . ثم سار هولاكو[1] بجيوشه حتى عبر الفرات، ودخل بغداد فى سنة ٦٥٦ هـ، بإغراء الوزير الرافضى ابن العلقمى، وقتل الخليفة العباسى المستعصم بالله، وقتل من أهله وأقاربه خلق كثير وجرت منه أهوال تشيب منها الأطفال . وعلقوا المصاحف فى أعناق الكلاب، وقلبوا المساجد كنائس، وألقوا كتب الأئمة فى نهر الدجلة، وأكثروا من القتل والفظائع والتخريب، حتى ذهبت محاسن بغداد، وأقام الناس بلا خليفة ثلاث سنين، ثم توجهوا إلى حلب وقتلوا من أهلها خلقاً لايحصون، وسبوا من النساء والذرارى زهاء مائة ألف، ثم رحلوا ونزلوا على "حمص"، وأرسل ملكهم أكبر نوابه "كتبغانو" مع اثنى عشر طومان، كل طومان عشرة آلاف إلى مصر ليأخذها وظل التتار يتنقلون فى بلاد الشام حتى احتلوها إلى غزة، واستقرت شحائنهم كبراء انكشاريتهم فيها . وفى "تاريخ فلسطين: "تمرد هولاكو وأعمل السيف فى بغداد أربعين يوماً وتقدم إلى سوريا ، وتسلم دمشق ثم زحف إلى "عجلون" و"فلسطين"، وقدموا غزة وامتلكوها" ونقل "القرمانى" عن "الذهبى" أنه سفك دم ألف ألف أو يزيدون، حتى قيل إنه بنى من الرؤوس

---

(١) هولاكو : استولى على بغداد فى ٢٨ محرم سنة ٦٥٦هـ توفى فى ١٩ ربيع ثانى سنة ٦٦٣هـ .
نظر : معجم الأنساب لزامباور - ص٣٦٢ .

منارات وأبراجاً ، واستولى على العراق والموصل وديار بكر والشام والجزيرة وغيرها، وسار إليه الملك المظفر سيف الدين قطز وأمر الأمير بيبرس بالتقدم إلى غزة، فامتلكها وساروا فى أثره إلى أن التقيا عند "عين جالوت" ، وهى بلدة بين "نابلس" و"بيسان" من أعمال فلسطين، وجرت هناك معركة شديدة، وأبلى الأمير بيبرس بين يدى السلطان بلاء حسناً، وانتصر على التتار وهزمهم فى ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ ، وأفناهم المسلمون وجرد ركن الدين بيبرس فى أثرهم، فتبعهم إلى أطراف البلاد الشرقية.

وفى سنة ٦٦٣هـ بلغ الملك الظاهر بيبرس، بأن التتار وصلوا "البيرة" فأرسل الأمير بدر الدين الخاندار إلى الشام وغيره من الأمراء، واجتمعوا "بغزة" وساروا لملاقاة التتر وعند يبنى جاءهم الخبر بانهزامهم.

وفى سنة ٦٦٨هـ اتفق التتر مع فرنج الساحل، فأغاروا على "الساجور" بالقرب من "حلب" فجرد عليهم " الأمير علاء الدين البندقدارى، وسار الملك المنصور قلاوون " أيضاً إلى أن وصل "دمشق" فانهزم التتر لما بلغهم ذلك، وفروا من البلاد، وبعدما أفحش هولاكو وجيوشه الطاغية بالبلاد والعباد، رجع عن عسفه وطغيانه وعظم ملة الإسلام، ولكن الله تعالى انتقم منه، وابتلاه بعلة الصرع تعتريه فى اليوم مراراً حتى مات بها سنة (٦٦٣هـ)، ثم فى سنة (٦٩٩هـ) قصد "دمشق" "غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو" بجيش عظيم، فقتل من جيشه أكثر من عشرة آلاف، ثم دخل "دمشق" وأفسد ودمر، فخرج إليه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وحصل القتال بينه وبين قطلو شاه أكبر أمراء غازان فنصر الله الناصر عليه وانهزم منه التتار وذلك فى سنة (٧٠٢هـ)، كما هزمهم قبله والده الملك المنصور شر هزيمة بالقرب من "حمص" ، واضطر لحرق مدينة "حمص" فحرقها، ولكنه جدد

غيرها وسماها باسمها وهى الموجودة الآن، ثم عادوا للتحرش ببلاد سوريا فى سنة ٧٠٢، أيضاً فنودى بالنفير العام، وخرج السلطان مع عساكره ومعه الخليفة المستكفى بالله وسائر الأمراء، وبلغ جيشه من العساكر المصرية والشامية مائتى ألف، وعربان "غزة" وجبل نابلس، وكان قائد التتر جاليش غازات من أحفاد هولاكو فتلاقى الجيشان فى مرج راهط فانتصر جيش الناصر عليهم، وولوا منهزمين وقتل من المماليك والأمراء نحو ألف وخمسمائة، ثم خرج الطاغية الجبار " تيمورلنك بن غازى بن أبغاى "[1]، ويتصل نسبه من جهة الأم " بجنكيزخان "؛ وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء؛ فزحف بإغراء ملوك الطوائف إلى الشام سنة ٨٠٣هـ واحتلها؛ وأتى فيها بجميع أنواع الظلم والبغى والفساد، ونالها منه أعظم الدمار، وحل بأهلها البوار، وأصبحت البلاد أطلالاً بالية ورسوماً خالية، وهرب الكثير من أهل الشام إلى الديار المصرية، قال ابن عربشاه[2] : " واستمر نهب عسكره ثلاثة أيام، وارتحل وجماعته وقد أخذوا من نفائس الأموال فوق طاقتهم، وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم، فجعلوا يطرحون فى الدروب والمنازل، ويلقونه شيئاً فشيئاً من وعر المراحل، وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل، وأصبحت القفار والبرارى والجبال والصحارى من الأمتعة والأقمشة كأنها سوق الدهشة،

---

(١) تيمورلنك : ولد أمير تيمور سنة ٧٣٦هـ = ١٣٣٥م وهو يعرف بتيمورلنك . ينتهى نسبه إلى جنكيزخان . انظر بتوسع " طبقات سلاطين الإسلام " لستانلى بول ص٢٤٦ .

(٢) ابن عربشاه : (٧٩١-٨٥٤هـ) (١٣٨٩-١٤٥٠م) أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، الدمشقي ولادة ونشأة ووفاة ، شهاب الدين، أبو محمد :مؤرخ رحالة له اشتغال بالأدب، سباه تيمورلنك إلى سمرقند فتعلم على كبار علمائها. جال ببلاد المشرق وتعلم التركية والمغولية والفارسية، أشهر مصنفاته "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" و" عجائب المقدور فى نوائب تيمور " . نشر فى بيروت عن مؤسسة الرسالة . انظر : معجم الألقاب المستعارة فى التاريخ العربى الإسلامى - ص٢١٨ .للدكتور فؤاد صالح السيد .بيروت :دارالعلم للملايين، ١٩٩٠م.

وكأن الأراضى فتحت خزائنها وأظهرت من المعادن والفلزات كامنها، ولم يتمكن من احتلال بلاد فلسطين لانتشار الجراد فيها، وشدة القحط والغلاء بها، حتى أكل الناس أولادهم وتعذر عليه تموين جيشه العظيم، وأراد أن يسير إلى مصر فأخبر بعسر الطريق، فقال إن مصر لا تفتح من البر بل تحتاج إلى أسطول لتفتح من البحر، وبذلك صرف نظره عنها، ونجت مصر ومدن الجنوب فى الشام وما والاها من أفريقيا من تـخريبه ؛ وسلمت الدولة الجركسية من عاديات جيوشه، فرحل عن بلاد الشام. ولكن السلطان " فرج ابن برقوق " توجه بعساكره لقتاله، ومكث "بغزة" أياماً ثم رحل منها إلى الشام فى ١٥ ربيع الآخر سنة (٨٠٣هـ)، واقتفى أثره حتى أدركه عند جبل الثلج، ووقعت معركة شديدة بين طلائع الجيشين، فقتل فيها "ابن تيمورلنك" وصهره وأسر عدد من أمرائه ومات كثير من عسكره بالجوع والبرد، ثم ولى مهزوماً إلى الروم، حتى وصل "أذربيجان" فخرج إليه السلطان بايزيد خان بعساكر من التتار و"كرمان" و"منتشا" وغيرهم، ولما التقى الفريقان خانه عسكره وهربوا إلى تيمورلنك، وشرع عسكر بايزيد فى الانهزام، وثبت هو وقليل معه، واستمر يقاتل إلى أن وصل تيمورلنك شاهراً سيفه قاصداً قتله، فألقوا عليه بساطاً وأمسكوه وقيدوه وسجنوه، فلحقته الحمى الغضبية، فتوفى -لرحمة الله تعالى- سنة (٨٠٧هـ)، ولكن الله انتقم فوراً من تيمورلنك، فابتلاه بعلة من كثرة شربه الخمر، فصار يتقيأ الدم وذاب فيها قلبه، وتفتت كبده وعجل الله بروحه إلى النار، ونهاية الظلم وسفك الدماء الدمار وعاجل البوار.

* * *

البلاد وتأثير الحروب بها

البلاد وتأثير الحروب بها

كانت البلاد قبل هذه الحروب التى انتابتها والكوارث التى أصابتها عامرة زاهرة، تزهو بما تركه الرومان فيها من العمران والمدنية؛ وترفل بما جلب العرب إليها بعد الفتح الإسلامى، من الرقى والحضارة والحصافة والثقافة والنضارة، فأصبحت بهذه الحروب التى غامرتها والكروب التى لمت بها وداهمتها خاوية على عروشها، تندب عمرانها وحضارتها، وتنوح على تدمير آثارها وتخريب حصونها، وفقد ثروتها واضمحلال رجالها وانقراض أسرها؛ سيما "القدس" و"بيت جبرين" و"عكا" و"صور" و"يافا" و"عسقلان" و"غزة"، وما كفاها شر الحروب الصليبية التى استغرقت قرنين كاملين، حتى داهمها التتار بجيشه الجرار، ولم ينج من شره مسلم ولا غيره، حتى وصل إلى "الخليل" و"بيت جبرين" وأطراف "غزة" فقتلوا وسبوا وخربوا وأسعروا البلاد بلاء وحرباً وقتلاً ونهباً، حتى عادوا إلى دمشق فكسروا كسرة ثانية قرب "بيسان" بعد ما خربوا "بانياس" و"بعلبك" وكانت مدتهم سبعة أشهر وعشرة أيام، كما ذكره "المقريزى" فى كتاب "السلوك" قال : " وفى سنة ٦٤٢هـ قطع الخوارزمية الفرات ، وهم زيادة عن عشرة آلاف ، وهجموا على "القدس" ويذلوا السيف فى النصارى، حتى أفنوا الرجال وسبوا النساء والأولاد وهدموا المبانى التى فى "القمامة" ونبشوا قبور النصارى وأحرقوا رممهم ، وساروا إلى "غزة" ونزلوها وسيروا إلى الملك الصالح يخبرونه بقدومهم فأمرهم بالاقامة فى "غزة"، ووعدهم ببلاد الشام بعد ما خلع على رسلهم ، وجهز عسكراً بقيادة أحد مماليكه الأخصاء ركن الدين بيبرس، فسار إلى "غزة" وانضم إلى الخوارزمية جماعة من القيمرية نسبة إلى قيمر، وهى

قلعة بين الموصل وخلاط من الأكراد، وكان الصالح إسماعيل جهز عسكراً من دمشق، وأخذ الأفرنج ليحاربوا معه عساكر مصر والخوارزمية، وساروا نحو "غزة" فالتقى الفريقان بظاهر "غزة"، ودارت بينهما حرب شديدة، وأحاط العساكر المصرية والخوارزمية بالفرنج وعساكر الشام، ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلاً وأسراً، وقتلوا منهم زيادة عن ثلاثين ألفاً، وفى تلك السنة عظمت مضرة الخوارزمية ببلاد الشام، وكثر نهبهم للبلاد وسفكهم للدماء وانتهاكهم للحرمات، ثم زالوا بأجمعهم وتركوا فى البلاد آثار مخازيهم وآثامهم، وشواهد الخراب التى تصب بسببها اللعنات عليهم، وكم خرب فيها من قرى ومدائن، وهلك من رجال وأبطال، وتدمر من بيوت وآثار وانقرض من أسر وجماعات، حتى أقفرت البلاد وتعطلت الأراضى والمزارع من العمل والزراعة، واضمحلت الصناعة والتجارة، ولم يبق من أهالى البلاد وسكانها إلا النذر اليسير، فمن لم يقتل فى تلك الحروب، مات بالجوع والأمراض، ومن رحل منهم ذهب فى البلاد شذر مذر، ولكن لحسن موقعها وكثرة مزارعها تواردت الوفود عليها من بلاد الشام والعراق والحجاز والمغرب ومصر والأكراد والجراكسة والأتراك والتركمان، وهم قبائل كبيرة رحالة نزلوا على عهد دولة بنى مرداس العربية فى شمالى حلب، وسير منهم "الأتابك زنكى" طائفة إلى الشام وأسكنهم فى ولاية "حلب" .

وأسكن صلاح الدين الأيوبى كثيراً من التركمان والأكراد فى لبنان وساحله، وكثروا جداً فى بلاد الشام على عهد الدولتين "النورية" و"الصلاحية"، وكان منهم قسم عظيم من جند المسلمين، فتديروا فى البلاد واستعربوا، إلا قليلاً منهم وقد عمر صلاح الدين المساجد والمدارس التى خربتها يد العدوان، حين دخول الأفرنج البلاد وهدم كل ما صنعوه من

الكنائس سوى كنيسة القمامة اقتداء بعمر -رضى الله عنه- وأنشأ قلعة الجبل وسور "القاهرة" وقد أمر بنقل الغلات من البلقاء إلى فلسطين لتقوية الفلاحين وإعانة المنقطعين، وكذلك أمر بنقل الغلات من مصر إلى أعمال "عسقلان"، ليعيد إليه الزراعة والعمران، وكذلك فعل من بعده من الملوك وقد استدعى لسكنى فلسطين كثيراً من العلماء والمشاهير فى الحجاز والعراق وسوريا ومصر، سيما "القدس" و"الخليل" لحرصه على عمارتها برجال الدين و"العلم" وقد حقق الله له بغيته وحل فى البلاد من المغاربة خلق كثير بعد فظائع الأسبان بالأندلس[1] وغيرها.

ولم تجئ دولة المماليك حتى كثر الجراكسة فى البلاد، واستعربوا وكذلك الأتراك فى عهد الدولة التركية، قال فى الخطط : " ومن المدن ما نبه ذكره بعد خموله فى عهد الدولة الأتابكية والأيوبية مثل " حماة "، فلم يكن لها فى القديم نباهة ذكر، وكان الصيت لحمص دونها، فلما آلت إلى ملك بنى أيوب مصروها[2] بالأبنية العظيمة، والقصور الفائقة والمساكن الفاخرة، وفى جوامعها أثر من آثار الصنائع فى القرون الوسطى وما قبلها؛ ومنها ما حرق وخرب واستعيض عنه مكان آخر مثل " طرابلس"، ففى سنة ٦٨٨هـ فتحت طرابلس وأخرب سورها وكان من الأسوار العظيمة. وأمر السلطان بتجديد مدينة على مثل "طرابلس"، فبنيت ثم سكنها الناس، وكانت فى يد الفرنج، ومثل ذلك يقال فى "غزة" فقد قال "الظاهرى"[3] فى القرن التاسع للهجرة:

(١) تقدمت الإشارة إلى أفعالهم بنصب "محاكم التفتيش" وذبح وحرق المسلمين الذين لم يمسوهم طوال القرون العديدة التى حكموهم فيها بأى سوء!!. (المحقق).

(٢) " مصروها : مصَّر الأمصار تمصيراً كما يقال مدن المدن . " انظر مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى (ت٦٦٦هـ) ص ٦٢٥ . طبعة إستانبول : دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ م .

(٣) الظاهرى هو خليل بن شاهين الشيخى (٨١٣-٨٧٣هـ) = (١٤١٠-١٤٦٨ م) فقيه ، مفسر، أديب، شاعر ولد ببيت المقدس ، وتوفى بطرابلس. له من الكتب (زبدة كشف الممالك وبيان =

"إن فيها من الجوامع والمدارس والعمارات الحسنة ما يورث العجب وتسمى دهليز الملك " أ.هـ. بعدما دارت عليها الدوائر، وأخذت وقائع الحروب فيها مأخذها، وتخربت حصونها وقصورها وآثارها ومنازلها، ودكت أبراجها ومساجدها وأسواقها ومعالمها، وانقرض معظم أهلها، وتشتت من بقى من أسرها وأفرادها، وصار عاليها سافلها، ولم يبق فيها سوى الجامع القديم[1]، وكنيسة الروم، ولكن الله وفق الملوك الفاتحين لها والأمراء المسلمين لإحيائها وتأسيس المساجد والأوقاف بها، وتجديد السوق الكبير، الذى كان يمتد من الكرنتينة بالجنوب إلى الزيتون الرومى بالشمال، وأنشأوا فيها جامع " الشيخ على بن مروان الأشبيلى المغربى الحسينى "[2]، الموجود بمنارته الأثرية ومنبره

= الطرق والمسالك) . وأغلب الظن أن العبارة التى أوردها عن غزة بأنها دهليز الملك هى فى هذا الكتاب الذى لم نقف عليه ولكن هنالك معلومات عامة ومهمة فى نفس الوقت عن هذا الكتاب وردت فى كتاب تاريخ الأدب الجغرافى العربى من تأليف المستشرق الكبير إغناطيوس كراتشكوفسكى الذى نقله إلى العربية صلاح الدين هاشم (طبع فى القاهرة بواسطة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧م) فى الجزء الثانى ص ٤٧٢-٤٧٥ وفى عدة صفحات متفرقة ص ٤١١، ٤٤٥، ٦٣٢، ٦٤٧ . يقول كراتشكوفسكى بصدد هذا الكتاب : ... إن المؤلف أراد أن يضع مصنفاً من نمط (المسالك) المعروف لنا جيداً . ص ٤٧٣ . راجع ترجمة أخرى للظاهرى فى الضوء اللامع للسخاوى ج٣ ص ١٩٥- ١٩٧ . طبع فى دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة . وانظر ترجمته فى (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) تأليف : يوسف بن تغرى بردى الأتابكى جمال الدين أبو المحاسن ت٨٧٤هـ - ١٤٧٠ م (مج ٥ تراجم - ص٢٥٨- ٢٦١) حققه ووضع حواشيه د. نبيل محمد عبد العزيز القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

(١) " الجامع القديم : هو الجامع العمرى ويعبر عنه بالعتيق أحياناً " . (المحقق).

(٢) الشيخ على بن مروان ترجم له الطباع فى قسم التراجم (مج ٤/ ص ٧٤/ ترجمة رقم ٩٦) فقال: ومروان بن عامر الإشبيلى المغربى الحسينى كان من العارفين المرشدين والأقطاب الواصلين، وتوفى سنة ٧١٥هـ ، وتجدد المسجد المنسوب إليه بالتاريخ المذكور كما تقدم بيانه فى المزارات من القسم الأول حيث قال : " رأيت بقيود فى الدفاتر الخاقانية أرض وقف زاوية الشيخ ابن مروان (بغزة) وكان مرشداً كبيراً عارفاً عظيماً ، يعتقد فيه الناس ويزورونه ويتبركون به ، ويذكرون له كرامات كثيرة " وينقل ما أورده بسيسو فى كشف انتقاب فيقول عنه: " وهو حسينى لا أموى، وسيدى مروان الحسينى، مدفون بالبلمون بلدة السنبلاوين بمديرية الدقهلية من بلاد مصر، وله مقام أيضاً بالمأمونية بالشرقية، فى قسم منية القمح، ويقال إن الشيخ الغريب دفين =

ومحرابه إلى الآن، وقد قمت بالخطبة فيه عدة سنين، وأجريت فيه إصلاحات وتعميرات من أوقافه القديمة، وجامع الجمعة وكان بحذائه من الشمال، وجامع و "مدرسة الباسطية"، والجامع المعلق للأمير "سيف الدين بلبان" المستعربى، و "جامع دغات" و "جامع الماردانى" و "مدرسة السلطان قايتباى"، بجانب "ساقية الطوابين" و "المدرسة الكاملية" للملك الكامل، ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وجامع الأمير "سنجر الجاولى" نائب غزة، وناظر الحرمين الشريفين حرم القدس والخليل وكان وسط قصبة السوق من الجهة الجنوبية وجامع الجولانى وكان فى منتهى السوق من الجهة الشمالية و "مسجد السلطان قانصوه الغورى" المعروفة: بزاوية "الشيخ محمد أبى العزم" و "زاوية الشيخ محمد العابد" وجددوا "الجامع القديم العمرى" ووسعوه فى مدة الملك "الناصر محمد بن قلاوون" و"الجامع الصغير" المعروف: "بكاتب الولاية" و "جامع الشيخ زكريا" و"الشيخ خالد" و"الشيخ ظريف" و"الزاوية الأحمدية" و"زاوية أبى مدين" و"المحكمة البردبكية" و"مدرسة الطواشى" و"مسجد الهواشى" و"الغزالى"

= السويس من أبناء مروان هذا أ هـ " قال (الطباع) رأيت فى بعض الأنساب القديمة أن الشيخ محمد الغريب دفين السويس توفى سنة ٩٨٠هـ، وأنه ابن الشيخ عبد الرزاق بن عامر ابن مروان، وأنه خلف ذرية كثيرة منهم عبد الله، وجمال الدين، ومحمد، وعامر، وعلى، وأن مروان هذا هو ابن عبد الله بن محمد بن مروان بن عبد الرزاق بن أحمد بن شرف الدين بن عبد الناصر بن عامر بن محيى الدين بن مرعى بن إبراهيم بن حازم بن يونس بن أحمد .... الحسينى. ولد بأشبوب من بلاد المغرب سنة ٦٣١ ، وتربى على والده وحج معه ثم نزل (بشبين الكوم) من بلاد مصر ، ثم توجه إلى (ميت خلف) بمصر ، وتوطن بها إلى أن توفى سنة ٦٩٩ ، وخلف بها خلقاً كثيراً واستخلف بعده ولده جمال الدين عبد الله وجمال الدين ومحمد وعامر ، ولم يذكر الشيخ عليًا معهم ، لأنه تركهم وساح فى البلاد للهدى والإرشاد ، إلى أن توطن غزة وصار قطبها ومنارها ، وكان له المقام الكبير والدرجة العالية واتخذ هذا المحل معبداً وزاوية له، إلى أن توفى ودفن فيه. انظر الإتحاف: قسم التاريخ (مج ٢/ ص ١٤٧). وبصدد مسجد ابن مروان انظر كتاب تاريخ غزة لعارف العارف ص٣٤١ وكتاب المساجد الأثرية فى مدينة غزة (للمحقق) ص (١٠١ - ١٠٣).

و"الملاحى" و"طنطناج" وجددوا الجامع الكبير المعروف بابن عثمان ومسجد الظفردمرى وغير ذلك مما سيأتى بيانه بالتفصيل ثم صار الأمراء والأغنياء يشيدون فيها الدور وينشئون المنازل والقصور حتى صارت مدينة كبيرة تعد من أمهات الإمارات والولايات وكان يتبعها ويلحق بها سائر بلاد القسم الجنوبى من فلسطين بما فيها القدس ونابلس وعكا.

* * *

غزة وحالتها الإدارية

غزة وحالتها الإدارية

قد كان لغزة أهمية كبرى وعناية عظمى فى نظر الفاتحين من الملوك والقواد والحكام لكونها آخر البلاد الشامية وتنتهى إلى حدود البلاد المصرية وهى همزة الوصل بين هذين القطرين العظميين مع ارتفاع موقعها وإشرافها على البر والبحر وشماخة أبراجها وحصانة سورها وفخامة قلعتها المشحونة بالأسلحة والذخائر وقوة بأس أهلها وحاميتها ومناعة أبوابها فقد كان لها خمسة أبواب فخمة مدعمة بالعمد الكبيرة والحجارة الضخمة الأول منها باب البحر وهو الباب الغربى والثانى باب القلعة وهو الباب الشرقى والثالث باب الداروم وهو الباب الجنوبى والرابع باب الدير دير سنيد وهو الباب الشمالى عند ساقية الحدرة، والخامس باب الجرن، المعروف بباب جرو، وهو غربى أيضاً لذلك استعصت على الفاتح إسكندر المكدونى، الذى دوخ الأرض، وأخضع الممالك وفتح الحصون المنيعة واستصعب عليه فتحها، وجرح عندها واستعمل كل آلات الحصار ، فلم يظفر بها حتى مكث فى حصارها أربعة أشهر ، وما فتحها إلا بعد عناء شديد ، فكانت النقطة المهمة ، ومطمح الأنظار فى سائر الحروب، التى تجرعت البلاد غصصها وانتابت بويلاتها، وكانوا يرون أن من أخضعها أخضع سواها، ومن ملكها هان عليه تملك غيرها، وما من حرب فى فلسطين أو بين مصر والشام إلا وكان لغزة من شدة بلائه[1] وعظيم مصائبه[2] أكبر نصيب، ولسعة مزارعها وكثرة ملحقاتها كانت مملكة مختصرة، وأمارة مستقلة فى الأدوار الأولى، ويتولى حكمها الأعاظم من كل أمة، فحكمها "إفرايم بن يوسف الصديق" -عليه السلام- و" يهوذا" و"شمعون"

---

(١) كذا بالأصل، والأصح: (بلائها).

(٢) كذا بالأصل، والأصح: (مصائبها).

و"رحبعم بن سليمان" -عليه السلام- ورؤساء "الحيثيين" و" الكفتوريين"، و" الفلسطينيين " و" الجبابرة" و" الهكسوس" و" الفرس" و" اليونان" و"الروم"، ومنهم " البطريق صليبا بن حنا" و"لاوى بن حنا" و"القيفار". حتى جاء الإسلام فتولى حكمها الأمراء والعمال فى عهد الخلفاء الراشدين، والأمويين والعباسيين والفاطميين .

وكان يعبر عنها " بالمملكة الغزية" و" دهليز الملك"، ويقال لحاكمها الأمير والنائب ونائب السلطنة، وكافل المملكة الغزية، ولذلك عدت من فيالق الشام قال فى الخطط: " وقسم الأوائل الشام خمسة أقسام، الأول فلسطين ومن مدنها "إيلياء" وهى "بيت المقدس" و"عسقلان" و"غزة" و"اللد" و"الرملة" و"حبرون" و"نابلس" والثانى "حوران" ومدينتها العظمى "طبريا"، والثالث "الغوطة" ومدينتها العظمى "دمشق" والرابع "حمص" والخامس "قنسرين" ومدينتها العظمى "حلب"، وهى أشبه بتفسير العرب إلى خمسة أجناد أى فيالق، وهى جند "فلسطين" وجند "الأردن" وجند "دمشق" وجند "حمص" وجند "قنسرين"، ومعلوم أن العرب أطلقوا اسم الشام على "سورية" وفلسطين معاً وجعلها قسمين لا توافق عليه الطبيعة، كما قاله العارفون من علماء الجغرافية لأنهما شيء واحد، ودام ذلك التقسيم إلى القرن الخامس فكان الملوك يقطعون بعض العمال ويدعونها مملكة .

ولما جاء الصليبيون تغيرت الوضعية، فأسس " بلدوين الأول" كونتينة "يافا" و"عسقلان" وجعلها لقريبه "هيودى بوزى"، وبعد وفاة "هيو الثانى" المبكرة أخذها الملك بلدوين، وجدد قوتها وضمها إلى أخيه "أمالرك" الذى كان كونتاً على "عسقلان"، وفى هذه الكونتية كانت تقع "غزة" ولما ظهرت طوائف الفرسان وقوى نفوذهم، أعطوا بعض الحصون التى على الحدود، فكانت بئر السبع من نصيب فرسان "القديس يوحنا"، وغزة من نصيب فرسان الهيكل سنة ١١٤٩م.

وعندما قام صلاح الدين بحملته على فلسطين، وأخذت جنوده تغزو المدن الساحلية الجنوبية، تحرجت وضعية "بلدوين" ملك القدس، فأرسل له فرسان الهيكل معونة من "غزة"، وبهذا العدد الضئيل تمكن من دحر المسلمين إلى ميوما، ثم استعيدت بخروج الصليبيين من فلسطين إلى الدولة الأيوبية، وكانت إحدى الممالك التسعة التى قسمت إليها فلسطين وسوريا زمن الأيوبيين، كما فى المصادر الإنكليزية ولما جرت الهدنة بين الملك المنصور قلاوون، وبين الإفرنج "بعكا" مدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات على أن يكون له ولولده الممالك الآتية، الديار المصرية والبلاد الحجازية وثغر غزة المحروس، وما معها من الموانى والبلاد، والمملكة الكركية والشوبكية وبلاد الجليل والقدس الشريف ونابلس وأعمالها، وعسقلان وأعمالها ويافا وقيسارية، وأرسوف واللجون والمملكة الصفدية[1] والدمشقية، والحلبية وحمص وحماة، وأن البلاد التى كانت تابعة للمملكة الغزية هى، عسقلان والداروم والعريش وتل الصافى وكراتيا وبيت جبرين، والخليل وبيت القدس ويافا وقيسارية وأرسوف كما ذكره الدمشقى.

---

(١) لعبت صفد دوراً فى التاريخ الإسلامى أثناء الحروب الصليبية وفتوحات الأيوبيين والمماليك فقط، ومما هو جدير بالملاحظة أن اسمها ذكر قديماً بلفظ "صفت" وفيما بعد ذكرت "صفد" إلى جانب :صفت" ثم صفد فقط. وقد زاد الملك بيبرس صفد سنة ٦٦٥هـ. (٧ - ١٢٦٦م) وأمر بإعادة بناء المدينة. ومنذ ذلك الحين أصبحت إحدى عاصمتى فلسطين (فقد كانت الثانية غزة، أما القدس فبقيت قليلة الأهمية حتى سنة ١٣٧٦م). وفى القرن الرابع عشر صارت صفد مركزاً ثقافياً مقصوراً على مسلمى فلسطين. وبالإضافة إلى المساجد والمدارس أقيمت فيها بنايات علمانية كمارستان (من إنشاء تكز نائب الشام) وبضعة حمامات ولا نعلم إلا القليل عن صفد فى القرون الوسطى لأن التاريخ الخاص الوحيد الذى كتب عنها فى تلك العصور هو ما كتبه صدر الدين محمد بن عبد الرحمن الدمشقى العثمانى، وقد فقد هذا التاريخ ولا يعرف عنه إلا مما استشهد به منه، ومنذ بضعة أشهر كشف الأستاذ برنارد لويس من جامعة لندن النقاب عن النسخة المخطوطة الوحيدة، وإنا لنرجوا أن هذا الكتاب سينشر قريباً. (البنايات الدينية لماير ص٣٦).

وفى صبح الأعشى قواعد الشام العظام، ست "دمشق" و"حلب" و"حماة" و"طرابلس" و"صفد" و"الكرك" وكل قاعدة منها تعد مملكة، بل كانت كل قاعدة منها مملكة مستقلة بسلطان فى زمن بنى أيوب، وأصبحت الشام فى دور المماليك تقسم إلى قسمين جنوبى وشمالى، ويعين لكل منهما كافل أى والٍ، وعد "الظاهرى" بالشام فى القرن التاسع سبع ممالك وهى : " المملكة الشامية" و " المملكة الكركية" و " المملكة الحلبية " و " المملكة الطرابلسية" و " المملكة الحموية" و " المملكة الصفدية" و " المملكة الغزية" وكان لدمشق أربع صفقات، غربية وقبلية وشمالية وشرقية ففى الصفقة الأولى : عشر نيابات منها : "غزة" و"القدس"، وخمس ولايات وهى : "الرملة" و" اللد" و" الخليل" و" نابلس" و " قاقون"، وذكر"الظاهرى" : " أن الجيوش كانت تنقسم فى القرن التاسع أقساماً، وهى أجناد حلقة وبحرية وتركمان وأكراد وعرب وغير ذلك، وأجناد الحلقة فى الشام اثنا عشر ألفاً ومماليك كافلها، والأمراء بها ثلاثة آلاف، وأجناد الحلقة فى حلب ستة آلاف ومماليك كافلها، والأمراء بها ألفان وأجناد الحلقة بطرابلس أربعة آلاف ومماليك كافلها، والأمراء بها ألف وأجناد الحلقة بصفد ألف ومماليك كافلها، والأمراء بها ألف، وأحفاد الحلقة بغزة ألف ومماليك كافلها والأمراء بها ألف، وقد كانت البلاد الشامية بما فيها سوريا الجنوبية وهى فلسطين تابعة إلى الدولة المصرية، ولكنها مقسمة إلى إمارات مستقلة، وكثيراً ما كانت أمراؤها تشق عصا الطاعة وتخرج على السلطان للتغلب على الملك، أو يحملها الطمع للتغلب على جيرانها، حتى أن الأمير الناصر داود، لم يتنازل عن حصن الشوبك لعمه الكامل صاحب مصر فسار الملك الكامل من مصر، إلى الشام، ونزل على " تل العجول" بظاهر "غزة" ثم سير الملك الناصر يوسف بن أيوب عسكراً من دمشق، إلى "غزة" ليكونوا بها فأقاموا على " تل

العجول" وفيه يقول أحد المجردين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور:

يذكرنا زمان الذكر حقاً زمان اللهو فى تل العجول

ونطلب مسلماً يروى حديثاً يرغب من أحاديث الرسول

وسار إليها الملك الظاهر بيبرس مراراً وأقام بها وتزوج فيها قبل أن يلى الملك امرأة من طائفة الشهروزية، ثم طلقها بالقاهرة وتزوج أربعة من بنات الأمراء، وقد اهتم بمساجد "غزة" وجوامعها ومدارسها، اهتماماً كبيراً، وأسس بها مكتبة قيمة كانت تحتوى على عشرين ألف كتاب، كما سيأتى بيانه[1] ثم إن "الملك الناصر فرج ابن برقوق "[2]، وكان من أفرس ملوك الترك بعد الملك الأشرف "خليل بن قلاوون "، تجهز لبلاد الشام سبع مرات لتمهيدها وقهر متغلبيها، حتى توفى سنة ٨١٥ هـ، ثم تولى مملوك أبيه الملك المؤيد شيخ، وخرج إلى الشام مرتين ومهدها، ثم خرج إلى بلاد الأتراك وافتتح قلاعاً كثيرة، وتوفى بمصر سنة ٨٢٤ هـ ثم رحل الملك الأشرف قايتباى من مصر إلى أقصى بلاد الشام "سنة ٨٨٢ هـ"، وضبطها ومهدها وانشأ فيها آثاراً فخمة ومدارس عدة، وارصد لها أوقافاً عظيمة بفلسطين، سيأتى التنويه بها، وكان أجل الملوك قدراً وأرفعهم همة وأطولهم يداً - حكم تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وتوفى بمصر سنة ٩٠١ هـ ثم وقعت فتنة بين

(١) هى مكتبة الجامع العمرى الكبير حيث تسمى قديماً مكتبة الظاهر بيبرس .انظر بهذا الصدد نبذة عن هذه المكتبة فى كتاب المساجد الأثرية فى مدينة غزة ص ٣٧ ، ص ٤١ .

(٢) " ونزلها بعسكره (الملك المنصور قلاوون) ، وكانت فى ذلك العهد من أعمال الرملة فجعلها ولاية مستقلة وأقام فيها نائباً ينوب عنه فى الحكم ، يلقب بملك الأمراء وسكن الفتنة التى أثارها نائب دمشق الأمير " سنقر " سنة ٦٨٧هـ ، حيث إنه خرج عن الطاعة ودعى الناس إلى مبايعته ملكاً ولقب نفسه بالملك الكامل ، وخطب باسمه فى دمشق ، ولما وصل الملك المنصور غزة ، انهزم سنقر ومن معه من الأمراء ، وأمراء العرب ، فتبعهم عساكر السلطان وأسروا منهم وغنموا إلى أن تمت هزيمتهم بالقرب من دمشق وسكنت تلك الفتنة " هـ . ط (ص ٨٣) .

الدولة المصرية الجركسية، والدولة العثمانية التركية، كانت سبباً لسقوط دولة الجراكسة، وضم بلاد مصر والشام والحجاز إلى الدولة العلية العثمانية، التى قام سعدها وارتفع شامخ عزها بسبب عدل الكثير منها مئات السنين .

* * *

البلاد العربية وفتح السلطان سليم لها

البلاد العربية وفتح السلطان سليم لها

هو الملك الغازى السلطان "سليم خان ابن السلطان بايزيد خان"[1]، وكان ملكاً جليلاً وسلطاناً جريئاً مهيباً سار على سيرة الخلفاء، وجاهد بنفسه وفتح ممالك العجم والعرب، غير أنه كان شديد البطش سفاكاً للدماء، نقم على ملك مصر بمؤازرته لملك العجم، فزحف بعسكره الجرار إلى بلاد الشام قاصداً فتح مصر، وما يتبعها من البلاد المصرية والشامية، فخرج إليه من مصر الملك الأشرف قانصوه الغورى،وصحبته الخليفة ونحو ثلاثين ألفاً من العساكر، ولما وصل إلى مدينة "غزة" قابله أهل "بيت المقدس" وشكوا إليه ظلم نائبهم، فلم يلتفت إلى كلامهم وأهانهم بالطرد والضرب، ثم مر على "حمص" فشكى إليه أهلها ظلم نائبهم فلم يلتفت إليهم، ولم يزر السيد الجليل خالد بن الوليد مع أن الطاغية تيمورلنك لما دخل "حمص" زاره وجعل أهلها فى غفارته، كما ذكره "القرمانى"[2] فى تاريخه،ومن ذلك يعلم ظلم العمال فى البلاد وتهاون الملك بالرعية، وعدم إنصافهم من عماله الظالمين، ثم خرج من "حلب" لملاقاة السلطان سليم فالتقيا بمرج دابق بالقرب منها فى شهر رجب سنة ٩٢٢هـ، والتحم الحرب بين الملكين، واستمر القتال حتى وقع السلطان الغورى عن فرسه بعد ما خارت قواه، وفرت عساكره وتركوه على الأرض فى ساحة الحرب، حتى مات تحت

(١) ولد سنة ٨٧٥ هـ الموافق ١٤٨٠م، وعاش أربعاً وخمسين عاماً، قضى منها تحت السلطنة ٨ سنوات، توفى سنة ٩٢٩هـ. انظر: تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الآن (ص٥٦ ـ ٥٨)، تأليف: حضرة عزتلو يوسف بك آصاف. تقديم: د. زينهم محمد عزب. القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٥م، صفحات من تاريخ مصر ٣٦.

(٢) القرمانى : هو أحمد بن يوسف (مؤرخ) سنة ١٠١٩ م ، معجم الأعلام ص ٨٥

سنابك الخيل، ولم يعلم به أحد، وطلب أهل حلب الأمان من السلطان سليم خان، فأجابهم واحتلها ورفع علمه العثمانى عليها، ومهد أمورها وخطب فيها باسمه، ثم رحل منها إلى "دمشق" ودخلها بموكب عظيم، واستمر فيها حتى ضبط حصونها ومهد أمورها، ثم زحف منها إلى"مصر" ولما وصل "غزة" عدل فى نفر يسير إلى زيارة "القدس" و"الخليل"، وكان كلما مر ببلد أو قرية أحسن إلى أهلها، ولما بلغ أهل مصر قتل سلطانهم، ومن ثبت معه من الجراكسة ولوا عليهم مكانه ابن أخيه الملك الأشرف طومان باى، وكان السلطان سليم قد استولى بعد "حلب" و"الشام" على "حمص" و"حما"[1] و"طرابلس" و"صيدا" و"صفد" و"حيفا" و"نابلس" وزحف لأخذ القدس والخليل وقد فتحت البلاد أبوابها

ولم يجد بها مقاومة قال فى الخطط : " سار "السلطان سليم"عن طريق البر إلى غزة، فعصت عليه ففتحها حرباً، والتقى جيش العثمانيين مع جيش المصريين فى "خان يونس" بين "غزة" و"العريش" فشتت الجيش العثمانى الجيش المصرى، ثم عصت "غزة" و"الرملة" فقمع ثائر الغزاة فيها وكانت الوقعة المهمة على الشريعة، بالقرب من "بيسان"اندحر فيها المصريون وقائد جندهم الغزالى قال: "ابن طولون" وفى ١٦ ذى الحجة سنة ٩٢٢هـ التقى "سنان باشا" الوزير الأعظم مع "جان بردى الغزالى" فكسر الغزالى فدقت البشائر بقلعة دمشق، وسيب نفط كثير ثم نادى النائب بالزينة واستمرت مدة أسبوع، ثم رأى الغزالى أن يستأمن السلطان سليماً ويخدمه، فأعانه على قهر طومان باى وقتله، وفتح مصر فنصبه السلطان نائباً ووالياً على "دمشق" وأضاف إليه "القدس" و"غزة" و"صفد" و"الكرك" .

وبينما كان السلطان سليم سائراً إلى مصر، وكان قد تأخر من عسكره

(١) " حماة " وليست حما كما فى الأصل .

بعض أناس فى "الرملة" شاع الخبر أن أهل "الرملة" قتلوهم، وبلغ ذلك السلطان فأمر بقتل أهل البلد فقتلوا عن آخرهم ولم يبق فيها ديار ولا نافخ نار. ويقول "القرمانى" : "إن السلطان أمر بقتل عامة أهل الرملة عند عودته من مصر وقد بلغه الثقاة أن أهلها قتلوا من كان عندهم من العسكر المجروحين أ.هـ " .

وقال فى حوادث سنة ٩٢٢ هـ من تاريخ "ابن إياس "[(١)] : "وفى الخامس من ذى القعدة، وردت الأخبار بأن ابن عثمان زاحف إلى غزة، وأرسل نائب غزة دولات باى الذى أضيفت إليه نيابة القدس والكرك، يقول أدركونا بالعسكر قبل أن يملك ابن عثمان مدينة غزة، وتتعبوا فى خلاص البلاد من يده، وفى يوم تاسعه حضر دوادار خاير بك نائب حلب، وزعم أنه فر من ابن عثمان وأخبر أن ابن عثمان، أرسل عسكراً نحو خمسة آلاف فارس، صحبة ابن سوار، وقد أشرفوا على أخذ غزة، بل أشاعوا أخذها، وأن نائب "غزة" قد هرب فاضطربت الأحوال وتنكد السلطان للغاية، وخرج لمقاتلة ابن عثمان بنفسه، وصحبته نائب حلب أمير كبير، وهو فى الحديد وجماعة من جند الحلقة بغزة، وهم فى الحديد، وكان نائب "غزة" أرسل يرافع فيهم، بأنهم كاتبوا ابن عثمان بأن يحضر إلى "غزة" ويملكها، من غير مانع فلما حضروا بين يدى السلطان حلفوا له أن هذا الأمر ما وقع منهم، ولا كاتبوا ابن عثمان وإنما دولات باى نائب "غزة" بينه وبين أجناد "غزة" حظ نفس فكذب عليهم بهذه التهمة الباطلة، فصدقهم السلطان وفكهم من الحديد بعد الشفاعة فيهم " .

وفى اليوم الحادى عشر تزايدت الإشاعات بأن "ابن عثمان" أرسل إلى غزة

---

(١) ابن إياس هو محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ مؤرخ صاحب كتاب آثار الأول فى تاريخ الدول معجم الأعلام ص ١٢٢ .

عسكراً صحبة جماعة من أمرائه، منهم "إسكندر باشا " و "داود باشا" وأشيع أنهم قد ملكوا غزة، وأحرقوا منها بعض بيوت وأن نائب غزة هرب، وعسكر "ابن عثمان" زاحفًا على مصر، فخرج السلطان بعساكره للقتال، وارتجت القاهرة فى ذلك اليوم، وكان نائب الشام "جان بردى الغزالى" بالقرب من "غزة" يحاصر جماعة ابن عثمان، الذين "بغزة" وقبض على"عبد البر بن محاسن" الذى حضر لمصر صحبة جواسيس ابن عثمان، وكانوا خمسة عشر جهة المطرية، فلما مثلوا بين يدى السلطان شرع يطنب فى أوصاف ابن عثمان، وفى تزايد عظمته، فمن جملة ما حكى عنه أنه لما دخل حلب، قطع فى يوم واحد ثمانمائة رأس من أعيان أهل مصر، الذين كانوا بها من طرف الدولة المصرية، وأن عسكره فوق الستين ألفاً، وأنه خطب باسمه من بغداد إلى الشام، وهو فى همة زائدة، ويقول لا أرجع حتى أملك مصر، وأقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة، وأخبر عنه وعن عسكره بأفعال شنيعة، وقد قطع بما حكاه عنه قلب العسكر المصرية، ووصلت مطالعات منه للأمراء والمباشرين والأعيان غالب ألفاظها تركية، وكان مضمونها من مقامه السعيد إلى الأمير طومان باى، أما بعد فإن الله قد أوحى إلىّ بأن أملك البلاد شرقاً وغرباً، كما ملكها الإسكندر ذو القرنين، ومن جملة المطالعة وعد ووعيد وتهديد وتشديد، ومنها قوله إنك مملوك تباع وتشترى، ولا تصح لك ولاية، وأنا ملك ابن ملك إلى عشرين جدٍ وقد توليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة، وإن أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة فى مصر باسمنا، وكذلك الخطبة وتكون نائبنا بمصر، ولك من "غزة" إلى "مصر"، ولنا من الشام إلى الفرات، وإن لم تدخل تحت طاعتنا، أدخل مصر وأقتل جميع من بها، من الجراكسة حتى أشق بطون الحوامل، وأقتل الأجنة التى فى بطونهن وأظهر التعاظم وقوة البأس، وقال فى آخرها ﴿وما كنا معذبين حتى

نبعث رسولاً﴾[1] فلما قرأت هذه المطالعة على السلطان بكى، وحصل له الرعب، واضطربت أحوال الديار المصرية. وفى الثالث من ذى الحجة، وردت أخبار بأن العسكر الذين توجهوا إلى "غزة" قد انكسروا فى ١٤ ذى القعدة، وذلك أن "جان بردى الغزالى" نائب الشام خرج إلى التجريدة قبل العسكر بأيام، وصار الأمراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين بكسل زائد، فلما أبطأوا على الغزالى، جمع بعض العربان وتقدم إلى "غزة" هو، والأمير "أرزمك الناشف" الذى ولى نيابة "حماة" ودولات باى نائب غزة، وأصله من مماليك السلطان الغورى، وجماعة من المماليك السلطانية فقاطعوا على عسكر ابن عثمان من طريق الدرب السلطانى، وتلاقوا على الشريعة بالقرب من "بيسان"، وكان قائد العساكر العثمانية سنان باشا، ومعه آخرون من أمرائه، وألجم الكثير من العساكر، فوقع بين الفريقين وقعة مهولة تشيب منها النواصى، فانكسر الأمير "جان بردى الغزالى" ومن معه من الأمراء والعساكر. وفى اليوم الخامس دخل الأمراء والعسكر الذين توجهوا إلى "غزة"، وانكسروا فى أنحس حال بسبب القتل والنهب، وفى السادس ورد على السلطان أخبار رديئة، بأن "سنان باشا" الذى ملك مدينة "غزة" قد لعب فى أهل "غزة" بالسيف وقتل منهم نحو ألف إنسان، ما بين رجال ونساء وصغار. وكان سبب ذلك أن الغزالى لما تلاقى مع "سنان باشا" على الشريعة أشيع فى "غزة"[2] أن الغزالى انتصر على عسكر ابن عثمان، وقتل "سنان باشا" وعسكره، فبادر "على باى" دوادار نائب "غزة" و"أجناده" فنهبوا وطاق[3] العثمانية وأحرقوا خيامهم، وقتلوا من كان فى الوطاق

---

(١) سورة الإسراء/ آية ١٥.

(٢) " من ذلك ينبغى أن لا يعول على الإشاعات سيما فى أوقات الحروب والاضطرابات لأنها تكون عكس الحقائق وربما يترتب على التصديق بها أضرار كبيرة كما وقع هنا " هـ. ط ص ٨٧ .

(٣) " وطاق: الوطاق فى التركية أوتاق وأوتاغ ، وأوطاق ، وهى على الأرجح من الكلمة التركية =

والمدينة، من العثمانية نحو أربعمائة إنسان، ما بين شيوخ وصبيان ومن كان بها مريضاً، وأحرقوا الخيام التى كانت فى وطاقهم[١].

فلما ظهر أن الكسرة كانت على عسكر مصر، وقتل من قتل من الأمراء ورجع "سنان باشا" إلى "غزة" جمع أهل "غزة" قاطبة، وقال لهم من فعل هذا بنا فقالوا "على باى دوادار" نائب "غزة" وأجناد "غزة"، ولم نفعل نحن شيئاً من ذلك، فأمر "سنان باشا" بكبس بيوت "غزة"، فوجدوا بها قماش العثمانية وخيولهم وخيامهم[٢]، فقال لهم "سنان باشا" : نحن لما دخلنا "غزة" هل شوشنا على أحد منكم؟ أونهبنا لكم شيئاً؟ قالوا: لا، فقال لهم: كيف فعلتم بعسكرنا ذلك؟ فلم يأتوا بجواب ولا عذر ولا حجة[٣]، فعند ذلك أمر عسكره أن يلعبوا فيهم بالسيف، فقتلوا منهم مالا يحصى عدده، وراح الصالح بذنب الطالح، ﴿وكان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾[٤]

= المصرية (أودة) بمعنى الحجرة ، والأطاق فى التركية اسم للخيمة الكبيرة المزخرفة التى تعد للعظماء ، والوطاق فى العربية هو الخيمة والمعسكر المكون من خيام . " انظر بتوسع كتاب بعنوان " تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ص ١٩٨- ١٩٩ " تأليف د. أحمد السعيد سليمان .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩ م .

(١) " وهذا صريح فى أن هذه الجريمة والتعدى الفظيع ما وقع إلا من نائب غزة وجنده " هـ ٢ . ط . ص٨٧ " ووطاقهم : أى خيامهم ومعسكرهم ، كما تقدم " (المحقق) .

(٢) " يجوز أن بعض الأطراف والمحتكين بالجند اشتركوا معهم وخبأوا المنهوبات فى محلاتهم فلا يصح إلصاق هذه الجريمة بأهل غزة ولا إدانتهم بها " هـ . ط ٣ ص ٨٧ .

(٣) " وهذا يدل على أن المخاطبين لم يكونوا من أشراف غزة وأعيانها وإلا لاستطاعوا أن يأتوا للسائل بجواب ويظهروا عذراً ويقيموا حجة، لأن الذين خاطروا بأنفسهم من الأطراف والأعمال. وقد شوهد عند انكسار الدولة العثمانية فى الحرب العامة وتركها لعنابرها أن نهبها كان من الأطراف والغوغاء كما أن عساكر الجيش الإنكليزى كانت تتبع أمتعتهم وأرزاقهم ولا تجرأ عليها غير الأطراف وذوى الأطماع أما ذووالهيئات يتباعدون عن ذلك حفظاً لكرامتهم " هـ . ط ٤ ص ٨٧ ".

(٤) وكان ذلك فى الكتاب مسطوراً . الإسراء آيه (٥٨) والنص هو كان ليس هناك واد ونص الآيه هو الآتى : ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً﴾ الإسراء آية ٨٥.

وقد قيل فى المعنى :

إن ترمك الأقدار فى أزمة أوجبها إجرامك السالفة
فادع إلى ربك فى كشفها ليس لها من دونه كاشفة

ا.هـ. ثم توجه السلطان سليم بعساكره إلى مصر، وقاتل السلطان "طومان باى" ومن ثبت معه من الجراكسة، حتى جاء طائعاً بعد قتل خلق كثير ونهب أموال وافرة، فأمر بقتله وصلبه، وزالت دولة الجراكسة عن مصر والشام من ذلك الوقت، وارتفعت السلطنة منها، وعادت إلى النيابة مثل الشام، وما سبب ذلك إلا هرم الدولة بكثرة الظلم والاستبداد، وفحش البغى والفساد، ومجاوزة الحدود وهضم الحقوق، وسلب الأموال وإعانة الظلمة والطغاة على قتل الأبرياء، وإخافة الآمنين وتسليط المتشردين، وإذلال الأعزاء وإعزاز الأذلاء، كما هو شأن من لم يتدبر العواقب، ولم يخش النوائب، فانتقم الله من الظالم بظالم ثم ينتقم منه وقيل فى المعنى:

أيها المستطيل بالبغى قصر طالما طأطأ الزمان رؤوساً
وتذكر قول الإله تعالى "إن قارون كان من قوم موسى"[1]

ولما غادر السلطان سليم مصر وألف جمل أمامه، تحمل ما غنمه من الذهب والفضة إلى الأستانة، اقترب من الصدر الأعظم يونس باشا، وهو سائر معه، وقال له أرأيت كيف أصبحت مصر وراءنا؟ وغداً نبلغ "غزة" فلم يتمالك الصدر أن أجاب السلطان نعم وأى ثمرة حصلت من هذا التعب والمشقة؟ إن لم يكن هلاك نصف الجيش السلطانى فى الحروب، ووسط الرمال، وبقيت حكومة مصر بعد فى أيدى الخونة المستبدين، فاستشاط

(١) ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ سورة القصص آية ٧٦ .

السلطان غضباً من كلامه، وضرب عنق ذلك الوزير الناصح فى الحال، وقتله فى صحراء قطية كما قتل وزيره الآخر حسن باشا، فى رحيله إلى مصر ودفن فى الخان، الذى كان أنشأه بين مصر والشام يونس بن عبد الله التركى الدوادار بالقرب من غزة، فدفن يونس باشا فى خان سمية يونس الدوادار[١]، كما فى الخطط ولم يطل للسلطان سليم الأمر حتى[٢] أدركته منيته فى سنة ٩٢٦هـ عن ٥١، سنة ولقى ربه بما فعل من سفك الدماء وقتل الأبرياء وخلفه ولده السلطان سليمان القانونى، وكان أجل منه وأفضل وأقدر وأعقل أصلح دولته، وجاهد وقوى أسطولها وأنشأ المدارس وشيد المساجد، ولها عمارات جليلة بالبلاد الحجازية والمقدسية، ومنها بناء سور القدس وتجديد الصخرة وأنشأ البرك والتكايا والأوقاف، والمرتبات الضخمة، وكانت الملوك تخشى سطوته وتلجأ إليه حتى استغاث به فرنسيس الأول ملك فرنسا، واستنجده على خصمه شرلكان ملك النمسا،فكتب له ما صورته: "الله، بنعمة الله جل جلاله وتعالت كلمته، وببركة شمس سموات النبوة وكوكب برج الأولياء، رئيس الطهرة الأبرار محمد الطاهر ﷺ وبظل أنفس صحابته الأربع الطاهرين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى -صلوات الله عليهم- شاه سلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان الغازى أنا سلطان السلاطين، وملك الملوك ومانح الأكاليل لملوك العالم، ظل الله على الأرض، بادشاه سلطان البحر الأبيض والأسود وبلاد الروملى والأناضول وقرمان وأرزوم وديار بكر، وكردستان وأذربيجان والعجم و"دمشق" و"حلب" و"مصر" و"مكة" و"المدينة" و"القدس الشريف" وسائر بلاد العرب واليمن وأيالات شتى، افتتحها سلفاؤنا العظام وأجدادنا الفخام، بقواتهم الظافرة وكثير من البلاد التى

---

(١) هى مدينة خان يونس الموجودة اليوم وسيأتى تعريفها فيما بعد .

(٢) "حدث بظهره قرحة منعته الراحة وعجزت حذاق الأطباء فى علاجه واتسع الخرق وكانت توضع الدجاجة فى جرحه فتذوب من حره وشوهد معليق أكباده من خلف ظهره" (هـ. ط ص ٨٨).

أخضعتها عظمتى الملوكية بسيفى الساطع، أنا ابن السطان سليم ابن السلطان بايزيد شاه السلطان سليمان، أكتب إليك يا فرنسيس بك، بلاد فرنسا أن الكتاب الذى طرحته أمام سدتى الملوكية، ملجأ الملوك على يد فرنكيبان المستحق لثقتك والألفاظ الشفاهية التى حملها إلىّ قد علمت منها أن العدو مستحكم من مملكتك، حتى صرت إليه أسيراً وتطلب إلىّ إنقاذك فجميع ما قلته قد عرض على أعتاب كرسى عظمتى، الذى هو ملجأ العالم، وقد فهمت شرحه وأحاط علمى الشريف به، فإذا قهر الملوك هذه الأيام فلا تعجب، بل فليتشدد قلبك ولاتصغر نفسك، وقد رأينا سلفاءنا وأجدادنا الفخام لم يحجموا فى مثل هذا الحال، عن قتال الأعداء والنهوض للغزوات والفتوحات، وأنا قد اقتفيت آثارهم وأخضعت ممالك عديدة، وفتحت حصوناً منيعة، فلا أنام ليلاً ولا نهاراً إلا وسيفى لا يفارق جانبى، فنتوسل إليه تعالى أن يسهل طريقنا إلى ما فيه الخير، واسأل رسولك عما رآه وسمعه، وأيقن أنه هكذا " كتب فى العشر الأولى من هلال ربيع الثانى سنة٩٣٢هـ، من السدة الملوكية فى محروسة الآستانة العلية، قال فى كتاب العالم الإسلامى سعى فرنسيس الأول ملك النمسا فى التحالف مع آل عثمان، وكان فى آن واحد ملكاً لأسبانيا وهولاندا وإمبراطوراً لألمانيا وحاكماً لجزء عظيم من إيطاليا الجنوبية، إلى ما هنالك من جمهوريات وجزر فى أوربا كانت تابعة له وطوع أمره، ويظهر من سعى فرنسا فى استمالة الدولة العثمانية وبذل الجهد فى محالفتها، أنها بلغت فى ذلك الوقت شأناً عظيماً، لم تبلغه من قبل وأرسلت الملكة لويز زوجة فرنسيس الأول، ترجو منه أن يصد ملك المجر ويمنعه من مساعدة "شرلكان" على فرنسا فسار سنة ١٥٢٦م لمحاربة المجر عن طريق الصرب، وفتح عدة قلاع ذات أهمية وحارب المجر وانتصر انتصاراً مبيناً، وقتل ملك المجر وسلموا إليه مفاتيح المدينة، وعين "جان زابولى" أمير

ترنسلفانيا ملكاً على بلاد المجر، ثم استنجد به المذكور على فردينان ملك فرنسا، وكان احتل بلاده وأزاله عن ملكه، فسار إليه بجيشه وحاصره حتى هرب وأعاد "زابولى" إلى عرش ملك بلاد المجر، إلى غير ذلك من الانتصارات والفتوحات التى لا تحصى.

* * *

حوادث واضطرابات فى العهد التركى

ثم لا زالت البلاد بعد تلك الحروب الهائلة، والحوادث المدمرة مهددة بالأخطار، وتُبْتلى بالظلمة والأشرار من الدول الأجنبية مرة ومن ملوك الإسلام وأمرائه الطغام مرة أخرى، مع ما كان يتعاورها من البغاة وطغاة المماليك والإنكشارية والأسباهية، وسلطة عرب البوادى وقطاع الطريق واللصوص، حتى فقد الأمن واختل النظام خارجاً وداخلاً.

ولذا قال السائح ميشو لام من يهود إيطاليا وقد أتى إليها فى سنة ١٤٨١م: " غادرت وصحبى خان يونس، وكانت وجهتنا "غزة" وفى الطريق سمعنا أن العرب قتلوا ثلاثة رجال، على بعد ميل واحد من "غزة" ونهبوا ثلاثة جمال محملة بضائع، وقيل لنا إنه لن يتيسر لنا الوصول إلى "غزة" إلا إذا كان برفقتنا أربعة آلاف من الرجال المسلحين، وبالرغم من ذلك وصلنا سالمين، ودخلنا خاناً يدعى الحيونوس، وكان مزدحماً بالزائرين وقوافل السائحين، بسبب الهياج الذى عم المدينة، وكان فى "غزة" يومئذ سبعة آلاف رجل، وعشرة آلاف جمل على أهبة السفر إلى الشام، وأن نائبها كان على أهبة السفر لنصرة زميله نائب "الرملة" إذ كان البدو قد غزو "الرملة" وحرقوا جانباً منها، وأنه قطع رأس أحد عشر بدوياً وأرسلهم إلى غزة، ولكن البدو حملوا عليه فى نفس اليوم حملة شعواء، وقتلوا من رجاله ثلاثة وعشرين ألفاً، ولم ينج من شرهم أحد سواه ومائة من رجاله، فقفل راجعاً إلى "غزة" والحزن يملأ فؤاده أ.هـ"[1] وسبق فى سنة ٦٨٠هـ أن عرب

---

(١) نفس النص ورد فى تاريخ غزة لعارف العارف ص ٢٣٧ وقد علق عليه قائلاً : " هذا ما قاله ميشو عن غزة وقد أمتدحها وامتدح هواءها العذب وأطنب فى مدح ثمارها وفواكهها . وقال: =

البوادى ثاروا ونهبوا مدينة "غزة" وقتلوا خلقاً كثيراً، فأرسل السلطان لقتالهم جيشاً من الشام وآخر من القاهرة وأدبهم كما أنهم ثاروا مرة أخرى، ونهبوا مدينة "نابلس" وقتلوا عدداً كثيراً من أهلها، فركب الأمير "علاء الدين" إيدكين الفخرى من "غزة" وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم، وسجن كثيراً منهم "بصفد"، ثم أقام الأمير "علاء الدين" إيدغدى الصرخدى[1] نائباً على البلاد الغزية والساحلية، لردع عشائر البدو، وفى سنة ٨٠٣هـ هرب كثيرون من بلاد الشام إلى الديار المصرية، ولكن عربان العشائر نهبوهم فى الطريق، وجرى عليهم منهم ما لم يجر من عسكر تيمورلنك، ولم يبق للدولة هيبة ولا قيمة، وأصبحت البلاد فوضى والرعية بلا راع، وفى سنة ٨٧٧هـ وقعت فتنة بين الدارية والأكراد فى مدينة "الخليل"، وقتل فيها من الفريقين ١٨رجلاً، واستنفر كل من الطائفتين من ينتصر لها من عشائر عربان البادية، فحصل بسبب ذلك نهب فى المدينة وتخريب وأهوال لم يسمع بمثلها، ثم مضى القرن العاشر والحادى عشر، والبلاد بين الحياة والموت، تعطى إلى الولاة إقطاعات يتصرفون فيها، كما شاءوا بدون قاعدة ولا نظام ومن آنس من نفسه قوة تشوق إلى الاستقلال التام، أو الملك ورفع عصا العصيان ولو جرَّ ذلك إلى الدمار والخسران، وتذهب نفوس الأهالى وأموالهم ضحية تلك الأطماع، ونتيجة الجهل والغرور، ولذا قال "الدمياطى" فى رحلته موانح الأنس : "وقد أتى "لغزة" فى أواخر سنة ١١٤٣هـ وسرنا نتأمل فى مشارعها ونتملى برؤية جوامعها، لا سيما جامعها الذى هو للمحاسن جامع، وفلك حسنها الذى به قمرٌ لمسرة

= إن الخبز موجود فيها بكثره النبيذ وتجارته . ومما قاله هذا السائح عن غزة : إنه لم يكن حولها يومئذ سور . انظر تاريخ غزة ص ٢٣٧.

(١)على بن أيد غدى فقيه حنبلى ، من أهل دمشق ، كان يلقب بحنبل. تركى الأصل . معجم الأعلام ص ٥١٠.

طالعْ فرأيت غالب البلد خراب من ظلم الأمراء، وتحكم لمسط[1] الأعراب فارتحلت عنها لهفاً وأنشدت أقول وا أسفا: !!

يا ويح "غزة" مذ أوهت مرابعها
إلى الحضيض وقد ناحت سواجعها
كانت معاهدها للأنس جامعة
من كل معنى سما والحسن جامعها
فأصبحت من سطى الأعراب خاوية
على العروش مخيفات بلاقعها
فقل لعينيك تبكى عندها أسفاً
يحق للعين أن تهمى مدامعها
وقل لقلبك يبدى من تلهفه
إن البروق دجى تخفى لوامعها
واستنجد الصبر إن ودعتها سحراً
فللنفوس جوى ممن يودعها[2]

وذكر "المرادى" في تاريخه[3] : "أنه حصل للجندى طموح فى مدة

(١) لمسط الأعراب : أى مكان السطو الذى يسطو فيه البدو على متاع الناس .

(٢) لم أقف على النص الأصلى لرحلة اللقيمى، وقفت على بعض النصوص فما أوردها أحمد سامح الخالدى فى كتابه رحلات فى ديار الشام ص ٥٩ يقول على لسان اللقيمى عن غزة : وجلت بصولجان الفكر فى واديها عندما كشفت نقابها وتجلت للناظرين فى حلل إعجابها فإذا هى بحبوحة حنان وللحمائم يروحن زهورها ألحان فتنزل فى خانها المعروف بخان الزيت الآن وهو بجانب (الجامع الكبير) مع بعض الرفاق، وهو حماية من عسكر الدولة فى غاية الإشفاف . انظر رحلات فى ديار الشام مصدر سبق ذكره ص ٩٥.

(٣) المراد بتاريخ المرادى هو كتابه: " سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر " طبع الكتاب فى =

"الوزير محمد راغب باشا" والى "دمشق" وكان ابتداء ظهور شوكتهم وتطاولهم ثانياً لأن الوزير المذكور كان بطيئ الحركة ضعيف الهمة عن شهامة الوزارة - فحصل - بسبب ذلك التطاول، والتعدى من اليرلية، فى زمنه وحصل من الظلم والفتن، ما لم يعهد من قديم الزمان، وظهر الغلاء والقحط فى "دمشق" وعظم الضيق واشتدت الأمور وضجت الرعايا، وقامت رعاع الأوجاقات اليرلية[١] والقبى قول[٢]، وكذلك قام غيرهما من طوائف الأكراد والعساكر، وحصل ما حصل من الفتن والحروب، حتى فى رمضان فى حدود سنة ١١٧٠هـ جرى الحرب وتكرر القتال، واشتد العناد والطغيان، وعقب ذلك الطاعون والزلازل، وصدر فى تلك الأوقات من الفتن والخطوب والأمور المعضلات ما يطول شرحه ويعجز اللسان عن ذكره، وحصل للأعيان والرؤساء مزيد الكرب وعظيم الضيق، وقامت عوام الناس بالتطاول عليهم،حتى فى يوم دخول الوزير المترجم "حسين باشا مكى"[٣] "حاكم غزة وأمير الحاج "، ولما ذهب مع الحاج اجتمع عرب بنى صخر ، مع عربان البرية وهاجموا الجردة ونهبوها، وكان أمير الجردة أمير الأمراء "موسى باشا المعراوى" ، لما وصل إلى منزلة القطرانة، خرجوا عليه وشلحوه هو من معه فى الجردة، وأخذوا جميع ما معه ولم يبقوا له شيئاً، ورجع منهم ناس إلى الشام وناس إلى "القدس" وتفرقوا أيدى سبأ . وأما الأمير المذكور فرجع معرًى ما عنده شيء، وأقام فى قرية داعل، فلما وصل الخبر للشام أرسلوا له تختاً، فلما وصلوا إليه وجدوه ميتاً، فحملوه ليلاً إلى دمشق،

= مطبعة بولاق فى القاهرة فى أوائل هذا القرن ثم أعادت تصويره دار البشائر فى بيروت سنة ١٩٨٦ م دون أى تعديلات . (المحقق) .

(١) " دوائر العساكر المحلية " (هـ . ط ص ٩١) .

(٢) " يعنى المستخدمين فى دوائر الدولة " (هـ.ط ص٩١).

(٣) حسين باشا مكى - انظر ترجمته فى قسم التراجم من الإتحاف (مج ٤/ ص ١٧٥ - ١٨٠/ ترجمة رقم ١٦٢). وراجع ترجمته فى سلك الدرر ص ٦١ : ٦٢

ودفن بها، ثم إن العرب ربطوا للحج ومنعوه السبيل من قلعة تبوك، ثم هجموا عليه لضعفه ونهبوه جميعاً، وجرى على الحجاج ما لم يجر أبداً، وفر الوزير المزبور هارباً مع شخص واحد مختفياً فى لباسه إلى قلعة تبوك، ومنها فر هارباً إلى "غزة"، وبقى بها إلى أن وردت له رتبة الوزارة مع منصب مرعش، فتوجه إليها وحكمها سنة ثم عزل وعاد إلى"غزة"، فركب عليها عرب بنى صخر وعربان الوحيدات، فجهز عليهم عساكره وخرج لقتالهم، وبَعُدَ عن "غزة" خمسة أيام، فلحق بهم وحاربهم قليلاً من الزمان ثم فر كتخذا بعساكره، وبقى هو فى نفر قليل فاستأصلوهم قتلاً وجرحاً، وقتل الوزير المذكور فى يوم الخميس الموافق ٢٥ من ربيع الأول سنة ١١٧٩هـ، وضبطت أمواله لجهة الدولة بأمر منها،(رح)" أ.هـ

قال فى خطط الشام: " وقتل الوزير "حسين باشا مكى" والى "غزة" وصادرت الدولة أمواله وكان حارب بنى صخر وعرب الوحيدات بعسكره فاستأصلوهم" أ.هـ. ثم فى سنة ١١٨٣هـ حاول عثمان باشا والى دمشق أن يغزو " ظاهر العمر "[1]، بالاتفاق مع أمراء جبل الشوف لتغلبه على "عكا" و"صيدا" و"طرابلس"، وقد أخذ الوالى المذكور يلح على الأهالى فى طلب الأموال، فضج الناس من ظلمه وعصاه أهل "الرملة" و"يافا" و"غزة" ولم يطيعوه إلا بعد حروب كثيرة، فأرسل ظاهر العمر يستنجد بوالى مصر على بيك، وكان هذا قد عزم على رفع لواء العصيان على الدولة، يريد امتلاك بلاد العرب من عريش مصر إلى بغداد، فجهز له ستة سناجق كبار واستكثر أمير مصر على بيك سنة ١١٨٤هـ ،من جمع طوائف العسكر وأمر بسفر تجريدة إلى الشام وأميرها إسماعيل بيك، وكان أرسل أحد رجاله فقتل سليطاً

(١) " ظاهر العمر الزيدانى : وهو ظاهر بن عمر بن أبى زيدان (١١٠٦- ١١٩٦ هـ) = ١٦٩٥ - ١٧٨٢ م) داهية شجاع ، كان حاكماً على "صفد "معجم الاعلام ص ٣٧١ "

شيخ عربان "غزة" هو وإخوته وأولاده وصلبه"بغزة" . وذكر الجبرتى : " أنه فى منتصف رجب سنة ١١٨٤هـ أمر "على بيك عبد الرحمن أغا" مستحفظان بالسفر إلى ناحية "غزة"، وهى أول حركاته إلى جهة الشام، وأمره بقتل سليط شيخ عربان "غزة" فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو وإخوته وأولاده، وكان سليط هذا من العصاة العتاة له سير وأخبار، وقال فى ترجمة "عبد الرحمن أغا" المذكور أن "على بيك أمير مصر" أرسل المترجم إلى غزة حاكماً، وأمره أن يتحيل على سليط ويقتله، وكان رجلاً ذا سطوة عظيمة، وفجور، فلم يزل يعمل الحيلة عليه حتى قتله فى داره، وأرسل براسه إلى على بيك بمصر، وهى أول نكثة تمت لعلى بيك فى الشام، وبها طمع فى استخلاص الشام" أ.هـ قال وعلى أثر تلك الفوضى وقتل حسين باشا مكى ومن معه، من العسكر أرسل على بيك أمير مصر عبد الرحمن أغا المصرى حاكماً ومحافظاً لبلاد غزة وأمره بقتل سليط الوحيدى شيخ عربان غزة ،لتمردها وعصيانها، وكان ذلك فى سنة ١١٨٤هـ ،ثم فى سنة ١١٨٥هـ أخرج على بيك من مصر تجريدة وأميرها "محمد بك أبو الذهب" ، فلما وصلوا إلى الديار الشامية حاصروا "يافا" ، وضيقوا عليها حتى ملكوها، ثم توجهوا إلى باقى المدن والقرى، حتى استولوا على الممالك الشامية، فخيم أبو الذهب حول مدينة "دمشق" ، وأرسل إلى أهلها كتاباً يشير فيه إلى ما أتاه عثمان باشا، من الظلم والشدة وإهانة الحجاج والزوار وظلم المسافرين والتجار، ويذكر أعماله الفظيعة فى البلاد وما فعله فى العام السابق بعلماء "غزة" من دفنهم فى الأرض أحياء،وأنه أخذ فتوى المذاهب الأربعة بقتاله، فخرج العلماء والعوام من أهل دمشق كافة وطلبوا منه الأمان فأمنهم وأكرمهم، ودخل المدينة وجلس فى دار الوزارة ونادى بالأمان، ولم يتم له الأمر وتخوف عاقبة التمرد على السلطان وكر راجعاً إلى مصر،ثم

أذنت له الدولة بمحاربة "ظاهر العمر"[١] واستخلاص ما بيده من البلاد وخراب بلاده فوصل إلى أرجاء غزة، وارتجت البلاد لوروده، ولم يقف أحد فى وجهه وتحصن أهل "يافا" بها، ولما وصل إلى "يافا" سنة ١١٨٨هـ حاصرها وضيق على أهلها لامتناعهم عليه وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج، وألقى عليهم المدافع والقنابر والمكاحل عدة أيام وليال، حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل ناحية وملكوها عنوة، ونهبوها وقبضوا على أهلها وربطوهم بالحبال والسلاسل، وسبوا النساء والصبيان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد وأعملوا فيهم السيف، وقتلوهم عن آخرهم ولم يميزوا بين المسلم والمسيحى والإسرائيلى والعالم والجاهل والشريف والعامى والسوقى، ولا بين الظالم والمظلوم، وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع، ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع كما فى الخطط وهذه الفظائع لا تقل عن فظائع إسكندر المكدونى، وبختنصر البابلى والتتار والصليبيين، فقد ناب الناس منهم مثل ما نابهم من هؤلاء الطغام، وربما زادوا فى التنكيل والإيلام، ومن ذلك يعلم كيف كانت حالة البلاد فى القرون الأخيرة، ولا زالت الفوضى ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها، تلعب بها الظلمة المستبدين والخوارج والبغاة المفسدين، حتى تغلب فى حدود سنة ١٢٠٠هـ جماعة من الغزاة وعصابة من الأشقياء على مدينة "غزة" و"يافا" و"الرملة" واستبدوا بها، وخرجوا عن طاعة السلطان، وقهروا الحكام وعرفوا بالخوارج الصيادية، ويقال لهم الأغوات والظاهر أنهم من الإنكشارية واستقلوا بها وملكوها مدة أربع سنين، ثم زال تغلبهم وقطع

---

(١) راجع كتاب: "ظاهر العمر وحكام جبل نابلس" (١١٨٥ - ١١٨٧ هـ) : (١٧٧١-١٧٧٣ م) مخطوطة بقلم ابراهيم الدنفى السامرى حققها ، شرحها موسى أبو دية نابلس : جامعة النجاح الوطنية مركز التوثيق والأبحاث ،١٩٨٦ م. سلسلة المخطوطات رقم (١)، ١٩٨٦ (ص٨١). وانظر مقدمة المخطوطة من (ص ٥ ـ ١١).

دابرهم، بعد ما قتلوا وخربوا وسلبوا ونهبوا وطغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد، وما تخلصت البلاد من كارثة حتى وقعت فى أخرى، وما مضى طاغية إلا وحل طاغية، فتولى "أحمد باشا الجزار سنة ١٢٠٥هـ" وظل مقيماً فى "عكا "وبث نوابه فى البلاد، وكان شديداً قاسياً ظالماً طاغياً سفاكاً للدماء لا يُعارض، ولا يُعاند، وقد سام البلاد سوء العذاب، وأراهم أنواع الشدائد والبلاء، وهو بشناقى الأصل من جماعة أمير مصر على بيك هرب إلى الشام، لما قتل مولاه وكان كاشف البحيرة بمصر، فعهد إليه الانتقام من عربها لقتلهم "عبد الله بيك" من مماليك مصر، فأسرف فى القتل فلقب بالجزار[1]، وكان يقتل الكبير والصغير من وزراء وأفندية وعلماء وأغوات، ويدارى السلطان ويرضيه بالمال فيتغاضى عنه، وكان له أعمال من نوع الجنون، حتى أحرق سبعة وثلاثين سرية من سراريه بالنار، وذبح ثلاث عشرة امرأة فى بستانه، بسبب ضمة زهور رآها بيد إحداهن، وكان رآها قبل ذلك بيد أحد مماليكه . .[2].

---

(١) " قال فى الخطط : كان فى جماعة على بيك أمير مصر فلما قتل هرب إلى الشام ثم توجه إلى الأستانة وعين والياً على صيدا وعكا وحكم من ١١٩٠هـ وتولى دمشق بعد ولاية عكا سنة ١٢٠٠هـ ، وذهب مع الحج أميرً فرفع أهل دمشق الشكاوى عليه وبينوا للدولة مساويه فرفع عن ولاية الشام سنة ١٢٠١هـ فحنق عليهم وبيت الحقد بقلبه لهم ثم تولى دمشق ١٢٠٥هـ وظل مقيماً فى عكا وبقى خمس سنين سامهم فيها أنواع العذاب والانتقام وسلسة من المظالم لا حد لها وكان يقتل فى كل سنة جماعة حتى قتل فى السنة الثانية من ولايته ١٦٠ رجلاً خنقاً وقتل فى السنة الثالثة نحو ٦٠رجلاً حتى فزع كثير من السكان وتركوا عيالهم وأوطانهم وكان يصادر أموال الأغنياء والصيارفة على اختلاف مذاهبهم ثم يقتلهم وكم من رجلٍ قتله بعد أن حاذره وكم من بيتٍ خربه وسلب ماله ظلماً وكان يتفنن فى التعذيب وإهراق الدماء بالقتل والحرق وقطع الآذان والأنوف قال (صاحب الخطط - المحقق) : وذكر المؤرخون أن الجزار قبيل وفاته أمر أن يغرقوا من كان فى سجنه فنفذ أمره فقبض على مفتى عكا وإمامها ورئيس مينائها فقتلهم قبراً وظلم جميع أهالى دمشق وسلب أموالهم أ . هـ " هـ . ط ص

(٢) بصدد ترجمة أحمد باشا الجزار وتاريخه وفظائعه انظر :

١ - أعلام فلسطين لمحمد عمر حماده ج١/(ص١٦٢ - ١٦٣) دمشق : دار قتيبة . وراجع ما =

= ورد عنه فى حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرازق البيطار ص ١٢٧-١٣٣ . حققه ونسقه وعلق عليه محمد بهجت البيطار بيروت : دار صادر . (تصوير) . نشرة سابقاً مجمع اللغة العربية فى دمشق فى الخمسينيات (المحقق) وانظر ماورد عنه بالتفصيل فى كتاب :((مصطفى أغا بربر حاكم ولاية طرابلس وجبلة ولاذقية العرب صفحات دفينه خطيره وأبواب وجيهه من تاريخ القرنين ١٨ -١٩ (ص ٥٨ -٦٧). بيروت : دار جروس برس (وفى هذا المصدر فيه ما لايوجد فى غيره من معلومات عن الجزار منتقاة من الأرشيف ومن تقارير وقناصل رجال الدولة الفرنسية وغيرها من الدول) . انظر ما ورد عنه فى تاريخ جبل نابلس والبلقاء (ج١-ص ٢٠٥ - ٢١٥) تأليف إحسان النمر (ط٢ نابلس مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونيه ١٣٩٥ - ١٩٧٥م) . وفى هذا المصدر معلومات مهمه تفيد أن سبب دحر نابليون عن عكا هو نضال واستبسال أهل نابلس فى القتال فقد أجهضوا جيش الغزارة قبل توجهه إلى عكا . وراجع : تاريخ الأمير حيدر بك الشهابى (لبنان فى ظل الإمارة الشهابية ، ج ٤ ص ١١٠٢ - ١١٠٩ علق على حواشيه الدكتور - مارون رعد ، إشراف نظير عبود بيروت : دار الجبل (تصوير) ١٩٩٣ م. وانظر بلادنا فلسطين للدباغ ج ٧ ص ٢٤٧ - ٢٥٦)

حرب الفرنساوى

حرب الفرنساوى

فى سنة ١٢١٣هـ أتى القائد نابوليون بونابرت الفرنساوى بجيشه إلى مصر، واحتلها وفتك بأهلها ومكث فيها سبعة أشهر، ثم سار منها زاحفاً على بلاد الشام عن طريق البر، حتى وصل العريش، فحاصر قلعتها ثمانية أيام وقيل أربعة عشر يوماً، وكان فيها ألف وخمسمائة مقاتل، وكان جيشه ثلاثة عشر ألفاً، وثبت جند القلعة إلى أن فرغت مؤنتهم وبارودهم، فطلبوا الأمان وأن يخرجوا من القلعة بغير سلاح، فأجابهم واحتلها، ثم سار أمير الجيش بعساكره من قلعة العريش إلى "خان يونس"، ومنها إلى "غزة"، ونزل فى الجهة القبلية منها، وكانت عامرة بالبساتين وكروم الزيتون، فقضت العساكر عليها وأبادت أشجارها، واستخلص "غزة" من الغزا[1] عساكر الجزار وضبط قلعتها فوجد فيها حواصل ذخيرة، من بقسماط وشعير وخيام وأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعاً وكللاً وقنابر فحاز الجميع وخرج إلى لقائه جماعة من أهل غزة، وأظهروا له الطاعة ، وطلبوا منه الأمان فأجابهم ودخلها بغير كبير قتال ولم يفتك بها، ولكنه خرب قلعتها التى بناها الصليبيون ، وكانت قلعة حصينة عامرة بالذخيرة والعساكر ، ولها دودار وكتخدا وجربجى ومرتبات، ورأيت فى بعض الصكوك الشرعية أن الحاج مصطفى بن صالح المغربى التونسى كان كتخدا قلعة غزة فى سنة ١١٤٠هـ، قال الجبرتى فى تاريخه: وفى ٢٥ رمضان سنة ١٢١٣هـ ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك ، وهو ١٨ مملوكاً وأربعة من الكشاف كانوا مقيمين بالعريش وصحبتهم ألف عسكرى مغاربة وأرنؤوط ، فجهز لهم الفرنسين الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان

(١) كذا بالأصل.

وأحاطوا بالقلعة ، فحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ، ثم حضر سارى عسكر بمجموعة بعد أيام وشددوا فى حصارهم ، فأرسل من بالعريش إلى غزة يطلبون نجدة وإمداداً ، فأرسلوا إليهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بيك أمين البحرينى ، فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنساوية بها، وأحاط بها وأحاطتهم حولها، فنزلوا قريباً من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل، فاستشهد " قاسم بيك " وغيره، وانهزم الباقون، ولم يزل أهل القلعة يحاربون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة، فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم، ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يوماً وذهب الفرنسيس إلى ناحية "غزة"فكشفوا قبل الظهر عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسون تجاه غزة ورئيسهم الجنرال "إسكندر برتيه" ، وفى ليلة ١٩ رمضان بات العساكر الفرنساوية فى "خان يونس"،وفى الفجر توجهوا سائرين إلى ناحية "غزة" فتوجه إليهم الجنرال مع عساكر الفرنساوية مراراً من خيالة ومشاة، مراده اغتيالهم فلما انتهوا له فروا هاربين، ووقع بينه وبين أطراف العساكر مضاربة يسيرة، جرح فيها شخصان ومات واحد من الفرنساوية، ومات من عسكر المماليك والجزار أناس قلائل؛وحين تشاغل سارى عسكر مراراً بالمقاتلة دخل سارى عسكر " كليبر ""بندرغزة" وملكها من غير معارض له، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخائر، وحاصلاً كبيراً مملوءً بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات مهيئات محضرات كصنع الإفرنج أ.هـ" .

ونادى فى رعيتها بالأمان، وأمر بإقامة الشعائر الدينية، وإكرام العلماء والتجار والأعيان، ثم ترك فيها جملة من عسكره وسار حتى وصل إلى "يافا" فوجد العساكر متحصنين بها، فبنى المتاريس أمامها وأرسل يطلب من حاميتها التسليم، وكانت نحو ثمانية آلاف، فأبت وقتلت الرسول، فأدار عليها المدافع وقوى الصدام، وحمى الوطيس، فقتل من العسكر ما ينوف

على خمسة آلاف، ومن أهالى البلد ألفان، وقيل إنه قتل من أهلها نحو أربعة آلاف، وهلك من عسكر الجزار نحو خمسة آلاف، وهجم الفرنساويون على المراكب التى فى المينا "وأخذوا منها بضائع ثمينة، وبعد حصارها ثلاثة أيام دخلوها بالسيف، وملكوها، ومن الغد أطلق الأسارى والشاميين والمصريين، وقتل جميع الهوارة والأرناؤوط، ووجدوا فى قلعة "يافا" ثمانين مدفعاً، وغنموا منها غنائم كثيرة، وكان مجموع عسكر المسلمين فيها يزيد على اثنى عشر ألفاً، فما سلم منهم إلا القليل، وقتل كثير من النساء والأولاد، حتى جرى الدم فى أسواق "يافا" كما فى الخطط؛ وذكر فى تاريخ فلسطين " أنه أرسل فرقة من جيشه لمهاجمة "يافا" الغاصة بجنود الجزار المؤلفة من عرب وأتراك ومغاربة وأرناؤوط وأكراد وجركس، فحصروا المدينة مدة ثم فتحوها، فانسحبت الحامية إلى بعض الخانات وأبوا التسليم، قبل أن يؤمنهم على حياتهم فأجابهم إلى طلبهم القائد الأفرنسى،فاستأمن له أربعة آلاف، شخص فساقهم إلى المعسكر، ولما رآهم نابليون سأل قائده عن هذه الجموع المحتشدة، فأخبره أنها حامية المدينة التى سلمت إليه أماناً، وقبلهم حقناً للدماء، فبهت وحار فى أمره، وقال ماذا تريدون أن أفعل بهذا العدد أعندكم زاد يكفيهم؟ ألكم مراكب تنقلهم إلى مصر أو فرنسا ؟ومن يتولى خفارتهم إذا أرسلناهم، يجب أن تعطوا الأمان إلى الأطفال والشيوخ والنساء، لا للرجال الأشداء المقاتلين، ثم استشار ضباطه فى قتلهم فخالفوه، ولكنه أصر على رأيه وأمر بهم فقتلهم رمياً بالرصاص فى ١٠ آذار سنة ١٧٩٩م" أ.هـ. ثم ابتدأت الحرب على "عكا" فى ٥ شوال سنة ١٢١٣هـ ،وهدموا أبراجها وأسوارها، فقاومهم الجزار وساعدته من البحر المراكب العثمانية والإنكليزية[1]، وأهلكوا

---

(١) يذكر إحسان النمر فى تاريخ جبل نابلس والبلقاء فى الجزء الأول ص ٢٠٥ : ٢١٥ أن سبب هزيمة نابليون ليس هو الجزار فقط ، بل هو نضال واستبسال أهل نابلس فى القتال حيث أجهض جيش نابليون قبل توجهه إلى عكا.

من العساكر الإسلامية والإنكليزية خلقاً كثيراً وذهب من الأهالى الآمنين ضحية الظلم والطغيان ما لا يحصى عدده زيادة على النهب والتعذيب والحرق والتخريب[1]، ورأيت فى " الفتاوى الحسنية" أنه سئل فى الطائفة الطاغية الفرنساوية؛ حيث جاسوا خلال الديار؛ واستولوا على أعظم الأقطار وهتكوا الأستار وقتلوا الكبار والصغار، فأجاب بأن الجهاد فرض عين، فيتعين على كل مسلم المبادرة مع العساكر المنصورة، إلى قتالهم والثبات عند لقائهم، ويتأكد فرض الجهاد بأمر مولانا السلطان نصره المنان، فمن تأخر استحق عقوبتين لتقصيره فيما فرض الله تعالى ولمخالفته أمر السلطان الواجب الامتثال، ومن هنا أفتى العلماء بتعزيره التعزير اللائق به من عقوبة، وبعد ذلك بادرت الناس من أهالى البلاد القريبة والبعيدة، وأهالى الجبل، وانضموا إلى عساكر الجزار، وجاهدوا فى العساكر الفرنساوية حق الجهاد، حتى ردوهم على أعقابهم خاسرين، ووقع الطاعون فيهم، وهلك بعض قوادهم على أسوار عكا مع ثلاثة آلاف وخمسمائة جندى، ومات منهم فى الطاعون وعلى الطريق ما يزيد على الألف، ورجعوا مقهورين مكسورين وما وصل منهم غير القليل، ولم يكن للجزار من الفضل والعمل المشكور غير حزمه وثباته فى حرب الفرنساويين، وقتل أهل البلاد منهم فى حال رجوعهم جملة كبيرة، ونهبوا ما معهم جزاء وفاقاً وقد حقق الله بذلك ظن العلامة الشيخ حسن العطار المصرى حيث قال فيهم:

"إن الفرنسيس قد ضاعت دراهم فى مصر مـا بين حمـار وخمـار

وعن قريب لهم فى الشام مهلكة يـضـيع فيهـا لهم آجـال أعمـار

(١) "حتى قال الأمير حيدر الشهابى فى تاريخ لبنان : وحصلت أهوال تشيب منها الأطفال وأحرقت عدة قرى بجبل نابلس وتغلب الفرنساويون غير مرة ثم حصل فيهم الطاعون ومات منهم خلق لا تحصى والحروب قائمة على مدينة عكا ليلاً ونهاراً إلى أن ارتدوا منهزمين فى ١١ ذى الحجة سنة ١٢١٣ وقبضوا على السيد يحيى مفتى مدينة يافا وأربعة آلفاً من التجار " هـ. ط ص٩٦ .

ثم أرسلت الدولة العثمانية فى أثرهم الوزير المعظم يوسف باشا المعدنى المغازى، سارى عسكر جيوشها "بالأوردى الهمايونى"[١]، وما زال يسير ويجمع العساكر من البلدان حتى وصل إلى مدينة "غزة" فى شهر رجب سنة ١٢١٤هـ ثم وجه عسكراً أمامه إلى "العريش" ، وكان الفرنساوى ترك جملة من عسكره بها لتقوية عسكرها، وحمايتها وتوجه فى أثرهم ففتحها فى نحو خمسة أيام، ثم سار إلى مصر[٢] وقاتل الفرنساويين قتالاً شديداً، إلى أن وقع الصلح وخرجوا منها فى سنة ١٢١٦ هـ، وكانت مدة تصرفهم بمصر ثلاث سنين، وقد ازداد الجزار بعد كسره الفرنساوى تيهاً وكبراً وعتواً وجبروتاً وظلماً وعسفاً، وقتل كثيراً من العلماء والأشراف والكبراء بغياً وعدواناً، حتى أراد قتل مفتى الشام، فهرب بعياله إلى حلب؛ فأرسل له من يلقى إليه السم فى القهوة، ولكنه لم يشرب منها لمرض، فشرب من كان عنده؛ فمات أكثرهم وقتل متسلم "غزة" "على أغا أبو مرق " وأولاده، لكونهم قاموا بخدمة الوزير الأعظم يوسف باشا المعدنى، الذى قدم بالجيش العثمانى لطرد الفرنساوى من مصر سنة ١٢١٦هـ، وقدموا له كثيراً من المهمات، فتقربوا عنده وكان ذلك من موجبات إضعاف سلطته، لأنها كانت ممتدة من العريش إلى الشام، وكان يطمع فى ولاية "دمشق" فسلخت عنه "غزة" و"القدس" و"الخليل" وما يلحق بها؛ وعين لها " محمد باشا أبو مرق "ورشح لولاية مصر، فزاد ذلك فى غيظه، وأصيب بعلة شديدة نذر من جهله وحمقه إن شفاه الله منها ليذبحن أربعين رجلاً من ذوات البلاد وأعيانها،وكتب أسماءهم

(١) وهو الفرمان الذى يحرره السلطان العثمانى بخط يده ويكون منه على درجة كبيرة من الأهمية، كما يطلق عليه اسم "خط شريف" أو "الإرادة الشريفة" . انظر: فهرس الأرشيف العثمانى ص ٤٧١ فهرس شامل للوثائق المحفوظة بدار الخلافة فى استانبول. نشر فى عمان بالمشاركة مع مركز الأبحاث فى استانبول.

(٢) "ودخلها فى ربيع الأول سنة ١٢١٦هـ ودخل صحبته إبراهيم باشا المحصل ومحمد أبو مرق وغيرهم أ. هـ ص ٩٦

وأمر كاتبه الخاص بعدها، فبلغت تسعاً وثلاثين فقال له اكتب اسمك تمام الأربعين، فكانت هى القاضية فأرخ العلامة "ابن عابدين" هلاكه بقوله:

هلك الجزار ولا عجب ومضى بالخزى وبالإثم

وبمهلكه البارى عنا أرخ قد كف يد الظلم

سنة ١٢١٩هـ ١٠٤ ١٠٠ ١٤ ١ ١٠٠

الموافقة سنة ١٨٠٤م، وأقام الوزير الأعظم تابعه ومخدومه " سليمان باشا الكرجى " أميراً على الحج الشامى[١]؛ عوضاً عن سيده " أحمد باشا الجزار" الذى ترك له بظلمه القاسى وعسفه الشديد فى التاريخ صحيفة سوداء ودفن بساحة الجامع الذى أنشأه "بعكا"، وجعل فيه مدرسة علمية ومكتبة قيمة وقبره بداخل غرفة كبيرة بخيمتين[٢]، قال فى الخطط : " ولم يكف فلسطين ما حل بها من ظلم الجزار ثم وقائع " بونابرت "،حتى قام " محمد باشا أبو مرق " يسومها العسف والخسف ويجور على أهل "البيت المقدس" ومدينة "الخليل" و"غزة" و"الرملة" و"لد" و"يافا"؛ مما لم يقع مثله؛ حتى اضطر

---

(١) كانت قافلة الحج الشامى إحدى قافلتين رئيسيتين فى الدولة العثمانية القافلة الأخرى هى قافلة الحج المصرى وقد أوجدت عام ٩٦٣هـ ، ١٥٥٦هـ قافلة ثالثة، هى قافلة الحج اليمنى وقد لعبت دوراً هاماً فى تاريخ دمشق وبلاد الشام بعامة من النواحى السياسية والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والدينية وكانت لها أهمية خاصة فى الدولة العثمانية لأن السلطان العثمانى منذ فتحه حلب فى عام ١٥١٦ م، اتخذ لقب حامى أو (خادم) الحرمين الشريفين، واقتضى ذلك تأمين سلامة الحجاج لزيارة الحرمين الشريفين ، كما أن انتقال العلماء والأفكار، وكذلك التجار ورؤوس الأموال ، من دمشق وإليها ، إبان فترة الحج ، كانت له آثاره الواضحة محلياً وفى الدولة العثمانية ككل) . انظر بهذا الصدد بحث الدكتور عبد الكريم رافق بعنوان " قافلة الحج الشامى وأهميتها فى العهد العثمانى ضمن كتاب بعنوان بحوث فى التاريخ اقتصادى والاجتماعى لبلاد الشام فى العصر الحديث. دمشق/ كلية الآداب جامعة دمشق . ص١٩٣ - ٢١٠.

(٢) " معقودة بالحجارة ومكتوب عليه : هذا قبر المرحوم المحتاج إلى غفران الواحد : الغازى الحاج أحمد باشا الجزار- عليه رحمة العزيز الغفار- فى ٢٧ محرم سنة ١٢١٩هـ ، وخلفه قبر مملوكه الذى ولى الحكم بعده ، ومكتوب عليه أنه توفى سنة ١٢٣٤هـ وتاريخ إنشاء الجزار سنة ١١٩٦هـ وتاريخ السبيل سنة ١٢٠٨ كما هو مكتوب عليه " هـ . ط ص٩٨ .

السادات الأشراف الأبرياء لكثرة مظالمه أن يبيعوا أملاكهم وأولادهم؛ كما تباع العبيد والجوارى؛ ولكن الدولة أرسلت إليه من قطع رأسه، ثم عين "سليمان باشا الكرجى" ـ من مماليك الجزار ـ سنة ١٢٢٠هـ والياً على عكا، فأقام حاكماً على "يافا" و"غزة" محمد أغا أبو نبوت أحد مماليك الجزار ، وجدد جامع يافا، وجعل له أوقافاً، وبقى حاكمها إلى أن طمع بالاستقلال فيها وعندما تحقق الوالى " سليمان باشا " ذلك ركب إليه بالعسكر، فهرب إلى مصر ثم إلى الأستانة؛ وشفع فيه الشافعون، فنال رتبة الوزارة[١] إلى أن توفى سليمان باشا المذكور فى عكا سنة ١٢٣٤هـ وتولى "عبد الله باشا ابن على باشا، كتخذا سليمان باشا الخزندار الكرجى " وكان أمير الحاج الشامى فى سنة ١٢١٤هـ كما ذكره الجبرتى، وتقلد ولاية الشام وغيرها قبل "عكا" وعزل عنها، وقد عينته الدولة لولاية الشام فى سنة ١٨١٩م بعد وفاة " سليم باشا "،الذى خدم خمسة عشر عاماً، ومنحته لقب الوزارة والبشوية كما فى تاريخ " مشهد العيان "[٢]، وكان يوقع إمضاءه هكذا : " أمير الحاج السيد عبد الله والى "الشام" و"صيدا" و"طرابلس" ومتصرف ألوية "غزة" و"يافا" و"نابلس" و"سنجق" "القدس" الشريف حالا" وكانت أهل "دمشق" قويت على واليها سليم باشا حتى قتلته، وعظمت الفوضى واشتد الظلم بالبلاد، فأرادت الدولة أن تضرب على يد عبد الله باشا" لتسببه فى وقعة المزة، فأمدت والى "دمشق" بوالى حلب وأذنه ليتعاونوا على ضرب والى عكا، فساروا إليه فتحصن فى "عكا" بألفى جندى فحاصروه تسعة

(١) " وجاء فى المحفوظات الملكية المصرية أنه فى سنة ١٢٢٥ كتب محمد على باشا إلى الباب العالى يشكو سليمان باشا والى صيدا وأنه على اتصال بالمماليك يمدهم بالمشورة ويحرضهم عليه لأنه منهم ويرى بأن مصلحة الحجار تقضى بإبعاده عن منصبه فلم تلفت للشكاية عليه ولا زالت ترقيه بالوسائط . " هـ . ط ص ٩٧ .

(٢) " وطلب من الدولة إيالة عكا فوجهت عليه جميع الإيالات المحلولة من سليمان باشا وصارت قضاه والى صيدا وطرابلوس وصور ونابلوس ولواء غزة ويافا حالاً " هـ . ط ص ٩٨ .

أشهر بلا طائل، مع أنهم كانوا ستة عشر ألف جندى، ولما عجزت الدولة عنه وأصبح فى يده ـ حقيقةـ معظم القطر الشامى، عفت عنه ورتبت عليه خمسة وعشرين ألف كيس، "والكيس الرومى عشرون ألف نصف فضة وكل خمسة وعشرين نصفاً بدرهم"ـ وهى تساوى نصف مليون ليرةـ وذلك بوساطة والى مصر محمد على باشا ودفع عنه للدولة ستين ألف كيس غرامة اقتصها منه لترضى عنه، وكان خازنه " إبراهيم أغا خزندار " و " على أغا خزندار" ومن ذلك ترى الفوضى ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها، الولاة تخرج عن طاعة الملوك وتعصى دولتها وتعتدى على أقرانها، وتفتك بنظرائها، والرعية لذلك ترى الخروج عليهم وعصيانهم، ويستطيلون على بعضهم ويستحلون دماء أنفسهم وأموالهم وأغراضهم، والضعفاء يذهبون ضحية الظلم والسياسة الهوجاء التى تسير وراء الغاية والطمع والحرص والغرور والجشع، وفيها ثار عربان التياها والترابين مع أهالى لواء "غزة" ضد متسلمها وحاكمها وواليها، وطرد بعض موظفيها، فأرسل الوالى مرسوماً لإنذارهم وتهديدهم ونصحهم وتذكيرهم، وصورته كما هى مدرجة فى المحفوظات الملكية المصرية[١]:

"قدوة النواب المتشرعين - نائب غزة هاشم حالاً أفندى - زيد فضله- وافتخار العلماء الكرام المأذون بالإفتاء أفندى زيد علمه وفرع الشجرة الزكية قائمقام نقيب السادة الأشراف أفندى زيد شرفه وقدوة الأماثل والأقران ميرالاى زيد قدره ومفاخر أقرانهم علماء وخطباء وأئمة وسائر وجوه البلدة وأرباب التكلم بوجه العموم يحيطون علماً أنه طرق سامعنا بهذا الأثنى[٢]

(١) المحفوظات الملكية المصرية هى مجموعة من وثائق ومحفوظات أسرة محمد على حتى عهد فاروق قام بفهرستها وتحقيقها وتوثيقها الدكتور أسد رستم. طبعت فى المرة الأولى فى أربع أجزاء ثم أعيدت طباعتها فى المكتبة البوليسية فى بيروت فى خمسة مجلدات، الخامس هو فهرس (مفتاح) لهذه المحفوظات، سنة ١٩٨٧، ونشرت ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أسد رستم.

(٢) بدلاً من هذه الأثناء واللهجة عامة كما هو واضح .

أنكم تظاهرتم بالعصيان لطرفنا وصار بينكم وبين عرب "التياها"[١] و"الترابين"[٢] اتفاق وبذلك الوقت كان افتخار الأماجد والأعيان متسلمنا فى لواء "غزة" و"يافا" و"الرملة" ولد حالا حسين أغا زيد مجده مرسل لطرفكم وكيل من طرفه على الكمرك فطردتموه وسحبتم أعناقكم من قلادة الإطاعة فقوى استغرابنا هذا الحال، كون إيالة "يافا وغزة والرملة" وتلك النواحى بالكافة لنا ببراءة مخلدة بيدنا مدة حياتنا، كذلك لله الحمد ما وقع عليكم ظلم وتعدى يوجب منكم هذا الفساد الذى وقع بل الأموال الميرية من قديم الزمان وسالف العصر والأوان بورود جناب شيخنا " الشيخ محمد أفندى سكيك"[٣] المحترم، لطرفنا سمحنا منها بمقدار وافر مرحمة للفقراء وتلطفاً بالرعايا. وبعد هذا كله لله الحمد عساكرنا وافية كما تعلمون وتتحققون أن لواءهم دائماً منصور ولا يتوجهوا إلى محل إلا والنصر أمامهم، وربما بلغكم ما حصل فى الخاسر درويش باشا وأعوانه بالوقعات المتعددة، وهى وقعة راشيا وجسر بنات يعقوب و" المزة " التى فى أبواب الشام، وحصره داخل قلعة الشام والمولى تعالى كان يعطينا قوة واقتداراً إلى دخول عساكرنا لنفس الشام وأسره وأسر من يلوذ به، ولكن مرحمة بالفقراء وصيانة

---

(١) التياها: موطنها الأصلى الأراضى الواقعة بين قضاء الخليل والبحر الميت، إلى الشمال والشمال الشرقى من مدينة بئر السبع، ويقول شيوخها إنهم يرجعون فى نسبهم إلى قبيلة بنى هلال، وقُدر عدد أفراد هذه القبيلة فى صيف عام ١٩٤٦ باكثر من ٢٥ ألف نسمة. انظر: كتاب "النقب والقبائل البدوية فى فلسطين" ص ١٨٥، تأليف: توفيق أبو معيلق. دمشق، مطبعة ابن خلدون، ط١/ ١٩٩٠م.

(٢) الترابين: هى أكبر القبائل فى النقب عدداً، وأغناها أرضاً، والرأى الراجح أن أصل قبيلة الترابين يعود إلى جدهم عطية من منطقة بقم الحجاز من قريش، وكانت منازلهم فى وادى تربة شرقى مكة وأخذوا اسم الترابين نسبة إلى هذا الوادى، وإن جدهم عطية جاء إلى سيناء قبل ٧٠٠ عام تقريباً، وهو مدفون فى التيه مع والديه لجم وحسبل، وقبورهم ما برحت مجمع العربان فى سيناء حتى يومنا هذا. أ. هـ. نفس المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) بصدد ترجمة "الشيخ محمد سكيك" انظر قسم التراجم (مج٤/ص٢١٤/ ترجمة رقم ١٦٩).

العرض ولئلا تتعطل مصلحة الحج الشريف عدلنا عن دخول الشام، وأمرنا عساكرنا بالقيام منها والرجوع إلى جسر بنات يعقوب، ومنتظرين فقط خروج ركب الحج الشريف وقيامه من دار المزاريب لجانب المقصود بوقتها بحوله تعالى، يحصلون على كمال الخسران وأنتم إن وجدتم ناسًا رعايا وضعفاء وهذه المادة ما حصلت منكم، إلا من عدم تبصركم بالأمور لكونها مادة تصير سبباً لإباحة دمكم، وعرضكم وما لكم وتصيروا عبرة لمن اعتبر، فلزم الآن إخباركم بذلك لكى تعلموا وتتحققوا أن عساكرنا - بحوله تعالى وافرة مكملة العدة والعدد ومتأهبة بهذه المرة للانتقام من كل طاغٍ وباغٍ ومتعدى الحدود وأيديهم على براجق السيوف، وعلى الخصوص مع الاتحاد والاتفاق الواقع الآن بيننا وبين سعادة والدنا الدستور الوقور الأكرم، والمشير الأفخم إلى الديار المصرية حالاً الحاج "محمد على باشا" الأعظم، وإظهار زيادة ميله وحبه القلبى لطرفنا فتأكيداً لذلك أرسل قبل تاريخه طلب توجيه "كتخدانا"[(١)]

(١) جاء فى معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص ٣٦٣ ما يلى : كتخدا : لفظ تركى فارسى أصله: كدخدا ، معناه : رب الدار ، أصبح فيما بعد لقباً بمعنى : حاكم أو عمدة اطلق على أمراء الأقاليم فى الدويلات الإسلامية التى نشأت فى الشرق ، وفى العهد العثمانى اعتمد هذا اللقب رسمياً فأصبح يطلق بصفة أساسية على كل معاون أو مساعد للموظف الكبير فى الدولة ، فعلى مستوى السلطنة مثلاً كان للصدر الأعظم معاون يعرف بلقب : كتخدا بك أفندى ، وعلى مستوى كل ولاية كان إلى جانب الباشا كتخدا يعتمد بتسيير أمور الولاية فى كثير من الأحيان . ورد ذكره فى بعض المصادر باسم: كتختا ، وأحياناً : كيخيا أو كخيا . أما على مستوى الإنكشارية فقد ارتبط هذا اللقب بالمعاون الأول لآغا الإنكشارية ، وكان يرمز إليه بلفظ كتخدا سى ، أو قول كتخدا سى ، له صلاحيات اغا الإنكشارية نفسه تقريباً وقد لعب الكتخدا عبر تاريخ الانكشارية دوراً بارزاً فى تشكيلات فرقهم وطوائفهم ، وكان من حقه الإشراف على من دونه من الرتباء والمحافظة على أصول وقواعد الإنكشارية وتقاليدها ، لذلك فإنه كان ينتقى من بين أكثر الشخصيات خبرة فى شؤون الأوجاق ، وهو من حيث الزى واللباس قريب من أغا الإنكشارية باستثناء لباس الرأس . ألغيت هذه التسمية واستعيض عنها بتسميات أخرى فى إطار خطة الإصلاح العثمانى التى اعتمدتها الدولة بدءاً من عهد السلطان محمود الثانى ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م. وراجع ما ورد عنه فى تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ص١٧٦. تأليف: د. أحمد السعيد سليمان .

لعنده لأجل يوقفه على زيادة ميله وحبه القلبى لطرفنا فتأكيداً لذلك أرسل قبل تاريخه طلب توجيه كتخدانا لعنده لأجل يوقفه على زيادة ميله وحبه الأكيد لطرفنا ويحقق لنا ذلك بالمواجهة، ومن بعد الاتكال على واحد أحد قبل تاريخه بيومين سيرنا ولدنا كتخدانا المومأ إليه لطرف سعادة المشار إليه إن شاء الله تعالى، قريباً يحضر كتخدانا من ذاك الجانب، ويتضح للجميع اتحاد الحال بيننا وبين سعادة المشار إليه، ومن المعلوم مهما طلبنا عساكر من جانب سعادته لا يمنع تسيارهم، وتصبحون أنتم فيما بين أرجل عساكر سعادة المشار إليه ، وبين أرجل عساكرنا وتندمون حيث لا ينفع الندم، فها نحن عاملناكم بالرفق والمرحمة لقول القائل : " من حذر فقد أنذر " والمراد أن تجمعوا كباركم وعقلاءكم، وأفنديكم وعلماءكم واختياريتكم وتتلوا مرسومنا هذا علناً وتمعنوا النظر به، وبالحال تلقوا القبض على الشقى " الخائن مصطفى كاشف " ، وترسلوه "ليافا" لعند متسلمنا المومأ إليه تحت الحفظ، وتقدموا مراسم الطاعة لطرفنا وتتعاطوا أشغالكم وأعمالكم وتكونوا براحتكم، وبهذا تغتنموا حفظ دماءكم وأموالكم وأعراضكم، فإن فعلتم ذلك وهو المتقدم ذكره بإلقاء القبض على "الخائن مصطفى كاشف" وقدمتم أنفسكم للطاعة لطرفنا وتركتم هذا الحال فعليكم أمان الله، ورأى الله ورأى جدنا الأعظم رسول الله ﷺ[1] ثم رأينا وإن أبيتم وعلى غيكم تماديتم فها هى عساكرنا المنصورة مهيأة للقتال، وأيديهم على براجق السيوف كما ذكرنا وعساكر سعادة والدنا المشار إليه تحت طلبنا، وحينئذ لا أمان عليكم ولا رأى ﴿ **والله يقول الحق وهو يهدى السبيل** ﴾[2] فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا، من ديوان دار الجهاد محروسة "عكة" المحمية بوصوله تدققوا فى معناه وتتجنبوا مخالفته

---

(١) يمتد نسب المذكور بالرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤

وتعتمدوه غاية الاعتماد. تحريراً فى ٨ شوال سنة ١٢٣٧هـ "

عدد	محفظة	رقم
٩٠	٨	٤٦

عبد الله باشا

والى الشام وصيدا وطرابلس

ومتصرف ألوية غزة ويافا ونابلس وسنجق القدس[١]

وجاء فى المحفوظات الملكية المصرية أيضاً؛ أنه فى سنة ١٢٣٨ هـ حصلت حركات وفتن بين عبد الله باشا ووالى الشام وغضبت عليه الدولة بسبب أنه سعى بإحضار نسافتين نمساوتين ونسافة إنكليزية؛على مينا "عكا" ولكن محمد على باشا ساعده وسعى مع الباب العالى بإبقائه بمنصب الوزارة، ثم سعى لتوجيه ألوية "يافا وغزة والرملة" إليه[٢]، كما تفيده تحريرات ٢٩ شوال سنة ١٢٣٨هـ، ومن ذلك يعلم مقدار انتمائه لأمير مصر واعتزازه به ومساعدة الآخر له، ثم شذ عنه وعاكسه، حيث أن الفوضى واشتداد الظلم فشا فى الأقاليم، حتى عم بلاد مصر فى عهد محمد على باشا، ولما ضاقت نفوس بعض فلاحى الشرقية بمصر من أعنات عماله بالجندية والضرائب، لم يسعهم إلا أن هاجروا إلى جهات "غزة" ملتجئين إلى والى"عكا" المذكور، وكان عددهم ستة آلاف، فطلب منه محمد على باشا إرجاعهم خوفاً من كثرة عدد من يتبعهم إلى الشام، وكانت البلاد الشامية فى حاجة إليهم لكثرة الأراضى وقلة المزارعين، فامتنع الوالى من ذلك ولم يجب طلبه بدعوى أن الإقليمين

(١) انظر: المحفوظات الملكية المصرية للدكتور أسد رستم، (مصدر سبق ذكره) ١/ ٣٧ .

(٢) انظر: المحفوظات الملكية لأسد رستم، بيروت: منشورات المكتبة البوليسية مجموعة الدكتور أسد رستم، ط٢، ١٩٨٧م، ١/ ٥٧ .

تابعان لسلطان واحد[١]، فاستشاط محمد على غضباً خصوصاً وهو الذى استرضى خاطر الدولة عليه، ودفع عنه ستين ألف كيس فاتخذ عزيز مصر من ذلك حجة لفتح بلاد الشام[٢].

* * *

(١) " وفى تاريخ جبل نابلس أرهق محمد على باشا المصريين بالضرائب والتجنيد فاضطر كثير منهم لاسيما أغنياء بلبيس على الرحيل إلى فلسطين فنزلوا فى غزة ويافا ونابلس ونزل غيرهم سائر القرى ورحب بهم عبد الله باشا والى عكا وأعطى الفلاحين الأراضى والقرى الخالية من المزارعين ومنهم للأسر الآتية : القمحاوى والعزيزى والقطب وغزالة وعميرة والعش وحجاب وأبو العافية وأبو طبيخ وخشانة والمصرى البلبيسى والحتاوى وأبو لبن وأبو جبنة وعرفة والشيخ على وأبو جياب والأعوج " هـ . ط ص ١٠٠ . راجع : تاريخ جبل نابلس والبلقاء تأليف : إحسان النمر ، (ج٣ ص ٣٤٧) . وورود هذا الهامش الذى أورده الطباع باختلاف عما ورد فى الكتاب المنقول عنه : (تاريخ جبل نابلس والبلقاء) والذى ورد هو الآتى : " ومنهم الأسر الآتية : القمحاوى ، والعش ، والقطب ، والعزيزى ، وأبو طبيخ ، وأبو العافية وعميرة ، وحجاب ، وغزالة ، والمصرى ، والبلبيسى ، وخميص ، وخشانة ، وقد نزل بعضهم كالعش وأبى العافية فيما بعد فى يافا) ج ص٢٤٧ . (لاحظ الاختلاف فى النقل لدى الشيخ الطباع).

(٢) بصدد اجتياح محمد على باشا لبلاد الشام وتحرشه بوالى عكا أورد إحسان النمر الآتى :
" احتاج محمد على باشا فى إيجاد الجيش والأسطول وإخماد العصيان فى نجد وكريد واليونان إلى الأموال والرجال الكثيرين ، فأرهق المصريين بالضرائب وأفقدهم عدداً كبيراً من أبنائهم فاضطر كثيرون منهم لاسيما أغنياء بلبيس على الرحيل من مصر إلى سوريا فنزلوا فى غزة ويافا ثم جاء أغنياؤهم البلابسة إلى نابلس ونزلوا ضيوفاً على أحمد اغا النمر فآواهم وأسكنهم فى دوره إلى أن اشتروا دوراً سكنوها وحوانيت اشتغلوا فيها فشجع ذلك المصريين على الرحيل إلى جنوب سوريا فطلب محمد على باشا من عبد الله باشا والى الإيالة منعهم وإرجاعهم فرفض وأجاب محمد على باشا جواباً قاسياً فاتخذ محمد على باشا هذا السبب ذريعة للاستيلاء على سوريا وقد بلغه عدم رضا البلاد عن سياسة عبد الله باشا ، وكان أهالى البلاد لا سيما أهالى جبل القدس وجبل نابلس يتوقعون عدم رضا السلطان عن فصل البلدين عن إيالة الشام وتوقعوا إرسال جيش لتأديبه فلما دخل الجيش المصرى قوبل بالترحيب واتصل به آل عبد الهادى فتغيرت حالة البلاد كلياً " . انظر تاريخ جبل نابلس والبقاء لإحسان النمر ج ١ ص ٢٤٧ . نشر فى دمشق (الطبعة الاولى) مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٨ م . فى أربعة مجلدات ثم أعيد نشرة - طبعة ثانية - فى نابلس سنة ١٩٧٥ وقامت بنشره مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية.

حملة إبراهيم باشا المصرى

حملة إبراهيم باشا المصرى

بينما كانت البلاد فى فساد واضطراب، وواليها يعمل فكره ويصرف جهده فى توطيد الأمن، وقمع الفتنة وتأديب العصاة والأشقياء حتى جاء فى المحفوظات الملكية "[1] أنه فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٧هـ ورد تحرير إلى عبد الله باشا يفيد وصول رؤوس أشقياء "غزة" إلى "الأستانة" ويصف تدحرجها على المذلة أمام الباب الهمايونى، وورد إلى والى الشام يخبره عن نجاح السلطة بتأديب الأشقياء فى "غزة" وعن ورود رؤوس بعضهم إلى الأستانة، وسرور السلطان من ذلك، إذ أحدق بها خطر كبير وحلق بها شر مستطير؛ حيث أمر فى نفس تلك السنة سنة ١٢٤٧هـ عزيز مصر بإعداد جيش لفتح بلاد الشام، والسفر إليها عن طريق العريش، وطريق البحر فى آن واحد؛ لمحاصرة "عكا" من جهتين، وعين ولده إبراهيم باشا قائداً تاماً للجيوش، وسليمان بيك الفرنساوى قائمقام له؛ وجند ستة إيالات من المشاة، وأربعة من الفرسان ومعهم أربعون مدفعاً، وكثير من مدافع الحصار الضخمة، وما يلزم لذلك من الأعتاد والمؤن، فوصل إبراهيم باشا مع الأسطول إلى "يافا" وفتحت له "غزة" و"يافا" و"القدس" و"نابلس" وكان أهل "حيفا" يبلغون آنذاك ثلاثة آلاف نسمة، و"عكا" أشهر مدن الشام بحصانتها؛ وفيها خمسة آلاف مقاتل فدام حصارها سبعة أشهر تحاصرها من البحر بوارج حربية مسلحة بالمدافع الكبيرة؛ ومن البر ثلاثون ألف جندى؛ وبعد فترة قليلة تمكنت الدولة من تجنيد عشرين ألف مقاتل بقيادة والى حلب عثمان باشا، فترك

---

(١) انظر: المحفوظات الملكية المصرية لأسد رستم، بيروت: منشورات المكتبة البوليسية مجموعة د. أسد رستم، ط٢، ١٩٨٧م، ١٣٢/١ .

إبراهيم باشا قسماً من الجيش على "عكا" والتقى فى ضواحى "حمص" بالقسم الآخر مع الجيش العثمانى، فأبلى المصريون بلاء كبيراً، حتى أوصلوا العثمانيين إلى العاصى، غرق فيه كثير منهم، واختفى عثمان باشا، ثم احتل إبراهيم باشا "بعلبك" وعاد إلى "عكا" وشدد عليها الحصار؛ ففتحها بمعاونة العرب والدروز والموارنة الذين أتوه بأنفسهم طوعاً، بعد أن ظهر على الأتراك فى "حمص"، فتحت بضرب المدافع ثلاث ثغرات من سور "عكا" واستمر القتال بالسلاح الأبيض فاستسلمت حاميتها، وأخذ واليها عبد الله باشا أسيراً، وكتب إبراهيم باشا إلى والده فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٧هـ صار الهجوم على أسوار "عكا" والاستيلاء عليها وتحويل مدافعها على القلعة الداخلية، والهجوم المعاكس فالهجوم الثانى، فخروج العلماء لطلب الأمان وخروج عبد الله باشا منها إلى قصر البهجة، ثم إرساله فى ٢٨ ذى الحجة إلى الإسكندرية عن طريق "حيفا" بحراً محفوظاً، وقد كنا كلفنا وكيل الباشا المذكور الكتخدا بأن يظل هنا ليشرف على أحوال حرمه وتوابعه، ولكن الباشا استولى عليه خوف شديد وتبع وكيله باكياً ، وقال : إما أن يقطع إبراهيم باشا رأسى وإما أن يسمح لوكيلى بالسفر معى، وصار يتضرع ويبكى فتقرر أن يسافر معه على السفينة التى جاءت بقائمقام الطوبجية إلى حضرتكم السامية أ.هـ. "

ولا زال بمصر إلى أن سمح له واليها بالإقامة بالمدينة المنورة فسافر إليها وبقى بها إلى أن توفاه الله تعالى .

ثم تقدم إبراهيم باشا بعساكره فى البلاد، وفتح الأسطول المصرى سواحل الشام "كصور" و"صيدا" و"بيروت" و"طرابلس" و"اللاذقية" وقصد "دمشق" فدخلها بعد قتال طويل، وسار إلى "حماة" "فحلب" فملكها من غير قتال، ثم جاء "أنطاكيا" و"عنتاب" واستولى على حصن "إسكندرونة"

و"بانياس" و"بيلان" بعد مقتلة عظيمة، واجتاز جبال طوروس ولما بلغ الدولة العثمانية ذلك غضبت، وأرسلت إلى محمد على باشا تأمره بإرجاع العساكر، والكف عن العصيان وأنه إذا كان بينه وبين والى "عكا" نزاع ودعوى يقدمان إلى الباب العالى، فيحكم بينهما فلم يمتثل لأوامر دولته، وطمحت نفسه لضم بلاد الشام إلى مصر، فأصدرت الدولة فرماناً بعصيان محمد على باشا وسلخ ولاية مصر عنه، وجهزت العساكر لقتاله فالتقى الجيش العثمانى بالجيش المصرى فى سهول "قونية"، فانهزم الأتراك ووقع القائد رشيد باشا أسيراً فى أيدى المصريين، وما زال يتقدم فى الأناضول حتى وصل كوتاهية، وأراد أن ينزل بورصة وتوفى السلطان محمود سنة ١٢٥٥هـ، وخلفه ولده السلطان عبد المجيد، وقبل معاونة دولة إنكلترا، وتدخلت الدول العظمى، وأزمعت على إجلاء الجيش المصرى عن الشام بالقوة، إن لم ينجل مختاراً، وتوسطت له بالصلح مع الدولة، وأرضت محمد على بتقريره على ولايته، وقد كانت ولايته على مصر سنة ١٢٢٠هـ على أن تنتقل إلى ذريته .

وقد أثرت تلك الحملة على البلاد، وأضرت بها، وحينما وصل الجيش المصرى "لغزة" سنة ١٢٤٧هـ، نزل بظاهرها من الجهة القبلية، فخرب ما بقى من أشجار الزيتون والكروم، كما فعل الفرنساوى قبله، ثم دخل "غزة" وأخذ منها عسكراً وذخيرة، وكان بها بيعة لليهود، وهدمها ونقل حجارتها إلى "عسقلان" على أمل أن يبنى سورها ويعيده كما كان، فلم يوفق لذلك، ثم رحل عنها وترك فيها جملة من عساكره، والظلم والاضطراب ظاهر فى أنحاء البلاد، ورأيت فى المحفوظات الملكية بتاريخ ١٥ ربيع الآخر سنة ١٢٥٠ هـ كتب متسلم "غزة" الشيخ سعيد المصطفى إلى محمد على باشا " أنه بحسب الإرادة الشريفة و " السر عسكر " توجه صحبة الأوردى المنصور إلى الخليل، وأنه بسطوة سعادة الخديوى المعظم والسر

عسكر جمع المخالفين، وحصلوا على ترتيب الجزاء التام وتحرك الركاب الشريف بالعساكر الظافرة إلى "الكرك" لتأديب عربان "غزة" وغيرهم، من الثوار الذين التجأوا إليها، ثم يفيد أنه بموجب الإرادة الشريفة قام هو إلى "غزة" وصدرت الإرادة الكريمة بتحويل متسلمية "يافا" إلى داعيكم ولدنا الشيخ مصطفى أ.هـ. "[1] وكان يفعل مثل ذلك فى سائر البلاد التى يأتى عليها، ويستولى على ذخائرها ومؤنها، وارتعدت منه أهاليها واختل الأمن بها، وساءت إدارتها لأنه كان قاسياً جباراً شديد البطش سفاكاً للدماء، وكان يقول لا أرجع حتى أملك إستانبول[2] قال فى خلاصة التاريخ: " إنه أخذ من شباب البلاد عدداً كبيراً ونسقهم فى الجندية المصرية جبراً " وطهر فلسطين وسوريا من العصاة، وشنق كثيراً من رؤسائهم فى "القدس"، وكان قد انتفض عليه أهالى جبل "الخليل" و"القدس" و"نابلس" وقتلوا عدداً ليس بقليل من عساكره؛ فطلب من أبيه قوة عسكرية، وحاربهم بهم حتى أذلهم،

---

(١) انظر: المحفوظات الملكية المصرية لأسد رستم، بيروت: منشورات المكتبة البوليسية مجموعة الدكتور أسد رستم، ط٢، ١٩٨٧م، ٢/ ٤٤٠ .

(٢) " وفى تاريخ مصر الحديث : أصدر محمد على باشا أوامره لابنه إبراهيم باشا أن يضرب الجندية على كل فرد بدون تمييز بين الجنسية والديانة وأن يجرى التجنيد الإجبارى ، ويأخذ كل ما يحتاج إليه الجيش وأن ينزع السلاح من السكان فتذمر الأهالى وثاروا عليه فى سنة ١٢٥٢ هـ وأحدثوا فتنة تفاقم خطبها وامتد لهيبها فى طول البلاد وعرضها وقاومه الثائرون مقاومة عنيفة فى طرابلس وعكا وجبال لبنان ونابلس والقدس والخليل حتى حضر محمد على باشا إلى الشام لتسكين الفتنة وكان عدد الجيش ٦٢ألف جندى يتبعهم عشرون ألفاً من النساء والأطفال ، ثم أرسله بعد ذلك بزمن يأمره بإخلاء بلاد الشام ، وحزن حزناً شديداً لأن مركزه أصبح حرجاً جداً ولم يتمكن من إرسال النجدات إليه فأرسل سليمان باشا إلى العقبة وسار هو ومن معه إلى أن وصل غزة وقد هلك أثناء هذا التقهقر ثلثا من معه من الجند وكثير من المستخدمين الملكيين ولاقى الجيش فى سيره عناء شديداً إذ كانت الأعراب تتخطفه من أطرافه ، وأهل البلاد يناوشونه حتى كان يضطر إلى محاربتهم من آن لآخر ولم يبق من جيشه عند وصوله لغزة غير عشرين ألفاً لم يتمكن منها من الإبحار لمصر إلا فئة قليلة والباقى سار عن طريق البر مشاة وفرساناً " هـ .ط ص١٠٢ .

وقتل أهالى مدينة "الخليل" من ابن اثنتى عشرة سنة فما فوق[١]، وتوجه إلى "الكرك" فحاصرها حتى أخضعها لسلطانه[٢]، وبقى فى بلاد الشام عشر سنين حتى هزمته الدولة، ورجع مقهوراً فى سنة ١٢٥٦هـ بعد أن فرق ذخائره ومتاعه على المساجد والجوامع وبيوت الأرامل والأيتام، وأخذ معه جميع الحبوب والمواشى، بعدما هلك ما لا يحصى من الخلائق، وتفرقت عساكره وتشتت جموعه، وهرب العسكر الذين جمعهم من أهالى البلاد بما معهم من الذخيرة والأمتعة، وتأخر فى البلاد من عساكره عدد كبير، ونهب من تبعه فى خروجه وكان يقول: " حرقنى نفس السلطان عبد المجيد " وانتهت هذه الحملة النكراء ببؤس ليس عليه مزيد، ثم تنازل له والده عن ولاية مصر فتولاها سنة ١٢٦٤ هـ ولم تطل مدة ولايته حيث توفى فى حياة أبيه فى ١٣ ذى الحجة سنة ١٢٦٤، وقد أرخ وفاته الشيخ شهاب بقوله:

صبراً على ما قد مضى   إذ لا مخلص من قضا

كيف التصبر والمنا   يا ذات عضب منتضى

أردت بإبراهيم مذ   بلغ المقام المرتضى

(١) "قال فى المستدرك على المعجم عند ذكر حبرون وفى سنة ٥١٣هـ استولى عليها صلاح الدين الأيوبى وفى سنة ١٢٥٠ أطلق عليها المدافع إبراهيم باشا المصرى وفتحها عنوة " هـ. ط ص ١٠٣.

(٢) " وفى تاريخ سوريا وفلسطين للأستاذ سعيد الصباغ : أنه أمر بتنظيم الدرك والمحاكم ، وكان قاسياً فى جباية الضرائب وفى تسخير السكان فى الأعمال الحربية وفى إجبارهم على الخدمة العسكرية واحتكر بعض الصناعات المتعلقة بالجيش لذلك قامت عليه الثورات فى أماكن كثيرة من البلاد السورية لا سيما فى دمشق وجبل الدروز ولبنان وعكا ونابلس فأقلق ذلك محمد على فحضر من مصر إلى فلسطين ومعه جيش جديد ليساعده على إخماد ما قام من الثورات الخطيرة، وقد ندم ابراهيم باشا على ما فرط منه من قساوة ، وأدرك أخيراً الفرق بين طاعة الفلاح المصرى الطاعة العمياء وبين عناد السوري والفلسطيني ونزعته إلى الحرية والاستقلال وقد أشار على والده بالعدول عن ذلك فلم يجب طلبه على التجنيد الإجبارى ، وهو لا يفيد فى الحروب بل يضر لأنه مجرد عن الإخلاص والشعور والعقيدة " هـ . ط ص ١٠٣ .

وإليـــه آل الأمر فى	حكم الأيالة وانقضى
فمضى وقلت مؤرخاً	الله يرحم من مضى
سنة ١٢٦٤	٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠

وتوفى أخوه طوسون باشا[1] سنة ١٢٣٠هـ، ومات أخوه إسماعيل باشا حرقاً سنة ١٢٣٧هـ، وتولى بعده عباس باشا بن طوسون؛ ولم يمكث محمد على بعد توليه غير بضعة أشهر، كان فى أثنائها منحط القوى العقلية والجسمية لشيخوخته، ومات فى ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥هـ عن ٨٥ سنة، وبذلك انتهت حياة هذا الرجل العظيم، وفى هذا القرن وقعت اضطرابات ومذابح فى البلاد بين الموارنة والدروز، وبين المسلمين والنصارى والأرمن، وبين النجديين والحجازيين، وبين اليمنيين والدروز والأتراك، وبين الوهابيين والمهديين[2] والدولة العثمانية والمصرية، وبين قبائل البدو والحكومة، وبين عشائر العرب مع بعضهم، وربما تجاوز شرهم إلى القرى والمدن، وقطعوا الطريق وأخلوا الأمن، وأكثروا من النهب والسلب والقتل سيما عرب التياها والترابين، والحناجرة حتى أرسلت الدولة لهم ثريا باشا متصرف "القدس" بقوة عسكرية فأدبهم سنة ١٣٠٣ هـ ثم عادوا فى سنة ١٣١٠ هـ فأرسلت لهم طابوراً من العساكر الشامية بقيادة الميرالاى رستم باشا، فنهب مواشيهم وقتل أشقياهم، وحبس شيوخهم وزعماءهم، وجلد وضرب وشهر بهم ونكل، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

* * *

(١) عمر بن طوسون: عمر بن طوسون بن محمد بن سعيد بن محمد على (١٢٨٩-١٣٦٣هـ= ١٨٧٢-١٩٤٤م). مؤرخ باحث من الأمراء السابقين بمصر. راجع: معجم الأعلام، تأليف: بسام عبد الوهاب الجابى، ص٥٤٨ .

(٢) " والإنكشارية والمماليك " هـ . ط ص ١٠٣ .

الحرب العامة
وما ناب غزة فيها

الحرب العامة وما ناب غزة فيها

فى أواخر سنة ١٣٣٢هـ اتفقت الدولة العلية العثمانية، مع دولة ألمانيا والنمسا وسدت غار[1] الدردنيل، وألغت الامتيازات الأجنبية فى جميع البلاد العثمانية، وأخذت فى التجنيد العام من تولد سنة "١٢٨٠ هـ" لغاية "سنة ١٣١٦هـ"، وأعلنت الحرب على الدول المتحالفة إنكلترا وفرانسا وروسيا، وجمع الجيش بين الفتى والشاب والشيخ والكهل والمسلم والمسيحى والمدرب وغيره، حتى زاد على مليون واستولت الدولة على أرزاق الرعية، وأرهقت البلاد بالتكاليف الحربية؛ وجمعت ما لا يحيط به الوصف من سائر المواد الغذائية، والكمالية والألبسة والأدوات السفرية والحيوانات المتنوعة؛ وشحنت به الأنابر فى سائر الجهات ؛وتساوى بذلك الغنى والفقير، وتعطلت الأسباب واضمحلت التجارة وتأخرت الزراعة خصوصاً "بغزة" وقضاها.

وفى سنة ١٣٣٣هـ زحف الجراد "لغزة" من جهة الشرق والشمال، وعم البلاد وأباد غالب المزروعات وأضر الأشجار وبقى مدة -رغماً عن شديد المقاومة له من الحكومة والأهالى- حتى صرفه الله بعد أضرار وخسائر جمة.

وفى " سنة ١٣٣٤ هـ " حصل وباء وموت كثير بأمراض متنوعة فى الرجال والنساء والأطفال، بسبب الغلاء وسوء الغذاء وفساد الهواء، وصار الفقراء يقتاتون من الأعشاب والترمس والقشور والجيف، فأحدثت فيهم الأمراض الفاتكة ومات أكثرهم بالجوع، وفى آخر السنة المذكورة شرعت الحكومة والعسكرية بفتح شارع "بغزة" من الغرب إلى الشرق، وأخذت فى

(١) " غار الدردنيل : هو مضيق الدردنيل "

هدم المحلات المتينة والأبنية الجسيمة، ومسحت القبور المقابلة لمزار الشيخ شعبان، وهدمت أكثر جامع الوزير بسوق الخضرة وما والاه من الحوانيت والدور، حتى اتصل الهدم بخان الزيت فقسمه الشارع نصفين، ولحق الناس ما لا مزيد عليه من الغصة والحسرة، عندما شاهدوا الهدم والتخريب بمحلاتهم ومساكنهم بالقهر والسطوة من غير رحمة ولا مفاوضة ولا تعويض، وفيها صار إعدام كثير من العساكر شنقاً ورمياً بالرصاص لفرارهم من الخدمة العسكرية، كما شنق كثير من أعيان البلاد العربية بسبب طلبهم من الدولة الإصلاح قبل الحرب، واستنصارهم بالدول الأجنبية، وغربوا كثيراً من الوجوه لبلاد الأناضول، وكان الأتراك يسيئون الظن بالعرب ويضمرون لهم العداء، حتى أصر الاتحاديون على إبادتهم أو تتريكهم بنقلهم إلى بلاد الأتراك، ونقل الأتراك إلى البلاد العربية، وفى "سنة ١٣٣٥هـ "أمر ناظر الحربية وقائد الجيش والحملة على مصر" أحمد جمال باشا " بتغريب جماعة من أهالى القدس والخليل ويافا وغزة، فكابدوا من ذلك أنواع الشدائد، ومن فر منهم صار قبضه وإعدامه.

وفى ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ حضر "لغزة" متصرف القدس، وقومندان الفرقة التى بالشلالة، وبلغا حكومتها وأهاليها أن جمال باشا قد قرر جعل "غزة" خطاً حربياً وأمر بإخلائها وترحيل جميع أهاليها فى ظرف يومين، ولو زحفاً على الركب، وأن كل من تأخر منهم يصير حرقه وحرق داره وأمتعته، وأرسلوا منادياً يعلم الناس بذلك ليلاً، فصار الناس فى هم وكرب عظيم، أنساهم سائر الهموم والشدائد التى مرت عليهم فى سنى الحرب، وعم الحزن والبكاء وكثر الضجيج والعويل لعزة الوطن، وعجزهم عن الرحيل، وذهاب رجالهم وثروتهم وعدم المواصلات وأسباب التنقلات، وتمنوا الموت من هول ما لاقوه وفظائع ما عاينوه، فرحل جميع أهالى "غزة"

بحالة تفطر الأكباد، إلى القرى القريبة من "غزة" طمعاً فى قرب عودتهم إليها؛ وتركوا أكثر موجوداتهم وأثاثهم فى دورهم، فصارت العساكر تكسر الأبواب وتنهب ما فيها، والحكومة اقتفت آثار الأهالى فى القرى فرحلتهم منها إلى "حمص" و"حما "ومات أكثرهم بها غماً وجوعاً، ولم يوجد من يرثى لحالهم ويخفف من ويلاتهم ومصابهم بل لم يوجد من يغسلهم ويكفنهم ويصلى عليهم ويدفنهم، وإنما كانوا يرمونهم بثيابهم فى الآبار المهجورة رمى الجيف، ومنهم -وقليل ما هم- من رحل إلى "الرملة" و"اللد" و"القدس" و"الخليل" و"نابلس" و"دمشق" ثم إن العساكر الأتراك أعادوا الكرة على "غزة" فلم يتركوا باباً إلا خلعوه ولا سقفاً أو جداراً فيهم حديد أو خشب إلا هدموه؛ ونقضوه حتى خلعوا منابر الجوامع وبددوا الكتب والمصاحف الموثوقة بها؛ والكتب الموجودة بدور أهل العلم والفضل، وأخذوا منها ما أخذوه وباعوه بقيمة زهيدة لا توازى مؤنة حمله؛ وأصبحت "غزة" وأهاليها بحالة يرثى لها، وجرى عليها ما لم يسبق له نظير، وكانت رحلتى إلى مدينة "الرملة" فسافرت منها إلى "غزة" عن طريق "الفالوجة" ثم "المحرقة" لتحقق ما بلغنى عنها ومشاهدة ما حل بها، ونقل ما تركته فيها من مكتبتى النفيسة، فدخلتها مع المخاطرة فى يوم الأحد الموافق ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥هـ، والمدافع من الأسطول الإنكليزى وجيشه تتوالى قذائفها على العساكر العثمانية التى كان مقرها خلف جبل المنطار، فرأيت حالتها تبكى العيون وتفطر الأكباد مدينة خالية خاوية على عروشها لا يقع النظر فيها إلا على خراب؛ وأنقاض من كل جانب بها شرذمة من العساكر يلتقطون بقايا أمتعتها وأساسها ويهدمون الأسقفة والجدران لأخذ ما فيها من الأخشاب والكرميد والحديد، والخروع ويقطعون الأشجار من الكروم والبساتين والبيارات، ويسرحوا الدواب والخيول فى المزروعات؛ ورأيت أوراق المصاحف

والتفاسير وكتب الحديث وغيره مبعثرة فى سائر الطرقات، ومنها ما هو ملقى فى القاذورات، فتذكرت بذلك واقعة الأندلس ووقائع التتار؛ وما بها اقترفوه ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾[1]، فخرجت منها لهفاً وبكيتها حزناً وأسفاً وحمدت الله وسلمت وقلت فى ذلك وتصبرت:

إذا ضاقت الدنيا وحاق بنا الردى ... وخيمت البلوى بكل المصائب

تدرعت بالصبر الجميل وإنه ... لعدتنا فى حادثات النوائب

فيا قلبُ لا تجزع لفرط مرارة ... تطول أسى فالصبر حلو العواقب

إلى الله أشكو إن شكوت لكربة ... تحل عبرها يا عظيم المواهب

ثم توجهت إليها ثانية وانتظرت سكوت المدافع حتى تمكنت من دخولها فى يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٣٣٥هـ، فقصدت " القومندان " المقيم بها بتحريرات من قومندان "الرملة"؛ فآنسنى ورحب بى، وأرسل معى نفراً من العسكر ليساعد من كان بصحبتى على استخراج بقية كتبى؛ من مخبأها ويحافظ علينا، حتى نخرج منها فطفت بعض شوارعها فوجدت التخريب قد زاد بها وعم سائر منازلها من توالى قذائف المدافع؛ واجتهاد العسكر الأتراك على الهدم بهمة لا يعتريها فتور لم يتركوا بيتاً إلا خربوه، ولا جداراً فيه خشبة إلا لأجلها نقضوه، ومن سوء تدبيرهم أنهم وضعوا معظم الجبخانة[2] فى بيت الجامع الكبير الأثرى التاريخى فسلط العدو عليه القذائف حتى خربه ودمر منارته، التى كانت لا نظير لها، وانفجرت الجبخانة فيه، فقضت عليه،

(١) سورة الأنعام آية ١١٢ .

(٢) " الجبخانة: اصطلاح عسكرى من العهد العثمانى يقصد به مستودع السلاح والذخيرة " (انظر: تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ص١٢١) مصدر سبق ذكره . " وقد جاء تعريف آخر لها فى القاموس التركى حيث أن معناها : فرقة أو كتيبة من الجيش " . انظر القاموس التركى ص٤٩٦ (قاموس تركى كافية اصطلاحات عربية وفارسية وأجنبية / مؤلفى : ش. سامى . إستانبول دار سعادت ١٣١٧هـ .

﴿ليقضى الله أمراً كان مفعولاً﴾[1].

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وقد خرجت أسفاً ولحالها المحزنة راثياً وقلت:

يا راحم الخلق ، يا رب العباد
ومن عليه فى كل أمر حل معتمدى

اشكو إليك أموراً لست أحملها
وقد تضاعف عن صبرى لها جلدى

نهب وهدم وترحيل ومضيقة
وكل بأس وهى من بؤسه جسدى

هذى المصائب لا شىء يعادلها
صبت على الكل كل الهم والنكد

قفوا على غزة وابكوا مرابعها
وارثوا لجامعها المنقض ذى العمد

صالت بها نار أهل البغى مضرمة
من القذائف تعلوها بلا عدد

وخرب الترك ما فيها وكان بهم
خرابها ، وعفا عمرانها بيد

وأصبحت بعد ذاك الأنس موحشة
كأن لم يكن فى الحى من أحد

(١) سورة الأنفال آية ٤٢ .

ومن نظر أعمالهم المنكرة وتصرفاتهم المستهجنة، وسوء تدبيرهم واضطراب سياستهم وفساد داخليتهم وتنفير رعيتهم قضى بفشلهم وخسارتهم، فكأنهم ما جيشوا جيوشهم ولا حشدوا عساكرهم إلا لتدمير البلاد وإهلاك أهلها، لا لحرب العدو ومقاومته واسترجاع ما سلب من بلادهم، حتى أن الضباط الأتراك كانوا يقولون نخرب البلاد حتى لا يأخذها الإنكليز عامرة، ونأخذ ما فيها خير من أخذ العدو له ومنهم من قال نحن لا نريد فتح مصر فقط بل فتح الهند فقيل له إن شاء الله فقال إن شاء وإن ما شاء، ولذلك ارتدوا على أعقابهم خاسرين، عندما هاجموا ترعة مصر فى مساء الخميس الموافق ٢٠ من ربيع الأول سنة " ١٣٣٣هـ "، وأمرهم جمال باشا بالرجوع، وأعلن بأن ذلك اكتشاف ومناوشة فقط، ولم يكن الغرض الحرب بهذا الزحف، وقد خسروا بقذائف الأسطول والطيارات والمدافع الرشاشة ما يزيد على أربعة آلاف جندى أكثرهم من العرب، ومات لهم فى الطريق زيادة عن عشرين ألف جمل، وفقدوا كثيراً من المهمات والذخائر، وصار الإنكليز بعد الغارة التى قام بها الجيش العثمانى على قنال السويس يعملون على تعزيز مركزهم حول القنال، وينظمون خطوط الدفاع تنظيماً محكماً؛ وأخذوا يفكرون فى الزحف على العريش؛ لاحتلال العثمانيين لها وقدروا القوة التركية التى يمكن للأتراك حشدها بمائة ألف جندى، وقد اضطر الترك لوضع بعض قواتهم فى "كليكيا"، للمحافظة على خطوط المواصلات بين الأستانة والبلاد العربية؛ وكانت الموصلات مع فلسطين أحسن وأسرع من غيرها، وأرسل الألمان قوة ألمانية نمسوية إلى فلسطين لمساعدة الترك وكانت عظيمة التدريب ولم يبدأ الإنجليز بالزحف على فلسطين، إلا بعد أن مدوا السكة الحديدية من القنطرة إلى الصحراء، ومعها مواسير الماء وحولها المراكز العسكرية لحمايتها[1]،

(١) "كان الخط الحديدى ومواسير المياه يمتد مع الجيش وتيسرت لهم المواصلات براً وبحراً فى آخر =

وزحفت الجنود العثمانية من " بير العبد " إلى "رمانى" بقيادة "فون كرس" و" قدرى بيك"، رئيس أركان حرب وبعد المناوشة مع الإنكليز تمكن من ردهم واضطر الترك إلى إخلاء موقع " بئر العبد" فى ١٢ آب سنة ١٩١٦م، وقد خسر الترك ما لا يقل عن أربعة آلاف أسير وألفى بندقية وخمسمائة جمل ومائة حصان وأما القتلى فيقدرون أنها لا تقل عن خمسة آلاف، وأما خسائر الإنكليز فهى بتقديرهم لا تقل عن ألف ومائة جندى، بين قتيل وجريح وبتراجع الترك عن رمانى زال كل خطر عن قنال السويس، وأصبح الإنكليز هم الذين يهاجمون القوات التركية، ولضعف القوة انسحب الأتراك عن العريش واحتلها الجيش الإنكليزى بدون مقاومة، ثم زحف الجيش الإنكليزى على رفح، وكان الأتراك متحصنين فى مركز منيع فى المفروستين وحصلت فيها وقعة أسر فيها طابور واحد، وقومندانة يطلب المدد فلم ينجد ودام الحرب وتوالى الضرب بينه وبينهم يوماً كاملاً، وعساكر الشلالة والشريعة و"السبع" و"غزة" تسمع ذلك فلم يتحرك إليه أحد منهم، حتى سلم بعد ما خسر الإنكليز ٤٨٧ بين قتيل وجريح ثم استولى على "خان يونس" وزحفت عساكره إلى وادى "غزة". وحضرة القائد جمال باشا يعمل فكره فى الانتقام من العرب، وترحيل أهالى البلاد من أوطانهم وتغريب

= آذار سنة ١٩١٦ م ، بلغت سكة الحديد خان يونس وصارت تتقدم إلى غزة وكانت القوات الإنكليزية تقدر بمائة وخمسين ألف جندى إنكليزى بقيادة الجنرال موراى قائد القوات الإنكليزية بمصر وستة آلاف هندى وثلاثة عشر ألف عامل مصرى ، والقوات التركية بمصر وسوريا لا تزيد عن خمسة وخمسين ألف جندى عثمانى ، ثم بلغ مجموع العساكر التركية فى جبهة غزة اثنتى عشرة فرقة معظمها من الأتراك، وقوة الإنكليز تزيد عليها فى كل موقع زيادة كبيرة؛ لأنه ضم إليه دولة إيطاليا وأمريكا وبذلك رجحت الكفة وظهرت الغلبة على ألمانيا ومن معها وتأمن الاستيلاء على البلاد العربية. . . شريف مكة الحسين بن على وقطعوا له العهود والمواثيق على استقلالها وتوجوه ملكاً عليها فجمع جيوشاً كبيرة، وحارب هو وأولاده الأمير على والأمير فيصل والأمير عبد الله وطردوا العثمانيين من بلاد الحجاز ، وزحف الأمير فيصل على سوريا "هـ. ط ص ١٠٧".

أناس وشنق آخرين، وقد امتد خط الحرب من ساحل البحر، عن موقع الشيخ عجلين والرمالة إلى ما وراء المنطار، و"المحرقة" و"الشريعة" لغاية "بئر السبع" والإنكليز بوادى "غزة" أمامهم، وقد أفرغوا وسعهم فى حفر الاستحكامات، ووضع الطوابى على طول الخط المذكور، ووضعوا فيها معظم الحديد والأخشاب التى انتزعوها من "غزة" وتحصنوا بها، ولما كان "فونكرس" لا يعرف أى نقطة سيهاجمها الإنكليز، وليس لديه القوة الكافية لصيانة الخط، فقد احتفظ بمعظم قواته لتوجيهها إلى أى نقطة يتهددها الهجوم، وكان القائد الإنكليزى "موراى" ينتهز الفرصة للهجوم، وبعثت إليه وزارة الحربية بالكتيبة ٧٤ وثلاث كتائب من المشاة، وعهد بالأعمال الحربية إلى السير" شارل دويل"، وتقرر إنجاز الغارة فى مرحلتين الأولى لاحتلال وادى "غزة" وتحصينه فى أثناء ليلة ٢٥ و ٢٦ آذار، والثانية قيام الخيالة بتطويق "غزة" ومهاجمتها من الشمال والشرق، وقد حاولوا ذلك وكادوا يتوفقون إليه حتى صار الماجور تلر قائد الأتراك فى قنوط، وأبلغ فونكرس باللاسلكى اقتراحه الاستسلام . ولكنهم أنهكهم الإعياء ونالهم اليأس فارتدوا وعادوا إلى الوراء ثلاثة أو أربعة أميال، وبادر الأتراك إلى نجدة رجال الحامية، وقد أدهشتهم الحركة التى بدرت من الإنكليز وحملتهم على التراجع، وذلك أنه بيوم الاثنين ٤ جمادى الثانية سنة ٣٣٥ حضرت قوة كبيرة من الإنكليز لوادى "غزة" من جهة البر، وزحفت لتطويق مدينة "غزة" كما أنه خرجت قوة لا يستهان بها من البحر من بين قرية "هربيا" و"بيت لاهيا" وأحاطوا بالجيش العثمانى المقيم "بغزة" وما حولها، فأمر جمال باشا قواد العساكر أن ينسحبوا بانتظام لباب وادى "القدس" وخالفه القائد الألمانى تلر بيك، وقال لا يمكن الانسحاب بانتظام بل لا بد من الحرب، وحرض العساكر على المثابرة على الحرب والثبات فيه والتحم القتال واشتد النزال وقامت الحرب

على ساقها جميع ذلك النهار إلى اليوم الثانى، وكانت قذائف المدافع والطيارات من الفريقين كرش المطر، ويزيد عليها عمل الأسطول الإنكليزى من البحر، وجاء للأتراك المدد من جهد "الشريعة" و"الحمامة" و"السبع" و"الرملة" وتظافروا وتكاثروا وحملوا من كل جهة حملة منكرة على الإنكليز وأحاطوا بهم، حتى قتلوا منهم "رغماً عن إرادة جمال باشا" نحو ثمانية آلاف، وملئوا الجامع الكبير من الأسرى، وغنموا كثيراً من المدافع والأسلحة والذخائر والخيل والمهمات، وفر الباقى "ولو تتبعوهم لقبضوا عليهم بلا مقاومة" وأذيع فى ذلك الوقت أن الإنكليز كسر كسرة عنيفة، وأن الخسائر الإنكليزية بلغت أربعة آلاف، والتركية ألفان وأربعمائة وخمسين بين قتيل وجريح، ثم فى ١٧ نيسان عاودوا الهجوم ولزم الأتراك جانب الهدوء بشكل غريب، وظلت المدافع تقذف قنابلها من البر والبحر، حتى استولوا على المنطار بيد أن الأتراك لم يلينوا فى المقاومة، وأصلوا الإنكليز طول النهار ناراً حامية خارت بها قواهم وأصيبوا بخسائر فادحة، بلغ عدد القتلى والجرحى منهم ٦٤٠٠ وهكذا منى الهجوم الثانى على "غزة" بالفشل المريع أشد من الفشل الأول وعبثاً، استبسل الإنكليز فى محاولتهم الثانية للاستيلاء على "غزة"، وكانت أكبر معركة وقعت فى جبهة فلسطين، وقام جنود الأتراك فى دفاعهم ببأس شديد وصدمة قوية، ذبحت الإنكليز ذبحاً منكراً قال فى المصادر التركية وبلغت خسائرهم من ١٧ إلى ٢٠ نيسان ٦٤٤٤ وسترت جثث قتلاهم فى ساحات المعركة وجه الأرض، وخسروا أيضاً ٢١٢٩ حيواناً وأسروا نحو من مائتى جندى تركى، مع أن عدد القوة الإنكليزية بلغ ٤٨٨٤٥ جندياً وبلغت الخسائر التركية ٢٠١٣ ما بين قتيل وجريح ومفقود، وكان ذلك هو السبب الرئيسى فى تبديل القيادة العامة الإنكليزية فى مصر، فقد اعتبروا فشلهم أمام "غزة" أمراً خطيراً وانتكاساً عظيماً يهدد مركزهم

ويضر نفوذهم فى البلاد العربية، فأبدلوا القائد العام موراى بالجنرال اللنبى الذى رافقه النجاح بعد ذلك فى زحفه على فلسطين، وذكرت المصادر الألمانية أن الجنود العثمانيين خصوصاً العرب منهم عرب فلسطين تمكنوا من صد الزحف الإنجليزى على غزة مرتين مع قلة مواردهم وسوء حالهم واضطراب نظام الإعاشة عندهم "وليس من السهل إنكار هذه الظاهرة فقد اعترف الإنكليز أنفسهم بثبات الجنود العربية وصرحوا" بأنهم يستطيعون المقاومة فى المراكز المنيعة بقوة خارقة خيبت لهم أكثر الآمال من كسر الجيش العثمانى واحتلال فلسطين وسوريا والعراق .

ولكن كانت الثورة العربية التى اشتعلت فى الجزيرة، وتحالف الإنكليز وفرانسا مع الشريف حسين أكبر عامل فى إثارة الآمال الإنكليزية وتحقيق غايتها[1]، وكان احتلال العرب للعقبة ونسفهم للسكك الحديدية ظاهرة لفتت أنظار العالم عامة والإنكليز خاصة، ولذلك ربطوا التحالف معه بتعهدات وثيقة أعطوها للملك حسين باستقلال البلاد العربية، وتحقيق وحدة العرب وعليه صار ولده فيصل بمن معه من رجالات العرب يحاربون بالجيش العربى مع الإنكليز جنباً لجنب، وقد حصل خلاف داخلى بين الأتراك، وسبب تأخير الإمداد عن فلسطين حيث لم يكن بها سوى ٤٦ ألف جندى وقرر القائد اللنبى أن يقود قواته بنفسه وأن يشرف على الحركات الحربية بشخصه، وخدع الأتراك بأنه يريد أن يهاجم "غزة" راساً فحصنوا جهة "غزة" فقط فهاجم اللنبى بجيشه ناحية "السبع" وطوق الجناح الأيسر فى "غزة" كما كانت المدفعية فى البر والأسطول فى البحر قبل الهجوم بأربعة أيام تواصل

(١) " وقد كان العرب يطالبون الدول التركية بالاستقلال فرأى أمير مكة أن الفرصة قد سنحت له فاعلن فى ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ الاستقلال وثار العرب على الترك بمكة وسيروا الحامية التركية وقتل من قتل وكذلك ثار ابنه الأمير فى عرب المدينة الموالين لأبيه وأثرت هذه الثورة فى جيش الأتراك المؤلفة أكثريته من العرب " هـ . ط ص ١٠٩ .

ضرب المراكز الحصينة كى يمزقوها تمزيقاً بمدافع لا تقل عن ثلاثمائة مدفع[1]، فاحتلوا السبع فى ٣١ تشرين أول وانسحب الأتراك بسرعة حينما أدركوا الحيلة فى خطة الهجوم، واحتلوا "غزة" فى ٢ تشرين ثانى سنة ١٩١٧ ولم يوفقوا لاحتلال "غزة" إلا بعد أن أخلاها الأتراك، وانسحبوا منها بعد مضى خمسة أيام من المعركة دافع عنها الأتراك دفاع الأبطال، وتم الانسحاب بمعرفة القائد التركى رأفت بيك، وتركوا وراءهم ألفى أسير وخمسمائة قتيل، واحتلوا البلاد بعد ذلك بدون مقاومة، وكانوا يتوقعون مقاومة شديدة إذا بهم يجدون الأتراك يتركون مراكزهم وينسحبون عنها، وتركوا طريق "القدس" مفتوحة لهم حتى قالت المصادر الإنكليزية إن استسلام "القدس" فى التاسع من كانون الأول كان أمراً غير منتظر عند قوات الجنرال شتورد التى كانت تتقدم نحوها ،وقد كان قائد القوة التركية أمرها بالانسحاب وإخلاء "القدس" من الجند لضعفهم عن المقاومة، وفقدوا القوة المعنوية وانكسرت قلوبهم، ودخل الجنرال اللنبى القدس فى ١١ كانون أول سنة ١٩١٧، ولما وصل إلى بابها، ترك سيارته ودخلها على قدميه وخلفه أركان حربه وبعض ضباطه، وقال اليوم انتهت الحروب الصليبية، وأعلن فيها الأحكام العرفية، وأعلن أن الأماكن المقدسة تظل محترمة؛ والقوانين المتعلقة بها تظل نافذة وحض الناس

---

(١) "وجاء فى المحفوظات الوطنية أن الضرب توالى على غزة وما حولها من البر والبحر مدة أربعين يوما كان يسمع دويها من الرملة والطيارات عملت عملها وأفرغت جهدها بقصد إبعاد الجيش العثمانى عن استحكاماتها المنيعة وهو ثابت لا يتزلزل وكانت الغلبة له وأسر منهم فى هذه المعركة كمية كبيرة سفروها إلى القدس والشام وبلغ مجموع الأسرى لغاية ٢٠ رجب ١٣٣٥ هـ خمسة آلاف أسير ومع ذلك لم ييأس قواد وضباط الإنكليز بل كانوا بفوزهم عاملين على ما يوجب لهم النصر والظفر يكرمون عساكرهم ويرفهونهم ويتحببون إلى أهالى البلاد ويلاطفونهم ويمنعون العساكر من الشدة والقباحة والفحش والخيانة والاتداء والإساءة مع من يلاقونهم أو يمرون عنهم بعكس ما كان عليه جيش الأتراك من الظلم والإرهاق لأهالى البلاد وللعساكر بما ليس فى طاقتهم سيئ العرب منهم وقدموهم فى جهات الحروب حتى هلك منهم نحو أربعمائة ألف (هـ. ط. ص ٢١٠ .

على العودة إلى أعمالهم، وقدر الإنكليز فى تلك المدة الماضية خسائر الأتراك بخمسة وعشرين ألف قتيل وجريح، واثنى عشر ألف أسير خلاف الذخائر والأعتاد والمؤن، وبقيت السكك الحديدية نحو ستة أشهر تنقل لجهة مصر الذخائر والأدوات والمعدات، وأما الخسائر الإنكليزية فإنها حسب تقديرهم لا تزيد عن ثمانية عشر ألفاً وإن صح ذلك فيكون خلاف الخسائر التى لحقت جيوش الدول المحاربة معها، وقد هلك منها أرزاق وذخائر لا تحصى، وفى المحفوظات الوطنية زجت الأتراك بجيوشها التى حشدتها لتحارب مع ألمانيا، وأضعفت بذلك قوتها فى البلاد العربية وانكسرت قوتها المعنوية بانكسار ألمانيا، وقوى بأس الإنكليز فاستكمل قوته وغير قيادته وجهز حملته وهجم من ناحية "بئر السبع" حتى وصل إلى "تل الشريعة" و"غزة" فى يوم الاثنين الموافق ١٨ محرم سنة ١٣٣٦هـ، وقد...[1] الأتراك من هذه المواقع قبل وصوله إليها بدون مقاومة، وصار يتقدم فى قرى "غزة" والأتراك يتأخرون بسرعة وانزعاج ويتركون وراءهم كثيراً من الذخائر والجبخانة، والمهمات والأرزاق وحرقوا بعض الأنابر التى جمعوها من الأهالى وشحوا بها على عساكرهم وساقوا الأهالى وشحوا بها عساكرهم، ونهبوا بعض القرى التى فى طريقهم وساقوا معهم ما وجدوه من مواشيهم، والإنكليز يدخل بدون أذى للأهالى ولا تعرض لشىء من أرزاقهم حتى احتل "الرملة" و"اللد" و"يافا" فى يوم الخميس الموافق ٢٩ محرم سنة ١٣٣٦هـ، ثم احتل "الخليل" يوم الأربعاء ٢١ صفر واحتل "القدس" يوم السبت ٢٤ صفر سنة ١٣٣٦هـ بلا حرب، ولا أدنى مقاومة لأن الحكومة الملكية حين شعرت بتقدمه رحلت منها وتركت البلاد، ولو طال لها الأمر لرحلت عموم الأهالى

---

(١) (المحقق) هنا السياق غير كامل والأرجح أن تكون الكلمة الناقصة هى وقد خرج الأتراك من هذه المواقع .... إلى آخر النص.

منها، وأخلتها تماماً وكذلك القوة العسكرية تنحت عنها، ولم تتحصن بتلك الجبال الشاهقة، والحصون الطبيعية وسمعنا من العساكر المصرية : " أن الأتراك لو ثبتوا نصف ساعة فى الدفاع عن البلاد، لارتد الإنكليز عنها ويئس منها لأن المدافع غير المهاجم، وكان جيشه خليطاً من الإنكليز والفرنساويين والأستراليين، والطليان والأمريكان واليهود والهنود والمغاربة والسودان والمصريين، وامتلأت البلاد من أرزاقهم ونقودهم، وكان أمراؤهم وحكامهم على تخوف شديد من الأتراك والأهالى، حتى أنهم لم يجرؤوا على دخول "الخليل" و"القدس" حتى ذهب إليهم جماعة من أعيان الأهالى وطلبوا منهم احتلالها لخلوها من القوة، وارتياح الأهالى بهم وأعطوا العساكر بعد ذلك استراحة مدة شهرين حتى انقضى الشتاء، ثم فى شهر جمادى الثانية تقدموا واحتلوا "أريحا" و"رام الله" و"مجدل" الصادق، وحصلت وقائع كبيرة هلك فيها كثير من عساكرهم، وتقدموا حتى أشرفوا على "نابلس" وكلما تقدموا شبراً تأخر لهم الأتراك ذراعاً، وأعلن جمال باشا القائد العام بأن هذا التأخر ليس لضعف ولا انهزام بل لمصلحة، والخطة الحربية قضت بذلك وأنه أمر بترحيل أهالى "نابلس" فامتنعت الأهالى خشية أن يصير بهم وبمنازلهم ودورهم ما صار "بغزة" وأهلها، فأثقل كاهل الأهالى بجمع الإعانات وسلب الأرزاق والمصادرات، ودام الجيش التركى محافظاً على الخط الحربى من شمالى "يافا" إلى شرقى "القدس" وكانت قوات الجيش الإنكليزى تفوق قوات الجيش التركى بالعدد والعدة، ويأتيه المدد المتواصل من البر والبحر حتى أخرج من جهة ساحل "طبريا" جيشاً كبيراً تمكنوا به من الهجوم والتحليق على الجيش العثمانى فى الحادى عشر من ذى الحجة سنة ١٣٣٦هـ، فلم يجد له قوة على الدفاع ولا طريقاً إلى الفرار، سيما وأسراب الطيارات فوق رؤوسهم تقذفهم بنيرانها وتحطم قطارات سكة الحديد، وتدمر

الجسور فاضطر من وجد من جيش الأتراك إلى التسليم، فأخذوا العساكر مع قومندانهم فوزى باشا أسرى إلى مصر، واستولوا على جميع مدافعهم وأسلحتهم وذخائرهم، وكانت الثورة العربية قد فعلت فعلها فى نفوس الجنود والضباط العرب فأخذوا يفرون زرافات ووحداناً، وينضمون إلى الجيش العربى الذى كان يكافح الأتراك بقيادة الأمير فيصل وأخوته الأمير على والأمير عبد الله والأمير زيد، فأفلح الإنكليز باختراق خط الدفاع التركى الجديد، واكتسحوا ما بقى من بلاد فلسطين .

ولما تقرر الهجوم العام للقضاء على الجيش التركى الألمانى، فاوض الإنكليز الأمير فيصلاً أن يجهز حملة تسير من "أبى الأسل " إلى" جسر تل شهاب" فى" حوران" لقطع خط الرجعة على الجيش التركى، فقطع الجيش العربى الخط الحديدى على مسافة عشرة كيلومترات من شمالى درعا، وكذلك خط "درعا" "حيفا" وخط "عمان" درعا ثم احتلت جيوش الحلفاء بمساعدة الجيش العربى مدن الشام، والتقى الجيشان فى درعا وكان الأمير فيصل قد احتل شرقى الأردن كلها، ثم دخل الجيشان معاً مدينة "دمشق" فى ١ تشرين الأول ١٩١٨م وقد اعترف " اللورد اللنبى" القائد الإنكليزى العام بفضل العرب الأكبر، فى احتلال "بئر السبع " و"غزة" و"العقبة" ولولا سقوط العقبة لما سقطت "غزة" التى دافع عنها الأتراك والألمان دفاعاً يستحق الذكر والإعجاب ولولا سقوط "غزة" لما تمكن الإنكليز من احتلال فلسطين قال : "كانت غزة من فجر التاريخ حتى يومنا هذا بوابة الفاتحين"، وقد احتلوا العراق أيضاً وخلت البلاد العربية من الأتراك، وكانت الحكومة الملكية قد انسحبت منها قبل ذلك بأيام، ومنحت سائر البلاد الاستقلال التام، وخرجت بذلك من نير الظلم والاستبداد إلى نار البغى والاستعباد، وعلى إثر هذا الانكسار العجيب والتدهور الغريب قامت ثورة فى الاستانة بين الاتحاديين

وحزب السلطان وحيد الدين الذى تولى الخلافة بعد موت أخيه السلطان محمد رشاد، أسفرت عن تقهقر الاتحاديين وهروب جمال باشا وأنور باشا وطلعت باشا، وطلبت الحكومة العثمانية من الإنكليز دخول الأستانة بالسلم، وفتحت له الدردنيل، فدخل واستلم الأسطول العثمانى، والأسلحة وسائر المواقع العسكرية، وقبض على من فيها من الاتحاديين والألمان، ثم فر السلطان وحيد الدين من الأستانة وتولى السلطان عبد المجيد، فقام مصطفى كمال باشا بالأناضول وجمع جيشاً كبيراً وحارب به حتى أنقذ الأستانة وسائر البلاد التركية، من سلطة الأجانب وأسس جمهورية بأنقرة وألغى الخلافة والسلطنة، وطرد جميع آل عثمان من بلاد الترك وضبط أملاكهم واستولى على ذخائرهم وتحفهم وقصورهم ومنازلهم، وبدد شملهم ومزق جمعهم، وقضى على مجدهم الباذخ وعزهم الشامخ، وأخنى عليهم الزمان، وأصبحوا كغيرهم فى خبر كان وتفرقوا فى البلاد بحالة تفتت الأكباد .

وكان بنو عثمان يحمى ذمارهم ملوك إذا هم سوقة تتظلم

فكم من أمير كالغريب بأرضه وكم من حقير فيهمُ يتحكم

وهكذا انتهت الحرب العامة بأحداث هامة، وانقلاب خطير وتبدل مرير صار به أهل البلاد غرباء، وأعزتها أذلاء وأعيانها فى خفاء وأراذلها فى ارتقاء، رأى الشرق من صنوف المكر والغدر والكيد الغربى ما لم يكن بالحسبان، وشاهد من الحرص والجشع ما لا يوصف به حيوان، جار فيه الجور وبغى وصار الظلم والعدوان وطغى تضليل وخداع، وتغرير وتزوير وفساد كبير فرقوا الأجناس والعناصر أى تفريق، ومزقوا الولايات والبلاد شر تمزيق، قطعوا عروقها وفروعها وأوصالها وانتهشوا لحومها وامتصوا دماءها وهشموا عظامها، قالوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا واتمنوا فخانوا وعاهدوا فغدروا، جنوا على الأمة الإسلامية بتغيير قوانينها وأنظمتها وتبديل شرائعها وتقاليدها،

قضوا بذلك على كثير من أوقافها وتعاليم دينها ولغتها بمناهج مدارسهم، ووعدوا اليهود بوطن قومى فى فلسطين(١)، ومنّوهم بدولة وهمية وغرروهم بوعد بلفور(٢)، فتاهت نفوسهم وصاروا يحلمون به وأغاروا على العرب فى

---

(١) بصدد وعد بلفور انظر : المصادر التالية .

١- الموسوعة الفلسطينية ج١/ ص٤١٥- ٤١٨ .

٢- الموسوعة السياسية ج٦/ص٥٦٠ - ٥٦١ د. عبد الوهاب الكيالى -طح- كفر قرع ١٩٨٩ .

٣- فلسطين القضية - الحضارة - الشعب ص٤٥٦٧ -٤٧٨ بيان الحوت ط١ بيروت - ١٩٩١م.

٤- سلام ما بعده سلام ص٣٠٩ - ٣١٧ دافيد فرومكين ط١ - لندن ١٩٩٢م .

(٢) ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ سورة النساء آية ١٢٠ كيف وقد قال فى محكم كتابه ﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ سورة البقرة آية ٦١ وقال : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ سورة المائدة آية ٧٨-٧٩، وقال جل ذكره : ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ سورة الأعراف آية ١٦٧. وقد سلط عليهم ملك بابل ، وأرسل عليهم بختنصر ففعل بهم ما فعل وقتل وسبى وأسر وخرب القدس وسلط عليهم ملوك الروم . قال فى كشف الآثار فى قصص أنبياء بنى إسرائيل لبعض مؤرخى البروتستانت أمير القسطنطين الأعظم الذى كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة تقريباً بقطع آذان اليهود وإجلائهم إلى أقاليم مختلفة ثم أمر ملك الملوك الرومى فى القرن الخامس للميلاد بإخراجهم من الإسكندرية التى كانت مأنهم من مدة وكانوا يأتون إليها من كل جانب فيستريحون فيها وأمر بهدم كنائسهم ومنع عباداتهم وبعدم قبول شهاداتهم وعدم نفاذ وصيتهم ، ولما ظهر منهم غباوة ما لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم وقتل كثيراً منهم وسفك الدماء بظلم ارتد جميع يهود هذا الإقليم ثم أجلاهم من مملكته آخر الأمر وهيج ولاة الممالك الأخرى على أن يعاملوهم هذه المعاملة فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم من آسيا إلى أقصى حدود أوروبا ثم كلفوا فى مملكة اسبينول أن يقبلوا الملة المسيحية فإن أبوا يكونون محبوسين أن يجلون من أوطانهم وصار مثل هذه المعاملة معهم بل قتلوا فى مملكة فرانسا فكانوا ينتقلون من إقليم إلى إقليم ولا يحصل لهم موضع القرار ولم يحصل لهم الأمن فى آسيا الكبرى أيضاً بل قتلوا فى كثير من الأزمان كما قتلوا فى ممالك الفرنج ثم قال : دبر سلاطين فرنسا فى حق اليهود أمراً وهو أنهم كانوا يتركون اليهود إلى أن يصيروا متمولين بالكسب والتجارة ثم يسلبون أموالهم ولما صار قلب أوسطس سلطاناً ديون اليهود التى على المسيحين وأبرأ ذمتهم من الباقى ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته وقد ثبت من التواريخ أن اليهود أجلوا من مملكة فرانسا سبع مرات وعدوا اليهود الذين خرجوا من مملكة اسبانيول لا يقل عن مائة ألف وسبعين ألف بيت . وفى مملكة النمسا قتل =

عقر دارهم، واعتدوا وضربوا وقتلوا وثبتوا الألغام والقنابل فى مجتمعات الناس فغارت العرب عليهم، ونكلت بهم مع مساعدة الحكومة لهم، وإغضائها عن الأسلحة والذخائر التى عندهم ولعدم الوفاء بوعدها انحازوا عنها والتجأوا إلى أمريكا، وأظهروا العداء لها وللعرب لذلك قامت قيامتها، وهكذا يفعل الكذب المتسلسل والفساد المتواصل والظلم القاسى والبغى الفظيع، فإنه يوقع فى المشاكل ويجلب الفتن والقلاقل ويفقد المكانة والثقة، وينزع الكرامة والهيبة من نفوس الشعوب التى شملها الانتداب، ونابتها نوائب الاستعمار مع ما يوجبه من الخزى والعار ويجر إليه من الأخطار والانهيار. وقد كانت الطائرات الإنكليزية قبل تمكنها من احتلال البلاد العربية تلقى عليها المنشورات والبيانات المشتملة على الوعود، بتحرير البلاد من الظلم والاضطهاد وإعادة مجدهم وضمانة استقلالهم، وتكوين الوحدة العربية فى سائر بلاد العرب، حتى أذاع الجنرال " مود" القائد العام للجيش الإنكليزى على أهالى بغداد البيان التالى: " يا أهل بغداد الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو وإخراجه من هذه الأصقاع، ولم تدخل جيوشنا مدنكم وأراضيكم بصفة الأعداء القاهرين وإنما بصفة المحررين، لقد خضع مواطنوكم منذ أيام هولاكو لمظالم الغرباء فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم، وأنت[1]

= ونهب كثير منهم ونجا منهم قليل وهم الذين تنصروا ومات كثير منهم بأن سدوا أولاً أبوابهم ثم أهلكوا أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم بالإراق والإحراق وقتل غير المحصورين منهم وسلب (رجاردوجان) و (هنرى الثالث) من سلاطين إنكلترا مراراً أموال اليهود حتى فضلوا الجلاء والخروج من مملكته فما قبل منهم حتى جلس إدوارد الأول فنهب أموالهم كلها ثم أجلاهم من مملكته وأجلى منهم خمسة عشر ألفاً فى غاية العسر ، وقدر البابا قوانين شديدة فى حق اليهود أ . هـ . وما ذلك إلا لشدة خبثهم وفسادهم ودسهم الفتن والقلاقل بين الدول والشعوب وتمردهم إذا آنسوا من أنفسهم قوة حتى قيل إن اليهود ما دخلت مدينة إلا وأفسدتها وقد مر بعض ما وقع به من القتل والتعذيب والأسر وقهرهم (هدريانوس) ملك الرومان وباعهم فى سوق غزة بيع العبيد " هـ . ط ص ١١٤ .

(١) هكذا فى الأصل ولكن الصواب "وانتهكت أشخاصكم" وبهذا يستقيم المعنى. والله أعلم بالصواب .

أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق، وسيق أبناؤكم إلى حرب لم تنشدوها، وجردكم الظلمة من ثروتكم، وبددوها فى الأصقاع الشاسعة، تكلم الأتراك منذ أيام مدحت باشا عن الإصلاح، ومع ذلك أفليس دثور البوم وقفوره برهاناً على بطلان تلك المواعيد، وأمنية ملكى المعظم والدول المتحالفة مع جلالته أن تفلحوا كما فى السابق وقد كانت أراضيكم مخصبة، وكان العالم يتغذى بألبان آداب جدودكم وعلومهم وصنائعهم، حين كانت بغداد إحدى غرائب الدنيا، . . . لا تظنوا أن رغبة الحكومة تكليفكم نظامات أجنبية، فأمنية الحكومة أن تحقق ما يطمح إليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أخرى، ولسوف يسعد الأهالى ويتمتعون بالغنى المالى والمادى بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة، وأطماعهم القومية والفكرية. لقد طرد العرب من الحجاز الترك والألمان الذين بغوا عليهم، وقد نادوا بعظمة الشريف حسين ملكاً عليهم وعظمته يحكم بالاستقلال والحرية، وهو متحالف مع الأمم التى تحارب دولتى تركيا وألمانيا، وهذه هى حقيقة حال أشراف العرب وأمراء نجد والكويت والعسير، وكثيرون هم أشراف العرب الذين راحوا ضحية فى سبيل الحرية على أيدى أولئك الغرباء الذين ظلموهم. . .

إن تصميم بريطانيا والدول العظمى المتحالفة معها على ألا يذهب ما قاساه هؤلاء العرب الشرفاء هباء منثوراً، وأن الأمل أن تسموا الأمة العربية مرة أخرى عظمة وصيتاً وأن تسعى كتلة واحدة وراء الغاية بالاتحاد والوئام . . . " فاعتبروا يا أولى الألباب كيف كانت وعودهم وأقوالهم للعرب، وكيف صارت أحوالهم وأفعالهم معهم، إلا أن الجد والثبات من أهل البلاد أصحاب الحق الشرعى والطبيعى يرغم العادلين على الرجوع إليه، ولذلك صرح " الملك عبد العزيز بن سعود "[1] ملك نجد والحجاز حينما سئل عن مسألة

(١) عبد العزيز آل سعود بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، =

فلسطين فى سنة ١٣٥٧ هـ :" لا ريب فى صداقة بريطانيا والخطة التى جرينا عليها فى مفاوضاتنا السياسية مع بريطانيا وغيرها من الدول أن نلزم السر حتى تذلل المصاعب التى تدرسها وقد أبلغت بريطانيا رأيى فى الموقف الحاضر على أتم صراحة، وأبنت لها عواقب الخطة الحاضرة التى تتبعها.

ثم قال هناك أشياء تحملنى على الظن بأن الأوان لم يئن للجهر بذلك الأول: أن إنكلترا صديقة العرب وأحرص الأمم على مسالمتهم ومنحهم حقوقهم، لأنها تحتاج إلى حماية مصالحها ومواصلاتها، والثانى أن بين إنكلترا والعرب عهوداً واتفاقات كما يعلم ذلك كل واحد، والثالث أن بريطانيا لا تجهل الموقف الحاضر وعواقبه، فإذا نظرت إلى المسألة بعين الاعتبار كما تستحق، فإنه يبقى هناك رجاء فى أنها تعيد النظر فى موقفها وتتبع خطة ملائمة لمصالحها ومصالح أصدقائها المسلمين والعرب، ولكن إن كان لها مآرب أخرى فلا نفع للكلام، إذا كانت قررت السير وراء تلك المآرب، ثم قال أن تصريح " بلفور " " والحق يقال "أعظم ظلم ارتكبته بريطانيا، وهل يمكن تصور كارثة أعظم من أخذ أراضى العرب ومساكنهم، وقد استوطنها العرب بعد أخذها من الرومانيين مئات السنين من غير منازع لهم فى حقوق ملكيتها فكيف "والحالة هذه" تقابل أجحف المواعيد " وكتبت جريدة الدفاع عند ذلك فى الرد على حكومة بريطانيا فقالت : " إن فلسطين ليست لبريطانيا، ولم يسلم أهلها زمام أمرهم إلى "هوايتهول"، ولم يسمع بأن الله تعالى خالق فلسطين وإنكلترا قضى بأن ما تراه دوائر " دونبج ستريت " يجب أن يلقى صداه فى الأرض التى تقدسها الأديان الثلاثة.

إن الحكم بين فلسطين وإنكلترا هو عهد جامعة الأمم؛ لا وعد بلفور لأن

= من آل مقرن ملك العربية السعودية الأول ومنشئها، ولد سنة ١٢٩٣ ـ سنة ١٣٧٣هـ = ١٨٧٦ ـ ١٩٥٣م. انظر معجم الأعلام ص ٤١٩.

العهد جاء بعد هذا الوعد فنسخه نسخاً تاماً؛ وجهر فى المادة ٢٢ من مواده التى تصر الدولة البريطانية على وجوب تطبيقها، بأن فلسطين من البلاد التى بلغت من الرقى منزلة تخولها حق اختيار حكومتها الوطنية بإرشاد الدولة المنتدبة؛ ولم يرد فى هذه المادة ذكر لوعد بلفور أو سواه؛ فإذا انتقلنا من الوجهة القانونية إلى الوجهة العملية؛ تبين لنا أنه ليس فى طاقة أحد أن يرغم أهل فلسطين على قبول حكم الفناء الذى يراد تنفيذه فيهم؛ بالكيفية التى يختارها أنصار الوطن القومى؛ فإن عرب فلسطين يؤثرون هذا الفناء بكيفية أخرى جروا عليها، وخلقوا لبريطانيا مشكلة ندر أن واجهت مثلها فى تاريخ إمبراطوريتها الطويل؛ لقد تحولت القضية الفلسطينية إلى قضية شرقية عامة تهم العرب كلهم جميعاً؛ هؤلاء الذين سيشتركون الآن فى الدفاع عن هذه القضية وهى حقيقة لا يجهلها أقطاب الإنكليز فالقضية الفلسطينية لا تنتهى إلى السلام فى تلك الربوع إلا إذا عولجت من أساسها؛ وعدلت بريطانيا عن قاعدة حقها فى تقرير مصير فلسطين باختيار وزارة المستعمرات، أو سواها ما دام عهد جامعة الأمم قائماً وحرمته مصونة فى لندن، أما إذا أريد غير هذا وأصرت الحكومة البريطانية على أن لها حق التصرف فلا تستغرب أن تستمر مشكلته قائمة، وأن تتحول إلى مشكلة عربية إسلامية عامة مع ما تجره فى ذيولها من عواقب فى أيام السلم، وخصوصاً فى أيام الحرب، ومن له أذنان للسمع فليسمع أ.هـ" وقد فتح الإنكليز "بوعد بلفور المزيف للتغرير" باب الفتنة على مصراعيه ؛ وصار لليهود كبير الأمل فى إنشاء دولة يهودية بفلسطين؛ وجعلها بأجمعها وطناً قومياً لهم وخاصاً بهم، بل زاد بهم الأمل فصاروا يطمعون ببلاد سوريا والعراق، وبعض الحجاز ومصر، ولا تكفيهم، وظهر تحيز الحكومة لهم بسياسة الوزارة الصهيونية؛ وفتحت لهم باب المهاجرة؛ حتى هاجر إليها ما يزيد عن خمسمائة ألف، مع كون البلاد لا

تتحمل وسهلت لهم طرق التملك لأراضيها؛ حتى ملكوا زيادة عن ثلث أراضى فلسطين المخصبة؛ وأنشأوا كثيراً من المستعمرات؛ وألجأت الحكومة الأهالى المنتدبة عليها إلى بيع الأراضى إليهم لأخذها بحالة اقتصادية عملاً بسياسة وزارة المستعمرات الصهيونية، وأثقلت كاهل الأهالى بالضرائب الثقيلة والغرامات الفاحشة، وسنت القوانين القاسية إرهاقاً لفلسطين وتمهيداً لما يرومه اليهود؛ ومنحتهم الوظائف العالية والتعهدات الكبيرة والقروض الضخمة والمشاريع المهمة، ومكنتهم من التسلح حتى صاروا لا يعبأون بالأهالى ولا بالحكومة؛ وكأنهم حكومة ضمن حكومة يولون من أرادوا ويعزلون من شاءوا بمداخلاتهم مع رجال بريطانيا وأمريكا؛ فقامت لذلك الثورة فى سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١[1]؛ فوعدت الحكومة أهالى فلسطين بتعديل سياستها؛ وبان الكذب والخداع والتمويه والتغرير فقامت ثورة كبيرة فى سنة ١٩٢٩م[2] قتل وأعدم وسجن واعتقل فيها كثير من العرب من سائر بلاد فلسطين؛ ثم وقعت سنة ١٩٢٩ ثورة إثر إضراب عام براً وبحراً سنة ١٩٣٦[3] واستمرت ستة أشهر وتضرر بها العرب واليهود والحكومة؛ وهى تراوغ وتحاول بالمواعيد الكاذبة والنشرات المزيفة؛ وبالنهاية توسط ملوك العرب وفك الإضراب؛ وسكنت الثورة رجاء الوفاء بوعودها والعمل بعهودها وإعطاء العرب حقوقها؛ فما كان منها غير الشدة والمعاملات القاسية؛ وفتح باب المهاجرة لفلسطين على مصراعيه؛ حتى اكتظت البلاد باليهود الذين هم أضر من الحشرات السامة والمكروبات القاتلة؛ فوقعت ثورة منظمة بدون إضراب واستمرت إلى سنة ١٩٣٨ م الموافقة سنة ١٣٥٧هـ؛ وكلما شددت الحكومة تشددت الحالة وقويت حركة الثوار؛ واعتقل فيها كثير من ذوات البلاد وأعيانها وعلمائها

---

(١) بصدد ثورة عام ١٩٢٠، ١٩٢١ انظر: الموسوعة الفلسطينية/ المجلد الأول (ص ٦١١ - ٦١٤).
(٢) بصدد ثورة عام ١٩٢٩ انظر : الموسوعة الفلسطينية / المجلد الأول (ص ٦١٤ - ٦١٧) .
(٣) بصدد إضراب وثورة عام ١٩٣٦ انظر: الموسوعة الفلسطينية / المجلد الأول (ص٦١٧ - ٦٢٢).

وقضاتها وشيوخها وشبابها؛ وذكرت الجرائد المحلية أن عدد المعتقلين العرب الذين اعتقلوا فى أوقات مختلفة لاستجوابهم بلغ خمسة آلاف؛ وأما عدد المعتقلين فى المراكز فلم يزد عن ألفين ومائة؛ وحكمت بالإعدام على العشرات بل المئات؛ وقتل الجند بالرصاص والتعذيب خلقاً زاد على الألوف؛ ونكلت بالمدن والقرى واستعملت نسف الدور والدكاكين بالديناميت؛ وانتشرت الجيوش فى بلاد فلسطين واحتلت المدارس والدور الكبيرة وسلحت اليهود وتغاضت عن جلبهم السلاح والذخيرة وجناياتهم المتكررة واعتداءاتهم على العرب؛ ثم صاروا يعتدون على الحكومة وينسفون دورها ويقتلون رجالها؛ وكثر التخريب وتفتيش الدور والحوانيت؛ بقصد الاتلاف والتخريب ومنع التجول ليلاً ونهاراً؛ وتشرد الوطنيون وتعطلت المحاكم والدوائر؛ واختل الأمن وتعطلت التجارة والصناعة؛ وأعلنت الأحكام العسكرية وحصل من الفظائع والأهوال ما لا يعد ولا يحصى، وحجر على الجرائد وعطل كثير منها وكممت أفواه الناس وحجرت على حريتهم؛ وألغت[1] الجمعيات واللجان الوطنية واللجنة العربية العليا، وشردت واعتقلت[2] أعضاءها والرجال العاملين فى البلاد وبدلت[3] الأمن خوفاً واليسر عسراً، والوفاء غدراً والعدل ظلماً؛ وخسرت الحكومة هيبتها وثقتها وحصل لها بفلسطين ما لم يحصل بغيرها؛ حتى خرب الثوار سكة الحديد من رفح إلى حيفا؛ وأُحرقَت المحطات ودوائر الجمرك والمساحة والتسوية، حتى رحلت الحكومة كثيراً من دفاترها ومهماتها من بلد لأخرى؛ واستولى الثوار على كمية من أسلحة البوليس وخيولها ونقود الحكومة من المحاكم؛ والبلديات والجمارك والبنوك بصورة توجب الإعجاب والإكبار لهذا الشعب الجرىء الباسل الذى لا يحكم بالإرهاب

(١) هكذا فى الأصل " والصواب " وأُلغيت "
(٢) هكذا فى الأصل " والصواب "واعتقل "
(٣) " ونفتهم إلى سيشل " هـ . ط ص ١١٨ .

والشدة كما وقع فى مدة إبراهيم باشا المصرى حتى إنه ندم على استعمال الشدة مع أهالى فلسطين، "كما كان يفعل مع المصريين" وقاومته أشد المقاومة وخسر خسارة كبيرة؛ ثم ارتد عنها بوبال ما فعل وسوء ما ترك، وقد رثى فلسطين غير واحد من الفضلاء والشعراء بما جرى عليها فى عهد الانتداب؛ ومنهم الأستاذ الفاضل الشيخ" محمد الأسمر "[1] بقوله:

سلوا الأرض ما تلك القنا والقنابل
وما خط ماجينو وتلك المعـاقل
أرى عصرنا عصر المجرد سيفه
فسل بالظبى من كل ما أنت سائل
تبينت أن الحق إن لم تتح له
بواسل يخشى ظلمها فهو باطل
لعمرك لو أغنى عن الحق أمة
هو الحق ما قام الرسول يقاتل

(١) الشاعر محمد الأسمر .هو شاعر مبدع ولد فى دمياط سنة ١٩٠٠م فى ٦ نوفمبر . وتوفى فى السابع من نوفمبر ١٩٥٦م ومن عجائب المصادفات أن يكون تاريخ ميلاد الشاعر محمد الأسمر يكاد أن يكون هو تاريخ وفاته نفسه حيث أن هناك ست وخمسون سنة بين التاريخين (٦ نوفمبر ١٩٠٠م - ٧ نوفمبر ١٩٥٦م) . تلقى العلم بمدرسة (محمد الخمراوى) الأهلية بدمياط ، وهى المدينة التى شهدت مسقط رأسه ، وتوزع هوى نفسه بينها وبين رأس البر بعد ذلك . تأثر الشاعر بشعراء الربابة فى بداية حياته الشعرية / له ديوان شعر بعنوان: "تغريدات الصباح " .
تخرج الأسمر فى عام ١٩٣٠م فى الأزهر ، وأكثر من نظم القصائد فى الأزهر وعلمائه الأعلام حتى أطلقت عليه لقب ((شاعر)) وقد قام السيد عبد الغفار محمد عطا بإعداد رسالة ماجستير عنه بعنوان (النقد الاجتماعى فى شعر محمد الأسمر) أشرف عليها الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى / راجع ما كتب عنه باستفاضة فى مقالة بعنوان: "شاعر الأزهر" للأستاذ : أحمد مصطفى حافظ / مجلة الأزهر ج١/سنة ٧٠ عدد محرم ١٤١٨هـ مايو ١٩٩٧م والجزء الثانى من نفس المجلة العدد الأول ص٩٧ : ١٠١ .

ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه

من الناس؛ ما ساقت إليه الأراذل

فلا تحسبن الحق ينهض وحده

إذا ملت عنه؛ فهو لا شك صائل

أقمه وأسنده ودعّم بناءه

وذد عنه ذود الليث والليث مائل

ولا تسندن الحق بالقول وحده

فإن عماد الحق ما أنت فاعل

من العقل أن لا يطلب الحق عاجز

فليس على وجه البسيطة عادل

ولكن قوىّ يشرب الدم سائغاً

إذا نضبت يوم الورود المناهل

أسود فلسطين تحية شاعر

وكل فلسطين أسود بواسل

حللتم على الوادى المبارك أهله

فانى نزلتم فالقلوب منازل

ذهبتم إلى المنفى كواكب أمة

وعدتم كما عادت بدور كوامل

همُ أغمدوكم فى السجون مناصلاً

فها أنتمُ عدتم وأنتم مناهل

وما أنتمُ إلا سيوف ملاحم
وما حادثات الدهر إلا صياقل
خرقتم يواقيت السجون وعدتمُ
يواقيت هول بأسه متواصل
لقد جادلوكم بالسيوف لياليًا
طوالاً وكان القول ما السيف قائل
وعادوا فقالوا فاوضونا ففاوضوا
على حذر لا يختل الحق خاتل
دعوكم لميدان جديد جيوشه
كلام وفيه اللفظ للفظ قاتل
وكلكمُ والحمد لله فـارس
يدافع عن أوطانه أو يجادل
أسود فلسطين ذيادًا عن الحمى
وعن غابكم لا يدخل الغاب داخل
فما عاش حرًا من مشى فى بلاده
وأمته قد طوقتها السلاسل
وما سيشل[1] عندى التى كنتمُ بها
ولكنما دار الأذلاء سيشل

(١) سيشل : مستعمرة بريطانية (مساحتها ٤٠٥كم٢ سكانها ٤٢٠٠٠ نسمة) تضم ح ٩٢ جزيرة بركانية فى المحيط الهندى على بعد نحو ١٦٠٠كم من زنجبار. عاصمتها فكتوريا، على جزيرة =

ومنهم الشيخ " محمد أحمد العمد " بقوله:

على كل خـد دمعـة تترقرق
وفى كل صـدر زفرة وتحرق

وفى كل بيـت أنة إثر أنة
يصعّدهـا لله قلـب ممزق

أحالت يد الإجرام بؤساً حياتنا
فلا الصفو مرجو ولا العيش ريق

ولو نفوس بالأمـانى تشبعت
لكدنا من الإرهاق والظلم نخنق

تلفت فى طول البـلاد وعرضها
فكدت لهول الخطب بالدمع أشرق

فما تبصر العينان إلا مصائباً
تنوء بهـا صم الجبـال وترهق

تفنن جند الغرب فى الظلم فانبرى
يبيح دمـاء الآمنين ويهرق

سلوا عنهمُ الأشياخ فى صلواتهم
فعندهمُ عنهم حـديث مصدق

= (ماهى) أكبر الجزر . احتلها الفرنسيون فى القرن ١٨ ، ثم نزلوا عنها لبريطانيا ١٨١٤ . تصدر الكوبرا والفانليه ، والقرفة ، وسماد الحوانو . يتكلم السكان بلهجة فرنسية . نفى الإنجليز إليها الزعيم المصرى سعد زغلول (١٩٢٠ - ١٩٢١) فى عهد احتلالهم لمصر . انظر الموسوعة العربية الميسرة ج١/ص١٠٥١ .

سلوا عنهمُ الأطفال فوق مهودهم
تجبك دمـــــوع كاللآلئ تـدفق
فكم قتلـوا من آمن ومســالم
وكم روعوا من مرضع ليس ينطق
يريدون منـــا أن نذل لحكمهم
ومـــا حكمهم إلا الفناء المحقق
فيـا رب هـلا للنـوائب آخر
وهلا سنا فى ظلمة الخطب يشرق

وفى سنة ١٩٣٦ رفعت لسعادة " المستر ملز " مساعد حاكم اللواء "وهو من أحرار الإنكليز" احتجاجاً شديداً باسم جمعية الأمر بالمعروف[1]، قبل

(١) جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى فلسطين : هى جمعية نشأت بناء على قرار مؤتمر علماء فلسطين الأول المنعقد بالقدس فى ٢١ شعبان ١٣٥٣هـ الموافق كانون الثانى ١٩٣٥م . أسست فى بيت المقدس . قامت لهذه الجمعية عدة فروع فى جميع أنحاء فلسطين . غاية الجمعية : نشر الفضائل والأخلاق الإسلامية الحميدة والحض على التمسك بأوامر الدين والتعاون على البر والتقوى والتحذير من الإثم والعدوان بالحكمة والموعظة الحسنة . أعضاء الجمعية : وهم الذين يحق لهم أن يكونوا أعضاء فى الجمعية هم :
١- أعضاء مؤتمر علماء فلسطين .
٢- العلماء ورجال الدين الإسلامى .
٣- كل مسلم تتوفر فيه السيرة الحسنة والأخلاق الحميدة .
تكون لهذه الجمعية فرع فى غزة بناء على الاجتماع الذى تم فى يوم الإثنين الواقع فى ٢ ربيع الأول ١٣٥٤هـ وفق ١٩٣٥/٦/٣م . اجتمع السادة والعلماء من غزة وقضائها فى دائرة الأوقاف بغزة لتشكيل هذه الجمعية وعلى أن يكونوا أعضاء عاملين فيها وقد بوشر بانتخاب أعضاء الإدارة بالاقتراع السرى ففاز كل من السادة الآتية أسمائهم :
١- فضيلة الشيخ عثمان أفندى الطباع (مؤلف الكتاب) .
٢- فضيلة الشيخ مصطفى أفندى طهبوب .
٣- فضيلة الشيخ الحاج أحمد أفندى الشوا .

إلغائها على السياسة الجائرة والإدارة الخاطئة والتحيز القاهر بفلسطين، وبعد قراءته التفت لى وقال : " السياسة لا تغلب " فقلت له : " السياسة العادلة لا تغلب أما السياسة الجائرة فإنها تغلب وتغلب " فقال : "سياسة الإنكليز فى فلسطين جائرة؟ فقلت : " السماء والأرض تشهد بأنها جائرة، ولا يوجد فى الدنيا شعب مظلوم أكثر من أهل فلسطين " فقال : " نعم أنتم مظلومون، ولكن السنغال مظلومون أكثر منكم" فقلت : " لا تقاس العبيد التى كانت تباع كالحيوانات بأهالى فلسطين، أبناء العرب الكرام والقواد الفاتحين العظام أصحاب الحق الشرعى فى البلاد " فقال : " نعم أنتم على حق ولكن أنصاره ضعفاء؛ واليهود باطل وأنصارهم أقوياء فقلت له : صاحب الحق قوى بحقه ولو كان أنصاره ضعفاء؛ وأنصار الباطل ضعفاء بباطلهم ولو كانوا أقوياء " فقال : " أموال الصهيونيين لها تأثير" فقلت له : " أموال الصهيونيين لا تؤثر عند رجال الإنكليز الأحرار الذين يفضلون شرف

= ٤- فضيلة الشيخ خليل أفندى الحليمى .
٥- فضيلة الشيخ محمد أفندى الهلالى .
٦- فضيلة الشيخ محمد أفندى عواد الفالوجى .
٧- فضيلة الشيخ إبراهيم أفندى عاشور .
٨- فضيلة الشيخ مصطفى أفندى الشوا .
٩- فضيلة الشيخ حسين أفندى الشوا .
١٠- فضيلة الشيخ فهمى أفندى الأغا .
١١- فضيلة الشيخ مصطفى أفندى بسيسو .

وقد اجتمعت الهيئة الإدارية وانتخبت فضيلة الشيخ عثمان الطباع أميناً للسر ، والشيخ مصطفى أفندى طهبوب أميناً للمال بتزكية الجميع وحلت الجلسة على أن ينعقد بعد العصر من هذا اليوم فى مكتبة الجامع العمرى الكبير مقر جمعية الهداية الإسلامية . المصدر : " دفتر قرارات جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " غزة ١٣٥٤ بخط الشيخ عثمان الطباع وآخرين . وللتعرف على أسماء الأعضاء العاملين فيها انظر الصفحات ١٨ - ٢٠ حيث ورد اسم كل عضو كاملاً وتاريخ دخوله فى الجمعية ومهنته وبعض الملاحظات الأخرى . أيضاً ترجم الطباع لجميع أعضائها فى الإتحاف، قسم التراجم (مج ٤/ ص ٣٢٨ ـ ٤٥٨/ التراجم من ١٩١ إلى ٢٠٧). وحسب ما ورد فى وثيقة من وثائق الجمعية فقد بلغ عدد أعضائها فى غزة ٧٥ عضوا .

دولتهم؛ وحياتها على كل شيء أما الإنكليز الصهيونيون الذين لا مخ لهم فإنهم يفضلون المال؛ ولو تدهورت دولتهم؛ وإذا بقيت الوزارة الإنكليزية تتمشى على هذه السياسة الصهيونية الجائرة فإنها لا بد أن تتدهور؛ وتنقلب رأساً على عقب " فقال : " هذا صحيح ولكن لا ندرى متى يكون ؟" فقلت له : " سيكون إن شاء الله فى القريب العاجل لأن الباطل والظلم الجائر لا يطول أمده، وستكون أنت بما لك من الوجدان الطاهر؛ وحرية الضمير من أنصاره فقال نحن مظلومون مثلكم وليس بيدى ولا بيد المندوب السامى من شيء؛ لأن الحكام مجبورون على العمل بما توحيه إليهم سياسة الوزارة ولو كانت باطلة؛ فقلت له لا بد من تغييرها لأن الباطل زاهق؛ ثم خرجنا بسلام وشكرناه وشكر الجلسة التى جمعته بنا[1].

* * *

(١) " يذكر هنا تخلى الإنكليز عن الانتداب فى فلسطين، وتعدى الصهيونيين على المدن والقرى بمساعدة الإنكليز وأمريكا حتى هاجر الأهالى من أكثر البلاد، وقيام الدولة المصرية بصدهم واحتلال قسم منها " هـ .ط ص (١١٩) .

غزة وحكامها
فى العصور السالفة

غزة وحكامها فى العصور السالفة

قد كانت "غزة" لأهميتها يتولى عليها الأعاظم من كل أمة ملكتها؛ فحكمها " إفرايم بن يوسف -عليه السلام- " و" يهوذا " و" شمعون" و"رحبعم بن سليمان" -عليه السلام- ورؤساء " المعينيين "، و " الحيثيين" و" الكفتوريين" و"الفلسطينيين"و" العمالقة" و" الفرس " و" اليونان" و"الروم"[1]؛ ومنهم " البطريق صليبا بن حنا "و " لاوى بن حنا " و"القيفار" حتى كان الفتح الإسلامى، فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه "علقمة بن مجزز"[2] على نصف فلسطين الجنوبى وكانت قاعدة " إيلياء" و "علقمة بن حكيم الكنانى " على نصفها الآخر وعاصمته "الرملة" ثم انتدب معاوية أيام خلافة عثمان " علقمة بن حكيم " والياً لفلسطين و" أبا الأعور السلمى " "للأردن" ، وفى أيام على -رضى الله عنه- كان أمير فلسطين "حسان بن مالك بن بحدل"[3] خال يزيد؛ وهو استخلف على أمارة فلسطين "روح بن زنباع " وقال له : " إني أرى أمراء الأجناد يبايعون لابن الزبير؛ وأبناء قيس "بالأردن" كثير وهم قومى فأنا خارج إليهم وأقم أنت بفلسطين فإن جل أهلها من لخم وجذام.

(١) " ومنهم أخو الأسقف مارخانيوس الغزى ، وفى عهده احتلت جنود الإمبراطورية الرومانية مدينة غزة وشيدوا عدداً من أناتراس و ٤ كيريللوس " هـ . ط ص ١٢٠ . ١٤ الأبنية وأعادوا بناء سور غزة وأضاف إليه بعض الأبراج وأنشأ كنائس بقرب السوق وخارج المدينة

(٢) علقمة بن مجزز بن الأعور الكنانى المدلجى (... - ٢٠هـ) (... - ٦٤١م) قائد من الصحابة . انظر : معجم الأعلام ص٥٠٤ .

(٣) حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف أبو سليمان الكلبى (...- نحو ٦٥هـ) = (... - نحو ٦٨٥م) أمير بادية الشام . انظر معجم الأعلام ص١٩١.

ثم استعمل " ضبعان بن روح " أميراً على فلسطين؛ ثم " الدماعص بن عبد العزيز الكنانى " ثم تغلب عليها " الحكم بن ضبعان "؛ ثم تولى عليها فى القرن الثالث الأمير " عيسى بن الشيخ سليل الشيبانى "، وفى القرن الرابع " الأمير حسان بن الجراح الطائى" أمير عرب الشام كما فى " تاريخ فلسطين"؛ وكانت "غزة" مقر عصبية الطائيين وطالت ولايتهم عليها حتى حكمها " المفرج بن دغفل بن الجراح " - أمير الطائيين-، فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس وحكم فلسطين أيضاً "أبو عبيدة بن الجراح "، و" عمرو بن العاص " ، ثم ابنه: " عبد الله"، و" يزيد بن أبى سفيان"، و" عبد الملك بن مروان " ، و" سليمان بن عبد الملك " ونزل " لد " وعمر مدينة "الرملة" ومصرها وكان موضعها برملة. و " صالح بن على بن عبد الله بن العباس"؛ ثم دخلت فلسطين ومن ضمنها "غزة" فى سنة ٢٦٤هـ تحت حكم أحمد بن طولون؛ الذى استولى على بلاد الشام وحكم من مصر إلى الفرات؛ ثم دخلت فى سنة ٣١٦هـ تحت حكم "محمد بن طغج الإخشيدى"[١]؛ وجرت حروب بينه وبين الخليفة العباسى فى "الفرما"، وفى " العريش " وكانت نتيجتها أن ترك الخليفة للإخشيدى مصر حتى "الرملة" بفلسطين وملحقاتها وذلك سنة ٣٢٩هـ؛ ثم دخلت تحت حكم الدولة الفاطمية حيث أرسل " المعز الفاطمى " كتيبة مع " جعفر بن فلاح " إلى الشام فاستولى على فلسطين كلها؛ وجبى أموالها ثم ملك الشام بعد فتن وحروب سنة ٣٥٩هـ؛ ثم جاء " العزيز بن المعز الفاطمى " إلى فلسطين عندما ثار عليه "مفرج ابن الجراح " - أمير بنى طى-؛ و سائر العرب فى فلسطين وجهز العساكر لمحاربته بقيادة "بلتكين التركى"[٢]؛ فسار إلى "الرملة" واجتمع إليه العرب من قيس وغيرهم؛ ولقى ابن الجراح فهزمه

---

(١) انظر ترجمته فى: معجم زامباور (ص ٤٢).

(٢) المصدر نفسه (ص ٤٤).

ثم أمر "الحاكم"[١] " علم الدولة باروح تركى " على جيوشه، وولاه الشام وسيره إليها وحمل معه زوجته وأمواله فاعترضهم بالقرب من غزة " المفرج ابن دغفل بن الجراح "؛ وأولاده فأوقع بهم، واستولى على جميع ما كان معهم؛ وأسر باروح وقتله وسار ابن الجراح إلى "غزة" فدخلها وأباح للعرب نهبها وأقام الدعوة لأبى الفتوح " الحسن بن جعفر " أمير مكة؛ وبقيت بلاد الشام تحت حكم ابن الجراح نحو سنتين ونصف إلى أن سير الحاكم عليه عساكره " سنة ٤٠٤ هـ "؛ فمات ابن الجراح قبل وصول العساكر إليه؛ وتشتت أولاده فى البرية وتخلوا عن البلاد التى دانت لأبيهم؛ وحيث صارت "الرملة" فى زمن الفاطميين عاصمة فلسطين؛ وغدت "غزة" من أعمالها ضعفت أهميته ثم إن السلطان " ألب أرسلان " من الملوك السلجوقية تغلب على بلاد الشام؛ وفتح "الرملة" و"القدس"وما يجاورهما ما عدا "غزة" و"عسقلان" ثم خرجت الشام من ملكهم فأغار " ملكشاه بن ألب أرسلان " على "القدس" ونهب أموالهم واستعبدهم وقتل منهم ثلاثة آلاف؛ ثم سار إلى "غزة" فقتل من كان فيها؛ وذلك فى حدود سنة ٤٧٠هـ وكان النزاع بين الفاطميين والسلاجقة إلى أن وقعت الحروب الصليبية؛ وقد أضعفت الحروب الداخلية بلاد "سوريا" و"فلسطين" وأهلكت الحرث والنسل؛ فتمكن الصليبيون بأول حملة من استيلائهم على أكثر البلاد لغاية "عسقلان"[٢].

فحكم غزة " هيودى بوزى قريب " " بلدوين" الذى أقيم ملكاً على

---

(١) الحاكم بأمر الله منصور بن نزار (٤١١هـ) الخليفة الفاطمى تقدمت ترجمته .

(٢) بصدد الحملة التى شنها الخليفة الفاطمى (المعز لدين) بإرساله كتيبة مع جعفر بن فلاح إلى الشام انظر : " تاريخ دمشق (٣٦٠ - ٥٥٥هـ) تصنيف الرئيس الأجل مجد الرؤساء أبو يعلى حمزة ابن أسد بن على بن محمد التميمى المعروف بابن القلانسى (٤٧٠ - ٥٥٥هـ / ١٠٧٧ - ١١٦٠م) . تحقيق : د. سهيل زكار ، انظر : الصفحات (٤١ - ٤٣) . وبصدد الحرب التى دارت مع ابن الجراح أمير الرملة انظر الصفحات (ص٤٤ - ٤٧) .

فلسطين، ثم " الكنت أمالرك " أخو بلدوين المذكور، ثم أعطت إلى "فرسان الهيكل" ثم صار عليها" ريكاردوس قلب الأسد "؛ إلى أن هزمهم " السلطان صلاح الدين الأيوبى " فى حطين سنة ٥٨٣ هـ، وفتحت "غزة" أبوابها وقضت المعاهدة التى جرت بينهما بتجريد غزة من حصونها ووسائل الدفاع عنها؛ وفى سنة ١٢٣٩م وقعت معركة بين الصليبيين والمسلمين بجوار "غزة" انكسر فيها الصليبيون وتشتت شملهم وخسروا عدداً كبيراً من جندهم وثلاثة من قوادهم كما أسر منهم عدد كبير من الأمراء والأعيان .

وبعد الفتح الأيوبى كان النائب على " إيالة " القدس " الأمير سنقر الكبير " إلى أن توفى سنة ٥٩٤هـ، فجعل " الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين " أمير القدس وما يلحق بها؛ إلى " همام الدين قطلق " - مملوك "عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب"؛ ثم ولى " الملك المعظم عيسى ابن الملك أبى بكر العادل بن أيوب " نائبه ' مسعود ابن محمد المعظم "؛ وأنشأ وعمّر " جامع "الفالوجه" سنة ٦٢١ هـ؛ كما خرب " الملك المعظم " أسوار القدس خوفاً من استيلاء الإفرنج عليها وتحصنهم بها.

وفى سنة ٦٥٧ هـ تولى نيابة "غزة" الأمير " نور الدين بولان "؛ وفى سنة ٦٥٨ هـ استولى" الملك المظفر قطز" على سائر البلاد الشامية من حدود مصر إلى الفرات؛ ورتب الأمير" شمس الدين أقوش البرلى العزيزى " أميراً على السواحل وغزة كما فى"السلوك للمقريزى"[١] وذكره "أبو الفداء"[٢] قال: "وكان والياً على "نابلس" و"غزة" وبلاد الساحل من قبل " الملك المظفر قطز" فى سنة ٦٥٨ هـ، قال ورتبه أميراً بالسواحل فى غزة ورتب معه

---

(١) السلوك (ج ١/ ٢ ص ٤٣٣، عن نيابة غزة ص ٢٧٧).

(٢) انظر: المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء إسماعيل شاهنشاه بن أيوب، تعليق: محمود ديوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، ٢/ ٣١١.

جماعة من العزيزية وكانت مقره ثم " الأمير ناصر الدين القيمرى " نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية؛ ثم " الأمير الغازى شهاب الدين قرطاى المنصورى " وكان فى سنة٦٧٦هـ .

والأمير " علاء الدين أيدكين الفخرى " سنة ٦٧٨هـ .

والأمير " علم الدين سنجر الداودار " سنة ٦٧٩هـ .

والأمير " علاء الدين أيدغدى الصرخدى" سنة ٦٨٠هـ .

والأمير" عز الدين أيبك الموصلى" سنة ٦٨٠ هـ نقله " السلطان قلاوون " إلى نيابة "غزة" ثم نقله إلى نيابة "صفد"

و" الأمير الحاج يحيى دغات " .

والأمير " محمد بن يوسف الشافعى " وكان سنة ٦٨٦هـ .

والأمير " سيف الدين بلبان المستعربى " سنة ٦٨٧هـ .

والأمير " كتبغا صاحب إمارة " غزة.

و" الأمير عز الدين الجناحى " سنة ٦٩٧ هـ ذكره فى السلوك.

و" الأمير إبراهيم بن محمد الحاجب " .

والأمير سفر السلحدار العلائى المنصورى سنة ٦٩٧هـ .

والأمير سيف الدين سلحدار الناصرى سنة ٧٠٠ هـ وعمر جامع مجدل "عسقلان" .

والأمير إقحبار نائب "غزة" وصفد والأمير بيبرس العلائى استقر فى نيابة "غزة" سنة ٧٠٧هـ عوضاً عن والأمير إقحبار كما فى السلوك الأمير بلبان البدرى سنة ٧٠٩ هـ.

والأمير بكتمر الحسامى المعروف بالحاجب سنة ٧١٠ هـ وما زال يترقى حتى ولى الوزارة والحجوبية ونيابة و"غزة" و"صفد" فى الأيام الناصرية

وإليه تنسب مدرسة الحاجب بمصر

والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب "غزة" والبيرة سنة ٧١٠ هـ.

والأمير قطلوقتمر.

والأمير سنجر الجاولى استقر فى نيابة "غزة" سنة ٧١١ هـ ويلقب بالشجاعى ونائب السلطنة وقبض على والأمير قطلوقتمر نائب "غزة" بالأعمال الساحلية والجبلية وناظر الحرمين ورفع ثم أعيد.

والأمير طريطاى الجوكندار.

أقنان العلائى.

والأمير علاء الدين طنبغا السلحدار ولى نيابة غزة بعد حمص وحج بالشاميين ومات بغزة سنة ٧٣٢هـ.

والأمير علاء الدين الطنبغا الحاجب الصالحى سنة ٧٤٠ هـ[1].

والأمير بدر الدين مسعود بن ططر الرومى سنة ٧٤٠ هـ ولاه الملك الناصر نيابة "غزة"، وكان من أمراء مصر.

والأمير فارس البكى ابن الأمير قطلو ملك بن عبد الله سنة ٧٥٥ هـ نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب "غزة"

والأمير قانى تنكز الناصرى .. ذكره فى " الأنس الجليل "[2] ثم نقل منها

(١) الأمير علاء الدين طنبغا السلحدار سنة ٧٢١ ولى نيابة (غزة) بعد (حمص) وحج بالشاميين ومات (بغزة) سنة ٧٣٢. الأمير طينال نائب طرابلس واستقر فى نيابة (غزة) سنة ٧٢٣ وفيه كتب بإضافة (غزة) إلى نيابة (دمشق) وأن نائبها يكاتب نائب الشام ولا يكاتب السلطان وكانت (غزة) نيابة قائمة بذاتها إلى ذلك العهد وكان النائب بها برتبة مقدم ألف لأهمية (غزة) من الناحية الحربية كما فى السلوك وفى سنة ٧٢٠ استقر الأمير طيبغا فى نيابة (غزة) عوضاً عن جركتمر ونقل جركتمر إلى نيابة صفد وفى سنة ٧٣٦ الأمير حسام الدين طرنطاى الجوكندار ذكره فى صبح الأعشى وفى سنة ٧٤١ الأمير أ.ق استقر نائب صفد ثم غزة. (هـ.ط (رقم ٢) ص ١٢٢).

(٢) انظر: الأنس الجليل (ج ١/ ص ٦١)، و (ج ٢ / ٢٧).

إلى إمارة "دمشق" إلى أن مات سنة ٧٥٤ هـ وهو من مماليك تنكز فشكره عبد الناصر.

والأمير ركن الدين عمر بن خليل التركمانى سنة ٧٨٢ هـ فصار أميراً حاجباً فلما قتل تنكز أخرجه لنيابة غزة كما فى خطط المقريزى.

الأمير حسام الدين باكيش ٧٨٤ هـ.

والأمير علاء الدين أقبغا الطولونى ٨٠٢هـ الظاهرى من خواص الظاهر برقوق ولاه نيابة غزة إلى أن قتل سنة ٨٠٢هـ.

الأمير أقبغا اللكاش ٨٠٢ هـ.

والأمير علاء الدين الطبلاوى ٨٠٣ هـ وفى سنة ٧٣٠ هـ الأمير بكتمر العلائى عوضاً عن عز الدين أيبك الجمالى.

الأمير حربق الظاهرى ٨٠٤ هـ.

الأمير الطنبغا العثمانى ٨٠٥ هـ.

والأمير أفنان العلائى سنة ٨٠٥ هـ.

والأمير إينال العلائى ٨٠٣هـ .

والأمير أحمد ٨١١ هـ .

والأمير بيقجاه طبغور ٨١٢هـ .

والأمير إينال الجلالى ومات بغزة ٨١٣هـ .

والأمير الظاهر بن برقوق ومات ٨١٤هـ .

والأمير جانبك[1] مات ٨٣٦هـ .

والأمير سيف الدين إينـال العلائى النـاصرى ٨٣١ هـ ، ولاه الأشرف

(١) شطب وقشط وغير واضح فى الأصل.

نيابة "غزة"[١].

والأمير أركماس الجلبانى قراسنقر الظاهرى٨٣٧هـ جقمق ولاه الملك المؤيد نيابة"غزة" ومات سنة ٨٣٣هـ .

والأمير سودون بن عبد الرحمن الظاهرى ٨٤٠ هـ برقوق نائب "غزة" مات بدمياط سنة ٨٤١ هـ .

والأمير سيباى الأشرفى إينال ذكره فى "الضوء اللامع" .

والأمير أقباى الأشرفى قايتباى ذكره فى "الضوء اللامع" .

والأمير أقبردى القجماس ابن عم الظاهر برقوق ناب من أيام الأشرف ومات سنة ٨٤١هـ .

والأمير طوخ الناصرى ، ويعرف بطوخ مازى نسبة لأغاتة مارى الظاهرى الملك الأشرف نيابة غزة، ومات سنة ٨٤٣هـ .

والأمير طوخ الأبو بكرى المؤيدى شيخ تولى نيابة "غزة" بعد الذى قبله ذكره فى الضوء اللامع.

والأمير طوخ المؤيدى كان من مماليك المؤيد وخواصه وبعده تأمر "بغزة" قدمه الظاهر "بدمشق" ثم أعطاه نيابة "غزة" إلى أن مات خارج "غزة" قتيلاً سنة ٨٤٨ هـ فى أيام الظاهر برقوق "الظاهر برقوق " ومات "بغزة" ودفن بجامع ابن عثمان.

والأمير " يونس الركن بيبرس الأتابك " ابن أخت " الظاهر برقوق " كان فى أيام " المؤيد " و" الأشرف" ومات "بدمشق" سنة ٨٥١هـ .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تاريخ غزة فى العهد المملوكى انظر : كتاب " نيابة غزة فى العهد المملوكى " للدكتور محمود على خليل عطا الله. بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة. ط١، ١٩٨٦ . وعن الإدارة والوظائف انظر : المصدر نفسه فى الصفحات (١٢١ - ١٤٣) .

والأمير " جرباش الأشرفى برسباى " أخرجه " الظاهر جقمق " لأتابكية "غزة" وتوفى بها سنة ٨٥٢هـ .

الأمير "حطط الناصرى" سنة ٨٥٧هـ .

الأمير "خاير بك النوروزى" سنة ٨٥٩ هـ.

والأمير "بردبك الدوادار الأشرفى " سنة ٨٥٩ تولى فى أيام الملك الأشرف " إينال العلائى" وعمر مدرسة "بغزة" سنة ٨٥٩هـ .

الأمير "أرذميرفير ابن الدوادار".

الأمير "خاير بك القصروى" سنة ٨٧٥هـ .

و"الأمير يشبك العلائى" سنة ٨٧٧هـ .

و"الأمير أرغون شاه" سنة ٨٧٦هـ. .

و" الأمير سيباى الظاهرى" سنة ٨٨٠هـ .

الأمير دقماق نائب السلطنة بالقدس و"غزة" سنة ٨٨٥ هـ وناظر الحرمين الشريفين "القدس" و"الخليل" ذكره فى «الأنس الجليل» .

الأمير" دولات باى بن مصطفى " سنة ٨٨٦هـ .

الأمير" دولات باى الأنيالى " ٨٨٧هـ .

الأمير " إبراهيم بن عبد الرحمن " ٨٨٩هـ .

الأمير " ماهان بن عيسى بن ماهان ٨٩٢ هـ الكردى " من سلالة صلاح الدين الأيوبى

الأمير " شهاب الدين اليغمورى" نائب السلطنة فى دولة الملك " الظاهر برقوق" وناظر الحرمين الشريفين

الأمير المقر الأشرف أقباى نائب غزة ولى سنة ٨٩٢ هـ ويلقب بملك الأمراء كافل المملكة الغزية نائب "غزة" المحروسة.

الأمير " قانى بك" نائب "غزة" ٩٠٠هـ .

الأمير " قايتباى المشرفى " نائب "غزة" ٩٠١هـ .

الأمير " قراكز البهلوان " ٩٠٢هـ .

الأمير " اقبردى الدوادار" ٩٠٣هـ .

الأمير " جانبلاط القدرى " ٩٠٤هـ .

الأمير " قراجا " ٩٠٥هـ .

الأمير " قانصوه قار بن سلطان جركس " ٩٠٦هـ .

الأمير " على باى بن يشبك السيفى" ٩٠٧هـ .

الأمير" قانصوا الأشرفى" ٩٠٨ هـ كافل المملكة الغزية وعمر مسجد الشيخ أبى العزم "بغزة".

الأمير " صلاح الدين " ٩١٨هـ .

الأمير" أزبك الصوفى " ٩١٤ هـ .

" الأمير أقباى " ٩١٦هـ .

الأمير " دولات باى الأعمش " ٩١٨ هـ وهو من مماليك " السلطان الغورى" حتى احتلها السلطان سليم خان نائب دمشق من جهة السلطان الغورى، وقد حارب السلطان سليم عند قدومه ثم استأمنه فأمنه وسلم إليه ودخل تحت طاعته وحارب معه وأعانه على قتل " طومان باى " - آخر

ملوك الجراكسة - فأقامه نائباً على "غزة" ثم أقامه نائباً عنه فى الشام وجعل الحكم من"غزة" إلى الشام وأعمالها يتصرف فيها كما يشاء ثم طمع فى الحكم استقلالاً من "غزة" إلى الفرات فأرسل إليه السلطان تجريدة ١٤ ألفاً وحاربه حتى تغلب عليه وانكسر جنده وقتل وأقام مقامه - ملك الأمراء - " على قرة موسى التركى" وقرره فى نيابة "غزة" .

وقال فى الخطط وبعد رجوع السلطان سليم من مصر اقتسم العثمانية نيابات الشام فجعل " إياس باشا " فى دمشق " وقرة موسى" فى "غزة" .

الأمير " على باى دوادار " نائب غزة إلى ٩٢٢ هـ حتى احتلها السلطان سليم خان.

والأمير " جان بردى الغزالى" من ٩٢٢ هـ نائب "دمشق" من جهة" السلطان الغورى" .

والأمير " على قرة موسى التركى " إلى ٩٣٠هـ.

الأمير الكبير مصطفى باشا نائب غزة فى حدود سنة ٩٥٠هـ . ونقل منها إلى ولاية حلب سنة ٩٥١هـ .

والأمير " بهرام باشا ابن مصطفى " - نائب "غزة" إلى ٩٨٨ هـ ثم نقل من "غزة" لولاية "حلب" ومن مماليكه " كيوان بن عبد الله" - أحد كبراء الأجناد "بدمشق" .

والأمير " رضوان باشا " ابن " مصطفى باشا " نائب "غزة" تولاها بعد أخيه " بهرام باشا " ابن " مصطفى باشا " نائب غزة فى حدود ٩٨٨، ثم نقل من غزة لولاية حلب، ومن مماليكه " فروخ باشا " حاكم " نابلس " وأمير الحاج.

والأمير " أحمد باشا ابن رضوان باشا " - نائب "غزة" إلى ١٠٠٩ هـ. تولاها بعد والده وضمت إليه نيابة "القدس" و"نابلس" و"عكا" و"مرعش" وإمارة الحاج. قال المحبى واستولى على مملكة "غزة" ما يقرب من ثلاثين سنة ثم تفرغ عنها لابنه الأمير الكبير " حسن باشا " وبقى بها إلى أن توفى سنة ١٠٥٤ هـ ثم تولاها بعد " الأمير حسن باشا " وولى فى حياة أبيه إمارة " نابلس " وإمارة الحاج ثم تفرغ عن إمارة " غزة " لولده "إبراهيم باشا" وكان على إمارة "القدس" وتوفى فى حياة والده سنة ١٠٧٠هـ فعاد حسين باشا إلى إمارة "غزة" وبقى بها حتى قتل بالأستانة سنة ١٠٧٣هـ .

والأمير " حسن باشا بن أحمد " نائب "غزة" إلى ١٠٥٤هـ .

والأمير حسين باشا ابن حسن نائب غزة إلى ١٠٧٧هـ.

والأمير " إبراهيم باشا ابن حسين باشا " .

الأمير " موسى باشا بن حسن " - نائب "غزة" - إلى حدود ١٠٩٠هـ. المتصرف بمدينة " غزة " ولوائها فى " القدس " و" الخليل " و" الرملة " و"يافا" و"نابلس" ثم ضمت إليه "مرعش" و"الكرك" وإمارة الحاج الشامى.

والأمير" أحمد باشا ابن مصطفى بيك ابن حسن باشا " .

والأمير " أسعد باشا ابن العظم " .

والأمير " محمد بيك مكى الغزى - كتخدا أسعد باشا " ١١٥٥ هـ توجه إلى "الأستانة" وأخذ بلاد "غزة" إقطاعاً له وأقام بها ولده " حسين باشا " وعمر مزار الجراح بجهة "خان يونس" سنة ١١٥٩هـ.

والأمير " حسين باشا مكى " إلى أن قتل سنة ١١٧٩ هـ . كان له إمارة "غزة" و"صيدا" و"مرعش" والحج الشامى .

والأمير " عبد الرحمن أغا المصرى " ولاه " على بيك " - أمير "مصر" ١١٨٤ هـ . حاكماً ومحافظاً لبلاد "غزة" ثم حصلت فوضى بالبلاد وصار حاكم "غزة" يعينه والى "مصر" تارة، ووالى "عكا" أخرى وجرت الحرب المصرية بقيادة "محمد بيك أبى الذهب" طمعاً فى ضم بلاد الشام إلى مصر.

والأمير" درويش حسن باشا"[1] - متصرف لواء "غزة" وعمر الإيوانات الشمالية وصهريج بالجامع الكبير ١٢٠٣ هـ .

الحاج " أحمد أغا " - متسلم غزة وعمر قبر الشيخ عجلين ١٢٠٧هـ.

الحاج " على أغا أبو مرق " - متصرف "غزة" و"القدس" و"يافا" إلى ١٢١٤ هـ حتى قتله وقتل أولاده " أحمد باشا الجزار" والى "عكا" بسبب خدمتهم للوزير يوسف باشا المعدنى عند حملته على "مصر" وكان ذلك سبباً فى تعيين ولده " محمد باشا" وأراد الجزار القبض عليه فهرب من عسكره ورأيت مرسوماً بتاريخ ٥ ش سنة ١٢١٩ هـ . يدل على أنه ولى "الشام" و"صيدا" و"طرابلس" علاوة على "غزة" و"القدس" و"يافا" و"نابلس" وسارى عسكر الحجاز.

---

(١) ورد اسمه فى نقش على الأسطوانة الوسطى من إيونات المشى حين بانيها عشى كان لحسن باشا آل رضوان فى القرن الحادى عشر ثم تجددت فى أواخر القرن الثالث عشر . وورد فى النقش الآت : (جدد هذه المنارة ووشم بها شعاره ورمم هذا الضريح وأتى بهذا الحوض البهيج ابتغاء مرضاة السلام أمير الأمراء الكرام درويش حسن باشا متصرف غزة بلغه الله الأمانى عام ثلاث ومائتين وألف) . ومنقوش على البلاطة التى فوقها : " نظام اتم عن درويش حسن باشا الصدور يجاهد فى الله يرجو الرخاء محامياً عنه يروم الأجور سيعطيه جميع الثغور درويش باشا أمير العلا أدام إلهى إليه السرور وأقام المنارة لندائه أضاءت حماه صلاة البكور إليه وأرخ حكماً بدا " الا إلى الله تصير الامور ") ا . هـ .

محمد باشا أبو مرق متصرف غزة والقدس ونابلس إلى سنة ١٢١٧، وكان يقيم بغزة تارة وبالقدس ويافا أخرى

" شعبان أغا " - متسلم "غزة" وكان فى ١٢١٤ هـ .

" الدنكزلى حاكم "صيدا" " وعين والياً "لغزة" سنة ١١٩٤ هـ وخلفه " أحمد باشا الجزار " - والى "عكا" تغلب على "غزة" وثار على حاكمها " أبو مرق" وطمع فى بلاد الشام بأجمعها ولكن عاجلته المنية.

والأمير" يحيى " - أمير لواء "غزة" وكان ١٢١٧ هـ وله عمارة بجامع ابن مروان

" سليمان باشا الكرجى " وأقام عنه إلى ١٢٣٤ هـ وهو من مماليك الجزار وكان يكتب فى إمضائه والى "صيدا" و"عكا" وتوفى سنة ١٢٣٤ هـ ونائبه "بغزة" " محمد أغا أبو نبوت " من مماليك الجزار وقد كانت نفسه تشوفت للاستقلال فحملت عليه عسكر " سليمان باشا " ففر إلى مكة ومات بها .

" محمد أغا أبو نبوت " متسلماً "بغزة" ويافا سنة ١٢٢٤ هـ .

" محمد أغا الدوذدار " متسلماً "بغزة" .

" مصطفى أغا الوكيل " متسلم سنجق "غزة" ١٢٢٤ هـ وهو " معتوق حسين بيك الجداوى " كما هو على قبر ولده المتوفى سنة ١٢٣١ هـ والى "الشام" و"صيدا" و"عكا" و"طرابلس" ومتصرف ألوية "غزة" و"يافا" و"نابلس" وسنجق القدس ومن ذلك يعلم أن غزة فى القرن الثالث عشر نزلت درجتها من النيابة والولاية إلى لواء ومتصرفية ثم إلى متسلمية وقائمقامية.

" عبد الله باشا " ١٢٣٦هـ والى الشام وصيدا وعكا وطرابلس ومتصرف الولية يافا ونابلس وسنجق القدس ومع ذلك، يعلم أن غزة نزلت عن درجتها

من النيابة والولاية إلى لواء متصرفية ثم متسلمية وقائمقامية .

" حسين أغا " متسلم "غزة" و"يافا" و"الرملة" ١٢٣٧هـ . .

" عيسى أغا المشعلجى " متسلم "غزة" ١٢٣٨هـ .

" سليمان أغا " - متسلم "غزة" و"الرملة" و"يافا" ١٢٤٣ هـ وكان له انتماء على" محمد على باشا " ورفع إليه شكره الجزيل فى تحرير بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٧ هـ ، كما فى المحفوظات(١).

" صالح أغا البوشناق" - وكان فى ١٢٤٤هـ .

" محمد أغا بن سليمان زينه الغزى " متسلم بها.

أمير اللواء " على بيك " حاكم "غزة" ١٢٥٣ هـ ولاه " إبراهيم باشا " بعد احتلالها.

مدير إيالة صنجق "غزة" وتوابعها " محمود بيك عبد الهادى " سنة ١٢٥٠ هـ؛ وتولى بعد " الشيخ سعيد " ثم أعيد إليها بعد السنة المذكورة . وكان له انتماء على محمد على باشا ورفع ابن شكره الجزيل فى تحرير بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٧هـ كما فى المحفوظات(٢) .

متسلم صنجق "غزة" الشيخ " سعيد المصطفى" ١٢٤٩ هـ وهو من قرية حجه، وكان ابنه " الشيخ مصطفى " متسلماً بيافا وبعدها صار متسلماً "بغزة" ولقب بالبيك.

متسلم "غزة" " مصطفى بيك السعيد"(٣) ١٢٦٠هـ؛ وطالت مدته

---

(١) انظر: المحفوظات الملكية المصرية لأسد رستم، بيروت: منشورات المكتبة البوليسية مجموعة الدكتور أسد رستم، ط٢، ١٩٨٧م، ١/ ١٣٠ .

(٢) نفس المصدر السابق (١/ ١٣٠).

(٣) " كان على باشا متصرفاً بإيالة القدس وغزة فى ١٢٦١ هـ والمتسلم عنه بغزة من ذكر " هـ . ط ص ١٢٦ .

وحمدت سيرته وكان المتسلم يدفع سنوياً للدولة مقداراً من المال يجمعه من الأعشار والضرائب ويأخذ ما زاد عن ذلك.

متسلم "غزة" " أحمد بيك القاسم " من نابلس فى حدود سنة ١٢٧٠ هـ.

متسلم "غزة" " حسن أفندى ابن على أفندى النقيب المقدسى " إلى ١٢٨٢هـ؛ وتوفى "بغزة" ثم صارت "غزة" قائمقامية بمعاش مرتب يتقاضاه من الخزينة.

قائمقام "غزة" " رفعت بيك الجركسى " إلى ١٢٨٨هـ، وإليه تنسب ساقية الرفاعية لتعميره لها فى سنة ١٢٨٧ هـ عمر البيارة والبئر والبركة والسبيل وأحاطها بالنواء وقد شغل كبار أناس فى عمارتها؛ وجمع من الأهالى أموالاً بالشدة وكلفهم بالدفع داخلاً وخارجاً إعانة لنفقة العمارة وأرخها " العلامة الشيخ محمد ساق الله " بقوله:

بيارة تمت على أعلى نظام ... رفعت بيك شادها القائمقام

لما انتهى تعميرها تاريخها ... زها ابتهاجاً فادخلوها بسلام

وقال مؤرخاً لعمارتها أيضاً ونقش على جانب بركتها:

بئر بدا تعميره عن رأى ذى المجد الأثل

رفعت بيك من غدا ذى الجد والباع الطويل

وهو الأمير بغزة بعمارها أضحى كفيلاً

أبقاه ربى؛ دائماً فى عز أفضال جزيل

لما أتم بناءه وأتى على وصف جميل

تاريخه خيراً روى أنا هديناه السبيل

ثم تولى قائمقامية غزة "الكبح أحمد بينباشى "العسكرية وتولى نظارة أوقاف الجامع الكبير العمرى؛ وأجرى فيه تعميرات وقصارة داخلاً وخارجاً وتبليطاً وتخشيباً مما حفظه من الخراب؛ وبقيت آثارها إلى الآن وكان ذلك سنة ١٢٩٥هـ.

ثم تولى "أحمد أفندى الصلح" من بيروت وأصله من نابلس ولم تطل مدته.

ثم تولى " عزت أفندى التركى " ثم " حسن أفندى فنّن " - المقدسى؛ ثم " عمر أفندى عبد السلام الحسينى ثم يوسف باشا الخالدى " ثم " صالح أفندى خلوصى "، وهو من كبراء الأتراك وبقى إلى سنة ١٣٠٥هـ .

ثم "عبد الغنى أفندى القبانى" - الدمشقى ثم؛ "حسن أفندى البصرجى" - التركى، ثم " حسن بيك ابن بدرخان" - باشا من كبراء الأستانة وأعيان الأكراد بها سنة ٣١١ هـ؛ ثم " كاظم بيك التركى " وكان متشيباً خرفاً ولقب " بدردك " .

ثم " جمال بيك " من كبراء الأستانة؛ وكان له قيمة وأبهة وجلال وأتى إليها سنة ١٣١٥هـ؛ وبقى إلى أن توفى ولده كمال فحزن عليه كثيراً واتخذ له قبراً بقفص حديد بتربة " الشيخ شعبان "؛ وبنى له سبيلاً على الطريق ونقش على قبره تاريخ وفاته نظم العلامة " الشيخ سليم شعشاعة "[1] وهو:

على روح الفؤاد دوام حزنى ودمع الفقد من عيناى فانى

كمال من جمال من جلال شهيد والسعيد عظيم شانى

ووالده سما قائمقاما بغزة هاشم عالى المكان

(١) الشيخ سليم شعشاعة نعته الطباع "بالعلامة فخر العلماء المدرسين وصدر الفضلاء البارزين عين الأماثل، وزين المحافل الشيخ سليم ابن الحاج محمد ابن السيد مصطفى نقيب السادة الأشراف" انظر : ترجمته بتوسع فى قسم التراجم (مج ٤/ ص ٣٤٣).

وفى أولى جمادى قلت أرخ كمال الفخر فى نيل الجنان

سنة ١٣١٧ هـ ٩١ ٩١١ ٩٠ ٩٠ ١٣٥

ثم " إبراهيم لطفى باشا " كان فقيهاً متصوفاً يجل العلماء والصلحاء محباً لجمع المال؛ ثم " إبراهيم بيك " وصفى ثم " أحمد بيك اليوسف" ثم " فريد بيك خورشيد" من "صيدا" .

ثم" محمد عارف أفندى التركى "؛ ثم " محمود أفندى نديم التركى" ثم " فريد بيك العمرى " - الدمشقى؛ ثم " معين بيك عبد القادر المرعب " من قضاء "عكا" وكان قدومه "لغزة" فى سنة ١٣٣٣ هـ وبقى بها إلى أن صار ترحيل أهل "غزة" منها بسبب اتخاذها خطاً حربياً بصورة فظيعة؛ وحالة منكرة هلكت بسببها أموال ومنقولات ونفوس لا تحصى فكتبت إليه:

أتأمر بالرحيل من البلاد ولا رحل لدينا ولا معين

وقد حاقت بنا البلوى جميعا فجئنا نستجيرك يا معين

فأحضر الدواب من القرى والقضاءات وأرسل لى منها جملين وحمارين، وأعطى البعض من الناس مالاً يكفى لضرورته، وفى سنة ١٣٣٦ هـ صار الاحتلال المقرون بمؤازرة زعيم العرب شريف مكة " الملك حسين بن على"؛ ودخلت البلاد تحت الانتداب الإنكليزى المسبوق بوعد ملك العرب باستقلال جميع البلاد العربية، وقسمت فلسطين إلى ستة ألوية لواء "القدس"[1] ولواء " حيفا"[2] و" لواء" " الجليل"[3] ويتبعه" قضاء الناصرة " و" طبريا" و"صفد" و" بيسان" و" لواء السامرة "؛ ويتبعه "قضاء نابلس " و" جنين

(١) ويتبعه قضاء الخليل وبيت لحم ورام الله -

(٢) ويتبعه قضاء عكا " هـ (٢) . ط ص٢٧١ .

(٣) " وجبل الجليل فى ساحل الشام ممتد إلى قرب حمص وبالقرب من دمشق أيضاً وهو جبل من الحجاز فى مكان منه بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وهو بدمشق =

وطول كرم" و" لواء اللد"، ويتبعه " قضاء يافا" و" الرملة" و" لواء غزة"، و" يتبعه قضاء بئر السبع" .

وقد حكم "غزة"[١] بعد الاحتلال " بركل بيك"، والمستر " ملز " ومساعده "زكى أفندى المصرى" والضابط العسكرى الشديد المستر " سنقر"، ثم " الحاكم الملكى " المستر نوط " ومساعده " المستر كروزبى "، وهو من أعيان الإنكليز وأحرارهم وطالت مدته بفلسطين وانتقل إلى "القدس" و"يافا" ثم ترقى حاكماً "بالقدس" ثم الحاكم الإدارى النشيط المستر "إبرامسون " ومساعده " المستر بولاك "، ثم " المستر فرلى " ثم " المستر نيوتن " ثم وكيل حاكم " المستر بالستون "، ثم الحاكم " المستر فيلبس " ثم " المستر بيلى "، ثم " المستر أبلارد " ثم " المستر أبلاكنسوب "، ثم الحاكم الإدارى الحر الوديع " المستر و. رباكى " .

ومع هؤلاء تولى القائمقامية بها " محمود أفندى أبو خضرة "، -الغزى- بعد توليته رياسة بلديتها و" ويطرس أفندى ناصر " - ثم " وديع أفندى العيساوى"، و" وديع أفندى فرنسيس " و" عبد الرازق أفندى قليبو " -المقدسى، و"إحسان أفندى هاشم النابلسى " و" عارف بيك العارف " -المقدسى-، و" إسحق أفندى النشاشيبى " - المقدسى، ثم " وديع أفندى العيساوى " و " جمال أفندى الداودى " - المقدسى-، و " خالد أفندى حمو " الإدارى المالى اليافى و " إحسان بيك السعيد اليافى " .

= لبنان ويحمص سنير وجبل الجليل من أعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق يقال إن عيسى عليه السلام دعا لهذا الجبل أن ألا يعدو سبعه ولا يجدب زرعه "(ذكره ياقوت فى المعجم.هـ. ط ص ١٢٧ .

(١) بصدد تاريخ غزة فى فترة الانتداب انظر : تاريخ غزة للعارف (ص٣١٠ -٣٢٨) حيث كتب عنها العارف بإسهاب لأنه كان من المعاصرين لهذه الحقبة بل كان من الموظفين فى إدارة الانتداب البريطانى حيث عمل قائمقام لغزة وبئر السبع فى فترة الانتداب حتى النكبة التى أرخ لها !!! (المحقق) .

غزة
وإدارة الحكومة بها
بعد الفتح العثمانى

غزة وإدارة الحكومة بها بعد الفتح العثمانى

كانت "غزة" ولاية مستقلة يقيم بها الوالى، وينيب عنه فى "القدس" و"يافا" وغيرها من القسم الجنوبى حكاماً، ثم نزلت إلى لواء والحقت "بولاية عكا "، ثم إلى متسلمية حتى احتلها "إبراهيم باشا" - المصرى -، وأقام فيها غير واحد من الحكام، ثم صارت "القدس" لواء مستقلاً والحقت "غزة" بها[1]، ولكن صار الحاكم بها المعبر عنه " بالقائمقام " يعين من "الأستانة " وأتى إليها رجال ذوو مكانة من الأتراك والأكراد والعرب وتقدم ذكر أسمائهم.

وبعد الاحتلال الإنكليزى قسمت فلسطين إلى ثلاثة ألوية:

الأول: لواء القدس، ويافا ويقسم إلى سبعة أقضية وهى : قضاء "القدس" و"رام الله" "، و " "أريحا" و"بيت لحم" و"يافا" و"الرملة".

والثانى: " اللواء الجنوبى " ومركزه: "غزة"، ويقسم إلى أربعة أقضية : "غزة" و"المجدل" و"بئر السبع" و"الخليل".

والثالث: " اللواء الشمالى" ، ومركزه : "حيفا" ويقسم إلى عشرة أقضية وهى: "حيفا" و"عكا" و"زمارين" و"الناصرة" و"طبرية" و"صفد"

(١) لعبت غزة دوراً هاماً إبان الحكم العثمانى وكانت فى معظم الاوقات سنجقاً أو لواء فى ولاية الشام والحقت لفترة قصيرة بولاية صيدا ، كذلك بمتصرفية ثم ولاية القدس . انظر : غزة دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية (١٢٧٢ - ١٢٧٧هـ) (١٨٥٧ - ١٨٦١) للدكتور : عبد الكريم رافق (بحث أعده بمناسبة المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذى نظمته الجامعة الأردنية فى عمان فى الفترة بين ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠ / ٩ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ.

و"طول كرم" و"جنين" و"بيسان" و"نابلس" "ثم قسموها إلى مقاطعة شمالية، ومركز حاكمها "حيفا" ومقاطعة جنوبية ومركز حاكمها "يافا" و"القدس" لها حاكم خاص وبها مركز المندوب السامى وباقى البلاد تراجع حاكم المقاطعة بواسطة قائمقامها.

ثم فى سنة ١٩٣١ م قسمت فلسطين كما جاء فى الجريدة الرسمية إلى ثلاثة ألوية:

الأول: اللواء الشمالى ويشمل أقضية "حيفا" و"عكا" و"طبرية" و"صفد" و"الناصرة" و"بيسان" و"جنين" و"طول كرم" و"نابلس".

الثانى: اللواء الجنوبى ويشمل أقضية يافا والرملة وغزة وبئر السبع .

الثالث: لواء القدس ويشمل أقضية "القدس" و"رام الله" و"بيت لحم" و"أريحا" و"الخليل".

* * *

فهرس موضوعات
الجزء الأول

فهرس موضوعات الجزء الأول

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

* * *